يوميا: الإنسان والتطور
الإصدار الإلكتروني
2007

النشرة الشهرية

ديسمبر 2007

النص البشري في سوائه و إضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفسور يحيى الرخاوي

يوميات ديسمبر 2007

المجلد 2، الجزء 4- سبتمبر 2007

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

النـــص البشـــري فـــي سوائـــــه و إضطـرابـــه

... قـــــراءة مـن منظـــور تطـــوري

بروفســـــور يحيـــى الرخـــاوي

يوميـــــات ديسمبـــــر 2007

الفهـــــــــــرس

السبـــت 2007-12-01:
92- الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى(2) 609
الأحـــد 2007-12-02:
93- عن الفصـــام (4) 621
الإثنيـن 2007-12-03:
94- رائحة للذات، والحياة، والجسد، والأشياء 630
الثلاثاء 2007-12-04:
95- العين الداخلية (والأنف الداخلية كذلك) 637
الإربعاء 2007-12-05:
96- الأنفُ تدرك مثل العين أحياناً!! 645
الخميـــس 2007-12-06:
97- قراءة فى أحلام فترة النقاهة 679
الجمعـــة 2007-12-07:
98- حوار / بريـــد الجمعة 684
السبـــت 2007-12-08:
99- اعتذار، وحيرة حول المنهج 694
الأحـــد 2007-12-09:
100- تعدد الكيانات وحركية الإبـداع 702
الإثنيـن 2007-12-10:
101- الطفل والتعدد والنمو والإبداع 710
الثلاثاء 2007-12-11:
102- المخدرات العصرية والمفاتيح السرية 726
الإربعاء 2007-12-12:
103- " أحجار كريمة وأشياء أخرى وسط كومة قش" 734
الخميـــس 2007-12-13:
104- قبل قراءة الأحلام: 741
الجمعـــة 2007-12-14:
105- حوار بريد الجمعة 753

السبـــت 2007-12-15:
106- تشكيلات من: الحضارة والمدنية والحاجة إلى مراجعة 777
الأحـــد 2007-12-16:
107- المستحيل .. والممكن! 781
الإثنيـن 2007-12-17:
108- التطور الحيوى يتحدى المستحيل 789
الثلاثاء 2007-12-18:
109- عن الدين العالمى الجديد 796
الإربعاء 2007-12-19:
110- عيدية لكبارنا من عيال الأمريكان!! 802
الخميـــس 2007-12-20:
111- نجيب محفوظ : قراءة فى أحلام فترة النقاهة 807
الجمعـــة 2007-12-21:
112- حوار / بريـــد الجمعة 811
السبـــت 2007-12-22:
113- مفاتيح بسيطة واختيار الحياة 833
الأحـــد 2007-12-23:
114- حزمة من مفاتيح السر "الآخر" 842
الإثنيـن 2007-12-24:
115- تهميش "الجسد" على الناحيتين 849
الثلاثاء 2007-12-25:
116- أنواع العقول وتعدد مستويات الوعى 859
الإربعاء 2007-12-26:
117- نجيب محفوظ : قراءة فى أحلام فترة النقاهة 868
الخميـــس 2007-12-27:
118- قراءة النص: بين التفسير والاستلهام 874
الجمعـــة 2007-12-28:
119- حوار بريد الجمعة 878
السبـــت 2007-12-29:
120- الوسواس القهرى فى رحاب مولانا النفرى (1) 895
الأحـــد 2007-12-30:
121- أهلا بالوسواس القهرى، لتَجَاوُزْهُ (2) 902
الإثنيـن 2007-12-31:
122- حصاد الشهور الأربعة (يوميا، ونشرة) 910

السبـــــــــت 01-12-2007

92- الوحـــدة والتعـــدد فـي التركيـــب البشـــــري (2)

نـأمل أن تـكون قـد أطلعت على الجزء الأول من هذه اللعبة يوم الأربعاء 28-11 (**الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى**)

كما نـأمل أن قـد تـكون قـد حاولت لعب الخمس ألعاب المتبقية (6-10) التى قدمنا نصّفها فى آخر هذه الحلقة الأولى وهى التى سوف نعرضها اليوم.

وأيضا على الخمس ألعاب الأولى التى عرضناها فى تلك الحلقة "سر اللعبة".

لمن لم يفعل هذا أو ذاك، ننصح بقراءة "يومية أمس" أولا، وهى التى أشرنا فيها كيف أن هذا المدخل (فكرة تعدد الذوات) يمكن أن يكون التمهيد المناسب للدخول إلى التعرف على الفصام.

وأن تحاول أن تجيب شفاهة أولا ثم كتابة على العشر لعبات، ثم تقرأ هذه الحلقة (أو رتّب مداخلك كما تشاء).

اللعبة السادسة: طب لو أنا أكتر من واحد؟ يبقى مين فينا المسئول أنا شايف.....
اللعبة السابعة: المسألة مش مسألة صراع ولا خناقة، المسألة إنى لو كتير يمكن.....
اللعبة الثامنة: يكونش الكتير اللى جوانا هو الجنّ اللى بيقولوا بيلبس الناس، (مش الجن اللى فى القرآن) معنى كده بقى.....
اللعبة التاسعة: أنا كده اتلخبطت، لكن يتهيألى ممكن أستفيد بإنى.....
اللعبة العاشرة: أنا نفسى الكتير اللى جوايا يتصالحوا مع بعض، بس مش على حساب..

المشاركون:
الأستاذة: أ. فوزية "أخصائية نفسية"
الدكتور: د. مروان "طبيب"
الأستاذة: أ. رجاء "وكيل وزارة سابقاً"
والأستاذ: أ. يوسف "محام"
الآن نعرض الاستجابات والمناقشة (ويمكن مشاهدتها مباشرة "برنامج سر اللعبة")

***

اللعبة السادسة: طب لو أنا أكتر من واحد؟ يبقى مين فينا المسئول أنا شايف.....

اللعب:

م. فوزية: يا أستاذ يوسف طب لو أنا أكتر من واحده؟ يبقى مين فينا المسئول أنا شايفه "**إن كلنا مسئولين**"

أ.يوسف: يا دكتور يحيى طب لو أنا أكتر من واحد ؟ يبقى مين فينا المسئول أنا شايف "**إن أحنا الاثنين مسئولين وكلنا مسئولين**"

د.يحيى: يا مدام رجاء طب لو أنا أكتر من واحد ؟ يبقى مين فينا المسئول أنا شايف "**إني أنا مسئول عنُّه وعَنّيَ**"

م. رجاء: يا دكتور مروان طب لو أنا أكتر من واحده ؟ يبقى مين فينا المسئول أنا شايفه "**إن المسئولية مابتتجزأش**"

د.مروان: عزيزى المشاهد طب لو أنا أكتر من واحد ؟ يبقى مين فينا المسئول أنا شايف "**إني مسئول عنكم كلكم**"

المناقشه باختصار

أ.يوسف: أعتقد إني أنا والمدام فوزية شفنا إن المسئولية من جوه، وفعلا أنا لما باتكلم عن أى حاجه مش واحد بس بيتكلم، أنا واللى جوايه مسئولين قدام اللى بيحصلنا عن نفسنا. شايف إن حضرتك ومدام رجاء ومروان إتكلمتوا عن مسئولية قدام حاجة خارجية

د.يحيى: عندك حق

م.فوزية: أنا حبيت أفرّق إيه اللى ... من الخارج ما عرفتش، لقيت اللى طالع من جوايه

التعقيب الحالى

الخوف إننا إذا اعترفنا أن الواحد منا "كتير"، وأن هذا الـ "كتير" فيه الشرير وفيه الطيب، وفيه المجرم، وفيه الطفل العابث، وفيه الشيخ الحكيم، الخوف أن يكون هذا الاعتراف مدعاة لإلقاء اللوم على واحد من هؤلاء، فتصبح المسألة سائبة، فلا مسئولية. فيغلط أحدهم ثم يقول: عفوا سامح "طفلى"، وعندنا يقول الشباب أو أهل البلد: "جرى إيه!!! عيل وغلط". (المنطق يقول إن هذا التخلى عن المسئولية قد يمتد – ولو لا شعوريا – من المعاملات إلى المسئولية القانونية أو المهنية ..إلخ, فكيف ظهر هذا الاحتمال من هذه اللعبة؟

أجمع الجميع على أنهم مسؤولون معا (هم ومَنْ بداخلهم) عن كل شئ، مسئولون عن الواحد وعن الكتير، بل وعن الآخرين أيضا. كنت أحسب أن سهولة الاعتراف بأن فى كل واحد منا كثيرين، هو نوع من الاستسهال لتجنب اللوم أو التخلى عن

المسئولية تبين لنا العكس: قالت م. فوزية أن "كلنا مسؤولين:، وقال يوسف "إن احنا الاثنين مسئولين"، فى حين قالت م. رجاء "أنا شايفة إن المسؤولية ما بتتجزأشى، وقال د. يحيى أنا مسؤول عنه وعنى"، ثم د. مروان: قال أنا مسؤول عنهم كلهم.

هكذا بعدت مخاوفى، وتحمل الجميع مسئولية الجميع!!! أما التطبيق العملى فلا أستطيع أن أجزم به، المهم أن النفس البشرية تبدو قادرة على التعدد دون التخلى عن المسئولية الشاملة، أما القانون فهو ينظم الظاهر فقط.

***

اللعبة السابعة: المسألة مش مسأله صراع ولا خناقه، المسألة إنى لو كتير يمكن.....

اللعب

م.فوزية: يا مدام رجاء المسألة مش مسألة صراع ولا خناقة، المسألة إنى لو كتير يمكن **"أنا أبقى أقوى مما أنا دلوقتى.."**

م. رجاء: يا دكتور مروان المسألة مش مسأله صراع ولا خناقة، المسألة إنى لو كتير يمكن **"المشكلة مش حانقدر نحدد من اللى فى المشكلة"**

د.مروان: يا دكتور يحيى المسألة مش مسألة صراع ولا خناقة، المسألة إنى لو كتير يمكن **"هاحتكوأ"**

د.يحيى: يا أستاذ يوسف المسألة مش مسألة صراع ولا خناقة، المسألة إنى لو كتير يمكن **"يعطلوأ بعض"**

أ.يوسف: عزيزى المشاهد المسألة مش مسألة صراع ولا خناقة ، المسألة إنى لو كتير يمكن **"مش حاعرف أسيطر عليهم"**

المناقشه باختصار

أ.يوسف:عاوز بس ألعب تانى

د.يحيى: إتفضل على فكرة، مسموح

أ.يوسف: يا د.مروان المسألة مش مسألة صراع ولا خناقة، المسألة إنى لو كتير أنا أحب أشوفهم علشان أدى لكل واحد حقه

م.فوزية: هاتقدر؟

أ. يوسف: المسألة مش مسأله صراع ولا خناقه ، المسألة إنى لو كتير عاوز أصاحبهم بس شوية أشوفهم علشان اصاحبهم حتى لومش هاديهم حقهم

د.يحيى: أستاذ يوسف عمل حاجة جيدة ..، إن هو لعب ثلاث مرات وفى كل مرة كان بيمد إيده على منطقه غير اللى قبلها.

التعقيب الحالى

شاعت مسألة الصراع هذه من منطلق التحليل النفسى التقليدى، وكأن الأصل هو أن نتصارع مع داخلنا، وألا ينتهى هذا الصراع إلا بانتصار أحد الأطراف على الآخر، الخير على الشر، الالتزام الأخلاقى – حتى لو كان مسطحا – على الغرائز، وهكذا. إلا أن اللعبة أظهرت غير ذلك.

إن كثرة الشخوص بداخلنا لا يتبعها ما هو صراع حتما، فماذا هى من واقع الاستجابات ؟

قال د. مروان "يمكن أحبهم كلهم!!

وقال أ. يوسف: يمكن ما اعرفشى أسيطر عليهم،

وقالت م رجاء: يمكن أصاحبهم حتى لو ما اديتهومشى حقهم،

فى حين قالت مدام فوزية: "يمكن أبقى انا أقوى من كده،

أما د. يحيى فقال: يمكن يعطلوا بعض.

لقد كررنا الاستجابات حتى يظهر جليا أن ما شاع عن أن مجرد وجود أكثر من كيان مختلف عن الكيان الآخر داخلنا معناه أن ثُمَّ صراعاً محتمل أو قائما ولا بد من حلّه حتى نصبح أصحاء!! إن هذه الفكرة الشائعة التى روجها فكر التحليل النفسى التقليدى – أو سوء فهمه – ينبغى أن تُراجع. إنهم يربّوننا وكأن بداخلنا وحشا ينبغى أن نروّضه، أو شيطانا ينبغى أن نتخلص منه طول الوقت

تثبت هذه اللعبة – أو تقترح – أن ذلك ليس الأصل،

التلقائية التى استجاب بها المتطوعون أظهرت كيف أن التركيب البشرى أجمل وأسهل من هذه الإشاعات التى روجتها أساليب الترهيب والترغيب والتفكير الاستقطابى وبعض التحليل النفسى. نلاحظ كيف أن هذه الكثرة داخلنا جدا:

أعطت أ. فوزية قوة،

وسمحت للدكتور مروان أن يحبهم جميعا،

وجعلت أ. رجاء تحاول أن تحدد،

أما أ.يوسف فتجهز للسيطرة (لا للقهر) وأعلن ضمنا – كما أتصور – أنه لن يستطيع، وكأنه يفوت لهم سرا،

ثم جاء دور، د. يحيى ليعلن حذره من التنافس العشوائى بين ذواته حتى الإعاقة.

كل ذلك يشير إلى أن محاولة التصالح بين الذوات – بدرجات مختلفة – هو الاحتمال الأرجح،

وأن الاعتراف بهذه الكثرة قد يدل على القوة والرحابة والاستيعاب واحتمال العدل.

اللعبة الثامنة: يكونش الكتير اللى جوانا هو الجن اللى بيقولوا بيلبس الناس، (مش الجن اللى فى القرآن) معنى كده بقى .....

اللعب

م. رجاء: يا دكتور مروان يكونش الكتير اللى جوانا هو الجن اللى بيقولوا بيلبس الناس، (مش الجن اللى فى القرآن) معنى كده بقى **"إن شخصيتنا مزدوجة"**

د.مروان: يا دكتور يحيى يكونش الكتير اللى جوانا هوّا الجن اللى بيقولوا بيلبس الناس، (مش الجن اللى فى القرآن) معنى كده بقى **"إنى أنا لازم أبعد عنه"**

د.يحيى: يا مدام فوزية يكونش الكتير اللى جوانا هو الجن اللى بيقولوا بيلبس الناس، (مش الجن اللى فى القرآن) معنى كده بقى **"أن حل المسألة دى أن أحنا نقبل الجن الى جوانا بدل مانستسلم للتفسير الخارجى اللى يخلينا سلبيين ..."**

م.فوزية: يا أستاذ يوسف يكونش الكتير اللى جوانا هو الجن اللى بيقولوا بيلبس الناس، (مش الجن اللى فى القرآن) معنى كده بقى **"إنى أنا مجموعه من الجنيات"**

أ.يوسف: عزيزى المشاهد يكونش الكتير اللى جوانا هو الجن اللى بيقولوا بيلبس الناس، (مش الجن اللى فى القرآن) معنى كده بقى **"هايتنيه جن طول ما أنا مابطلعوش بره"**

المناقشة باختصار

د.يحيى: أنا شاكر جداً هو الفكره هنا بقى مهمه خالص فى ماعدا تحفظ بسيط على الدكتور مروان، مادام جوانا طلع كتير وطلع ست وراجل وعيال، وصاحبناهم ونظمناها وبقينا احنا مسئولين، فين الجن بقى هذه اللعبة وهذه الفصلة دى تمثل ليا رساله للناس والوعى وللدكاتره على فكره إن قبول هذا التعدد حايلغى التسليم للجن والضرب وقلة الأدب

أنا بتكلم على إن الدكاتره لما مبيعترفوش بالكتره ديه ويجى شوية الدجالين والمشايخ يقولوا إن فيه جن .هما بيقروا حقيقه إحنا بننكرها على نفسنا، لكنها ليست جن، دى هى التعدد اللى أحنا عشناه بكل هذه السلاسه والوضوح، أدى وظيفة الإيجابية يبقى مش معنى كده إن احنا بنعترف بالجن اللى بيلبس، يبقى أنا ملبوس بالطفل اللى جوايا يبقى أنا ملبوس بالست اللى جوايا من غير ما تبقى جن ولا حاجة خالص، وملبوس ليه لأنى ما إدتهاش مشروعية علشان كده لما نتصالح، لما نعترف، لا هاتبقى جن ولا هاتبقى أخر منفصل.

د.مروان: وأنا بقول هوده اللى كان فى دماغى عايز أبعد عن الكلام ده مش عن الجن مش عن اللى جوايا
د.يحيى: هايحل اللى جوانا محل الجن
د.مروان: مش الجن نفسه

د.يحيى: أيوه؟
د.مروان: عن الكلام ده
د.يحيى: تحب تلعبها تانى
د.مروان: اه
د.يحيى: إتفضل
د.مروان: الجمله تانى بس
د.يحيى: يكونش الكتير اللى جوانا هو الجن اللى بيقولوا بيلبس الناس
د.مروان: إيه اللى حاكمل بعدها
د.يحيى: معنى كده بقى
د.مروان: إلى أ.يوسف:- يكونش الجن الكتير اللى جوانا هو الجن اللى بيقولوا بيلبس الناس، معنى كده بقى إن الكلام ده غلط
د.يحيى: أيوه كده ، كده إتفقنا

التعقيب الحالى

صيغت بداية هذه اللعبة كاحتمال (يكونشى)، ربما صاغها المسؤول ليستدرج المتطوعين إلى موافقته على فرضه، ثم إن صيغة اللعبة لم تقرر أنها تقصد الجن عامة، بل قصرت الاحتمال على أنه الجن إللى بيقولوا عليه بيلبس الناس، حتى لا يشمل الجن الذى نزل فى القرآن الكريم، تجنبا لمناقشات فرعية، حتى أن اللعبة لم تقرر أنه "إللى بيلبس الناس، وإنما "إللى بيقولوا إنه بيلبس الناس" (أخذت بالك؟) نحن نتعامل مع ما جاء فى نص اللعبة. اتفقنا؟ (برجاء عدم الخروج عن الموضوع).

نستمع إلى الاستجابات:

يبدو أن المشاركين كانوا أقل حماسا لقبول الفكرة فيما عدا د. يحيى الذى قلبها درسا دون أن يدرى ".معنى كده إن حل المسألة ديه إن احنا نقبل الجن اللى جوانا بدل ما نستسلم له غصبن عنا"

أما د.مروان، فقد تجنب الأمر من بابه "معنى كده بقى إنى لازم أبعد عنه

جاءت استجابة يوسف تجنبه المواجهة أيضا: "معنى كده إنى أخليه جوه ما اطلعوش برة"، أما م.فوزية فهى الوحيدة التى اعترفت بسهولة بإيجابية الاحتمال، فقالت: "معنى كده بقى إنى أنا مجموعة من الجنيات"، أما مدام رجاء: "معنى كده بقى إن شخصيتنا مزدوجة".

الخلاصة أن الفكرة لم تُقْبل بالسهولة التى ربما أرادها واضع اللعبة، والتى شرحها بما يشبه الدرس فى استجابته، والتى تلكأ معظم المشاركين فى قبولها، ففى ماعدا مدام فوزية، تراجعت م.رجاء عن العدد الكثير الذين فى الداخل إلى "ازدواج الشخصية"، كما بدا أن الأغلبية يزوغون من قبول الاحتمال، هل ياترى لغرابة الفرض؟ أم لأن ثقافة الدين الشعبى تلزمهم - دون أن يدروا - بالتحفظ على الفكرة.

نؤجل شرح الفرض ودعمه للتعقيب الختامى.

***

اللعبة التاسعة: أنا كده اتلخبطت، لكن يتهيألى ممكن أستفيد بإنى .....

اللعب

د.مروان: يا دكتور يحيى أنا كده اتلخبطت، لكن يتهيألى ممكن أستفيد بإنى **"شوفت حاجات كتيره ماكنتش شايفها جوايا"**

د.يحيى: يا مدام رجاء أنا كده اتلخبطت، لكن يتهيألى ممكن أستفيد بأنى **"الحاجات اللى كانت بتخوفنى إنى أوصلها للناس علم أو تفسر للخرافه واجب علينا أبحث عن اللغه القادره على توصيلها بدل ماتكون خناقه وشتيمه متبادله بين الطرفين"**

م.رجاء: يا مدام فوزية أنا كده اتلخبطت، لكن يتهيألى ممكن أستفيد بأنى **"اللخبطة وضحت لى امور ممكن أتعايش معاها"**

م.فوزية: يا أستاذ يوسف أنا كده اتلخبطت، لكن يتهيألى ممكن أستفيد بأنى **"مش خايفة"**

أ.يوسف: عزيزى المشاهد أنا كده اتلخبطت، لكن يتهيألى ممكن أستفيد بأنى **"ماخجلش منهم وأشوفهم شوبه وأتصالح معاهم شوية ويمكن أعمل حاجه كويسة"**

المناقشة باختصار

د.يحيى: عاوز أعرف منكم إذا كان أحنا الخمسة بعد ما اعترفنا باللخبطه واعترفنا بالتعدد والراجل أعترف بالست جواه والست أعترفت بالراجل اللى جواها، والطفل (برضه) على فكره مارضيتش أقول العواجيز اللى جوانا أنا عجوز بس اللى جوايا يمكن يكون أعجز منى . أنا كنت باطرح السؤال: ليه الناس فى المجتمع العام ما بيقربوش من المنطقه دى

م.فوزية: أنا مالى بالناس ، الزنقه اللى أنا فيها دلوقتى والخوف اللى أنا كنت جايا بيه أتونس بيكم، فاضطريت إن اللى جوايا أبقى معاه ويبقى معايا أنا شايفه إن الناس صعبه جداً يتخيلوا بنفسهم، يشوفوا ده اويتعرفوا عليه ويصاحبوه.

أ.يوسف: أنا متصور إذا كان مجتمعنا عفوا أذا كنت هاقول كلمه نظريه يعنى بيتهيألى إن ديه فى أى مجتمعات مش هايبقى فيه فرصه أن الواحد يعرف يشوف البنى أدم بحق وحقيقى، بالإضافة إلى أن هنا أكتر بحق وحقيقى .... إنما أنا شايف ده بيدعون لأحترام البنى آدم قوى، الواحد يعرف يبص فيه ويقعد يشوفه كويس أوى قبل ما يقول أى كلمه عليه

د.يحيى: يا أستاذ يوسف هو خطر فى بالى حاجة وأنت بتكلم إذا كان فيه صعوبة فى عمل علاقة حقيقية بين أثنين

أنا وأنت آمّال لمّا انت تبقى 5 ، وأنا 12 أو17 حاتبقى الصعوبة أكتر ولا أسهل؟ هاتسهل علاقتنا ولا حاتصعبها؟

أ.يوسف: أنا رأيي الحقيقة إنها تدعوأ الى الاحترام أوّلا للبنى آدم، إنما أعتقد إنها هاتصعب العلاقات

م.فوزية: معلش أنت مابتتعاملش بالجزء ولكن بالكل، مابتتعاملش معاه بجته منك ده إحساسى وبيتهيألى كده

د.يحيى: وانت بتتكلم خطر فى بالى إنك هاتصعبها، لما سمعنا دلوقتى مدام فوزية هى بتسهل قبول هذا الكل إنما فى نهاية النهاية القبول ده بيخليك أكثر سلاسة، بيسهل، إنت برضه بتتعامل مع واحد قبلْ الكتير، دى حاجة جميلة جدا أنك تروح مريح وموسع الوعى إنما فى النهاية تبقى المحصله زى ما قالت الأستاذة فوزية واحد.

التعقيب الحالى

بعد هذه المفاجأة التى قلبت التسليم بأن كل واحد منا كتير إلى احتمال تفسير ما يشاع عن لبس الجن، يبدو أن واضع اللعبة افترض أن الأمور هكذا تحتاج توضيح ما حدث من "خبطة"، ربما لأن حشر لعبة الجن فى الوسط هكذا كاد يفتح باب التراجع أن الواحد منا "كتير"، لكن أبدا ، لم يتراجع أحد:

قال د. مروان:.... <u>ممكن أستفيد بإنى شفت حاجات كثير ما كنتش شايفها</u>، أما م. رجاء فكانت أكثر استيعابا لمدى الفائدة بصفة عامة:" ... ممكن أستفيد بإن اللى حصل ده وضحت لى أمور ممكن أتعايش معاها"، واستمرت م فوزية فى مزيد من الاطمئنان: "<u>ممكن أستفيد بإنى بقيت مش خايفة</u>. نفس التصالح بدا فى رد يوسف "<u>...ممكن أستفيد بإن ما اخجلشى منهم، أشوفهم شوية، أتصالح شوية، يمكن أعمل حاجة كويسة</u>".

أما د. يحيى فقد تمادى فى "الدرس والتدريس!!" قائلا: ممكن أستفيد بإن الحاجات إللى بتوصلنى من العلم .. واجب علىّ أبحث عن اللغة القادرة على توصيلها للناس بدل ماتبقى خناقه.

***

اللعبة العاشرة: أنا نفسى الكتير الى جوايا يتصالحوأ مع بعض، بس مش على حساب ..

اللعب

د.مروان: يا مدام رجاء أنا نفسى الكتير الى جوايا يتصالحوأ مع بعض، بس مش على حساب **<u>"أن حد فيهم يظلم الثانى"</u>**

م.رجاء: يا مدام فوزية أنا نفسى الكتير الى جوايا يتصالحوأ مع بعض، بس مش على حساب **<u>"كرامتى"</u>**

م.فوزية: يا دكتور يحيى أنا نفسى الكتير الى جوايا يتصالحوأ مع بعض، بس مش على حساب **<u>"الناس اللى باتعامل معاهم بره</u>**

د.يحيى: يا أستاذ يوسف أنا نفسى الكتير الى جوايا يتصالحوا مع بعض، بس مش على حساب **"الآخرين"**

أ.يوسف: عزيزى المشاهد أنا نفسى الكتير الى جوايا يتصالحوا مع بعض، بس مش على حساب **"عقلى"**

المناقشه باختصار

م.فوزية: أنا حاسة من اللعبة الأخيرة إن لو الكثير اللى جوايا اتصاحبتْ معاهم فعلاً .... مش على حساب الناس اللى بره بيتهيألى إن فى يوم ما، مش حايبقى فى مشكلة فى المجتمع ولا فى الناس ولا فى البيت مش هايبقى فيه مشكلة

أ.يوسف: أنا الحقيقية فرحان شوية

أ.رجاء: اللى وصلنى إن ممكن الإنسان برضه لازم يقعد مع نفسه شوية، ويحاول يتحاور مع الناس الكتير اللى جواه، برضه علشان الأمور تتضح قصاده

د.يحيى: أنا اللى وصلنى يا مدام رجاء إن حضرتك محتفظه بطفولتك وشبابك بشكل جميل جداً من كل الألعاب

د.مروان: إن ال10 ألعاب دول كشفوا للواحد سِنّه بسِنّه شاف كل اللى جواه

د.يحيى: أنا وصلنى زى ما أنا قلت فى الأول خالص إن هذه الحقائق البسيطة حين تَشَجُّعْنَا فى ظروف طيبة إن إحنا نتعرى كده، طلع أنها أكثر واقعية من كركبة اللاشعور والخوف ووصاية المنطق ووصاية الرمز وحاجات كده فيها شكل مباشر، وأنا برضه زى ما أ. يوسف قال أنا فرحان.

التعقيب الحالى

بدءاً من الوعى الشعبى: قلنا إن بداخل كل رجل منا كيان امرأة، وداخل كل امرأة كيان رجل، **(حين يقع أحدهم على الأرض تهتف أمه: ..اسم النبى حارسك وضامنك وقعت على أختك، تحت الأرض، أحسن منك)** يمتد هذا الحدس الشعبى لقبول **نقيضنا داخلنا** حين نلاحظ أن تداوى بعض المسلمين بالذهاب للكنائس، وتداوى بعض المسيحيين بالذهاب إلى الشيوخ (وليس للمساجد عادة)، هذا إقرار شعبى آخر بأن "الضد" كامن فينا، وأنه يحتاج للإقرار والقبول.

فإذا انتقلنا إلى مستوى المس بالجان, أو لبس الجان، ثم التداوى باستخراجه (دع جانبا الآن التداوى بالقرآن، لأنه ليس مرادفا للتداوى بإخراج الجان أو مصالحته)، فنرصد بعض ما يلى من مشاهدات:

1- عادةً يتم تلبس الجان فى الظلام
2- كان قديما يعتقد أهل الريف أن المرحاض (وكان بلا ضوء وبلا ماء أحيانا) هو مسكن الشياطين، وهو مكان الجان المفضل.
3- كذلك كانت البيوت المهجورة

4- يُعلن اللبس بالجان فى حالات كثيرة من أهمها الإصابة الجسدية، وبالذات إصابات الرأس، أو أية صدمات فيها رعب مفاجئ شديد، حبذا لو صاحبها غياب عن الوعى مهما قصرت مدته، ولو ثوان أو بعد صدمة عاطفية، أو بعد ارتكاب ذنب كبير، أو بعد اشتراك فى حديث هرطقة هزلا أو جدا، أو بعد قهر ترهيبى وعظى تأثيمى شديد، أو فى مواجهة موقف مثير لم يكتمل، كل هذه الأحداث هى ما نسميها فى الطب النفسى صدمات يمكن أن ترسّب، تهيِّر، فيظهر ما يسمى انشقاق الوعى، وهذا تعبير تقليدى يستعمل باعتبار أن الوعى واحد يمكن أن ينشق إلى شقين أو أكثر،

أما من المنظور الذى نقدمه هنا، فهو نوع من تعدد مستويات الوعى معا، أى أن الذى ظهر بديلا أو مواكبا هو وعى آخر، واحد من هذا الكثير فينا، يقفز إلى الظاهر إما كبديل، وإما ليحل معه، وهو ما يسميه العامة "يلبسه".

يعترف الوعى الشعبى بكل ذلك لكنه يسميه باسم آخر هو "الجان" (مرة أخرى وهو ليس بالضرورة الذى ذكر فى القرآن الكريم)،

الوعى الشعبى لا يخطئ فيما يراه على طول الخط، لكنه يخطئ فى التفاصيل، وكل المصائب لا تأتى إلا من التفاصيل،

الحس الشعبى يعتبر هذا الذى يلبسنا هو من خارجنا تماما، وهو يسميه جانا، هو يفعل ذلك ببساطة لأنه يستشعر حقيقة التعدد التى لا يعايشها الأطباء ولا المجتمع المبرمج أحاديا واستقطابا بالإقرار والاحترام الكافيين.

موقف الوعى الشعبى أقرب إلى الحقيقة الماثلة فينا التى تقرها النظريات القائلة بالتعدد،

يستتبع ذلك أن العلاج الشعبى الذى يقر هذه الحقيقة، "التعدد"، يكون أقرب إلى المتعالجين، ثم هات يا مصائب من خلال تسمية "ذوات" الداخل "بالجان"، ثم وضعها فى الخارج (إسقاطا)، وبالتالى نعود فنستقبلها وهى تأتى من الخارج منقضّة، لا تنبسط من الداخل منسلخة أو مُتَعتْعةً.

يواجه الحدس الشعبى ثم الحس الشعبى ثم العلاج الشعبى هذا التعدد الذى انفلت (عكس ما حدث فى اللعبة) بالاعتراف أولا، ثم يتعامل معه بطرق مختلفة منها:

(1) الاستجابة لطلبات هذ الكيان المنسى الذى انتهزها فرصة وقفز خارجنا أو علينا، فيحضر له ديكا أبيض بلا علامة، أو حلية كان نِفْس البنت فيها، وعادة يتقاسم الشيخ الغنائم.

(2) وقد يواجهه بالنهر أو بالضرب (الذى قد تفلت جرعته حتى تصل إلى القتل) بقصد الطرد، وهو ما يساهم فى الإسهام فى إعادة كبته تحت مستوى الوعى السائد الظاهر القائم،

(3) وقد يُعاَمل فى بعض الأحيان بالنصب أو بالمضاجعة الفعلية لفتاة أو امرأة محرومة.

قد تنجح بعض هذه الأساليب فى إرجاع الحال "كما كُنت"، أى إدخال الذى خرج من الداخل إلى حيث كان.

أو قد يتم التصالح بعقد صفقة – غير معلنة – بأن يُعترف – بلا قصد معلن- لهذا الداخل بالوجود فى الحلم.

البديل العلاجى (التطبيبى)

تكاد تتم كل ما يقابل هذه الخطوات فى العلاج الجمعى الذى يعترف بتعدد الذوات باستثناء الضرب والمضاجعة طبعا، كل الحكاية أن ما يسمى جانا يسمى باسم المريض نفسه أو باسم يختاره المريض، وأحيانا – فى السيكودراما- تسمى ذات الداخل باسم أنثى للذكر، زكية للمريض محمود مثلا، إذا كانت السيكودراما تسمح بذلك،

فى هذا العلاج الجمعى يتم تحضير (لتمثل) هذه الذات الأخرى "هنا والآن" – تمثيلا – (من داخلنا نحن)، وتسمى حسب السياق كما ذكرنا،

ثم إن الأدوار تُتَبادل فى وعى كامل، فيتكلم المريض – واعيا فى الدراما- مرة باسمه، ومرة باسم الذات الأخرى، ويلعب دور كل منهما مع نفسه أو مع أحد أفراد المجموعة أو مع المجموعة ككل، ليس هذا فحسب، بل إن المرضى (والمعالجين) الذين ليس عندهم أية شبهة لانطلاق هذا التعدد، يدعون للمشاركة بتصور التعدد من خلال لعبة علاجية مثل تلك التى قدمناها حالا، أو بغير ذلك من الأساليب.

الخلاصـــة

إذن فثمة رؤية بديلة يمكن أن نواجه بها التحليل النفسى التقليدى على ناحية، حتى لا يختزلنا إلى شعور ولاشعور، وميكانزمات وعقد، كما نواجه بها الاختزال الكيميائى الطبى الذى يحوّل الإنسان إلى مجموعة من المركبات الكيميائية التى تنقص أو تزيد فيظهر هذا المرض ويختفى بتعويض الناقص أو معادلة الزائد،

هى محاولة احترام مدخل آخر ربما يكون أبسط، وفى نفس أقدرعلى تقديم تركيب حيوى لمفهوم الإنسان، فى طبيعته النابضة الحيوية المتعددة، أملا فى احترام التبادل (الحلم) والنمو (الإبداع) من خلال قبول هذا التعدد، وإطلاقه إلى وعوده (الفطرة).

- يذكرنا هذا بقول نيتشه: إحذر وأنت تتخلص من الشيطان بداخلك أن تتخلص من أفضل ما هو فيك.

- يلاحظ أن هذه الجملة الاعتراضية التوضيحية قد أضيفت توقيا من أن تقفز الدفاعات للخلط والتداخل بمجرد ذكر كلمة "جن" مع إهمال السياق، فقد اعتدنا أن يكون الرد

الانعكاسى لذكر كلمة "الجن"، لكن "الجن"، أتذكر فى القرآن بعيداً عن السياق الذى ذكرت فيه.

- تذكرة بأن البرنامج يذاع للناس من القناة الثقافية، فله وظيفة تنويرية أو وقائية.

- وكان هذا ما يشغلنى وأنا أعدها ليكون الموضوع الرئيسى اليوم

الأحـــــــــد 02-12-2007

93- عـــــــن الفصـــــــــــــام (4)

تشخيص الفصام دون تحديد ماهيته!!

عرضنا أمس يومية **1-12 (الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى"2" "القرين والجان داخلنا")**، ويوم الأربعاء الماضى يومية **28-11 (الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى "أنا واحد ولاّ كتير")** وقبل ذلك يومية **26-11 (عن القشرة والفطرة والتعدد والواحدية)** بها مقتطفة من العلاج الجمعى، لتوضح منظومة التركيب البشرى من منطلق "تعدد الذوات" "فى واحد".

كما ذكرنا أننا نحتاج هذه الفكرة الأساسية حتى نستطيع أن نلم بمفهوم الفصام **تركيبيا بوجه خاص.**

ثم إننا قبل ذلك عرضنا جانبا من حالتين **(علاء يومية 25-11 (جنون صبى تناثر، فتجمد، فتجمع)**، و **(عصام يومية 4-11 "بعض أحوال: حالة عصام")** أيضا تمهيداً للدخول إلى التحدى الحقيقى لتناول هذا الموضوع الجوهرى الشائك، برغم وفرة تواتر تداول اسمه بين العامة والخاصة على حد سواء (فصام!!).

ماذا تعنى الكلمة، ماذا تفيد؟ هل ثُمَّ اتفاق؟ هل ثَمَّ دلالة؟

المفروض، ونحن نقدم علماً، أن نحدد تعريفاً إجرائيا للمفهوم قيد البحث، ثم نبدأ فى تناوله.

حين رحت أراجع كتابى الأم "دراسة فى علم السيكوباثولوجى" افتقدت هذه البداية بالتحديد، بالرغم من عرض ستة مفاهيم لما هو "فصام" (وليس تعريفات) شائعة (من ص 327 – 333) **"دراسة فى علم السيكوباثولوجى"**.

انتهيت – هناك – إلى اقتراح مفهوم غير متفق عليه من بعد "حركى بيولوجى تطورى".

ولكن ماذا يعنى الاتفاق؟ (متفق عليه – غير متفق عليه)

وهل إذا نحن إذا اتفقنا على تحديد أبعاد مفهوم ما، هل يعنى ذلك أننا عرفنا ماهية ما نتفق عليه.

الإجابة الجاهزة أن "نعم"،
هكذا يقول المنطق السليم،
لكن العجيب أن العلم له تصاريف أخرى تدعو إلى الحيرة.

المثال: تصور معى أولا التالى:

تصور أن هناك أقفاصا من فاكهة معروفة وغير معروفة، وأن بينها قفص (أو أقفاص) به فاكهة متماثلة لكننا لم نعرف مذاقها تماماً أو تحديداً، وليس لها اسم بعد، وأننا نريد الاتفاق على تصنيفها وتقييمها لوضعها فى المكان المناسب لها، لتسويقها أو لتصديرها أو خلافه.

ثم إننا بعد أن تناقشنا وقلبنا حبات الفاكهة الغامضة، ورصدنا صفاتها، واطمأن أغلبنا على وضوح كل ذلك، جمعنا عمال الشحن، وأخبرناهم بما اتفقنا عليه، وأن هذه الفاكهة الغامضة لها قشرة مائلة إلى الحمرة، وحجمها أقرب إلى البرتقالة المتوسطة، ووزنها أثقل من الرمانة، ورائحتها أقرب إلى الكنتالوب، وصناديقها أكبر حجما من كل الصناديق وبالتالى يمكنهم أن يفرزوها وأن يجمعوا ما تناثر منها ويضعوها فى أقفاصها، حتى يمكن ترتيب بقية الفاكهة كذا وكيت. يحفظ عمال الشحن كل ذلك، ويتقنون التمييز والتجنيب بسهولة، ويتمون العملية بكفاءة لا جدال فيها لأن المقاييس ثابتة ودقيقة وسهلة، فإذا كان الهدف من هذا التصنيف هو التعرف على ماهية هذه الفاكهة، فإنه لا يتحقق مما تم الاتفاق عليه، ذلك لأنك لو سألتهم أو سألت سائق السيارة عن ماهية هذه الفاكهة أو طعمها أو فائدتها، لم يعطك أحد منهم إجابات مفيدة أو قد يعطونك إجابات شديدة الاختلاف.

هذا ما يقال له أن المواصفات التى وُضِعَت للتمييز والتصنيف لها **ثبات عالٍ تماما ومصداقية ضعيفة**

هذا الثبات هو الذى سهل الاتفاق، وربما بعد بمضى الوقت يتفق على اسم لهذه الفاكهة وليكن اسمها فاكهة "خير البر" مثلا. وبالرغم من كل ذلك، ولظروف مختلفة، يمكن أن تظل ماهية هذه الفاكهة مجهولة وطبيعتها غامضة وحقيقتها هلامية، ويترجم ذلك علميا إلى أن التصنيف لم يحقق هدف التعرف على ما صنّف فيقال إنها عملية تنقصها **المصداقية**.

الخلاصة: إن اتفاق العمال على المواصفات لا يعنى أنهم تعرفوا على نوع الفاكهة وطبيعتها

يقال فى هذا المثال إن ما وصل إليه المصنفون من خطوات للتصنيف.

- عالى الثبات Reliability
- ضعيف المصداقية Validity

ما معنى الاتفاق على تشخيص الفصام دون تحديد ماهيته؟

فى مواجهة اختلاف الأطباء والعلماء حول مفهوم موحد للفصام، انتهى الأمر إلى أبسط وأهم وأسخف مايمكن أن ينتهى إليه،

بصفة عامة، كما هو الأمر بالنسبة لسائر الأمراض، تمادى التركيز على التقسيم والتصنيف للأمراض النفسية والعقلية، وقد تَمّ وضع محكات للاتفاق على العلامات التى ينبغى رصدها وتوفرها لنتفق على مانسميه "الفصام" (أو غيره) (أكرر: نسميه الفصام، وليس بالضرورة لنتفق على "ما هو الفصام")، نعم تمادى الاهتمام بهذا الأمر بدءًا من التقسيم الأمريكى الثالث DSM3 (تامر3)، ثم الرابع (تامر4) ثم التقسيم العالمى للأمراض العاشر (تعمْ 10) تمادى إلى التركيز على وضع **محكات محددة** يمكن لأى فاحص صغير أو كبير، قريب أو بعيداً، أن يرصدها، ويرصّها بجوار بعضها، فإذا توفر كذا محك، وكذا علامة فى المريض سَمّى فصاما.

فرح الأطباء بهذا الاتفاق المريح الذى يمكن أن يجعلهم يتكلمون لغة واحدة، ويقرأون أبحاث بعضهم البعض باتفاق يسمح بالفهم والنقد والتفاهم والحوار.

أما واقع الحال، فقد استمروا يضعون تحت هذا الاسم الشائع الصيت خليطاً من فئات غير متجانسة يكاد يصل بعضها إلى نقيض الآخر.

نعود فنكرر: إنه حين يوضع نظام (أو اختبار) لتحديد ظاهرة ما، تقاس كفاءته بمقياسين هما **الثبات والمصداقية.**

أما الثبات Reliability فإنه يعنى أن نتائج القياس والتقييم ثابتة على مدى الزمن (مثلا الاختبار وإعادة الاختبار) و كذلك تظل ثابتة بين الفاحصين المختلفين فى المكان، وربما فى تفاصيل التخصص، ما دام كل منهم ملتزم بالمحكات المحددة، هكذا يصبح الثبات جيدا حين تكون نتائج أسماء التصنيف واحدة عند كل (أو معظم) هؤلاء الفاحصين فى مختلف الظروف.

أما ما يلزم أيضا – أو أكثر – للاعتماد على مقياس أو تنظيم ما، فهو ما يسمى المصداقية Validity ، وهى تعنى (عادة) أن المقياس (أو التنظيم) **يقيس فعلاً الظاهرة التى وضع من أجلها،**

مثال آخر أبسط من التخصص: لو أن هناك اختبار للذكاء، يخرج نفس أرقام القياس إذا **أعيد إجراؤه** على نفس الشخص، ويخرج منه **فاحصين مختلفين** بنفس النتائج، فهو مقياس له **"ثبات" عال.**

أما عن **مصداقية** هذا الاختبار (هل هو يقيس الذكاء فعلاً أم لا) فهى أصعب تحديداً. لماذا؟

لأننا لا نعرف حقيقة ما يقيسه هذا المقياس، هل هو يقيس الذكاء فعلاً أم أنه يقيس ظاهر ما يسمى ذكاء، ذلك أن تعريف ما هو "ذكاء" ليس متفق عليه تماما (حتى قيل: إن اختبارات الذكاء لا تقيس إلا نتائجها!!!)

فماذا عن الفصام وتشخيصه؟

إذا انتقلنا إلى موضوعنا عن الفصام، وتساءلنا عن كل من **الثبات والمصداقية** فى تشخيصه وتصنيفه، فسوف نجد أن كل الأبحاث التى أجريت للتحقق من ذلك أثبتت أن هذا الإجراء ذو **ثبات عالٍ جداً ومصداقية ضعيفة جداً!!**

يا خبر!! ما معنى ذلك؟

معناه أنه بعد ظهور هذه التقسيمات، يمكن الاطمئنان إلى أن ما يسميه باحث فى جنوب أفريقيا فصاما هو هو ما يسميه طبيب فى السويد فصاما وهو هو ما يسميه أخصائى نفسى فى الهند فصاما حسب التقسيم الأمريكى الرابع أو التقسيم العالمى العاشر، **إذن فهذا ثبات جيد**، وقد أفادت هذه التقسيمات فى تحقيق الاتفاق، شكراً

أما ماذا بعد هذا الاتفاق الرائع والتسمية الصحيحة من كل الأفراد على مدى زمن ممتد، فهو ما يدعو للدهشة، لأن بعد هذه التسمية **لم يتفق أغلب هؤلاء على ماهية طبيعة هذا الذى أسموه فصاما**

يا خبر!! كيف؟

المفهوم "السادس" فى دراسة سابقة

فى الدراسة الأم **"دراسة فى علم السيكوباثولوجى"** (ص 321-345) بعد استعراض الخمس مفاهيم السابقة عليه: وضع المؤلف مفهوما لما هو فصام من منظور بيولوجى تطورى يقول:

"الفصام - بيولوجيا - هو الانتصار المرحلى أو النهائى لقوة التدهور التى تحملها المادة البيولوجية فى مقابل قوة التطور التى تحملها نفس المادة"

ثم راح بعد ذلك يفسر قوة التطور كالتالى:

"هى الميل الداخلى الحيوى للتآلف (الهارمونى) بين أجزاء المادة الحية فى ذاتها، وكذلك بين هذه المادة وبين هارمونية الطبيعة خارجها، التى هى جزء منها"

أما قوة التدهور (بعد التحديث) فقد ذكر أنها:

" ... هى القوة التى تؤدى إلى اللاتناسق على المستويين السابق ذكرهما"

وانتهت التوصية إلى أن الفصام هو قمة اللاهارمونى البيولوجى، وهو إعلان للانتصار التدهورى، قبل الموت البيولوجى، (بل إن الموت بمعنى التحلل التام، هو أقل "لا هارمونية".

كما أن الفصام فى نفس الوقت هو إعلان للانفصال ما بين دوائر الهارمونى المتصاعدة داخل المخ من ناحية، ومع الهارمونى الكونى الخارجى من ناحية أخرى.

ففى الفصام تتباعد العلاقات بين مستويات المخ المختلفة، ولايعود عمل الواحد منها يغذى عمل الآخر، لا فى تبادل (مناسب)، ولا بولاف ملائم.

كما يكاد ينفصل الهارمونى الذاتى عن هارمونية الكون

كل هذا ولم نضع تعريفا للفصام أصلاً، ولم يغب عن الكاتب أن يعترف بذلك قائلاً ص 336:

"... قصدت عمدًا أن أتحدث عن المفاهيم المتعلقة بالفصام وليس عن تعريف للفصام ..

وطالما أن الظاهرة (تحت الفحص) لها كل هذه الأبعاد (المتداخلة المكثفة) فلا أمل فى اتفاق علمى حقيقى حولها، إلا إذا حددنا اللغة التى نتحدث بها ابتداءً، وكذلك حددنا الرؤية التى ننظر من تجاهها".

ثم إنه اختتم هذه الفقرة بما يتركنا أكثر حيرة قائلاً:

... وبالرغم من أن المفهوم السلوكى بدا أقرب المفاهيم تحقيقاً للتواصل والاتفاق، إلا أن الممارس الإكلينيكى والمعالج بوجه خاص يدركان مدى عجز هذا المفهوم عن الإلمام بأبعاد دينامية وبيولوجية ضرورية فى مسيرة الفهم والعلاج".

كان هذا حتى سنة 1978، نشر سنة 1979.
فماذا حدث حتى سنة 2007؟
هذا ما نحاول تحديثه تدريجيا باضطراد

حيرة المرضى والأهل

أحيانا كنت، ومازلت، أحاول أن أشرح هذه الحيرة العلمية، وهذا الغموض الموضوعى لأهل المرضى، وإلى درجة أقل للمرضى، وهم يسألون بإصرار عن اسم المرض، وأنا أعتذر أو أتهرب من الإجابة، لأننى أريد أن يكون لردى فائدة ومعنى، أحاول أن أشرح لهم أن اسم المرض قد لايعنى شيئا كبيراً محددا فى مسار المرض أو التكهن بمآله، وأن هناك عوامل أخرى بلا حصر تتدخل فى كل هذا. ولا أنجح فى ذلك عادة.

مدخل أبسط

أشعر أننى قد أطلت أكثر من اللازم فى هذه المقدمة الضرورية.

لكننى أعرف أننى مازلت أتحسس طريقى إلى ما هو **"..الفصام"** قبل الانطلاق فى الحديث عنه وعرض حالاته، ولحسن الحظ عثرت - مصادفة أيضا - على شرائح (P.P) عن نفس الموضوع، أظن أننى قدمتها فى إحدى الندوات العلمية لجمعيتنا، فقلت أعرضها كما هى ونحن نحاول البداية، لنشرحها بإذن الله فيما بعد:

أولاً: الفصام ليس هو ما يشاع عنه

- **الفصام ليس** تناقض التصرفات فى أوقات مختلفة (ولا فى مراحل عمر مختلفة)
- **الفصام ليس** ازدواج الشخصية (يبدو الشخص شخصين بالتبادل فى أوقات مختلفة)
- **الفصام ليس** تعدد الشخصية (يبدو أكثر من شخصين بالتبادل أيضا)
- **الفصام ليس** مرادفا للجنون دون تمييز
- **الفصام ليس** نتيجة تغير كيميائى محدد (مع أنه يوجد تغير كيميائى مع ظهوره)
- **الفصام ليس** سبّة سياسية نصف بها الطغاة القتلة، أو الحكام الأوغاد
- **الفصام ليس** مرضا وراثيا بشكل محدد أو مباشر
- **الفصام ليس** مرضا بلا علاج
- **الفصام ليس** تخلفا ذهنيا (نقص فى الذكاء)

ثانياً: حتى نفهم الفصام نبدأ بالإحاطة بتركيب النفس الإنسانية

النفس مكونة من عدة منظومات (تركيبات الدماغ = حالات العقل (انظر بعد)

(1) متداخلة
(2) متناوبة
(3) متجادلة
(4) متنامية معا

•فى أى لحظة عادية أثناء الصحو (اليقظة) تكون كل هذه التركيبات فى واحد (الواحدية) Oneness (أى أنها تتصرف معا تحت قيادة إحداها ثم بالتبادل حسب الموقف)

•أثناء النوم (الخالى من حركية الأحلام): تتباعد هذه التنظيمات عن بعضها قليلا أو كثيرا

•أثناء الحلم: يتم التفكير ثم يعاد ترتيب المعلومات والتنظيمات بما يفيد التعلم والنمو

•إذا حدث شىء مثل هذا التفكيك أثناء الصحو حدثت "تعتعة" Dislodgment أى تباعد طفيف، يتجسد فى أرق صوره وهى **الدهشة**، (فى الإدراك خاصة) ويتنامى فى أعلى صوره: **فى الإبداع**

• قد تتمادى التعتعة فالملخ Dislocation فيزيد التباعد ويتفكك الترابط فهو التفسّخ Disorganization (أنظر بعد)

طبيعة التنظيمات (والمعلومات)

تسمى هذه التنظيمات بأسماء مختلفة حسب المدرسة النفسية، والعصبية، وحسب المنظور البيولوجى التطورى أو العصبى، ومن ذلك:

(1) حالات الذات Ego states
(2) الذوات داخلنا
(3) منظومات الدماغ (المخ) Brain organizations
(4) مجموعات شبكيات المعلومات Group of Information networks
(5) صور المعرفة Cognitive images
(6) رموز ومحتوى اللاشعور (فرويد)
(7) النماذج الأولية (يونج)

وكلها (أو أغلبها) يشير إلى كيانات كلية :

(ا) قائمة فاعلة
(ب) كامنة مؤثرة
(جـ) جاهزة متبادلة

الفكرة الأساسية

الفصام هو تعتعة عشوائية لهذه المنظومات أثناء الصحو، تتمادى حتى التفسخ

- الفكرة فى الفصام أن ما يحدث فى الحلم, للشخص العادى, يحدث أثناء الصحو فى الفصام : يبدأ بـ "تعتعة" Dislodgement تعلن تباعدا فيما بين تنظيمات الذات (بما فى ذلك المعلومات والمعارف)
- ثم تتمادى التعتعة حتى تصبح "ملخا" Dislocation(تتباعد التنظيمات أكثر)
- ثم تتعدد التعتعة والملخ ويزيد التباعد ويتفكك الترابط فهو التفسّخ disorganization فالتدهور deterioration

افتراضات أساسية

إن كل ما سبق إنما يشير ويدعم الافتراضات الأساسية التالية:

- إن الفصام عملية، وناتج:

العملية هى التفسخ العشوائى (أغلبه) بما يصاحبه من حركية وتصادم وانشقاق وانسلاخ .. الخ

الناتج (السلبى: ليس حتميا) ويشمل التدهور الشامل للشخصية عموما، أو فى الوظائف الأساسية: (أ) الوجدان (ب) والتفكير (ج) والإرادة (د) والتواصل البشرى ...

- الفصام هو طيف ممتد من أبسط التفكك إلى منتهى التناثر إلى نهاية التدهور
- مسيرة الفصام ليست مضطردة تلقائيا، فهى قد تتوقف، وقد تتراجع، وقد تعود فى نوبات دورية أو فى نوبات متفترة.
- الفصام هو اضطراب نفسى/عقلى : يعلن تفكك الواحدية Oneness وبالتالى == > التفسخ, وتوجد فيه:

- أعراض **ذهانية** مختلفة مثل الضلالات والهلاوس
- وأعراض **إعاقة وتوقف**: مثل التوقف عن العمل والنشاط الاجتماعى والعلاقات,
- وأعراض **اضمحلالية**: مثل التبلد العاطفى , وفقد الإرارة
- وأعراض **تفسخية**: مثل التباين بين العاطفة والتفكير أو تفكك التفكير...إلخ

التفسخ والتدهور، (بعدان مستقلان، برغم لزوم كليهما للتعرف على الفصام)

- **التفسخ فى حد ذاته ليس مرادفا للتدهور**
- **استمرار التفسخ يباعد بين معظم التنظيمات والوحدات**
  - **يباعد:** بين المخ الأحدث والأمخاخ الأقدم
  - **يباعد:** بين الوظائف وبعضها (بين التفكير والعاطفة – بين الفكرة والفعل ..إلخ)
  - **يباعد:** بين وحدات التفكير وبعضها (تفكك التفكير)
  - **يباعد:** بين تماسك وحدات الزمن لتجميع الحدث نحو غايته ..إلخ

ثم إنه:

- **مع استمرار التباعد: يضعف الأداء (الوظيفى الهادف)**
- **مع استمرار ضعف الأداء : يحدث ضمور عدم الاستعمال** (العضو الذى لايؤدى وظيفته بانتظام يضمر)
- **مع استمرار توقف وظائف المخ العليا وتمادى ضمور عدم الاستعمال : يحدث التدهور**
- **مع استمرار التدهور يحدث التليف الوظيفى, و موت بعض الخلايا، ورقّة، وتحلل كثير من أغطية النيورونات (الميلين)**، الأمر الذى قد يظهر فى التصوير المقطعى بالرنين المغناطيسى، حين يصل ضمور عدم الاستعمال إلى مرحلة الضمور التشريحى,

ومن ثم: فهو الموت النفسى الذى قد يصل إلى حد ما يسمى الحياة النباتية

علاقة الفصام بالأمراض الأخرى

فيما عدا الأمراض العضوية المعروفة السبب أو الناتجة عن التلف التشريحى (مثل **التخلف العقلى**- أو **عته الشيخوخة** أو **التهابات الدماغ** و **أورامه**) يمكن اعتبار **كل الأمراض النفسية نوعا من الدفاع ضد التفسخ فالتدهور أى ضد ظهور الفصام**

المقصود بالدفاع: السماح بظهور المرض الأقل خطورة لضبط وإخفاء احتمال تمادى التفسخ **(النشط فالمتفاقم)** ومنه إلى التدهور الفصامى

- **بقدر ما أن مراحل النمو تسير من البدائى إلى الأنضج**
- **فإن مراحل الأمراض وهيراركيتها وخطوات تمادى عملية الفصام تسير من: الأكثر نضجا إلى الأكثر بدائية (ونكوصا)**

بعيدا عن الفصام وانطلاقا منه:

يبدو أن اهتمامى بالعملية الفصامية، حركيةً ومآلاً، لايقتصر على محاولة فهم الفصام، بل إننى ضبطت نفسى **متلبسا باستنتاجات تحضرنى تنير لى مسيرة النمو،**

فنحن إن لم تسعفنا الفرصة لنشاهد ونتابع كيف ننمو خطوة بخطوة، فإن دراسة الفصام تتيح لنا فرصة أن نشاهد ونتابع كيف نتراجع ونتكص، ومن ثَمَّ نفهم النمو من خلال عكس مسيرته.

ليس هذا فحسب، بل إن ثمة فرصة لكى نتعرف على أعلى مراتب ما هو ضد التناثر، أن نعرف ما هو، بل كيف هو: **الإبداع كعملية قبل أن تكون ناتجا.**

- وليس من الأحلام أى النوم بدون حركة العين السريعة Non Rapid Eye Movement (NREM) sleep

- كل ما سبق تقديمة فى يوميات يومية 26-11، يومية 28-11، يومية 1-12، على أنه ذوات داخلية "أنا واحد ولا كتير" يمكن أن يسمى بتسمية أو أخرى من هذه التقسيمات.

الإثنيـــــن 03-12-2007

94- رائحـــة للـــذات، والحيـــاة، والجسـد، والأشيـــاء

أولاً: تمهيد: تاريخ تطور الشم وما آل إليه

حقائق كثيرة يمكن أن تقال عن حاسة الشم وتطورها

قيل أنها الأقدم، وأنها كانت تستخدم – حتى بالإنسان- في التقصي والصيد والتجاذب العاطفي والجنس والمعرفة، وأنها تراجعت عند الإنسان الحديث (تراجعا لم تُدْرس دلالته السلبية بدرجة كافية)، وأن عائلة الشم الجينية التي تتألف من حوالي 1000جين تفقد وظيفتها تدريجيا عند الإنسان بمرور الزمن، وأن حاسة الشم مازالت أفضل عند الأفارقة والآسويين منها لدى الأوربين والأمريكين وأنها تنهار أكثر فأكثر مع انهيار القدرة المعرفية بالسن، خاصة لمرضى الزهايمر، وأنها تكون في أعلى مستوى لها في الطفولة ثم تفقد حوالي 18% من قدرتها عند سن العشرين، الأمر الذي يزيد إلى 62% عند سن الستين، كل هذه المعلومات وأكثر منها يمكن أن يجدها الزائر بنفسه إذا ما زار "سيدنا جوجل" وسأله عن **"تطور حاسة الشم"** وسوف يحصل على المعلومات المتاحة (السابق ذكرها بالتفصيل وأكثر مئات المرات).

ثانياً: أسئلة مبدئية

- هل للحياة رائحة ؟
- هل للموت رائحة؟
- هل للجماد رائحة؟
- هل ثَمَّ روائح تنبعث من داخلنا ؟
- وما هي رائحة عرقك؟
- .. ورائحة حزنك؟
- وهل لرأيك رائحة ...؟
- وهل لرأيك -غير رأيك السابق حالا- رائحة أخرى؟
- وهل يمكن أن ترى بأنفك؟
- وهل أنت تعرف أن لك جسداً له حواس خمسة، وأكثر، وأنها تعرف وتبدع؟

- وهل ماتعرفه، أعنى ما تدركه، بحواسك، هو **"الحقيقة"**؟
- أم هو **حقيقتك أنت**؟
- وهل هذا الذى تعرفه هو نهاية المطاف، أم بداية **"جدل الإدراك"**؟

ثالثاً: منهج قراءة هذه الأطروحة

برجاء التفضل بتشغيل:

- أكبر قدر من السماح
- ما تيسر من خيال
- ما أمكن من الاستعداد للمراجعة

- مع قدر متوسط من الذاكرة
- وقدر أقل من ذلك من أحكامك السابقة
- وقدر أقل فأقل مما قرأت "تقليديا":

رابعاً: التجريب
دعوة إلى تجريب محدود

تصورت أن هذه المسألة -تقييم ما وصلت إليه حالة أنوفنا- لا تحتاج إلى تنظير وحكى، بقدر ما تحتاج إلى تجريب ومراجعة، فإليكم هذه المحاولة معاً:

(لاتحاول أن تسمى أى رائحة يمكن أن تصلك بأى اسم تعرفه ولا حتى بصفة استحسان جائز أو رفض جاهز)

1- جَرب أن تشم رائحة الخشب المكون منه المكتب الذى تجلس عليه.

2- جَرب أن تتذكر رائحة الحليب إن كنت مازلت تمارس تسخينه أو غليه (أو كنت تذكر أيام الرضاعة!!)

3- جَرب أن تربط بين ما شعرت به (ربما كان رائحة) وأنت تشاهد فى التليفزيون منظر الدماء والأشلاء بعد إغارة جبانة، أو تفجير قذر.

4- جَرب أن تستجلب الرائحة، أو **اللارائحة**، بعد سماعك بيان رسمى، أو خطاب مؤسساتى.

5- جَرب أن تتذكر رائحة البحر وكيف غيرت رائحة علاقتك بصاحبك أو صاحبتك وأنتما صامتان أمامه، وصوته يتسحب إلى وعيك فتحتد حاسة شمك، دون أن تدرك أنها رائحة

6- جَرب أن تفرّق بين رائحة النيل ورائحة الترعة ورائحة البحر ورائحة ماء الحنفية

7- تذكر -بعد جهد إن استطعت- هل ميزت يوما بين رائحة شخص على دينك من رائحة من هو على دينك؟

8- إن كنت مسلما: ماذا يتبقى عندك من رائحة المسجد إذا جاء موقعك فى صلاة الجمعة بجوارها "....."؟ طيب! وماذا عن رائحة الناس الطيبين المصلين بجوارك ؟

إن كنت مسيحيا فسوف تجد -ربما- ما يقابل ذلك مما لا أعرف

خامساً: تساؤلات متعلقة

كنت أود أن أتوقف اليوم عند هذه المرحلة، حتى يستوعب كل منا التجربة، أو يحاول الإجابة عن الأسئلة بما يسمح لنا بالتقدم خطوة أخرى نحو فروض الإحساس والإدراك واضطرابهما - أو طبيعتهما- فيما يتعلق بحاسة الشم لكن يبدو أن علىّ أن أضيف مزيدا من تساؤلات كالتالى:

1- لماذا اضمحلت حاسة الشم عند الإنسان الحديث؟ وبماذا استُبدلت؟

2- ما علاقة ذلك بما يسمى الإدراك خارج الاحساس Extrasensory Perception؟

3- لماذا تعود حاسة الشم للنشاط بشكل مضطرب عند بعض الذهانيين (مرضى العقل) ؟

4- هل يمكن أن تكون هناك أنف داخلية تفسر الهلاوس الشمية؟ مثل (فرض الكاتب وفرض **"سيمز"** لما هو **"عين داخلية")**

5- كيف نتعامل مع الهلوسات الشمية باعتبارها استقبال موضوعى لحقائق (لكيانات ماثلة) داخلية؟

6- هل ما يسمى الهلوسات الشمية (ربما كمثال للهلوسات الأخرى) تصلح مثالا لسائر الهلوسات عبر الحواس الأخرى؟

7- كيف تساعدنا **رواية العطر الشهيرة** (انظر بعد) على فهم المزيد عن دور الرائحة والروائح فى تشكيل العالم والذات والعلاقات والتواصل والموت (القتل) والحياة؟

سادساً: تطبيق توضيحى

فيما يلى سنورد فقرتين من بداية رواية العطر وصف فيهما الكاتب الأماكن وبعض الأشياء، كما وصف البشر وبعض الأعضاء، بما تراءى له من روائح تفوح من كلٍ.

علينا أن نتذكر أن هذا هو وصف الكاتب مبدعاً، وليس وصف غرينوى (بطل الرواية القاتل)، وكأن فى ذلك إثبات أن تنشيط حاسة الشم، بما فى ذلك القدرة على تسمية الروائح التى تصل إليها وربطها بما يقابلها، هو من صفات الإبداع، موازيا لتنشيطها السابق ذكره فى حالة التنشيط الذهانى (المرض)، وهذا سوف ينفعنا حين نقارن بين التنشيط البدائى الأولى والتنشيط الولافى النمائى ونحن نتكلم عن الإدراك المتجاوز للحواس، القبلى والبعدى لتطور الحواس

وحتى نرى مدى المهارة الإبداعية فى تناول الموضوع سوف نورد - فى عامودين متقابلين- الأماكن وبعض الأشياء التى وصف الكاتب المبدع رائحتها ونسأل الزائر محاولة التوفيق بين كل مكان والرائحة المناسبة له .

ثم نورد -فى عامودين أيضا- البشر، وبعض الأعضاء مقابل الروائح التى وصفها الكاتب.

وعليك أن تجرب اختيار الوصف المناسب من كل عمود مقابل الآخر.

ثم نورد بعد ذلك المقتطف الذى أخذنا من هذا وذاك كما كتبه زوسكند (وليس غرينوى طبعا)، وسوف تدرك روعة الإبداع والدقة.

المجموعة الأولى: الأماكن والأشياء	
أ- الشوارع	1- **رائحة** قلويات الغسيل الواخزة
ب- ساحات المنازل الخلفية	2- **رائحة** الغائط
ج- أدراج البنايات	3- **رائحة** الدماء المتفسخة
د- المطابخ	4- **الرائحة** النفاذة المنبعثة من المباول
ذ- الغرف غير المهواة	5- **رائحة** البول
ر- غرف النوم	6- **رائحة** الكبريت
ز- اللحف الرطبة المحشوة بالريش	7- **رائحة** الشراشف المدهنة
هـ- المدافئ	8- **رائحة** الخشب المتفسخ وروث الجرذان
و- المدابغ	9- **رائحة** الملفوف المتعفن، وشحم الخراف
ى المسالخ	10- **رائحة** الغبار الرطب

المجموعة الثانية: رائحة البشر	
أ- البشر	1- **رائحة** القس
ب- أفواههم	2- **رائحة** حيوان مفترس
ج- بطونهم	3- **رائحة** زوجة المعلم
د- أجسامهم	4-**رائحة** الأسنان المتعفنة
ذ- الفلاح	5- **رائحة** عنزة شمطاء
ر- الحرفى المتدرب	6- **رائحة** الجبنة العتيقة والحليب الحامض والأمراض الورمية
ز- طبقة النبلاء	7- **رائحة** العرق والملابس غير المغسولة
هـ- الملك	8- **رائحة** كريهة
و- الملكة	9- **رائحة** البصل

تعالو الآن نرى كيف رتبهم المؤلف "سوزكند" (وليس القاتل غرنوى):

أولاً: (ص 5)

فى العصر الذى نتحدث عنه، هيمنت على المدن رائحة نتنة، لا يمكن لإنسان من عصرنا الحديث أن يتصور مدى كراهتها، فالشوارع كانت تنضح برائحة الغائط، وساحات المنازل الخلفية برائحة البول، وأدراج البنايات برائحة الخشب المتفسخ وروث الجرذان، والمطابخ برائحة الملفوف المتعفن، وشحم الخراف، أما الغرف غير المهواة، فقد كانت تنضح برائحة الغبار الرطب، وغرف النوم برائحة الشراشف المدهنة واللحف الرطبة المحشوة بالريش، وبالرائحة النفاذة المنبعثة من المباول، من المدافئ، كانت تفوح رائحة الكبريت، ومن

المدابغ رائحة قلويات الغسيل الواخزة، ومن المساخ رائحة الدماء المتفسخة.

ثانياً: (ص 6)

أما البشر فقد كانوا ينضحون برائحة العرق والملابس غير المغسولة: من أفواههم كانت تنبعث رائحة الأسنان المتعفنة، ومن بطونهم رائحة البصل، وإن كان العمر قد قد تقدم بهم قليلاً، فقد كان لأجسامهم رائحة الجبنة العتيقة والحليب الحامض والأمراض الورمية. كانت الروائح الكريهة تفوح من الأنهار والساحات، من الكنائس ومن تحت الجسور، ومن القصور، كانت رائحة الفلاح كريهة كرائحة القس، ورائحة الحرفي المتدرب كرائحة زوجة المعلم. كانت طبقة النبلاء كلها تنضح بالرائحة الكريهة، بما فيها الملك نفسه الذى كات تفوح منه رائحة حيوان مفترس، ومن الملكة رائحة عنزة شمطاء،

سابعاً: مقتطفات من أقوال مرضى وذويهم

فيما يلى بعض ما جاء فى أقوال بعض المرضى بلا أية إضافة أو شرح فى هذه المرحلة

الأسم: ع ع ق	50 عام	ربة منزل	مطلقة

بدأتْ فى شم روائح كريهة لمدة سنة
Schizophrenia chronic undifferentiated

فصام مزمن غير متميز

الأسم: ج ر	48 عام	سائق	متزوج

- باشم ساعات ريحة وحشة وساعات ريحة تراب
- وريحه شياط فى نفسى.

ساعات قبلها (نوبة مرض ليست صرعا) أشم ريحة تراب
Psychosis with brain trauma
ذهان عقب إصابة دماغ

الأسم: ف ع	20 عام	طالبة	لم تتزوج

وأنا فى تالتة ثانوى كنت باشم ريحة ميتين
(كان ذلك قبل اعلان بداية المرض بأكثر من سنة)
Schizophrenia Chronic undifferentiated
فصام مزمن غير متميز

الأسم: أ ف	13 عام	طالب	أعزب

وكذا مرة أشم ريحة بلاستيك أو كاوتش أو شعر بيتحرق، وابقى دايخ،
Manic and depressive illness depressive type
أمراض الهوس والاكتئاب: النوع الاكتئابى

الأسم: ع ت	23 عام	طالب	أعزب

الأخت:

– كان يقول ان فيه ريحه وحشه بيشمها لما يتكلم مع حد تتغير حسب الشئ اللى بيتكلموا فيه"

Manic and depressive illness depressive type

أمراض الهوس والاكتئاب : النوع الاكتئابى

الأسم: م ع م	41 عام	محامى	أعزب

– بعد كده الحاجات دى كلها فضلت
– وزاد عليها إن رائحة عرقى حسيت إنها رصاص،
– لما أقعد فترة من غير حمى مع مجهود بتبقى ريحة زى البارود
لما باشرب أى عصير فالريحة بتخف شوية
بس الحمى بتخلص الريحة خالص.
– وفى واحد من المحامين اللى كنت باتدرب عندهم شم ريحة البارود دى
– وفى البيت برضه شموا الريحة وقالوا لى إكشف على الأملاح.

Schizophrenia, schizoaffective depressive.

فصام : فصام وجدانى، اكتئابى

الأسم: أ ط م	59 عام	ملاحظ معمارى	متزوج

– باشم ريحة شياط طالعة من مناخيرى

Manic depressive illness- depressive type

أمراض الهوس والاكتئاب النوع الاكتئابى

الأسم: م د	18 عام	طالب	أعزب

كنت **أشم** ريحة عرق خالتى فى الهدوم وعلى السرير نفسه أمسك الكلوت بتاعها **وأشمه** كإنى باجامعها وأمسك قمصان النوم بتاعتها أشمها.

Obsessive compulsive neurosis

الاضطراب الوسواسى القهرى بداية ذهان غير متميز

الأسم: م د	28 عام	طالب	أعزب

أحيانا أشم ريحة وحشة **لما أبعد عن ربنا فى الصلاة.**
..... ويقول (على لسان المبلغ) أنا شامم ريحة وحشة فى البيت لكن ماحدش فينا يشم حاجة.
لما أكون بعيد عن ربنا أشم ريحة وحشة

Mood disorder with psychotic symptoms

اضطراب وجدانى مع أعراض ذهانية

الأسم: ف أ د	43 عام	جنايني	متزوج

(أحد من سنعرض حوارهم فى جلسة العلاج الجمعى)
ساعات باشم ريحة وحشة قوى وأولادى يقولوا مافيش حاجة

Manic depressive illness, depressive type explosive personality

أمراض الهوس والاكتئاب، النوع الاكتئابى
فى شخصية انفجارية

الأسم : ز س	38 عام	نساج يدوى	متزوج

- لو شيت ريحة معينة مش حلوة يبقى مسيحى أو يهودى
- والمسلم له ريحة خاصة حلوة،
- وممكن أشم ريحة حلوة جداً من غير مايكون فيه حد معايا أو حد معدّى.
- ولو شيت ريحة براز حمار بابقى أنا لوحدى إللى شامها
- أحس إنى أنا الحمار بتاع سيدنا عزير وربنا أعاد بعثه فى صورتى.

Schizophrenia paranoid

فصام بارنوى

ختام واعد

سوف نناقش -غدا أو بعد ذلك- هذه اليومية،

ثم نكمل بعرض مقتطف من جلسة للعلاج الجمعى تناولت هذه المسألة بالتفصيل والتمثيل النفسى.

- Extrasensory perception : Pre sensory & Metz sensory

الثلاثـــــــاء 04-12-2007

95- العيـــن الداخليـــة (والأنـــف الداخليـــة كذلـــك)

وأنا أكتب اليوم يومية الغد (الثلاثاء 4 / 12 / 2007) بعنوان **"الأنف تدرك مثل العين أحياناً"**، رحت أعقّب على ما جاء في المقتطف من جلسة العلاج الجمعي، فوجدت أن المسألة تزداد صعوبة باضطراد، بل وقد تزداد غموضاً أيضا، ثم إني قد رجعت إلى يومية اليوم، وحين قرأتها أشفقت على نفسي، وعلى القارئ من كل ذلك، وقلت لنفسي:

إذا كان القارئ (وأظن الأطباء أيضا- بالنسبة للفروض التي أقدمها) لايعرف كيف تدرك العين حقيقةً وفعلاً مايصلها بمستويات الإدراك العادية، فكيف أقدم لهم مفهوما يشرح الهلوسات الشمية، وأنا أفترض وجود **أنف داخلية**، أسوة بوجود **عين داخلية**، في مقابل العين والأنف الظاهرتين كما نعرفهما؟

كم من الأطباء الزملاء يقر احتمال فرض **أن ثَمَّ عيناً داخلية يمكن أن ترى ما بالداخل باعتباره كيانات حقيقية**، وليس مجرد تأليف خيال المرضى؟

كم من الأطباء الزملاء يقر فرض **"تعدد الذوات"** داخلنا؟

كم من الأطباء الزملاء يقر فرض أن نوم حركة العين السريعة (النوم النوْمي الذي تحدث فيه الأحلام) هو نتيجة أن العين الداخلية تتابع عملية ترتيب المعلومات عشرين دقيقة كل تسعين دقيقة؟

إذا لم نقر احتمال صحة هذه الفروض فكيف ندرك أن **الأنف تدرك مثل العين أحيانا** !

وتدرك ماذا؟

تدرك عالم الداخل!!

ثم كيف أكتب مقالا بهذا العنوان ونحن لم نتعرف بدرجة كافية على كلمة **"تدرك" (ماهية الإدراك)**، ولا على حتى كيف تدرك العين العادية والأنف العادية الخارجتان ما تدركان!، فما بالك بإدراك العين الداخلية والأنف الداخلية لداخلنا خاصة في حالة المرض؟.

مرة أخرى: لِمَنْ أكتب ؟

أصبحت – بعد ثلاثة أشهر- على يقين أنى أكتب للشخص العادى أساسا، لا للزميل الطبيب، وليس حتى للمثقف العادى جدا .

كما أنى أصبحت أقرب إلى تصديق أن الشخص العادى، وبالذات من مرّ بأزمة لم تكتمها العقافير تماما، وباستمرار، يمكننى أن أصل إليه بما أريد أكثر كثيرا من الذى تبرمج على المعطيات الجامدة والثابتة سنوات وسنوات .

وفيما يلى دليل على ذلك من الرد الوحيد الذى وصلنى من "صديق الموقع" الذى لابد أن القراء يعرفونه من بريد/ حوار الجمعة، وليسمح لى أن أعتذر له عن عدم ذكر اسمه هنا فى المتن، لأسباب لا تخفى عليه، وقد أرجع عن ذلك يوم الجمعة، أو حسب ما يطرأ.

..... ردّ صديقنا على يومية أمس قال:

بسم الله ,

الحياه ريحتها طاقه قوى متداخله، رذاذ أوكسجين..

- **بالنسبة لريحة الموت فهى مكتومه وساعات بتكهرب وغبيه وتخنق وزى النار، وممكن تشبه الحديد.**
- **وكل جماد ليه ريحه شِكْل:**
- **فالحديد مثلا ريحته دم .**
- **وانا جوايا ريحة كولونيا.**
- **ولما باضرب "....." ريحتى بتبقي ورد,**
- **ولما باركض ريحتى بتبقي مكسرات .**
- **وريحة عرقي بول طيور منزل.**
- **وريحة حُزنى "نشوء" وشكمان عربيه " بى ام دبليو" الصبح فى الشبوره.**
- **وما أدركه بحواسي هو الحقيقه..**
- **حقيقتك يا عم يحيي... أنا أقراك وأعرفك كما أعرف نفسى وأكتر.**
- **باشّمك وعارف ريحة..(ولاّ بلاش لتشتمنى).**
- **نظرى بيقولى إنك سفاح .**
- **و ملمسك بيقولي إنك رقيق وبتاع بنات .**
- **وريحتك وانت فى الحمام مش وحشه أوى.**
- **وريحة عرقك ياسمين.. أيوه.**
- **و ريحة بقك سيرتو انا مش باهزّر**
- **ده جدل مش اكتر, ويمكن اوصل منه لنتيجه أحسن شويه,**
- **يمكن أعرفك أكتر,**

يمكن أقدر أكرهك

تعقيب على تعقيب

بصراحة ، أخذت كل كلمة من صديقنا هذا بجدية مطلقة، وصدقته بهدوء وصبر واحترام، وتصورت أنى لو قدمت ما حدث

فى العلاج الجمعى كما كتبته قبل هذه اليومية الشارحة، سوف يصله أكثر من أى زميل لم تتح له فرصة مشاهدة العلاج الجمعى رأى العين .

مرة أخرى : الفرض الأساسى

إن ما حدث فى مقتطف جلسة العلاج الجمعى الذى سوف نقدمها غدًا هو الاعتراف بأن لكل منا **"أنف داخلية"**، يمكن أن تلتقط فعلا ما بالداخل وتجسده، وقد تشوهه، وقد تضيف إليه .

صديقنا هنا سمح لها أن تبدأ النشاط، ثم تناولها بما يفسر فعل ذلك .

تصورت أنه يستدعى الذكرى، يستحضرها، فتنقلب معايشة؛ فتفوح رائحة ما، فيقرّ بها، فتنقله من الداخل إلى أقرب ما يقفز إليه من مخزون أبجديته، ثم يضع الوصف الذى يحضره، وخلاص

يحدث كل ذلك – ربما – **فى أقل من ثانية**

المبدع يفعل مثل ذلك تماما،

لكنه يحتوى هذه الخبرة ويتحمل مسئوليتها،

ويسمح لها أن تنضج،

وأن تنساب، وتتشكل

ثم يراجعها، ويصقلها .... الخ الخ

المهم أننا نحاول أن نؤكد ضرورة أن نبدأ من الخبرة، ومن احتمال صدقها قبل أن نسارع بالحكم عليها .

تردد جديد

ولكن ماذا يفيد الشخص العادى من كل هذا ؟

طيب، وأنا أعمل ماذا ؟

ليس أمامى إلا أن أواصل، وما يصل يصل لأصحابه!

فلتسمحوا لى أن أؤجل موضوع العلاج الجمعى وما حدث فيه من شمّ وروائح وتمثيل وتفاعل حتى نتعرف بأى قدر اليوم على بعض **ماهية الإدراك، والهلوسة، والعين الداخلية**

عن الإدراك

يُعَرّف الإدراك تعريفا تقليديا يقول:

"إن الإدراك هو العملية التى نقارن فيها الأحاسيس التى نستقبلها بما سبق أن حصّلناه من معلومات"

أو هى "العملية التى تعطى للعلامات معنى".

العلامات غير الرموز.

الفرق بين العلامة والرمز هو أن العلامة جزء من المثير (المعلومة)،

فى حين أن الرمز دال على ما يفيده، فهو يحل محله.

الإدراك عملية أكثر اختصاصا بالعلامات منها بالرموز المجردة.

الذى يحاول أن يتوقف عند هذا التعريف سوف يجد نفسه محصوراً بين التذكّر والرمزية والترجمة،

ترجمة المثير الذى يصلنا إلى ماسبق أن تعلمناه،

وبالتالى سوف يبتعد عن عملية أشمل هى **التعرف على البيئة حتى لو لم نستطع أن نفك رموزها، أو نستدعى ما يقابلها من ذاكرتنا**

تعريف أوسع

يسعفنا العلم بتوسيع لمفهوم الإدراك أوسع وأشمل حين يقول:

"الإدراك هو العملية التى يمكن بها للكائن الحى أن يتعرف على البيئة."

الآن نوجز **عموم ماهية الإدراك** كما يلى :

(ا) إن عملية الإدراك تُعنى بالتعرف على **البيئة، أكثر من تسميتها أو تحديد ماهيتها.**

(ب) إنها تهتم ابتداء بالمعلومات "الحسية" (وإن كان التعرف الكلى قد يتجاوز الاحساس)

(جـ) إنها عملية معرفية مباشرة أكثر منها تجريدية أو رمزية .

(دـ) إنها عملية تجرى قبل وبعد التفكير والخيال

العين الداخلية :

اتسع مفهوم الإدراك مؤخرا أكثر فأكثر ليشمل العملية التى نتعرف بها -مباشرة- على البيئة الداخلية (وهذا ما أسماه Sims العين الداخلية).

على الرغم من أن مفهوم **العين الداخلية** هو صعب الإثبات، إلا أنه مدخل شديد الدلالة والفائدة لسبر غور الجانب الآخر من الإدراك الذى يتجلى خاصة فى الخبرة الذهانية، وإلى درجة أخفى، وربما أهم، فى الخبرات الإبداعية الصوفية والإيمانية.

هكذا يصبح مفهوم الإدراك باعتباره الخطوة الأساسية فى العملية المعرفية بما فى ذلك الدراية Awareness. يصبح مفهوما أوسع وأشمل باعتباره **البوابة المعرفية الأولية التى توصل مستويات الوجود -فى الداخل والخارج- بعضها ببعض بدراجات متفاوتة من الدراية.**

من هذا المنطلق أيضا يتسع مفهوم الإدراك ليشمل **الإدراك المتجاوز للحواس،**

وكذلك ليشمل الإدراك عامة ما هو إدراك **البيئة الداخلية للذات** بما فى ذلك إدراك صورة الذات، وصورة الجسد ومخطط الجسد.. إلخ

كما يسمح هذا الاتساع لمدى الإدراك أن تشمل دراسته ما يسمى أحيانا بالظواهر الخارقة للعادة، والتى لا تعتبر مرضية أصلا، وهى الظواهر التى تدرج فيما يسمى **علم الباراسيكولوجى** باعتبارها نشاط نفسفسيولوجى يقع فى نطاق مفهوم التعرف على البيئة الداخلية والخارجية بشكل أو بآخر،

الإدراك والتفكير والخيال

نذكرّ بأن علاقة الإدراك بالتفكير والتخيل علاقة دقيقة وعميقة. ففى حين يعتبر الإدراك أساسىّ ولحظىّ وبدئى لكثير من أشكال عملية التفكير، نجد أن الأمر ليس كذلك فيما يتعلق بالتخيل، ذلك أن الإدراك يتضمن بصورة مباشرة قدرا وافرا من الشعور بواقع ماثل (سواء كان من البيئة الداخلية أو الخارجية) فى حين أن التفكير هو عملية مفاهيمية تجريدية ترابطية، والخيال كذلك تماما، لكنه يتجاوز الواقع لا أكثر.

إدراك الداخل والاستبطان

إن الدراية المباشرة بالحياة الداخلية (إدراك الداخل) **ليست** مرادفة لما يسمى **الاستبطان أو التأمل الداخلى،** لأن الطريقة الأخيرة يغلب عليها **النشاط المعقلن المترجم إلى رموز كلامية، وألفاظ راصدة، وشارحة لعالم الداخل،** وكل ذلك أقرب إلى التفكير فى الداخل ووصفه والحكم عليه،

أما إدراك البيئة الداخلية فهو أول خطوة فى كثير من العمليات النفسية (المعرفية والوجدانية على حد سواء).

والاستبطان قد يلى هذا الإدراك المباشر: وصفا عقلانيا للعالم الداخلى بمفاهيم تجريدية لكنه ليس هو هو

نتيجة تنشيط العين الداخلية

ما هو ناتج تنشيط **العين الداخلية** ؟

يختلف ناتج تنشيط العين الداخلية من شخص لآخر بحسب استثمار ما التقطته هذه العين، فهى

(1) إما أن ترصد ما بالداخل ثم تعقلنُه ثم تحكيه استبطانا كما ذكرنا حالا

(2) وإما أن تستعمل ما وصلها **فى إعادة تنظيم إبداعى**

(3) وإما أن تعلن العين الداخلية رؤيتها هذه بشكل مباشر فترى الداخل باعتباره إدراكا حسيا لكنه غير موجود (إلا فى الداخل)، وهذا ما سوف نسميه (بعد قليل) الهلوسة **البصرية** (وليس البصرية)

(4) وإما أن تسقطه إلى الخارج ثم تستقبله إحساسا قادما من مصدر خارجى تماما فهى الهلوسة التقليدية

(5) وإما أن تزداد به وعيا غامضا أقرب إلى الحدْس الذى يعمق الوعى دون ترجمة مباشرة، ثم تتناوله تشكيلا جديدا وهذا يتضمن بعض الخبرات الإبداعية بما فى ذلك إبداع الذات (التصوف)

البيئة الداخلية واللاشعور

البيئة الداخلية ليست مرادفة لما يسمى اللاشعور.

إنها تشمل الموضوعات الداخلية - كحقيقة وليست مجرد رموز أو قُوى أو شواش دافعى، ينتمى إلى ما اسماه فرويد "الهو" أو "الهى".

كما تشمل هذه البيئة الداخلية أفكارا، وصورا، وذكريات وأحاسيس، باعتبارها كيانات قائمة يمكن إدراكها "بما هى".

هذه الخلفية التى تبدو شديدة البساطة، يرفضها معظم الأطباء والمختصُّون بعنف حُكْمِىّ دامغ، مع أنها ضرورية لفهم الهلوسة (التى عرضنا بعض عيناتها أمس، ثم سنعرض كيفية التعامل معها غداً)

الهلوسة

الهلوسة هى خبرة **إدراك حقيقى** يعلن وجود **موضوع كأنه حقيقى** فى البيئة المحيطة تستقبله الحواس من الخارج عادة، بالرغم من أنه ليس له وجود فى الواقع.

كلمة "هلوسة" عموما يساء استعمالها عند العامة وأحيانا عند المختصين.

حين يقول الناس عندنا أن فلانا يهلوس فإنهم يعنون أنه يخلط فى الكلام والتصرفات (يلخبط)، وهذا خطأ شائع ينبغى الانتباه إليه.

الهلوسات التى يحكيها المريض ألفاظا، أو يحكيها خيالا مريضا، أو حتى ينكر طبيعتها ويزعم أنها مجرد تهيؤات، هى هلوسات أيضا، ولكنها أقل أصالة، وهى لاتعنينا هنا كثيرا، بل إننا لكى نتعامل معها من خلال هذا النوع من العلاج - الذى سوف نقدمه- **نحاول أن نقلبها خبرة معاشة حتى تقترب من النوع الذى نتناوله هنا.**

تحدث الهلوسة عند الشخص العادى فى أحوال كثيرة منها:

(أ) حين الدخول فى النوم (هلوسة الوَسَنْ)

(ب) قبيل اليقظة الكاملة (هلوسة قبيل اليقظة)

(ج) أثناء الأحلام (شكل)

(ء) عند إثارة عضو الإحساس بمثير ميكانيكى (مثل رؤية نقط الضوء بعد دعك العينين)

.....

الظاهرة التى تهمنا فى هذا المقام هو ما اسميه **الهلوسة البصرية**، (وليس البصرية)، وفيها يحكى المريض عن خبرات حسية (الشم مثلما أسلفنا) لايشعر بها غيره، وهو عادة ما يعزوها للخارج، برغم أنها بداية تكون مجرد إدراك للبيئة الداخلية .

وأحيانا ما يعرف المريض ذلك ويشير -مثلا- إلى أن الأصوات (الهلوسة السمعية) التى يسمعها بالرغم من أنها تصل أذنه (مثلا) فإنها تأتيه من داخل رأسه

وأحيانا يعلن بإصرار، أو كاحتمال أنها غير حقيقية (ونحن نفرح بذلك ونعتبره ذا بصيرة جيدة)

ثم إنه قد يتمادى فيصفها بأنها **"مجرد تهيؤات"**، (أنظر غداً حالة عصام) وهو بذلك ينفى أصلها الحقيقى، وهو يرضينا -نحن الأطباء- إذ لا نتوانى فى أن نحكم عليه بأنه يخيل إليه ما يعايشه، فهو بذلك أحسن ما دمنا لم نسمعها نحن معه.

مراحل نشأة الهلوسة

يمكن إيجاز هذه المراحل التى أشرنا إليها على الوجه التالى :

1- البيئة الداخلية تتحرك (كما يحدث فى الحلم) لكنها تتحرك فى اليقظة

2- العين الداخلية (أو الأنف الداخلية أو الأذن الداخلية) يحتّدّ إدراكها، فتلتقط هذه التحركات وترصدها

3- قد تصل المريض حركية البيئة الداخلية على أنها أصوات الداخل أو روائح الداخل، أو أحيانا على أنها أفكار الداخل (بعد أن يحولها إلى ذلك)

4- قد يسقطها إلى الخارج عموما أو يلصقها بأشخاص معينين (وهذه هى الهلوسة التقليدية)

5- قد يُجِل المريض محلها خيالات معقلنة فتصبح أقرب إلى الصور الخيالية منها إلى حقائق إدراكية ماثلة

6- قد يعترف أحيانا، أو متذبذبا، بأنها مجرد تخيل (تهيئوات) وفى هذه الحال وبرغم أنها خبرة إدراك حقيقية للداخل، فإن المريض (أو المبدع) يدرك ببصيرة واعية - بدرجة ما - أن ما يحكى عنه ليس واقعا خارجيا، ويقال إن بصيرته سليمة، وحقيقة الأمر أن هذه البصيرة تزيد من أصالة وحضور خبرة اضطراب الإدراك، وكأنها تدعونا إلى حسن تناولها

مشروعية وموضوعية العالم الداخلى

إن هذا المدخل للاعتراف بموضوعية العالم الداخلى هو الجديد

وهو يرفض من المريض إنكاره لأعراضه باعتبارها وهما (بعكس ما يفرح به الأطباء عادة)

أثناء العلاج النفسى المكثف نتعامل مع الهلوسة مع نمو

البصيرة بطريقة تجعلها تنقلب

1- من موضوع (أو فكر) مُسْقط

2- إلى موضوع داخلى مُدْرك

3- ثم إلى موضوع داخلى حقيقى، قادرعلى الالتحام بعملية التكامل الجارية،

وأثناء نقلة الموضوع من: المسقط الخارجى ==> إلى الموضوع الداخلى"المستقل" ==> إلى الموضوع الداخلى القابل للتكامل: يجرى الحديث فى العلاج عن الهلوسة باسم "الهلوسة" مباشرة،

ويستمر تحملها واستيعابها حتى يتم التكامل فى ظروف ملائمة، (ما أمكن ذلك)

وهذا ما سوف نقدمه غداً من جلسة العلاج الجمعى.

-Symptoms in the Mind, Andrew Sims Mind

وكنت قد وصلت إلى مثل ذلك من خبرتى الإكلينيكية قبل أن يصلنى فرض "سيمز" وهذا ما اسميته سابقا، **"المصداقية بالاتفاق"**

الإربعـــــاء 05-12-2007

96- الأنـــفُ تـــــدرك مثـــــل العيـــــن أحيانـــــاً!!

اقتراح

بعد أن أعددت هذه اليومية، مع الشرح المناسب لكل مقطع، عدت أقرأها، فوجدت أن الشرح قد أفسد التتبع السلس لما حدث فقلت أعدّ نسختين متتاليتين وأقترح ما يلى لمن شاء:

أولا: أن يقرأ المقتطف كله بعد أن حذفت كل تعقيب أو تغيير وكأنه جزء من مسرحية

(أو) ثانياً: أن يكمل قراءة نفس المقتطف مع الشرح والتعقيب

(أو) ثالثا: أن يقرأ المقتطف بالشرح والتعقيب من البداية

المقتطف

من جلسة واحدة من جلسات العلاج قرب نهاية العام (عمر المجموعة) لمجموعة تحضر العلاج فى قصر العينى:

تعريف

المجموعة بها عدد من الذهانيين (أمراض عقلية)، وغير الذهانين (أمراض نفسية) المنتظمين فى العلاج، ويقوم بها معالج مدرِّب أكبر (الكاتب) ومعالج مساعد (متدرب)،

وفيما يلى بعض أساسيات ومعالم هذا العلاج:

1- التفاعل فى المجموعة يتبع مبدأ **"هنا والآن"** (وأيضا: أنا <==> أنت) معظم الوقت

2- المجموعة تقبل جميع التشخيصات دون استثناء (حالات غير متجانسة)

3- التناول العلاجى هو خاص بهذ المدرسة (قصر العينى - الكاتب) توليف من مدارس التركيب النفسى التحليلى والتفاعلاتى، والجشتالت معا، وهو منظور تركيبى تطورى نمائى يضع فى اعتباره الثقافة الخاصة بنا طول الوقت ويتحوّر من خلال اعتبار ذلك باستمرار.

4- من أهم آليات العلاج:

أ- استعمال "الألعاب" (العلاجية) المتجددة عادة

ب-استعمال الدراما النفسية القصيرة، مع إجراء "تبادل الأدوار" أحيانا (انظر بعد)

مدة الجلسة 85 دقيقة من 7.30 إلى 8.55 صباحا، مرة واحدة أسبوعيا فى نفس الموعد، مع ترك خمس دقائق بعد ذلك للأسئلة والأدوية.

الفروض (بالنسبة لهذا المقتطف)

أولاً: إن الإنسان هو كيانات قائمة متعددة، فى واحد، ليست فقط مجرد تقسيم تجريدى إلى ذوات كثيرة **(الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى) يومية 28-11-2007 (أنا واحد ولا كتير)**

ثانياً: أننا ندرك (نرى، نسمع، نشم) الداخل مثلما ندرك الخارج أنظر **يومية أمس 4 - 12 (العين الداخلية "والأنف الداخلية كذلك")**

ثالثاً: إن هذا الداخل هو دائم الترتيب وإعادة الترتيب أثناء النوم وبالذات أثناء النشاط الحالم،

رابعاً: إن ما يسمى هلوسات، (ليست صورا خيالية) هى إدراك حقيقى لكيانات فى الداخل (بما يسمى **"الأنف الداخلية"** أو ما يسمى **"العين الداخلية"** حقيقة وليس تجريدا) بمعنى أن العين (الأنف هنا) الداخلية يمكن أن "تدرك" مباشرة هذا الداخل

خامساً: إن قبول هذه الحقيقة، يسمح من خلال آليات العلاج، أن نتناول هذه الهلوسات من خلال التفاعل التركيبى، والسيكودراما، وتبادل الأدوار، تناولا حيًا مباشرا.

سادساً: إن هذا القبول – من المعالج والمريض – هو خطوة جوهرية نحو قلب الهلوسات إلى **"توليف نمائى"**، وليس فقط تصالح توفيقى.

سابعاً: إنه ليس من حق من لايشم مايشمه المريض (حتى لو كان معالجا) أن ينكر حق المريض فى معايشة داخله، مادمنا على الطريق للتعامل معه، مجرد أنه (المعالج) لايشم ماشمه المريض، بمعنى أنه ليس من حقه أن يعتبر ما يعيشه المريض مجرد تهيؤات خاطئة، وفى نفس الوقت عليه أن يعمل فى اتجاه استيعابه كحقيقة مكمّلة، قادرة على الترجمة إلى ما يقابلها من حقائق علمية من منظور تركيبى، أو على التوليف مع سائر الكيانات.

ثامناً: إن كل ذلك ليس بديلا عن التداوى بمنظمات مستويات المخ من عقاقير، شريطة أن نستعمل تذبذبيا zigzag، حسب الحالة، بهدف الإسهام فى تشكيلات التكامل، وليس للقمع الممتد.

المشاركون الأساسيون:

الاسم	السن	العمل	الحالة الاجتماعية	التاريخ العائلى
زكريا	38	نساج	متزوج ولديه ولدان فصام بارنوى	إيجابى
عادل	26	أخصائى حاسب آلى	أعزب (خطب أثناء المجموعة) فصام غيرمتميز، فى حالة إفاقة	الوالد فصامى (مآل سلبى نسبيا)
فتحى	43	جنايني	متزوج ولديه 3 أولاد اضطراب وجدانى جسيم مختلف (هوس – اكتئاب)	سلبى

وذلك بالإضافة إلى شخصية ثانوية (لم تشترك فى هذا المقطع إلا مرة واحدة هى):

مثال: حوالى 30 سنة، أم خمسة ، تبدو أصغر من سنها، مرت بخبرة باكرة فى هذه المجموعة، وكانت مصابة باكتئاب وحالة انشقاقية (لبس من تحت الأرض)، تم علاجها بدراما نسبية باكرة، مرة واحدة، فى بداية المجموعة، منذ ما يقرب من عام، ولم تعاودها ثانية أبداً.

أما "هدى" فلم تذكر إلا مرة واحدة عفواً.

أولا: المقتطف من الجلسة العلاجية (العلاج الجمعى)

(دون تعقيب أو تفسير)

.....

.....

زكريا: فيه روائح بتجيلى يا دكتور.

د/ يحيى: دلوقتى؟

زكريا: آه دلوقتى.

د/ يحيى: شامم ريحة

زكريا: شامم ريحة جميلة، أنا ممكن أكون ماشى فى الشارع أشم..

د/ يحيى: يا أخى خلينا **هنا ودلوقتى** شارع إيه وبتاع إيه؟ شامم ريحة حلوة يا زكريا دلوقتى

زكريا: آه

د/ يحيى: إوصفها لنا يا زكريا ما دام هنا ودلوقتى مش فى الشارع.

زكريا: أنا متخيل.....

د/ يحيى (مقاطعا): متخيل ولا شامم؟ إحنا هنا ودلوقتى، إنت متخيل ولا شامم؟

زكريا: شامم.

د/ يحيى: خلاص خلينا فى الشم.

زكريا : آه ....، فيه جن معانا دلوقتى.

د/ يحيى: جن بيطلّع روائح دلوقتى؟

زكريا : بيبقى معدى كده.(يشير بيده)

د/ يحيى: يخرب بيتك، يعنى الريحة الحلوة مش تبعنا، تبع الجن اللى معدى

زكريا : ممكن.

د/ يحيى: يعنى الجن دلوقتى معدى ؟ والريحة تبعه ؟

زكريا : ممكن يكون دلوقتى معدى.

د/ يحيى: يعنى هو عَدَّى ومشى، إخص عليه

زكريا : ممكن يكون فى شكل إنسان.

د/ يحيى: بجد؟! (إيه حكاية ممكن دى؟) إحنا نمسك النقطة دى.

زكريا : (موجها كلامه للمجموعة) الدكتور قال لى مرة إن الجن اللى باتكلم عنه له علاقة بالمرض والعيا، أيوه هو له علاقة، بس هو دكتور وبيعالجنى من منظور آخر.

د/ يحيى: كمّل يا زكريا.

زكريا : يا دكتور أنا صدقتك طبعاً، وما خلقنا الجن والإنس إلا ليعبدون.

د/ يحيى: إيش أدخل ده فى ده، هُما جوه، ولا بره؟

زكريا : أيوه.

د.يحيى: أيوه إيه ؟

زكريا : جوه ، بس يعنى

د/ يحيى: يعنى إيه ؟ رغم إن هم بره بس هما جوه ؟! إزاى؟

زكريا : أيوه أنا مصدق حضرتك لأن هم كانوا مسيطرين على فكرى جامد.

د/ يحيى: أنا اختلافى معاك فى ده، أنا مصدقك، على شرط يكونوا جوه، ما دام جوه يبقى التعامل معاهم أسهل.

زكريا : مظبوط.

د/ يحيى: الجن اللى فات ده (دلوقتى)، وكان له ريحة، راح فين؟ ما دام همه جوه؟ منين الريحة دى؟

زكريا : فيهم الظاهر وفيهم الباطن.

د/ يحيى: إعمل معروف أنا باتكلم **"هنا ودلوقتى"**، هو فيه ريحة دلوقتى؟ ولا راحت؟

زكريا : لأ دلوقتى مش موجودة.

د/ يحيى: (يُلاحظ ان زكريا كان قد سهّم) أنا شايف إنك لما بتسرح ممكن الجن اللى جوه يحضر ويبقى له ريحة، ساعة لما تنتبه بيروح.

زكريا : ساعات بيجيلى يعَرَقُهْ،

وساعات **باشم** عرقه بيجيلى زى رائحة الكبريت زى رائحة البارود كده.

د/ يحيى: ما اختلفناش بس شايف الفكرة (الأصلية) همّه لابسين ولا قالعين.

زكريا: لأ كانوا لابسين عادى.

د/ يحيى: إحنا "هنا ودلوقتى".

زكريا: حاضر.

د/ يحيى: اللى بيتبقى من العلاقات القديمة بتشوفه دلوقتى.

زكريا: لأ ما بقاش زى زمان.

د/ يحيى: تحب تشتغل فيه ولا تخاف الحكاية تكبر مننا

زكريا: لأ بلاش، نتكلم أحسن

د/ يحيى: يعنى!

زكريا: اللى بيغوط فى عالم الجن بيتوه يا دكتور.

د/ يحيى: إحنا مش حانخاف، طيب أنا عندى جن جوايا؟

زكريا: أيوه عند حضرتك، كل إنسان له قرين.

د/ يحيى: قرين، مش قرين، المهم جوه ؟ ولاّ مش جوه؟

زكريا: آه جوه

د/ يحيى: أنا باعمل فيه

إيه؟

زكريا: حضرتك تقدر تديره، هو مابيقدرش يديرك، عندك الإمكانيات اللى تقدر تديره، إحنا لسه صغيرين على ده.

د/ يحيى: طب نتعلم إزاى نقدر نديره، ما تيالله نحترمه الأول، وبعدين نديره.

زكريا: آه، ممكن نحترمه الأول لإنه له وجود، بس ممكن يكون وجوده غيبى بس يعنى إيه احترامه ، ولزومه إيه؟

د/ يحيى: غيبى إزاى وانت بتمد إيدك تجيبه من جوه.

زكريا: أجيبه من الظاهر يا دكتور بس أنا ماقدرش أجيب جن حالياً، وأحضّره.

د/ يحيى: طب "مثّل" يا أخى.

زكريا: يعنى أنا أحضره تمثيل يا دكتور!؟

د/ يحيى: آه تمثيل، عايز تحضره، حضره: ست ولا راجل، عنيها زرقاء ولا عسلى.

زكريا: عسلى يا دكتور لإنى باحب العسلى.

د/ يحيى: عسلى فاتح ولا غامق؟

زكريا: العسلى باحبه يا دكتور.

د/ يحيى: كل العسلى؟

زكريا: آه كل العسلى.

د/ يحيى: إنت هاتمثل معانا ياعادل ....

عادل: ده بيقول راكبه جن.

د/ يحيى: ماكله راكبه جن، وإنشاء الله، أنت كمان يكون راكبك جن.

عادل: بس هو صحيح فيه جن؟

د/ يحيى: آه طبعاً ، مادام جوه هانكذبه ليه.

عادل: اللى بيوسوس للواحد

د/ يحيى: أى حاجة بقى، فيه اللى بيطلع ريحة، وفيه اللى بيعمل حاجات تانية

عادل: طب ماهو أنا باشم ريحة

د/ يحيى: بتشم ريحة انت راخر؟ الله وأكبر!! يبقى فتحى وزكريا وعادل.

فتحى: (عن زكريا) هو بيشم ريحة وهو نعسان، وأنا باشم ريحة وأنا صاحى.

د/ يحيى: ما هى دى عايزة كلام.

فتحى: أنا باشمها وأنا صاحى.

د/ يحيى: دى مصيبة إنك بتشم الريحة وانت مش سرحان، زكريا مابيشمش ريحة إلا وهو سرحان.

فتحى: ياريت تكون ريحة حلوة واشمها.

د/ يحيى: إمال الريحة بتاعتك يا عادل شكلها إيه ؟

عادل: زى البيض الفاسد

د/ يحيى: ياخبر !!

عادل: وزى الكاوتش والجلد

د/ يحيى: الكاوتش ده محروق؟

عادل: لأ مش محروق

د/ يحيى: بتشمها إمتى انت راخر؟ فتحى بيشمها وهو صاحى زى الفل، وزكريا وهو سرحان، وانت بتشمها إمتى؟

عادل: هيه بتيجى لوحدها كده

د/ يحيى: إمتى يعنى؟ بتبقى قاعد فين؟ مع مين؟

عادل: وانا ماشى.

فتحى: يمكن دى ريحة العربيات مثلا؟.

عادل: لأ ، ده أنا بشمها كمان فى البيت.

د/ يحيى: حد يقولك ده عادم العربيات. إنت رأيك إيه؟

عادل: ماحدش بيشمها غيرى.

د/ يحيى: آه!! ماحدش بيشمها غيرك، وانا أقول ده عادل مشروع مجنون، طلعت مجنون بصحيح.

د. يحيى (مكملا): ألف بركة يا شيخ، كمل يا عادل خلينا نطلع الناحية الثانية، كنت مشروع مجنون يا عادل طلعت مجنون رسمى. حاتكمل جنان ولا فيه احتمال تانى؟ أهو طلع فيه جوه وبره هانعمل فى ده إيه ؟.

عادل: طب أنا بشم هاعمل إيه؟.

د/ يحيى: إنت بتشم، وفتحى بيشم، وزكريا بيشم. طب ومنال؟.

منال: أنا مابا شمش، باحسّ.

د/ يحيى: هو الشم إيه؟ ما هو حس، إنتى بتحسى بإيه.

منال/ لمس

د. يحيى/ هو لسه موجود.

منال/ لأه !!

د/ يحيى: إمال؟

عادل: زكريا بيقول لى ممكن يكون لامسه جن

د/ يحيى: ماكلّه راكبه جن انت كمان كان راكبك جن.

عادل: بس هو صحيح فيه جن؟

د/ يحيى: آه طبعاً ، مادام جوه، حانكذبه ليه.

عادل: اللى بيوسوس للواحد

د/ يحيى: أى حاجة بقى. فيه اللى بيطلع ريحة، وفيه اللى بيعمل حاجات تانية

عادل: طب ماهو أنا باشم ريحة

د/ يحيى: بس من جوه، إحنا كل اللى بنعمله إننا بنضيف كلمة من جوه، وبس.

كان زمان بنضيفها ومانسمهوش جن، بعد كده قولنا نضيفها ونسميها جن. حايحصل إيه يعنى؟

عادل/ أنا لما باخش الحمام يتهيأ لى إنى باتبوّل على الأكل

د/ يحيى: هو فيه أكل فى الحمام؟

عادل/ لأ

د/ يحيى: طيب، إمال (بتتبول على) إيه ؟

زكريا/ أنا لما بافتح الحنفية بتجيب خل

د/ يحيى: الله أكبر

زكريا/ طعمها خل يادكتور

د/ يحيى: وريحتها خل برضه

زكريا/ أيوه

عادل/ أنا باشم ريحة فيران

د/ يحيى: بتبقى شكلها إيه ريحة الفيران دى يابنى

عادل/ مش عارف

د/ يحيى: إمال ريحة الجلد شكلها إيه

عادل: مش عارف

د/ يحيى: إنت قلت لنا يجى خمس روائح تقريبا: بيض فاسد، وكاوتش، وجلد، وفران، وصنان.

عادل: آه،

زكريا/ (يضحك) وصنان؟؟ !! طيب !.

د/ يحيى: إنت اشمعنى يا زكريا ضحكت أول ما قال صنان

زكريا: لأن التبول فيه ريحة الأسود، كنت باشمها فى نفسى.

د/ يحيى: يعنى ننتقل من ريحة الصنان لريحة الأسود.

زكريا/ آه ريحة الأسود

د/ يحيى: ما تيالا نشم أنا وانتِ يا "هدى" أى ريحة يمكن لما تشمى تخفى، إشمعنى العيال دول عمالين يشمو، واحنا لأه .... إيه رأيك يا عادل؟

عادل/ الريحة بتبقى ماسكه فى الأنف أوى.

د/ يحيى: شوف يا عادل يابنى، إحنا اتكلمنا فى الطفل اللى جواك المرة اللى فاتت، وهدى هى إللى فتحت الموضوع، واتكملنا فى الريحة والجان المرة دى، يعنى نلمهم على بعض، ونكتم على نفسهم ونبقى زى البشوات دول (يشير للمشاهدين فى حلقة خارج المجموعة)..

عادل/ إزاى؟

د. يحيى/ أنا عارف!؟! المهم: خدت بالك من الفرق، إحنا كل اللى بنعمله إن احنا بنسمح، عايزين نسمح ونكمّل، يمكن يتلمّوا كل اللى جوّانا دول، لو عملناها تبقى أحسن ما نلزّقهم فى بعض بالعافية زيهم.

عادل/ نسمح بإيه؟

د/ يحيى: باللى احنا شفناه سوا دلوقتى ، هو احنا جبنا حاجة من بره؟ قدامنا اهه: **كله من جوه.** بقالنا تلات مرات بنلعب لعبة أبوك ما اعرفتش تلعبها ياعادل، عايزين نخوّد تحويده غير كده، آهى هى دى التحويده، لو ما خدناش بالنا وانتهزنا الفرصة، كل شوية نفرقع ونعيا، وكلام من ده، عايزين نحترم، ونسمح:

عادل: نسمح بإيه ؟

د يحيى: حانعمل إيه إذا كان حد فينا شامم ريحة أنا مش شامها، يبقى أفرض عليه إنه هو ما يشمهاش؟ ليه؟ إذا كان هو شامها فى مناخيره عينى عينك، مش بيتخيلها، واخد بالك، نسمح بده، بس نقف عنده لأ، يبهدلونا ويموتو القديم والجديد. شوف يا عادل فرصتك غير فرصة أبوك ازاى! الرك على استمرارك' واستمرارنا.

عادل/ يعنى أعمل إيه انا دلوقتى. ما انا لما باغلب باقول ده بيتهيأ لى مش حقيقى

د. يحيى: أنا بقى ما بافرحشى بده، إنه بيتهيأ لك، يالاّ نشتغل فيه أحسن.

عادل: بس أنا مش معترف بالريحة

د/يحيى: ماهو انت قلت لزكريا إرضى بيها وبتاع.

فتحى: مش معترف بيها؟

عادل: آه

فتحى: إزاى بقى

عادل: أنا أصلا شمتها بس، وعايز أعرف إذا كانت صح ولاغلط

د/يحيى: مش انت بتقول لى لازقة فى أنفك! تبقى صح ولا غلط إيه بقى؟ هو الواحد بيشم بإيه؟! بمخه؟

عادل: يمكن هى صح

د/حسام: إنت مش شامم! مش أنت اللى شامم.

عادل: أيوه أنا شامم.

د/حسام: خلاص تبقى هى موجودة

د/يحيى: إنت بتشم بأنفك، ولا برأيك

فتحى: (بسخرية) لأ برأيه

د/يحيى: إيه

عادل: بأنفى

د/يحيى: بلاش إنت بالذات يا فتحى

فتحى: لأ الحمد لله راحت

د/حسام: برضه؟ مانخلنيش أتكلم

د/يحيى: علشان كده مابتكلموش، ماسك لك ذله، علشان كده عمال تقول له مابجبكش مابجبكش

فتحى: لأ لأ

د/يحيى: علشان فتان، بيفتن عليك

فتحى: آه هو كل مرة بيفتن عليا، أبقى كده ألاقيك (موجه كلامه للمعالج الأساسى د. يحيى) عمال تقول حاجات، وأقول إنت بتعرفها منين، أتاريه بيقول لك على كل حاجة.

د/حسام: تفتكر ليه يا فتحى؟

فتحى: لصالحك ولصالحى

د/حسام: ده إيه يعنى، تسميه إيه؟

د/يحيى: بأقول لك إيه يا فتحى بدال انت مابتحبوش وهو حايمشى بعد مرتين، نخليه يشم الريحة، مَثَلْ بقى ياحسام

د/حسام: خلاص بقى أنا مثلت بما فيه الكفاية

التمثيلية الآتية تمت بين د. حسام ود. يحيى، حيث أخذ الأخير دور حسام الآخر، الذى من حقه أن يشم الداخل فى حين أخذ د. حسام دور حسام - المدافعْ - defensive الذى ينكر هذا الاحتمال ويدافع عن تماسكه "واحداً" ليس له علاقة إلا بالخارج، ثم حدث تبادل للأدوار ليتبقى ما يتبقى.

د/يحيى: خلاص بقى إيه؟، يالاّ يا حسام، أنا حسام إللى شامم الريحة وانت..؟؟

عادل: (منزعجا مما يجرى) إنت بتلعب كده يا دكتور

د/يحيى: آه بالعب، مش إنت شايف العيل قَ على طول

عادل: بس انت حاتستفاد منه إيه يا دكتور حسام؟ وأنت يا دكتور يحيى؟

د/يحيى: أنا حستفاد منه إيه؟ من ناحية باعلّمه، ومن ناحيه باجننه عشان يكبر.

عادل: واحنا بنتعلم برضه

د/يحيى: سامع هوّا قال إيه يا حسام!

د/حسام: فهمت، أنا موافق نتعلم ونتجنن ونكبر.

د/يحيى: الحمد لله، الدور والباقى على اللى مش قادر يتجنن.

د/يحيى/حسام (1) الداخلى (فى دور حسام الذى يشم الداخل والخارج مهما كان ناتج ذلك):

أنا حسام إللى من حقى أشم إللى أنا عايزه،

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

(موجها كلامه للدكتور حسام) الروائح جوًا أحلى من بره ألف مره، يا جبان إنت وصى عليّا،

(يسكت حسام العادى (2) مرة)

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

خرست يعنى.

د. حسام/حسام (2) المدافع

.....، شمّ زى ما انت عايز.

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

مش قادر ما هو انت وصى عليّا زياده عن اللزوم لأنك دكتور جبان.

د. حسام/حسام (2) المدافع

يالّلا واللى يقدرعلى التانى

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

أنا شامم روايح الجنة

د. حسام/حسام (2) المدافع

لأ (إذا كانت) روائح الجنة؟ يبقى أسيبك تشمها

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

حاتسبنى!! ... بأمارة إيه، إنت مين أنت؟ لا يا شيخ! هيا الجنة تحت إيدك؟

د. حسام/حسام (2) المدافع

آه

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

كمان بقيت وصى على الجنة، وماسك مفتاحها

د. حسام/حسام (2) المدافع

آه

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

جاتك أوه، ده انت ماتعرفهاش من أصله

د. حسام/حسام (2) المدافع

مين قال لك كده

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

أنا

د. حسام/حسام (2) المدافع

عرفت إزاى إنى أنا ماباعرفهاش

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

علشان دى خلقة ربنا من جوه، ومن بره تطلع إيه إنت (عشان تعرفها) عمال تحفظ وتسمع، وتحفظ وتسمع كتك خيبة، بتعالج العيانين إزاى؟ تحفظ وتروح تقول لهم الكتاب!!، إيه الخيبه الأويه دى، مش لما تحترمنى الأول (تقوم تعرف العيانين).

د. حسام/حسام (2) المدافع

ما انا بحترمك

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

ما هو إنت مش مدينى أى حق أتحرك إلا بوصايتك، إشعنى ده بيشم، وده بيشم (يشير إلى عادل و زكريا)، لقوا إللى بيعالجهم، الدنيا ماتهدتش

د. حسام/حسام (2) المدافع

خلاص شمّ زى ما انت عايز

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

طب ادينى فرصة، والله العظيم تلاته، لو ادتنى فرصه حاتبقى حلو

د. حسام/حسام (2) المدافع

خلاص اديتك فرصه زى ما إنت عايز

بمجرد ما وافق حسام المدافع، وكأنه خسر الجولة، اقترح المعالج الأكبر ما يسمى "تبادل الأدوار"،

وهى آلية شديدة الأهمية فى هذا النوع من العلاج، لأنها تجسّد للمريض (والمعالج) من خلال التمثيل، الاحتمال الآخر لموقفه الظاهر، وعادة بعد أن تنتهى التمثيلية التى قد تستغرق دقيقتين أو أكثر أو أقل، بتوضيح الدور ونقيضه، بشكل يحفز استمرار عملية النمو بأقل قدر من الكبت، احتراما للدورين عادة.

وهكذا، بعد هذا القبول من حسام **المُدَافع** بالسماح لحسام الداخل الذى من حقه أن يشم، اقترح المعالج الأكبر تبادل الأدوار.

د/يحيى: خلاص نتبادل الأدوار

د.حسام: نتبادل الادوار

د/يحيى/حسام (2) المدافع: حسام الذى كان مدافعا ثم سمح (ثم ها هو يتراجع)،

شم زى ما أنت عاوز يالاّ، أنا أديتك الفرصة أهو دكتور نفسانى بيشم ريحة! يانهار أسود ومنيل

د. حسام/حسام (1) الداخلى

أنا شامم ريحة

د/يحيى/حسام (2) المدافع

شامم ؟! لأ طبعا، ده تمثيل

د. حسام/حسام (1) الداخلى

شامم

د/يحيى/حسام (2) المدافع

ريحة إيه

د. حسام/حسام (1) الداخلى

مش عارف .ريحة غريبة مش عارف هى إيه

د/يحيى/حسام (2) المدافع

يا!!!!!!!!!!!!!!!

د. حسام/حسام (1) الداخلى

ريحة حلوة

د/يحيى/حسام (2) المدافع

الله يخرب بيتك انت أتعديت من العيانين؟

د. حسام/حسام (1) الداخلى

دى طبيعة ربنا

د/يحيى/حسام (2) المدافع

يانهار اسود ومنيل

د. حسام/حسام (1) الداخلى

زى أى حد دى طبيعة ربنا

د/يحيى/حسام (2) المدافع

ريحة غريبة مش عارف إيه هيّا؟.

د. حسام/حسام (1) الداخلى

آه، ريحة أول مرة أشمها

د/يحيى/حسام (2) المدافع

حاتروح فى ستين داهية . الكلام الهبل اللى بتعملوه فى

الجروب ده حا يخليك تتجنن.

د. حسام/حسام (1) الداخلى

إذا كان هو ده الطبيعى أسيبه يطلع، إيه المانع

د/يحيى/حسام (2) المدافع

طبيعى إيه ونيلة ايه!! الطبيعى هوّا اللى مكتوب عندنا فى الكتب

د. حسام/حسام (1) الداخلى

الطبيعة دى باعرفها كل يوم فى الجروب

د/يحيى/حسام (2) المدافع

خلّى الجروب ينفعك

د. حسام/حسام (1) الداخلى

اللى بيبقى بيبقى

د/يحيى/حسام (2) المدافع

بيبقى إيه ونيلة إيه. حتى الجدع ده (يشير لعادل) عاوز يلغيه، كل الناس عاوزة تلغيه، فتحى برضه بيلغيه ويطلّع بدله الوحش اللى بيكسّر بيه الدنيا، انت فاهم إيه. أنت صدقت اللى بيحصل فى الجروب. صدقت دكتور أهبل عمال يجرب فى الناس.

د. حسام/حسام (1) الداخلى

الموجود موجود

د/يحيى/حسام (2) المدافع

إيه هو اللى موجود . انت أتجننت يا د ياحسام

د. حسام/حسام (1) الداخلى

اتجننت!! لا طبعاً.

د/يحيى/حسام (2) المدافع

أنا حسام اللى بحق وحقيق

د. حسام/حسام (1) الداخلى

خلاص

انتهت التمثيلية:

د.يحيى: (معقبا) خلاص إيه ونيلة إيه الله يخرب عقلك يا د. حسام إيه اللى جرى؟ هو فيه ريحة غريبة بحق ولأ إيه.

د.حسام: خلاص راحت دلوقتى

د.يحيى: أهو قألك راحت . بذمتك ما حصل حاجة فى مناخيرك

د.حسام: لأ

د.يحيى: بذمتك؟ إمال إيه اللى راحت؟

عادل: (يتدخل) الموضوع مش كده

د.يحيى: انت مصدق يا عادل أن هو ماشمش. هو قال لأ، وأنا مصدقه. مصدقه علشان خاطر ماشى بعد أسبوعين، قرّب يخلص

التدريب بتاعه . إنت مصدق لما كان حسام بيلعب وقال: فيه ريحة غريبة عمرى ما شمتها قبل كدة، وكويسة، مصدق إن هو بعد كده يقول ما حصلش، أنا بامثل بس، إنت مصدقه 100% إنه ما حصلشى ولا 99% .ما انت شفت قدامك

عادل: 99%

د.يحيى: احنا عاوزين نشتغل فى الواحد فى المية ده، أنا بتاع الواحد فى الميه فهمت؟ يعنى إنت مصدق 99 % إن هو ماشمش ريحة و1% ممكن يكون شم، ولا ماشمش يبقى نشتغل فى الواحد ده موافق يا عادل؟

د/ يحيى: (يكمل لعادل) 99 ما شَمشْ 1 % شم موافق، مش كده

فتحى: انت كنت عمّال تقنعه

د/ يحيى: أقنعه إيه؟ هو فيه اقناع مع اللى جرى (5) إقناع إيه اللى فيه؟

عادل: طيب انا متاكد إن انا مش شامم حاجه ومش هاشم حتى لو تغصب عليا ان انا اشم

د/ يحيى: أنا حا اغصب عليك؟ يا عادل دا مناخيرك هيه اللى بتقول، حا غصب على مناخيرك؟

عادل: انا متهيألى بقى إنى باشم

د/ يحيى: حا تقول متهيألى تانى؟ اللى شفته قدام عينك إيه!!؟ ولو احتمال 1% احتمال إن د. حسام شم ولو حاجة غريبة مش قادر يحددها، ولو بعيدة، ولو أى حاجة، الراجل خد1 % باحترام 1 % لأنه ضامن .. إنه حايكمل واحدة واحدة.

فتحى: يا دكتور وبعدين الشم مش أى واحد يشمه كده وبس، انا عن نفسى لو شميت ما أظنش حاقعد كده، باكلمك جد، يعنى اللى هو بيشم حا يقولك انا باشم وخلاص، الشم ده بييجى لى بيخنق ويخلى دموعى تنزل، ما باطقْشي نفسى خالص، لأ مش كده الشم مش كده يا دكتور

د/ يحيى: يا فتحى أنا قلت لك إحنا بنختلف عن بعض زى البصمة، مافيش حد زى التانى؟

فتحى: ما هو غصبن عنى (باقارن).

د/ يحيى: هو لازم يعنى الشم بتاعى يبقى زى شم عادل؟ زى شَمك؟

فتحى: بس ما بيقعدش ساكت لو جاله شم زى ما بيقول ...

د/ يحيى: يعنى ماكان زكريا قاعد وشم ريحه، وبرضه قعد ساكت، هو لازم الريحه تبقى مش عارف إيه وتشغلل ويتتبعها المصائب، كل واحد بيشم اللى جوه يعنى لما نفترض يعنى نفترض إن حسام شم ريحه 1% عادل هوّا اعتبرها 1 % لكن غريبة وبعيدة ومختلفة وفى ايده (مش سايبه) مش كده يا حسام، احفظ الأربعة دول أحسن تروح فى 60 داهيه

د/ حسام: انا قربت خلاص

فتحى: اهو اعترف خلاص، بقى هو كده اعترف، اعترف وغلط مش لازم يعترف تانى

د/ يحيى: يا خبر اسود، ايه رأيك يا فتحى طيب افرض بقى علشان تعرف مسؤليتنا يا دكاترة، افرض الدكتور حسام اعترف حتى بالـ1 %، ده لا قدر الله لا قدر الله، وكِبْرُتْ معاه وهو نايم، يعنى فى الحلم مسموح يا حسام إن الواحد يبقى كام

د/ حسام: 99

د/ يحيى: لا انت مستعجل على إيه خليها، 20% يا راجل 20% من 1% رضا، وبعدين صحى لقاهم 5 % إفرض يا حسام بصيت لقيت الـ 1 % بعد حلم طيب طيب، علشان انت قلت ربنا حنون بصيت لقيت 1% لقيته بقى 5 % بعد ما كانوا 20% فى الحلم سيبك بقى من 80 و90 و95 (تعمل إيه ساعتها يا حسام)

د.حسام: أقبلها

د.يحيى: (لعادل) سمعت دكتور حسام قال إيه يا عادل قال اللى أنت كنت بتقوله. ليه بقى وانت من أول الجروب كل همك إن احنا نلغيها، يمكن الإلغاء أسلم، طبعاً بَلاَ وجع دماغ، بس ياريت، أديك شفت إن حسام لما عمل الحكاية البسيطة ودى، وأنا مصدقه طبعاً شوية مش شويتين زى ما أنا مصدقك، دكتور حسام عمل حاجة بسيطة وهوه مطمن لحاجات ومطمن جواه، ومطمن لينا، ومطمن للحركة، أظن يعنى لازم تيجى سليمة بالشكل ده ما ينفعش يا عادل تتعلم من دى حاجة نحترم بيها اللى موجود لحد ما يتولّف كده مع بعضه، أدى اللى أنت بتقول عليه نعمل أيه نعمل ايه؟ المسألة عايزة وقت، وحركة، واخد بالك إزاى. الوقت مهم يبقى محتاجين واحدة، واحدة، حركة حركة، أديك بتيجى الجلسات وبتشوف.

عادل: باقولك مش شامم حاجة . أه مش شامم حاجة، أنا مصدقه خلاص مصدق د. حسام بس أنا لأ.

د.يحيى: يعنى انت مش شفت التجربة اللى احنا عملناها مع دكتور حسام؟ نلغيها ليه؟ حانخاف تانى ليه؟ حانخاف من داخلنا؟ اللى هوّا احنا

عادل: طالما هو فى الاصل غلط

د.يحيى: غلط؟ داخلنا غلط؟ لو حاتسميه غلط، حايكبر، ويخليك لوحدك وينط لك فجأة ويبهدلك، وتبطل شغل، ونيلة وأطران يبقى غلط إزاى

د.حسام: يا عادل مش انت قلت إن النسبة 1%

عادل: أه

د.حسام: يبقى فيه نسبة والسلام

د.يحيى: (لحسام) هو صحيح 1% يا حسام إنت صدقت عادل

.أنا بقول عليك أنت

د.حسام: صدقته أه

د.يحيى: هو صدق ولو بنسبة 1%، احتمال يكون شامم أكتر، بس فى الظروف اللى احنا فيها دى شكلها كده كفاية، مع إنها حاجة تانية خالص غير اللى بتطلع غصب عننا ونسميها مرض وهلوسة.

.....

.....

ثانياً: نفس المقتطف من نفس الجلسة العلاجية (العلاج الجمعى)

(مع التعقيب والتفسير)

.....

.....

زكريا: فيه روائح بتجيلى يا دكتور.

د/ يحيى: دلوقتى؟

زكريا: آه دلوقتى.

د/ يحيى: شامم ريحة

زكريا: شامم ريحة جميلة، أنا ممكن أكون ماشى فى الشارع أشم..

د/ يحيى: يا أخى خلينا **هنا ودلوقتى** شارع إيه وبتاع إيه؟ شامم ريحة حلوة يا زكريا دلوقتى

زكريا: آه

لاحظ التركيز على "هنا والآن"

د/ يحيى: إوصفها لنا يا زكريا ما دام هنا ودلوقتى مش فى الشارع.

زكريا: أنا متخيل.....

د/ يحيى (مقاطعا): متخيل ولا شامم؟ إحنا هنا ودلوقتى، إنت متخيل ولا شامم؟

زكريا: شامم.

د/ يحيى: خلاص خلينا فى الشم.

لاحظ التنبية على التفرقة بين شامم ومتهيأ لى شامم، مع عدم الترحيب بإلغاء الخبرة بمجرد الإنكار وإضافة كلمة "متخيل"

زكريا: آه ...، فيه جن معانا دلوقتى.

د/ يحيى: جن بيطلّع روائح دلوقتى؟

زكريا: بيبقى معدى كده.(يشير بيده)

د/ يحيى: يخرب بيتك، يعنى الريحة الحلوة مش تبعنا، تبع الجن اللى معدى

زكريا: ممكن.

ربما أراد المعالج أن يُفْهم زكريا أنه اعتبر أن الريحة الحلوة كانت ترجمة لائتناس زكريا، بأفراد المجموعة، إلا أن زكريا أنكر ذلك، ورفض الطبيب بدوره هذا النفىْ، وراح ينبهه إلى ابتعاده عن المجموعة، وأيضاً تذكرةً له بالعودة إلى "هنا ودلوقتى"، بعد أن لوحظ أن زكريا يسرح قليلا قبل أن يحكى عن خبرته فى الشم.

د/ يحيى: يعنى الجن دلوقتى معدى؟ والريحة تبعه؟

زكريا: ممكن يكون دلوقتى معدى.

د/ يحيى: يعنى هو عَدَّى ومشى، إخص عليه

زكريا: ممكن يكون فى شكل إنسان.

د/ يحيى: بجد؟! (إيه حكاية ممكن دى؟) إحنا نمسك النقطة دى.

زكريا: (موجها كلامه للمجموعة) الدكتور قال لى مرة إن الجن اللى باتكلم عنه له علاقة بالمرض والعيا، أيوه هو له علاقة، بس هو دكتور وبيعالجنى من منظور آخر.

كان قد تم – مع زكريا مقابلات فى سابقة – توضيح الفرض الذى يجرى تحقيقه الآن، وهو أن هذه الروائح حقائق، لكن مصدرها هو الداخل فعلاً، وليس تصوراً خيالياً، فلا داعى لتسميتها جنّا، وحتى لو سميت كذلك، فلنتفق على أنها – فى الداخل – كان ذلك فى مقابلات سابقة مع زكريا.

د/ يحيى: كمّل يا زكريا.

زكريا: يا دكتور أنا صدقتك طبعاً، وما خلقنا الجن والإنس إلا ليعبدون.

عادة ما نتحفظ على الاستشهاد بالآيات الكريمة أو بالمقولات الدينية الجاهزة دون ربط مباشر بالخبرة، لأنه يكون غالبا استشهادا بعيدا عن السياق، ومعطلا كما ذكرنا فى حلقة الجن Link

د/ يحيى: إيش أدخل ده فى ده، هُما جوه، ولا بره؟

زكريا: أيوه.

د.يحيى: أيوه إيه ؟

زكريا: جوه ، بس يعنى

د/ يحيى: يعنى إيه ؟ رغم إن هم بره بس هما جوه ؟! إزاى؟

زكريا: أيوه أنا مصدق حضرتك لأن هم كانوا مسيطرين على فكرى جامد.

د/ يحيى: أنا اختلافى معاك فى ده، أنا مصدقك، على شرط يكونوا جوه، ما دام جوه يبقى التعامل معاهم أسهل.

زكريا: مظبوط.

د/ يحيى: الجن اللى فات ده (دلوقتى)، وكان له ريحة، راح فين؟ ما دام همه جوه؟ منين الريحة دى؟

زكريا: فيهم الظاهر وفيهم الباطن.

د/ يحيى: إعمل معروف أنا باتكلم **"هنا ودلوقتى"**، هو فيه ريحة دلوقتى؟ ولا راحت؟

زكريا: لأ دلوقتى مش موجودة.

د/ يحيى: (يُلاحظ ان زكريا كان قد سهّم) أنا شايف إنك لما بتسرح ممكن الجن اللى جوه يحضر ويبقى له ريحة، ساعة لما تنتبه بيروح.

زكريا: ساعات بيجيلى يعَرَقُهْ،

وساعات **باشم** عرقه بيجيلى زى رائحة الكبريت زى رائحة البارود كده.

د/ يحيى: ما اختلفناش بس شايف الفكرة (الأصلية) همّه لابسين ولا قالعين.

زكريا: لأ كانوا لابسين عادى.

د/ يحيى: إحنا "هنا ودلوقتى".

زكريا: حاضر.

د/ يحيى: اللى بيتبقى من العلاقات القديمة بتشوفه دلوقتى.

فى مقابلات سابقة حكى زكريا عن هلوسات بصرية وسمعية، لها علاقة بخبراته الذهانية، أثناء حدة المرض ونشاطه

زكريا: لأ ما بقاش زى زمان.

د/ يحيى: تحب تشتغل فيه ولا تخاف الحكاية تكبر مننا

زكريا: لأ بلاش، نتكلم أحسن

د/ يحيى: يعنى!

زكريا: اللى بيغوط فى عالم الجن بيتوه يا دكتور.

د/ يحيى: إحنا مش خايفين، طيب أنا عندى جن جوايا؟

زكريا: أيوه عند حضرتك، كل إنسان له قرين.

د/ يحيى: قرين، مش قرين، المهم جوه ؟ ولاّ مش جوه؟

زكريا: آه جوه

د/ يحيى: أنا باعمل فيه إيه؟

زكريا: حضرتك تقدر تديره، هو مابيقدرش يديرك، عندك الإمكانيات اللى تقدر تديره، إحنا لسه صغيرين على ده.

د/ يحيى: طب نتعلم إزاى نقدر نديره، ما تيالله نخترمه الأول، وبعدين نديره.

نلاحظ هنا الإصرار على نقل الهلوسات التى بالخارج (مايقال عنه أنه بالخارج) إلى الداخل، نلاحظ هنا مع المغامرة بتعرية محدودة لتركيب المعالج نفسه، الأمر الذى ننصح ألا يقوم به إلا معالج قديم ذو خبرة طويلة

زكريا: آه، ممكن نخترمه الأول لإنه له وجود، بس ممكن يكون وجوده غيبى بس يعنى إيه احترامه ، ولزومه إيه؟

د/ يحيى: غيبى إزاى وانت بتمد إيدك تجيبه من جوه.

زكريا: أجيبه من الظاهر يا دكتور بس أنا ماقدرش أجيب جن حالياً، وأحضّره.

ربما يكون الفرق بين "أجيبه" و"احضّره" هو الفرق بين الخيال والوجود

د/ يحيى: طب "مثّـل" يا أخى.

لاحظ بداية الدعوة إلى التعامل بالتمثيل، وهى من آليات هذا العلاج الأساسية، كما ذكرنا فى المقدمة.

زكريا: يعنى أنا أحضره تمثيل يا دكتور!؟

د/ يحيى: آه تمثيل، عايز تحضره، حضره: ست ولا راجل، عنيها زرقاء ولا عسلى.

لاحظ أنه لم يذكر أصلا أنها إمرأة، وهذا وارد بمعنى أن المعالج يمكن أن يتعامل مع كيانات الداخل الأخرى، فإذا تمت المواجهة "والتحضير" لإحداها، انتقلت هذه الإنارة إلى الداخل المتعلق بالهلوسة، وابتدعتْ أو استدعت حالات أخرى من حالات، كيانات الداخل، حسب الموقف العلاجى.

زكريا: عسلى يا دكتور لإنى باحب العسلى.

د/ يحيى: عسلى فاتح ولا غامق؟

زكريا: العسلى باحبه يا دكتور.

د/ يحيى: كل العسلى؟

زكريا: آه كل العسلى.

د/ يحيى: إنت هاتمثل معانا ياعادل ....

عادل: ده بيقول راكبه جن.

د/ يحيى: ماكله راكبه جن، وإنشاء الله، أنت كمان يكون راكبك جن.

عادل: بس هو صحيح فيه جن؟

د/ يحيى: آه طبعاً ، مادام جوه هانكذبه ليه.

عادل: اللى بيوسوس للواحد

هذا ليس اعترافا بالجن، ولكنه تمهيد للنقلة من الخارج إلى الداخل، ثم – لاحقا – ترجمة الجن إلى كيانات الداخل، من خلال التمثيل أساسا وليس الشرح والتفسير.. إلخ ومن هنا يترك فى البداية لكل واحد خبرته يسميها كما يشاء، ما دامت المحاولة هى أن نردّها إلى الداخل لإمكان التعامل معها.

د/ يحيى: أى حاجة بقى، فيه اللى بيطلع ريحة، وفيه اللى بيعمل حاجات تانية

عادل: طب ماهو أنا باشم ريحة

لأول مرة يعترف عادل بهذا العرض فى المجموعة

د/ يحيى: بتشم ريحة انت راخر؟ الله وأكبر!! يبقى فتحى وزكريا وعادل.

فتحى: (عن زكريا) هو بيشم ريحة وهو نعسان، وأنا باشم ريحة وأنا صاحى.

لاحَظ فتحى ما أشرنا إليه سابقا (حين ذكرنا أن زكريا كان ساهما) من أن زكريا يبدو "سرحانا" قليلا قبل أن يعلن شم الرائحة، وحين ينتبه ويعود يركز بما يجرى فى المجموعة "هنا والآن" تبتعد الرائحة أو تختفى

د/ يحيى: ما هى دى عايزة كلام.

فتحى: أنا باشمها وأنا صاحى.

د/ يحيى: دى مصيبة إنك بتشم الريحة وانت مش سرحان، زكريا مابيشمش ريحة إلا وهو سرحان.

تبدو هنا أهمية تحديد نوع حالة الوعى أثناء الهلوسة:

حين تظهر الهلاوس فى نفس حالة وعى اليقظة تماما تكون أكثر رسوخا وحضوراً، أما إذا احتاجت إلى ما اسميه "ميْل الوعى" Tilting of consciousness (وليس بالضرورة تغيره)، فإن نوعيتها الموضوعية تقل قليلا، لأن "الخيال" يتدخل بدرجات مختلفة، على حساب إدراك الداخل مباشرة.

فتحى: ياريت تكون ريحة حلوة واشمها.

د/ يحيى: إمال الريحة بتاعتك يا عادل شكلها إيه ؟

تنبيه: لاحظ كيف أن العمل مع ثلاثة مرضى عندهم نفس العَرَض يبدو مفيدا ليس فقط لهم ولكن للمجموعة (وللمعالجين كما سنرى)

عادل: زى البيض الفاسد

د/ يحيى: ياخبر !!

عادل: وزى الكاوتش والجلد

د/ يحيى: الكاوتش ده محروق؟

تفاصيل الهلوسة (الريحة هنا) تفيد فى تحديد "موضوعيتها"، فإذا كانت هى هى نفس التفاصيل ربما زاد ذلك فى احتمال "أصالة" الخبرة، أما إذا تغيرت مع اختلاف الحكى كل مرة فقد يدل ذلك على قدر مختلف من تدخل الخيال، أعنى بتدخل الخيال إضافة أو تحوير الإدراك من موضوعات الداخل، إلى "كَلبشات" التذكر والتفكير.

عادل: لأ مش محروق

د/ يحيى: بتشمها إمتى انت راخر؟ فتحى بيشمها وهو صاحى زى الفل، وزكريا وهو سرحان، وانت بتشمها إمتى؟

عادل: هيه بتيجى لوحدها كده

هناك فرق، له دلالة فى العلاج، فرق بين حضور الهلوسة وحدها هكذا، أو استجلابها تمثيلاً، وأيضا بالنسبة لحالة الوعى المصاحب (سرحان، أم تمام اليقظة، أم تغيّر نوعى ..إلخ).

د/ يحيى: إمتى يعنى؟ بتبقى قاعد فين؟ مع مين؟

عادل: وانا ماشى.

فتحى: يمكن دى ريحة العربيات مثلا؟.

عادل: لأ ، ده أنا بشمها كمان فى البيت.

د/ يحيى: حد يقولك ده عادم العربيات. إنت رأيك إيه؟

عادل: ماحدش بيشمها غيرى.

د/ يحيى: آه!! ماحدش بيشمها غيرك، وانا أقول ده عادل مشروع مجنون، طلعت مجنون بصحيح.

استعمال لفظ "الجنون" مباشرة هكذا فى هذا النوع من العلاج الجمعى، حتى مع من لم يصل إلى مرحلته يسهل التعامل، ويقرب المسافة، لأن المجموعة تتعود على هذه اللغة الصريحة باضطراد مستمر.

د. يحيى (مكملا): ألف بركة يا شيخ، كمل يا عادل خلينا نطلع الناحية الثانية، كنت مشروع مجنون يا عادل طلعت مجنون رسمى. حاتكمل جنان ولا فيه احتمال تانى؟ أهو طلع فيه جوه وبره هانعمل فى ده إيه ؟.

هذه الجملة إشارة لطريقة هذا العلاج (وما هو فى اتجاهه) برمتها ونوجزها فيما يلى:

1- ترجمة الأعراض إلى لغة علمية

2- نقل الخبرات إلى أصلها من الخارج إلى الداخل

3- التعامل مع الداخل باعتراف واحترام

4- تسمية كل ذلك بالاسم الشائع عند العامة أكثر منه عند الأطباء

5- السعى إلى الانتقال بالداخل والخارج معا إلى نقلة نوعية فى النمو بعد تقريبهما و"مَوْضَعَتهمَا"

عادل: طب أنا بشم هاعمل إيه؟.

د/ يحيى: إنت بتشم، وفتحى بيشم، وزكريا بيشم. طب ومنال؟.

منال: أنا مابأشمش، باحسّ.

د/ يحيى: هو الشم إيه؟ ما هو حس، إنتى بتحسى بإيه.

منال/ لمس

د. يحيى/ هو لمسه موجود.

منال/ لأه !!

كانت منال تشكو فى الجلسات الأولى من العلاج الجماعى مع هذه المجموعة (كما بينا فى المقدمة)

د/ يحيى: إمال؟

عادل: زكريا بيقول لى ممكن يكون لامسه جن

د/ يحيى: ماكلّه راكبه جن انت كمان كان راكبك جن.

عادل: بس هو صحيح فيه جن؟

برغم الاعتراف بالشم إلا أن عادل لم ينقله إلى الداخل بعد

د/ يحيى: آه طبعاً ، مادام جوه، حانكذبه ليه.

هكذا نلاحظ أن البداية بقبول تسمية هذه الكيانات جنّا تسمح بالتعامل معه مؤقتا مادمنا قد نجحنا فى نقله إلى "الداخل" ثم نسميه لاحقا باسمه العلمى، أو حسب ما يتيسر.

عادل: اللى بيوسوس للواحد

د/ يحيى: أى حاجة بقى. فيه اللى بيطلع ريحة، وفيه اللى بيعمل حاجات تانية

عادل: طب ماهو أنا باشم ريحة

د/ يحيى: بس من جوه، إحنا كل اللى بنعمله إننا بنضيف كلمة من جوه، وبس.

كان زمان بنضيفها ومانسمهوش جن، بعد كده قولنا نضيفها ونسميها جن. حايحصل إيه يعنى؟

عادل/ أنا لما باخش الحمام يتهيأ لى إنى باتبوّل على الأكل

د/ يحيى: هو فيه أكل فى الحمام؟

عادل/ لأ

د/ يحيى: طيب، إمال (بتتبول على) إيه ؟

تدخّل زكريا هنا تلقائيا قد يشير إلى أنه التقط غرابة وصدق خبرة عادل

زكريا/ أنا لما بافتح الحنفية بتجيب خل

د/ يحيى: الله أكبر

زكريا/ طعمها خل يادكتور

د/ يحيى: وريحتها خل برضه

اقتراب الشم من التذوق له دلالته الفسيولوجية والنفسية

زكريا/ أيوه

نلاحظ أن عادل الذى يبدو شديد التماسك اطمأن وبدأ يحكى عن هلوسات أخرى لم يذكرها أبدا من قبل

عادل/ أنا باشم ريحة فيران

د/ يحيى: بتبقى شكلها إيه ريحة الفيران دى يابنى

عادل/ مش عارف

د/ يحيى: إمال ريحة الجلد شكلها إيه

نتذكر أن عادل قد سبق أن ذكر رائحة الجلد سابقا

عادل: مش عارف

د/ يحيى: إنت قلت لنا ييجى خمس روائح تقريبا: بيض فاسد، وكاوتش، وجلد، وفران، وصنان.

عادل: آه،

زكريا/ (يضحك) وصنان؟؟ !! طيب !.

د/ يحيى: إنت اشمعنى يا زكريا ضحكت أول ما قال صنان

زكريا: لأن التبول فيه ريحة الأسود، كنت باشمها فى نفسى.

د/ يحيى: يعنى ننتقل من ريحة الصنان لريحة الأسود.

الإبداع الذّهانى (الفاشل) هنا يصل إلى تحديد رائحة خاصة بحيوان بذاته، وكأنه تمييز منطقى شائع، نتذكر كلام عادل عن رائحة الفيران، وكلام زكريا هنا عن رائحة الأسود، وربط ذلك بالتبول

زكريا/ آه ريحة الأسود

د/ يحيى: ما تيالا نشم أنا وانتِ يا "هدى" أى ريحة يمكن لما تشمى تخفى، إشمعنى العيال دول عمالين يشمو، واحنا لأه .... إيه رأيك يا عادل؟

عادل/ الريحة بتبقى ماسكه فى الأنف أوى.

كون الرائحة "ماسكة فى الأنف" قد يميزها هنا عن الرائحة التى فى الخارج، خاصة وأن الشم غير اللمس مثلا والتذوق، فهما يحتاجان للملامسة المباشرة مع نهايات أعضاء الحس.

د/ يحيى: شوف يا عادل يابنى، إحنا اتكلمنا فى الطفل اللى جواك المرة اللى فاتت، وهدى هى إللى فتحت الموضوع، واتكملنا فى الريحة والجان المرة دى، يعنى نلمهم على بعض، ونكتم على نفسهم ونبقى زى البشوات دول (يشير للمشاهدين فى حلقة خارج المجموعة)..

لاحظ الربط بين ذوات الداخل، بما فى ذلك الطفل (الذى ظهر فى جلسة سابقة)، وبين الجان وحكاية نلمهم على بعض هنا كان المقصود بها التجميد (ومن ثم الكبت) وليس التوفيق أو المصالحة أو الولاف، بدليل أن المعالج أشار للمشاهدين (العاديين) المسموح لهم (بإذن المرضى طول الوقت) أن يحضروا جلسات هذا العلاج بقصر العينى للمشاهدة والمناقشة عد الجلسة للتدريب، وهم يمثلون العاديين من حيث نفى أنهم مرضى، وترجيح استسلامهم لتسكين الداخل طول الوقت (إلا فى الأحلام حتى لو أنكروا ذلك).

يستعملُ هذا المعالج الرئيسي حضور هؤلاء المشاهدين – برضاهم من حيث المبدأ- كخلفية للمقارنة، وأحيانا بهدف تحذير المرضى أن يرضوا بالتسليم الساكن، مادامت عندهم (عند المرض) فرصة أحسن "لبسط" Unfolding عملية النمو من خلال هذا العلاج

عادل/ إزاى؟

د. يحيى/ أنا عارف!؟! المهم: خدت بالك من الفرق، إحنا كل اللى بنعمله إن احنا بنسمح، عايزين نسمح ونكمّل، يمكن يتلمّوا كل اللى جوّانا دول، لو عملناها تبقى أحسن ما نلزّقهم فى بعض بالعافية زيهم.

عادل/ نسمح بإيه؟

واضح أن الجرعة كانت أكبر من أن يستوعبها عادل كلها مرة واحدة

د/ يحيى: باللى احنا شفناه سوا دلوقتى ، هو احنا جبنا حاجة من بره؟ قدامنا اهه: **كله من جوه.** بقالنا تلات مرات بنلعب لعبة أبوك ما اعرفتش تلعبها ياعادل، عايزين نحوّد تحويده غير كده، آهى هى دى التحويده، لو ما خدناش بالنا وانتهزنا الفرصة، كل شوية نفرقع ونعيا، وكلام من ده، عايزين نحترم، ونسمح:

شرح جديد لمعنى "السماح"، ثم إشارة إلى تحويل مسار المرض إلى مسار النمو وهذا هو المقصود بالتحويده، ومع رفض الحل بفرض الإفراط فى الكبت (مثل المشاهدين) لأنه إنْ صلح للعاديين، فهو قد لا يصلح، هو هو، لمن مرّ بخبرة المرضْ إذ هو معرض لكسر جديد (نفرقع ونعيا).

عادل: نسمح بإيه ؟

د يحيى: حانعمل إيه إذا كان حد فينا شامم ريحة أنا مش شامها، يبقى أفرض عليه إنه هو ما يشمهاش؟ ليه؟ إذا كان هو شامها فى مناخيره عينى عينك، مش بيتخيلها، واخد بالك، نسمح بده، بس نقف عنده لأ، يبهدلونا ويموتو القديم والجديد. شوف يا عادل فرصتك غير فرصة أبوك ازاى! الرك على استمرارك' واستمرارنا.

والد عادل كان مريضا، وتم "تلصيمه" (علاجه تسكينا لكتم الأعراض)، وهو مازال يواصل حياته خامداً، (جنب الحيط) والاستفادة من التاريخ العائلى مهمة حتى نعمل على تغيير مآل المرض - إذا أتيحت الفرصة - برغم وجود نفس الاستعداد الوراثى، هذا ما قد يعنيه المعالج هنا "فرصتك غير فرصة أبوك".

ثم إن تأكيد المعالج على رفض ما يفرضه الأطباء طول الوقت على المرضى من أنهم على خطأ، وأن ما يعانون منه هو مجرد وهم خاطئ (بيتهيأ لهم) هو عكس ما يجرى فى هذا العلاج الذى يصّر على قبول الأعراض بصفتها حقيقة موضوعية، وأن هذه هى بداية التعامل معها.

عادل/ يعنى أعمل إيه انا دلوقتى. ما انا لما باغلب باقول ده بيتهيأ لى مش حقيقى

نلاحظ قول عادل "لما بأغلب"، وهو إما يقصد باغلب من تحمل مسئولية استقبال الداخل هكذا، أو باغلب من محاولة توضيح ما أنا فيه من حيث أن الشم هو شم وليس توهما؟!.

د. يحيى: أنا بقى ما بافرحشى بده، إنه بيتهيأ لك، يالاّ نشتغل فيه أحسن.

عادل: بس أنا مش معترف بالريحة

د/يحيى: ماهو انت قلت لزكريا إرضى بيها وبتاع.

فتحى: مش معترف بيها؟

فتحى يعايش الرائحة التى تأتية ويستجيب لسوء تأويلها بشكل خطر، على أولاده وزوجته والمحيطين ويعتبرها واقع أوقع من الواقع. ومن هنا جاء تعجبه!.

عادل: آه

فتحى: إزاى بقى

عادل: أنا أصلا شمتها بس، وعايز أعرف إذا كانت صح ولاغلط

د/يحيى: مش انت بتقول لى لازقة فى أنفك! تبقى صح ولا غلط إيه بقى؟ هو الواحد بيشم بإيه؟! بمخه؟

يلاحظ أن موقف الطبيب هو عكس الشائع ففى حين يحاول عادل إلغاء الخبرة، يصر الطبيب على موْضعتها! (= قبولها كحقيقة موضوعية)

عادل: يمكن هى صح

د/حسام: إنت مش شامم! مش أنت اللى شامم.

عادل: أيوه أنا شامم.

د/حسام: خلاص تبقى هى موجودة

د/يحيى: إنت بتشم بأنفك، ولا برأيك

فتحى: (بسخرية) لأ برأيه

عادل: يبدو هذا سخرية من إنكار عادل، وفتحى شديد الانتباه حاضر التعقيب.

د/يحيى: إيه

عادل: بأنفى

د/يحيى: بلاش إنت بالذات يا فتحى

كان قد بدا على فتحى أنه يهم بإستعادة أو (استجلاب) تجربة الشم التى يترتب عليها – حتى هذه المرحلة من العلاج- نوبة هياج تصل إلى التكسير وإيذاء أولاده وزوجته، وقد حدثت عدة مرات أثناء العلاج فى المجموعة وكانت خطيرة نسبياً، ولهذا منعه المعالج من السماح بالتمادى فيها

العجيب أنه أستطاع تنفيذ هذا الضبط برغم أنها نابعة من الداخل، وهذا يشير ضمنا إلى "كيف نصنع الأعراض" بإرادة داخلية، و بالتالى إلى ضرورة احترام قرارات الداخل من حيث المبدأ. وبمجرد طلب المعالج من فتحى العدول عن التمادى، بعد إرساء علاقة الثقة والاستمرار – استجاب فتحى:

فتحى: أهى الحمد لله راحت

د/حسام: برضه؟ ماتخلنيش أتكلم

كان فتحى قد حكى لدكتور حسام أن نوبة الشم جاءت له بالمنزل وترتب عليها ما اعتاد من قبل "تكسير الأثاث وضرب أولاده وزوجته حتى الخطر، وكان هذا الحكى أثناء الأسبوع وليس فى المجموعة، وكان الاتفاق مع د. حسام ألا يخبر المعالج الأساسى الذى يمثل لفتحى والدا فى هذه المرحلة، وهذا ما يشير إليه حسام وكأنه الأخ الذى يهدد أخاه أنه تخلنيش أتكلم، ما تخلنيش أقول لابوك"

د/يحيى: علشان كده مابتكلموش، ماسك لك ذله، علشان كده عمال تقول له مابجبكش مابجبكش

كان فتحى فى نفس الجلسة يقول للدكتور حسام - معاتبا مازحا - أنا ما بجبكش.

فتحى: لأ لأ

د/يحيى: علشان فتان، بيفتن عليك

فتحى: آه هو كل مرهْ بيفتن عليا، أبقى كده ألاقيك (موجه كلامه للمعالج الأساسى د. يحيى) عمال تقول حاجات، وأقول إنت بتعرفها منين، أتاريه بيقول لك على كل حاجة.

د/حسام: تفتكر ليه يا فتحى؟

فتحى: لصالحك ولصالحى

لاحظ الترادف بين صالح المعالج وصالح المريض هنا.

د/حسام: ده إيه يعنى، تسميه إيه؟

د/يحيى: بأقول لك إيه يا فتحى بدال انت مابتحبوش وهو حايمشى بعد مرتين، خليه يشم الريحة، مَثَلْ بقى ياحسام

(انتهاء مدة التدريب للدكتور حسام - وهى سنة كاملة-، كانت قد اقتربت.

د/حسام: خلاص بقى أنا مثلت بما فيه الكفاية

(إشارة إلى مقطع سابق فى نفس الجلسة قام فيه د. حسام بالتمثيل،

تبدأ من هنا تجربة نادرة، ذلك أننا حين أعلنا أنه ليس من حق من لا يشم الرائحة التى يشمها المريض أن ينكرها على المريض لمجرد أنه هو شخصياً (المعالج) لا يشمها، افترضنا أى واحد بما فى ذلك المعالج، يمكن فى ظروف خاصة أن يشم رائحة الداخل بشكلٍ أو بآخر.

ولأن الدكتور حسام شاب متفتح مرن، كان قد قارب نهاية عام التديب، ولم يبق على ذلك إلا أسبوعين، ولأنه تقدم كثيرا فى مسار نموه معالجا وإنساناً، قبل هو، كما شجع المعالج الأكبر أن يمارسان تمثيلية صغيرة، تدعم عدة فروض.

أولا: إنه لا فرق – من حيث المبدأ – بين مريض وشخص طبيعى لو صح أن ثمة قدرة على أن تستقبل الحواس ما بالداخل، مثلما تستقبل ما بالخارج.

ثانيا: أن التمثيل بين الأسوياء (المعالجين) يسمح لهم بخبرة نادرة لتحويل إدراكاتهم المبرمجة على الحياة العادية جدا، حتى يتمكنوا من احترام وتقمص مرضاهم ومن ثم علاجهم.

ثالثا: أن المرضى يطمئنون أكثر حين يرون احتمال أن آلية إمراضهم موجودة عند المعالجين مع الفارق أن المعالجين يتعاملون معها وبها فى اتجاه مآل النمو، بدلا من مآل المرض (راجع قول زكريا للدكتور يحيى فى بداية هذه الحلقة "هوّه ما يقدرش يديرك" عندك الإمكانيات اللى تقدر تديره بيها

"وكان الكلام عن الجان داخل الدكتور يحيى"، باعتبار أن هذا ما يمكن للمريض أن يشاهده ويطمئن إلى احتمال المآل الإيجابي من مرضه، إذا ما وجد أن التركيبة مشتركة بينه وبين أى بشر حتى المعالج.

التمثيلية الآتية تمت بين د. حسام ود. يحيى، حيث أخذ الأخير دور حسام الآخر، الذى من حقه أن يشم الداخل فى حين أخذ د. حسام دور حسام – المدافعْ – defensive الذى ينكر هذا الاحتمال ويدافع عن تماسكه "واحداً" ليس له علاقة إلا بالخارج، ثم حدث تبادل للأدوار ليتبقى ما يتبقى.

د/يحيى: خلاص بقى إيه؟، يالاّ يا حسام، أنا حسام إللى شامم الريحة وانت..؟؟

عادل: (منزعجا مما يجرى) إنت بتلعب كده يا دكتور

د/يحيى: آه بالعب، مش إنت شايف العيل فَ على طول

كان عادل قد أشار سابقا إلى أن الطفل بداخل الطبيب الرئيسى يصله طول الوقت أثناء العلاج.

عادل: بس انت حاتستفاد منه إيه يا دكتور حسام؟ وأنت يا دكتور يحيى؟

يبدو هذا تحذير طيب للدكتور حسام ألا يدخل التجربة.

د/يحيى: أنا حستفاد منه إيه؟ من ناحية باعلّمه، ومن ناحيه باجننه عشان يكبر.

عادل: واحنا بنتعلم برضه

التقط حسام الفائدة بسرعة، وأثر التجربة.

د/يحيى: سامع هوّا قال إيه يا حسام!

د/حسام: فهمت، أنا موافق نتعلم ونتجنن ونكبر.

د/يحيى: الحمد لله، الدور والباقى على اللى مش قادر يتجنن.

(اختار الدكتور حسام أن يبدأ بلعب دوره العادى، دور حسام المدافع الذى يرى أنه لا يشم إلا الخارج، فى حين أخذ د. يحيى دور حسام الآخر المرن المتفتح للداخل، الذى من حقه أن يشم الداخل مثلما يشم الخارج لينطلق).

د/يحيى/حسام (1) الداخلى (فى دور حسام الذى يشم الداخل والخارج مهما كان ناتج ذلك):

أنا حسام إللى من حقى أشم إللى أنا عايزه،

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

(موجها كلامه للدكتور حسام) الروائح جوّا أحلى من بره ألف مره، يا جبان إنت وصى عليّا،

(يسكت حسام العادى (2) مرة)

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

خرست يعنى.

د. حسام/حسام (2) المدافع

.....، شِمّ زى ما انت عايز.

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

مش قادر ما هو انت وصى عليّا زياده عن اللزوم لأنك دكتور جبان.

د. حسام/حسام (2) المدافع

يالّلا واللى يقدرعلى التانى

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

أنا شامم روايح الجنة

د. حسام/حسام (2) المدافع

لأ (إذا كانت) روائح الجنة؟ يبقى أسيبك تشمها

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

حاتسبنى!! ... بأمارة إيه، إنت مين أنت؟ لا يا شيخ! هيا الجنة تحت إيدك؟

د. حسام/حسام (2) المدافع

آه

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

كمان بقيت وصى على الجنة، وماسك مفتاحها

د. حسام/حسام (2) المدافع

آه

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

جاتك أوه، ده انت ماتعرفهاش من أصله

د. حسام/حسام (2) المدافع

مين قال لك كده

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

أنا

د. حسام/حسام (2) المدافع

عرفت إزاى إنى أنا ماباعرفهاش

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

علشان دى خلقة ربنا من جوه، ومن بره تطلع إيه إنت (عشان تعرفها) عمال تحفظ وتسمع، وتحفظ وتسمع كتّك خيبة، بتعالج العيانين إزاى؟ تحفظ وتروح تقول لهم الكتاب!!، إيه الخيبه الأويه دى، مش لما تحترمنى الأول (تقوم تعرف العيانين).

د. حسام/حسام (2) المدافع

ما انا بحترمك

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

مـا هـو إنـت مش مـديـنى أى حق أتحرك إلا بـوصايـتك، إشعنى ده بـيشم ، وده بـيشم (يشير إلى عادل و زكريـا)، لقـوا إللى بـيعالجهم، الدنـيـا مـاتهدتش

د. حسام/حسام (2) المدافع

خلاص شمّ زى مـا انـت عايـز

د/يحيى/حسام (1) الداخلى

طب ادينى فـرصة، والله العظيم تلاتـه، لـو ادتـنى فـرصه حاتـبقى حلو

د. حسام/حسام (2) المدافع

خلاص اديـتك فـرصه زى مـا إنـت عايـز

بمجرد ما وافق حسام المدافع، وكأنه خسر الجولة، اقترح المعالج الأكبر ما يسمى "تبادل الأدوار"،

وهى آلية شديدة الأهمية فى هذا النوع من العلاج، لأنها تجسّد للمريض (والمعالج) من خلال التمثيل، الاحتمال الآخر لموقفه الظاهر، وعادة بعد أن تنتهى التمثيلية التى قد تستغرق دقيقتين أو أكثر أو أقل، بتوضيح الدور ونقيضه، بشكل يحفز استمرار عملية النمو بأقل قدر من الكبت، احتراما للدورين عادة.

وهكذا، بعد هذا القبول من حسام المُدَافع بالسماح لحسام الذى من حقه أن يشم اقترح المعالج الأكبر تبادل الأدوار.

د/يحيى: خلاص نـتبـادل الأدوار

د.حسام: نـتبـادل الادوار

د/يحيى/حسام (2) المدافع: حسام الذى كان مدافعا ثم سمح (ثم ها هو يتراجع)،

شم زى مـا أنـت عاوز يـالاّ، أنـا أديـتك الفـرصة أهو دكـتور نـفسانى بـيشم ريحة! يـانهار أسود ومـنيل

د. حسام/حسام (1) الداخلى

أنـا شامم ريحة

د/يحيى/حسام (2) المدافع

شامم ؟! لأ طبعا، ده تمثيل

برجاء ملاحظة أن حسام يمثل عكس ما كان يمثله فى الدور السابق تماما وبصدق أوضح.

د. حسام/حسام (1) الداخلى

شامم

د/يحيى/حسام (2) المدافع

ريحة إيـه

د. حسام/حسام (1) الداخلى

مش عارف .ريحة غريـبة مش عارف هى إيـه

د/يحيى/حسام (2) المدافع

يـــاااااااااااااا!!!

د. حسام/حسام (1) الداخلى

ريحة حلوة

د/يحيى/حسام (2) المدافع

الله يخرب بيتك انت أتعديت من العيانين؟

د. حسام/حسام (1) الداخلى

دى طبيعة ربنا

د/يحيى/حسام (2) المدافع

يانهار اسود ومنيل

د. حسام/حسام (1) الداخلى

زى أى حد دى طبيعة ربنا

د/يحيى/حسام (2) المدافع

ريحة غريبة مش عارف إيه هيّا؟.

د. حسام/حسام (1) الداخلى

آه، ريحة أول مرة أشمها

د/يحيى/حسام (2) المدافع

حاتروح فى ستين داهية . الكلام الهبل اللى بتعملوه فى الجروب ده حا يخليك تتجنن.

د. حسام/حسام (1) الداخلى

إذا كان هو ده الطبيعى أسيبه يطلع، إيه المانع

د/يحيى/حسام (2) المدافع

طبيعى إيه ونيلة ايه!! الطبيعى هوّا اللى مكتوب عندنا فى الكتب

د. حسام/حسام (1) الداخلى

الطبيعة دى باعرفها كل يوم فى الجروب

د/يحيى/حسام (2) المدافع

خلّى الجروب ينفعك

د. حسام/حسام (1) الداخلى

اللى بيبقى بيبقى

د/يحيى/حسام (2) المدافع

بيبقى إيه ونيلة إيه. حتى الجدع ده (يشير لعادل) عاوز يلغيه، كل الناس عاوزة تلغيه، فتحى برضه بيلغيه ويطلّع بدله الوحش اللى بيكسّر بيه الدنيا، انت فاهم إيه. أنت صدقت اللى بيحصل فى الجروب. صدقت دكتور أهبل عمال يجرب فى الناس.

د. حسام/حسام (1) الداخلى

الموجود موجود

د/يحيى/حسام (2) المدافع

إيه هو اللى موجود . انت أتجننت يا د ياحسام

د. حسام/حسام (1) الداخلى

اتجننت!! لا طبعاً.

د/يحيى/حسام (2) المدافع

أنا حسام اللى بحق وحقيق

د. حسام/حسام (1) الداخلى

خلاص

انتهت التمثيلية

د.يحيى: (معقبا) خلاص إيه ونيلة إيه الله يخرب عقلك يا د. حسام إيه اللى جرى؟ هو فيه ريحة غريبة بحق ولأ إيه.

د.حسام: خلاص راحت دلوقتى

د.يحيى: أهو قألك راحت . بذمتك ما حصل حاجة فى مناخيرك

د.حسام: لأ

د.يحيى: بذمتك؟ إمال إيه اللى راحت؟

عادل: (يتدخل) الموضوع مش كده

د.يحيى: انت مصدق يا عادل أن هو ماشمش. هو قال لأ، وأنا مصدقه. مصدقه علشان خاطر ماشى بعد أسبوعين، قرّب يخلص التدريب بتاعه . إنت مصدق لما كان حسام بيلعب وقال: فيه ريحة غريبة عمرى ما شمتها قبل كدة، وكويسة، مصدق إن هو بعد كده يقول ما حصلش، أنا بامثل بس، إنت مصدقه 100% إنه ما حصلشى ولا 99% .ما انت شفت قدامك

عادل: 99%

د.يحيى: احنا عاوزين نشتغل فى الواحد فى المية ده، أنا بتاع الواحد فى الميه فهمت؟ يعنى إنت مصدق 99 % إن هو ماشمش ريحة و1% ممكن يكون شم، ولا ماشمش يبقى نشتغل فى الواحد ده موافق يا عادل؟

لاحظ أن الكلام مع عادل وليس مع د.حسام، وأن عادل هو الذى كان يحاول أن يسمى الهلوسات التى يعايشها تهيؤات، مع أنها تكررت وظهرت بهدوء فى عدة أشكال (روائح) كما بينا

د/ يحيى: (يكمل لعادل) 99 ما شَمشْ 1 % شم موافق، مش كده

فتحى: انت كنت عمّال تقنعه

د/ يحيى: أقنعه إيه؟ هو فيه اقناع مع اللى جرى (5) إقناع إيه اللى فيه؟

عادل: طيب انا متاكد إن انا مش شامم حاجه ومش هاشم حتى لو تغصب عليا ان انا اشم

عادل هو الذى ينكر، وهو يتكلم عن نفسه وليس حسام،

وكأنه ينفى ما أقرّه فى بداية الجزء الأول من الجلسة ووصف روائح متعددة بشكل تفصيلى والآن ينكرها تماما (أنظر سابقا).

د/ يحيى: أنا حا اغصب عليك؟ يا عادل دا مناخيرك هيه اللى بتقول، حا غصب على مناخيرك؟

عادل: انا متهيألى بقى إنى باشم

د/ يحيى: حا تقول متهيألى تانى؟ اللى شفته قدام عينك إيه!!؟ ولو احتمال 1% احتمال إن د. حسام شم ولو حاجة غريبة مش قادر يحددها، ولو بعيدة، ولو أى حاجة، الراجل خد1 % باحترام 1 % لأنه ضامن .. إنه حايكمل واحدة واحدة.

فتحى: يا دكتور وبعدين الشم مش أى واحد يشمه كده وبس، انا عن نفسى لو شيت ما أظنش حاقعد كده، باكلمك جد، يعنى اللى هو بيشم حا يقولك انا باشم وخلاص، الشم ده بييجى لى بيخنق ويخلى دموعى تنزل، ما باطقّشى نفسى خالص، لأ مش كده الشم مش كده يا دكتور

فتحى يقارن التجربة التى جرت فى المجموعة بما يحدث له حين تعاوده نوبة الشم، وما يعقبها من انفجارات

د/ يحيى: يا فتحى أنا قلت لك إحنا بنختلف عن بعض زى البصمة، مافيش حد زى التانى؟

فتحى: ما هو غصبن عنى (باقارن).

د/ يحيى: هو لازم يعنى الشم بتاعى يبقى زى شم عادل؟ زى شَمك؟

فتحى: بس ما بيقعدش ساكت لو جاله شم زى ما بيقول ...

د/ يحيى: يعنى ماكان زكريا قاعد وشم ريحه، وبرضه قعد ساكت، هو لازم الريحه تبقى مش عارف إيه وتشعلل ويتتبعها المصائب، كل واحد بيشم اللى جوه يعنى لما نفترض يعنى نفترض إن حسام شم ريحه 1% عادل هوّا اعتبرها 1 % لكن غريبة وبعيدة ومختلفة وفى ايده (مش سايبه) مش كده يا حسام، احفظ الأربعة دول أحسن تروح فى 60 داهيه

د/ حسام: انا قربت خلاص

فتحى: اهو اعترف خلاص، بقى هو كده اعترف، اعترف وغلط مش لازم يعترف تانى

د/ يحيى: يا خبر اسود، ايه رأيك يا فتحى طيب افرض بقى علشان تعرف مسؤليتنا يا دكاترة، افرض الدكتور حسام اعترف حتى بالـ1 %، ده لا قدر الله لا قدر الله، وكِبْرُتْ معاه وهو نايم، يعنى فى الحلم مسموح يا حسام إن الواحد يبقى كام

د/ حسام: 99

د/ يحيى: لا انت مستعجل على إيه خليها، 20% يا راجل 20% من 1% رضا، وبعدين صحى لقاهم 5 % إفرض يا

حسام بصيت لقيت الـ 1 % بعد حلم طيب طيب، علشان انت قلت ربنا حنون بصيت لقيت 1% لقيته بقى 5 % بعد ما كانوا 20% فى الحلم سيبك بقى من 80 و90 و95 (تعمل إيه ساعتها يا حسام)

د.حسام: أقبلها

الخبرات التى تتحرك هكذا بصدق فى الخبرة، يمكن أن تقلل من آثارها فى اليقظة، ليعاد ترتيبها وتشكيلها فى الحلم، فتكبر فى سلام، وهذا – من الفروض التى سبق تقديمها- وهو سبيل النمو

د.يحيى: (لعادل) سمعت دكتور حسام قال إيه يا عادل قال اللى أنت كنت بتقوله. ليه بقى وانت من أول الجروب كل همك إن احنا نلغيها، يمكن الإلغاء أسلم، طبعاً بَلاَ وجع دماغ، بس ياريت، أديك شفت إن حسام لما عمل الحكاية البسيطة ودى، وأنا مصدقه طبعاً شوية مش شويتين زى ما أنا مصدقك، دكتور حسام عمل حاجة بسيطة وهوه مطمن لحاجات ومطمن جواه، ومطمن لينا، ومطمن للحركة، أظن يعنى لازم تيجى سليمة بالشكل ده ما ينفعش يا عادل تتعلم من دى حاجة نحترم بيها اللى موجود لحد ما يتولّف كده مع بعضه، أدى اللى أنت بتقول عليه نعمل أيه نعمل ايه؟ المسألة عايزة وقت، وحركة، واخد بالك إزاى. الوقت مهم يبقى محتاجين واحدة، واحدة، حركة حركة، أديك بتيجى الجلسات وبتشوف.

عادل: باقولك مش شامم حاجة . أه مش شامم حاجة، أنا مصدقه خلاص مصدق د. حسام بس أنا لأ.

لاحظ الفرق بين ما قاله عادل فى أول المجموعة ووصفه بالتفصيل من رائحة الكاوتش إلى رائحة الفيران إلى رائحة البول .. الخ

كل ذلك بعكس ما حدث فى التمثيلية، فهو حين رأى احتمال أن شم روائح الداخل هو شئ يمكن أن يمارسه الشخص العادى، انطلقت الدفاعات التى تمنع حتى الأعراض من أن تؤدى وظيفتها المرضية فراح ينبرى لإنكار الأعراض مؤكدا أنه "بيتهيألى " وأنه "أنا مش شامم حاجة"، كل ذلك خلال أقل من ساعة.

د.يحيى: يعنى انت مش شفت التجربة اللى احنا عملناها مع دكتور حسام؟ نلغيها ليه؟ حانخاف تانى ليه؟ حانخاف من داخلنا؟ اللى هوّا احنا

عادل: طالما هو فى الاصل غلط

د.يحيى: غلط؟ داخلنا غلط؟ لو حاتسميه غلط، حايكبر، ويخليك لوحدك وينط لك فجأة ويبهدلك، وتبطل شغل، ونيلة وأطران يبقى غلط إزاى

د.حسام: يا عادل مش انت قلت إن النسبة 1%

عادل: أه

د.حسام: يبقى فيه نسبة والسلام

د.يحيى: (لحسام) هو صحيح 1% يا حسام إنت صدقت عادل أنا بقول عليك أنت.

د.حسام: صدقته أه

د.يحيى: هو صدق ولو بنسبة 1%، احتمال يكون شامم أكتر، بس فى الظروف اللى احنا فيها دى شكلها كده كفاية، مع إنها حاجة تانية خالص غير اللى بتطلع غصب عننا ونسميها مرض وهلوسة.

.....

.....

الخلاصة

راجع الفروض التى وردت فى بداية اليومية بنفسك،

وأكون شاكر لو علقت على ما وصلك من احتمال نفيها أو تحقيقها،

حيث مازلت أبحث عن المنهج وأتعرف على المتلقى،

ولست واثقا من جدوى ما أقدم.!!

- مدة التدريب هى سنة كاملة كمعالج مساعد، بعد سنة كاملة تسبق ذلك من المشاهدة خارج المجموعة.

الخميـــــــس 06-12-2007

97- قـــــراءة فـــى أحـــــــلام فتـــــرة النقاهـــــــة

الحلم (13)

هذا هو المطار. جوه يموج بشتى الأصوات واللغات. وكن قد فرغن من جميع الاجراءات ووقفن ينتظرن. اقتربت منهن وقدمت إلى كل منهن وردة فى قرطاس فضى، وقلت:

- مع السلامة والدعاء بالتوفيق

فشكرنى باسمات وقالت إحداهن

- إنها بعثة شاقة ونجاحنا يحتاج إلى أعوام وأعوام.

فأدركت ما تعنى، وغمر الألم قلبى وتبادلنا نظرات وداع صامتة ولاحت لأعيننا مسرات الزمان الاول

وتحركت الطائرة وجعلت أتابعها بعينى حتى غيبها الأفق.

وحال عودتى الى بهو المطار لم أعد أذكر إلا رغبتى فى الاهتداء إلى مكتب البريد، وكأننى ماجئت إلا لهذا الغرض وحده. وسمعت صوتاً يهمس أنت تريد مكتب البريد؟ فنظرت نحوه ذاهلا فرأيت فتاة لم أرها من قبل فسألتها عن هويتها فقالت بجرأة:

- أنا بنت ريا. لعلك مازلت تذكر ريا وسكينة؟

فقلت وذهولى يشتد

إنها ذكرى مرعبة

فرفعت منكبيها وسارت وهى تقول:

- إن كنت تريد مكتب البريد فاتبعنى.

فتبعتها بعد تردد غاية فى العنف.

القراءة

وَداع وديع، ووعد مؤلم، وانتظار جديد، ومتابعة غامضة.

فى حلم "4"، كان الراوى ينتظر تراما خاليا، وتبع فتاة ليل لا تَعِدُ بكُسر وحدته، وإن كانت تلوّح بوقت زائط، أو تسكين مريح.

المسرح هنا مطار، وهو يشير إلى الإقلاع بقدر ما يشير إلى الهبوط، لكن جميع الراحلات ينتظرن، وهو أيضا ينتظر، من ينتظرن الإقلاع، وهو ينتظر - كما اكتشف لاحقا أن هذا هو السبب الحقيقى لقدومه -: ينتظر **"رسالة ما من مكتب البريد"**.

السماح ظاهر فى طقوس الوداع بالزهور لكل واحدة دون استثناء، وذلك رغم آلام الفراق، وذكرى المسرات-كان ثَمَّ هاجس يطمئن أن هذا الوداع ليس هجرا بقدر ما هو وعدٌ بلقاء ما، بشكل ماَ، فى وقت ما، حتى لو طال الزمن لسنوات.

لكن الأمر لم يكن تماما كذلك، فالألم جاهز، وذكرى مسرات الزمان الأول تلوح فتزيده حدة، وتفتح نوافذ الأشواق "للآتى".

وسط كل ذلك هو يدعو لهن - متألما- بالتوفيق.

التوفيق إلى ماذا؟

فى مهمة، قد تكلل بالنجاح،

الوصل عن بعدٍ محتمل، ثم وعْد غير معلن بلقاء قادم، كل هذا يعود بنا من جديد إلى "برنامج" الذهاب والعودة، أساس العلاقات البشرية، حركية النمو والتواصل:

مع السماح بالرحيل يبزغ ألم الحاجة إلى الوصل، بمن سافر، وبالمجهول، وبالآتى، مهما طال الزمن، فيتجلى الانتظار (كل من انفصل عن أصله -أو انفصل عنه أصله- يطلب أيام وصله).

حين عاد إلى بهو المطار بعد رحيل الطائرة تأكد له أن حضوره المطار لم يكن للوداع أو التوديع، ولكن كان لرغبته فى الوصْل، (الاهتداء إلى صندوق البريد)، حالةٌ متجددة من اليقظة والتوقع، تسمى "الانتظار".

الانتظار يفتح ذراعيه لمجهول أكثر غموضاً، لكنه يبدو أنه الأهم.

الفتاة التى ظهرت كأنها الرسول الذى يربط بين الرحيل وبين الانتظار تعلن بصوتها الهامس أنها همزة الوصل، وأنها تعرف حاجته، كما تعرف السبيل إليها.

هى ليست نقيض الراحلات تماما، هى ليست ريًا لكنها ابنتها.

وهى ليست فتاة الهوى على محطة الترام 3 (حلم 7)،

ومع ذلك فهى الدليل إلى مكان الوعد الغامض: مكتب البريد.

التنقل من هذا الوعد الأول الذى أعلنه السماح بالرحيل برغم ألم الفراق، إلى التهديد الخفى بذكرى مفاجآت القتل للسرقة هو من طبيعة حركية النمو برغم ظاهر التناقض.

نحن لا نستبدل أمانا بأمان وإلا كان نموا ماسخاً فاتراً، نحن نستبدل أمانا واعداً بانتظار غامض، يتفجر منه احتمال خطر مخيف. مجرد احتمال، لأن ابنة ريا قد تكون امتدادا لريا، لما تمثله ريا، وقد لا تكون، لكن الرعب امتلكه مجرد ذكر الأسم،

ثم إنه رضى أن يتبعها بعد تردد غاية فى العنف (لاحظ كيف يكون التردد عنيفا مع أن التردد يصحبه عادة، أوينتج غالبا من، خور وعجز عن اتخاذ قرار ما)

لا يحول ترددِه دون اتباعها بعد أن أكدت واثقة من أنها تعرف مكتب البريد.

ما العلاقة بين ابنة ريا وبين تلك الراحلة التى قالت له إنها بعثة شاقة؟

إن البصيرة بوعورة الرحلة (بعثة شاقة)، وفى نفس الوقت إعلان حتم الانتظار الحذر، لا يبرران العزوف عن المغامرة.

قد تكون هذه المرشدة - مرة أخرى: التى هى ليست ريا، بل ابنتها - هى معبر الوصْل بين الحاضر والآتى بعد الرحيل الطيب: المؤلم، مهما طال الزمن.

هل يقول لنا الحلم شيئا عن طبيعة نقلات النمو، وضرورة استيعاب الواقع، مع اليقين بتحرك الزمن من ريا إلى ابنتها، وتحمل الانفصال الواعد المؤلم، جنبا إلى جنب مع التردد البالغ فى العنف، وتوقع المجهول تحت مظلة الرعب؟

يظل المسرح كله فى المطار حتى النهاية، وكأنه يذكرنا أننا نعيش دائما على "الحافة" بين السماء والأرض، بين الوعد والانتظار، بين الخوف من المجهول واتباعه.

بدأ حلم (2) والراوى يتبع الفتاة إلى الشقة، وانتهى وهو يجره نحوها قبل أن تذوب فى الزحام وسط البشر.

أما حلم (7) فقد انتهى والراوى يسير فى أثر فتاة محطة الترام (دون تردد)،

لكنه هنا هو يتبع الفتاة بعد تردد فى غاية العنف،

هل ستسعفنا الأحلام بعد ذلك بما قد يفسر تكرار ظهور هذه الفتاة وتلك المتابعة؟.

أتوقع ذلك، لكننى لا أعد بالبحث مسبقا خشية أن أتوقف.

ولتكن لنا عودة وعودة فى الدراسة الطولية للأحلام معا (مع أننى لم أنتهِ من دراسة

الحلم (14)

تريضت على الشاطئ الأخضر للنيل. الليلة ندية والمناجاة بين القمر ومياه النهر مستمرة تشع منها الأضواء. هامت روحى حول أركان العباسية المفعمة بالياسمين والحب. ووجدت

نفسى تردد السؤال الذى يراودها بين حين وآخر. لماذا لم تزرنى فى المنام ولو مرة واحدة منذ رحلتْ؟ على الأقل لأتأكد من أنها كانت حقيقة وليست وهما من أوهام المراهقة. وهل الصورة التى طبعت فى خيالى هى الصورة الحقيقية للأصل؟

وإذا بصوت موسيقى يترامى إلىّ من ناحية الشارع المظلم. صارت أشباحا ثم تجلت مع ضوء أول مصباح صادفها فى طريقها أدهشنى أنها لم تكن غريبة على، هى الموسيقى النحاسية التى كثيرا ما استمعت إليها فى صباى ورأيتها تتقدم بعض الجنازات، وهذا اللحن أكاد أحفظه حفظا، أما المصادفة السعيدة غير المتوقعة فهى أن حبيبتى الراحلة تسير وراء الفرقة. هى هى بطلعتها البهية ومشيتها السنية وملامحها الأنيقة، أخيرا تكرمتْ بزيارتى وتركت الفرقة الجنائزية تسير ووقفت قبالتى لتؤكد لى أن العمر لم يضع هدرا، وقمت واقفا منبهرا وتطلعت إليها بكل قوة روحى. وقلت لنفسى إن هذه فرصة لا تتكرر - لألمس حبيبة القلب.

وتقدمت خطوة وأحطتها بذراعى ولكنى سمعت طقطقة شئ يتكسر وأيقنت أن الفستان ينسدل على فراغ. وسرعان ما هوى الرأس البديع إلى الأرض وتدحرج إلى النهر وحملته الأمواج مثل ورد النيل تاركة إياى فى حسرة أبدية.

القراءة

قفزة أخرى فوق الحاجز بين واقع اليقظة، وواقع الحلم،

وفى نفس الوقت هى قفزة فوق الحدود بين الحياة والموت، ثم إن ثمة تداخلات موازية: بين الخيال والحقيقة، وأيضا بين الامتلاء بالحب والضياع فى الفراغ..!!

محفوظ هنا يستدل على **الحقيقة** من الحلم "لماذا لم تزرنى فى المنام..... لأتأكد أنها كانت **حقيقة**؟.

ذلك أنه يجعل الحلم هنا هو المقياس الذى يقيس به مطابقة صورتها على الأصل!! (إن كان هناك أصل).

وصول صوت الموسيقى قبل التيقن من طبيعتها استجلب الماضى مفتوحاً للأنغام (ربما أنغام المراهقة بالذات)، ثم تتعين الأنغام فى أشباح، لا تتحدد معالمها إلا فى نور مصباح بالصدفة، يتعرى الموقف أكثر حين تتحدد الموسيقى فى هذا اللحن الجنائزى، لكن متى كانت جنازاتنا العادية يصاحبها الموسيقى ويتقدمها العازفون؟ ومتى كانت تعزف لحناً يُحفظ؟ فنتذكره.

لم تستجلب الموسيقى الجنائزية أية ذكريات حزينة: لا ذكريات الموت ولا ذكريات الفراق، لعلنا لاحظنا فى الفقرة الأولى كيف أن السؤال كان حول عدم زيارة المحبوبة (الحقيقية أو المتخيلة) له منذ رحلت. هو لم يقل إن كان هذا الرحيل هو إلى بلد آخر أو إلى عالم آخر. أقول لم تستجلب هذه الموسيقى الحزن أو الأسى أو الحنين، بل جاءت "بالمفاجأة السعيدة".

هذه المفاجاءة قد تقتصر على أن الحبيبة عادت بعد طول غياب، وقد تمتد إلى أنها ليست هى التى بداخل النعش، فهى تسير وراء الفرقة بين المشيعين، هى لم تَمُتْ إذن.

هذه المفاجأة لم تتجلَّ حلماً، حضر المنظر وهو ينتظر يقظاً مشتاقا إلى محبوبته، يتمنى أن تزوره حتى ولو فى الحلم، حل المنظر المحكى فى بؤرة واقع حلمىّ أكثر إغرابا من الحلم.

الحبيبة تركت المشيعين والجنازة والموسيقى والميت ووقفت قبالته ترد على تساؤلاته: أنها موجوده لم تمت، أنها لم تنسَهْ، وأنها هاهى قد عادت إليه.

قوة روحه جعلتها أوقع من الواقع، ومع ذلك فاللمس هو الحد الفاصل (نحن نعرف كيف يقرص الواحد منا نفسه ليتأكد ان ما هو فيه: علم لا حلم).

لماذا افترض من البداية أنها فرصة لن **تتكرر**؟

إن كانت قد عادت، حتى لو كان حلما، فلماذا لا يتكرر

وإن كانت ليست هى التى داخل النعش وإنما هى تسير بين المشيعين، فلماذا لا يتكرر اللقاء؟.

ثم إن قوة روحه هى التى ربطته بها، فكيف لا تتكرر الفرصة؟.

لعله عرف أنها فرصة لن تتكرر لأنها لم تكن موجودة أصلا.

حتى الهيكل العظمى الذى طقطق لم يكن إلا فراغا: الرأس البديع الذى هوى كان راساً وليس جمجمة، وقد تعرف عليها من خلاله (هى هى بطلعتها البهية.. وملامحها الأنيقة).

أما ما تحت الراس، ما ينسدل عليه الفستان، فلم يكن إلا الفراغ حتى لو طقطق داخله ما يمكن أن يكون هيكلا عظميا هشاً.

هذا الرأس البديع - وليس الجمجمة - هو الذى هوى إلى النهر.

هل هو نفس نهر البداية؟.

البداية كانت مياه النهر تشع منها الاضواء وهو يتريض على شاطئه الاخضر.

أما نهر النهاية فقد توارى خلف ستائر ورد النيل، لتغوص فيه رأس الحبيبة بلا رجعة.

الحسرة الأبدية هنا لها أوجه متعددة، تثير تساؤلات مقابلة:

هل هى حسرة أنها لم توجد أبدا إلا فى خياله؟.
ام حسرة أنها عادت لتثبت أنها كانت حقيقة، ثم تختفى؟.
أم حسرة للتيقن من جوعه الذى لا يرويه خيال ولا حقيقة؟.

أم كل ذلك معا؟.
لعله كل ذلك معا.

الجمعـــــــة 07-12-2007

98- حـــــــوار / بريـــــــــــد الجمعـــــــــــة

مقدمة

برغم تراجع عدد المشاركين القدامى، دون ضيوف جدد، فإنى فضلت أن نستمر فى التجريب والمحاولة. ولست متأكدا إلى أين يقودنا الإصرار، أو إلى متى يحفزنا الأمل.

ما علينا، نبدأ بالابن المثابر د. أسامة عرفة

د. أسامة عرفة: (الوحدة والتعدد 2) يومية 1-12

لا مجال للشك في مسالة تعدد الذوات وقد تعلمناها معكم ومع مرضانا حتى كنا نراها رأى العين .....

د. يحيى

... ومع ذلك يا أسامة، فقد تعجبت أول أمس فى مرور الثلاثاء (وفى ندوة سابقة) من محمد إبنى وهو يعلن - بأمانة مغامِرة - أنه لم يهضم بعد هذه الفكرة (التى قاربت الحقيقة عندى)، احترمت رأيه وفضلته عن تزييف موافقته، مع أنه مارس العلاج الجمعى سنين عددا على ما أذكر، أعرف أن فكرة التعدد هذه مسألة مرعبة، وكلما قرأت مقالى القديم **(الوحدة والتعدد البشرى) عدد أكتوبر الإنسان والتطور عام 1981** أشفقت على كل القيم السائدة من قبول هذه الفكرة دون مسئولية (هل راجعت حلقة "أنا واحد ولاّ كتير") (يومية 28-11 الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى (1) **"انا واحد ولاّ كتير")** و**(يومية 1-12 الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى (2) "القرين والجان داخلنا")** وإجابات المشاركين فى برنامج سر اللعبة عن السؤال السادس عن المسئولية؟

بغير هذا المفهوم - الكثرة فى واحد- أكاد أعجز عن علاج مرضاى، وعن فهم نفسى، وعن استيعابى **للإيقاع الحيوى (كتاب حركية الوجود وتجليات الإبداع)** وعن ممارسة النقد الأدبى (**تبادل الأقنعة** "دراسة فى سيكولوجية النقد") وعن الإحاطة بـــ مفهوم الفطرة الجديد **(عن الفطرة والجسد وتَضْنيم الألفاظ "يومية 6-11-2007)** كما حضرنى مؤخرا، ويبدو أننى سأخصص ما تبقى لى من عمر للإحاطة بهذه الفكرة وتوصيلها.

د. أسامة

السؤال هنا هل هذه الذوات متوازية؟

د. يحيى:
أنا لا أحب حكاية التوازى هذه (مع أنى كنت استعملها من سنوات، لكننى بعد أن تذكرت أن الخطان المتوازيان لا يلتقيان أبدا، وصلنى خطأ التعبير، لأن هذه الذوات لا تفعل شيئا إلا أنها تلتقى، وتتصادم، وتتبادل وتتنافس، وتتجادل طول الوقت، طول العمر، تفعل كل ذلك ساعية نحو التناغم الكونى إلى وجه الحق سبحانه.

د. أسامة:
تصُورى ان هذه الذوات محطات تطورية في مسيرة نمو الفرد حيث تمثل كل ذات مرحلة من سلم النمو، وتأخذ تركيبها الكامل في ارتباطات المخ، ثم تأتى مرحلة تالية في هيراركية النمو تتشكل معا. الذات التالية تحيط بالأولى وتستوعبها بنائيا وديناميا، وهكذا حتى تمام النضج أى هارمونية هذه الذوات في كل واحد، مع بقاء نبض كل ذات داخل المنظومة المتكاملة ووفقا للموقع التطوري لها بالقدر الذي يثري تكامل المنظومة و فاعليتها وتفاعلها.

د. يحيى:
أوافقك تقريبا فى معظم ما اقترحت وشرحت دون الدخول فى التفاصيل، أرجو أن تكون قد تابعت اللعبة على حلقتين الأولى **(يومية 28-11 الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى (1) "انا واحد ولاّ كتير")** والثانية **(يومية 1-12 الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى (2) "القرين والجان داخلنا")** بل إننى واثق من أنك فعلت، كما أنى أعرف أنك تابعت الحلقة الأخيرة عن الهلوسة الشمية، وهى ضمن حوار اليوم. فى مرور الثلاثاء الماضى (أول أمس) قلتُ للزملاء أنه بدون هذا المفهوم مضافا إلى آلية الإيقاع الحيوى، والإدراك الداخلى (العين الداخلية - والأنف الداخلية .....إلخ وليس الاستبطان) أقول بدون هذا الثالوث أعتقد أنه لا يمكننى أن أنجح فى فهم مرضاى ونفسى ومحياى ومماتى لله رب العالمين.

ثم إنها محطات تطورية، وطبعا هى مرتبة هيراركيا مثلما ما قلتُ، لكننى أتحفظ على حكاية **تمام النضج**، النضج يا أسامة لا يتم أبدا طالما نحن بشر ننام ونصحو، نحن لسنا آلهة ولن نكون، الله وحده هو الذى لا تأخذه سنة ونوم، صحيح أن المفروض أننا ونحن فى طريقنا إليه قد نعمى إرهاقا فنتصور أننا أتممنا نضجنا، وأنه قد تحقق ما تسميه "هارمونية الذوات فى كل واحد مع بقاء نبض كل ذات داخل المنظومة المتكاملة ...الخ". إنه برغم صحة عموم كلامك. فإنى أصبحت يا أسامة أركز على قوانين الحركة أكثر من محاولة تفسير أبجدية التركيب، وصفات المحتوى، كل ما نملك، بعد قبول احتمال صحة هذا التعدد هو أن ننظم الحركة فيما بين هذه الذوات ليقوم الإيقاع الحيوى بدوره، وبرنامج الدخول والخروج in - and - out program بدوره، وبُعْد الزمن الحركى بدوره، وتناغم إيقاعنا مع

إيقاع الكون (بالعبادة والإبداع معا) بدوره، ثم علينا أن نحافظ على استمرار الحركة حول الفكرة المركزية إليه، عندنا فى الإسلام الفكرة المركزية هى أنه "لا إله إلا الله" - (وكل دين على ما أعتقد فيه ما يقابل ذلك). إن ما يسمح لنا بتقبّل حقيقة التعدد هو استيعاب آليات التبادل، والبسط، والتمثل، والجدل والولاف، والاستمرارية والإيقاع، وليس مجرد الاعتراف بالطفل، والناضج، والكهل، والآنا الأعلى، والأنا الأوطى، داخلنا هى حركية يا أسامة، لكنها - مثل أى حركية- لها تروس وحدات ربما لا نراها إلا إذا توقفت الحركة، قسراً، أو اختياراً نادراً مسئولا.

آسف "تجعْلَص" منى الكلام فلننتقل إلى موضوع آخر

د. أسامة عرفة: (حاسة الشم) عن يومية 3-12 (رائحة للذات، والحياة، والجسد، والأشياء)

أنا شامم ريحة حاجة فى الموضوع ده.. الموضوع ده شيق ورائع و مثير..

التعليق الشعبى الدارج فى وصف المتبلدين: "دى ناس لا عندها ريحة الدم و لا بتشم" الغريب فى التعبير أن الكلام عن الدم ارتبط بالرائحة أيضا والناس إياهم اللى مابيشموش رائحتهم فاحت وتزكم الأنوف،

لغة الأم (العامية) تربط الإحساس بمترادفات الشم بتلقائية عبر الأجيال، وكأن حاسة الشم هى الأصل فى الاحساس، والعجيب أن تحمل (هذه) اللغة هذا المضمون (هكذا) رغم رحلة التطور البيولوجى عبر الكائنات.

د. يحيى:

بصراحة، وبرغم علمك بعلاقتى بالأمثال العامية، والوعى الشعبى، فهذه أول مرة أسمع فيها هذا التعبير الذى ذكرتَه، أرجو يا أسامة أن تتابع معى ما سوف أقدمه نقداً لرواية العطر التى اقتطفت منها فى **يومية 3-12(رائحة للذات، والحياة، والجسد، والأشياء)**، ما تيسر، خاصة وأنى أريد أن استغل هذه اليومية فى أن تضطرنى لإنجاز ما تقاعست عنه فى مجال النقد الأدبى بالذات، ومن ضمن ذلك نقدى (الجاهز تقريبا) لهذه الرواية المتحدية، التى حولوها مؤخرا إلى فيلم خائب، كاد يشوهها من فرط ما تسطّح من المخرج الذى يبدو أنه لم يلتقط عبقرية الرواية.

على فكرة يا أسامة قبل أن أتركك دعنى أبوح لك بموضوع خاص كنت قد أشرت إليه وأنا أحاورك ذات جمعة. هل تذكر حين طلبت منك أن تبلغ زملائى وأبنائى وبناتى عندك فى جدة (وغير جدة) التزامى هذا بهذه اليومية، وأن الحوار المتصل من خلالها قد يكون أكثر نفعا لى ولهم من مؤتمر اسافر إليه مئات الأميال وتتكلف الشركة الراشية فيه ألوف الدولارات، ثم لا تخرج منه إلا بحرارة اللقاء، ولسع

القبلات، وأشهى الطعام، وكرم الضيافة ثم شكوك لا تحصى فى المقابل الذى عليك أن تدفعه مقابل ذلك؟ الآن، وهذه اليومية هى المائة إلا اثنتين (98) لم أنجح أن أوصّل بعض بعض ما عندى إلى أىٍّ ممن يحضرون هذه المؤتمرات كباراً وصغاراً، وأنت تذكر ترحيبى بالدكتور رفيق **(يومية 19-10 د. رفيق حاتم وبريد حوار الجمعة")**، أمس اتصل بى الابن "د. هانى يحيى" وتقدم مشكورا نيابة عن الابن أ.د. محمد عرفان بدعوتى -مثل كل عام- للمشاركة فى مؤتمرهم هذا العام، فتذكرت ما دار بينى وبينك ذات جمعة وكدت اعتذر لنفس الأسباب التى اعتذرت بها للأخ العزيز الدكتور محمد الحداد عن عدم حضورى مؤتمر البحرين منذ أسبوع، ما رأيك بالله عليك (دعْ جانبا وخَشْتِنا، ونريد أن نراك، وهذا الكلام) لماذا نجتمع فى هذه المؤتمرات بالضبط؟ لماذا المؤتمرات؟ لا، تدعنى أتمادى لأقول: ولماذا المجلات المتعلقة بها حتى لا يصل الأمر إلى "لماذا المدارس"ولماذا الجامعات..؟ أنا أرفض هذا الموقف العدمى، ومع ذلك ....!! سامحنى ولا تخشَ أن أتمادى، فأنت تعرف تقليديتى... ورفضى لكل هذه "اللماذات"؟.

لا أنتظر رداً محدداً منك فلا تشغل بالك، ودعنا ننتقل إلى ابنتى مى حلمى وهى الوحيدة، بالإضافة إلى الابن رامى، التى استجابت للعبة أنا واحد ولا كتير كتابة

د. مى حلمى: (الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى/ يومية 28-11)

اللعبة الأولى: هو أنا واحد ولا كتير، دانا بيتهيألى إنى كتير جدا

اللعبة الثانية: ساعات الشخص اللى جوايا يبقى مخنوق

اللعبة الثالثة: ممكن الطفل اللى جوايا مش مجرد ذكريات طفولة، الظاهر إنه اللى نفسى أبقاه كمان

اللعبة الرابعة: طب لو أنا كتير كده، إمال بارفض ليه، يمكن أخلى الناس اللى حواليا زى

اللعبة الخامسة: الراجل اللى جوايا بيقولى لازم أقاوم و أعمل (do) وأناضل .

اللعبة السادسة: طيب لو أنا أكثر من واحد؟ يبقى من فينا المسئول أنا شايفة ان المسؤولية بتتقسم ما بيننا.

اللعبة السابعة: المسألة مش مسألة صراع ولا خناقه، المسألة إنى لو كثير يمكن أتفركش

اللعبة الثامنة: يكونش الكثير اللى جوانا هو الجن اللى بيقولوا بيلبس الناس معنى كده بقى ان فى حاجات كتير مش هتتفسر.

اللعبة التاسعة: أنا كده اتلخبطت، لكن يتهيأ لى ممكن أستفيد بإنى أحاول أجمعهم على بعض.

اللعبة العاشرة: أنا نفسى الكثير اللى جوايا يتصالحوا مع بعض، بس مش على حسابى

(تعقيب عام كتبتْه د. مَىْ بعد أن لعبت اللعبة مباشرة)

حسيت بزهمة وأنا بالعب.. استوعبت حاجات، وفى نفس الوقت اتوجعت برضه ..غالباً من كتر الاستيعاب والحركة و الدنيا واقفة من حواليا.. يعنى هأفضل أتحرك كده علشان أروح فين؟؟

د. يحيى

كنت أتكلم يا مَىْ حالا مع أسامة عن علاقتى بالحركة، أكثر من علاقتى بالأشياء التى تتحرك، وتذكرت – دون أن أذكر – نقد لاكان لقصة الرسالة المسروقة لإدجار آلان بو، كما تذكرت قصيدتى فى حادث انقلاب سيارتى قرب نويبع حين فهمت وأنا بجوار السيارة المقلوبة، فهمت لاكان لأول مرة بوضوح وعرفت معنى اهتمامه بالدال قبل المدلول، لاخيار لنا يا مَىْ فى أن نتحرك حتى نتوجه إلى حيث تذهب بنا حركتنا التى أصبحت بالنسبة لى هى الفطرة فى **جدل مفتوح النهاية، ودهشة دائمة التفتح**، لعلك تابعتِ بعض تطور فكرى فى هذا الاتجاه، **(عن الفطرة والجسد وتَصْنيم الألفاظ "يومية 6-11-2007)** وأنا أعيد التعرف على معنى أعمق لما هى الفطرة، وهو ما أشرت إليه فى حوارى مع أسامة الآن

د. مى حلمى

(بعد ما استجابت للعبة)

..... كنت حاسة بزهمة قعدتْ معايا شوية لحد ما قمت أعمل هدية بايدى (hands craft) وهنا لى تعليق (على ما حدث لى):

1- شعرت أن أبداعى فى صنع الهدية كان جيد ومختلف عما تعودت..

2- شعرت بعد انتهائى من صنعها أن الزهمة قلّت، الألم خفّ الى حد كبير..

3- انتابتنى حالة من السكينة بعدها كأن الدنيا أحسن، مع إن مافيش حاجة اتغيرت ظاهريا..

وكأن الكتير اللى جوايا بعد ما اتلخبطوا الصبح رجعوا اشتغلوا تانى مع بعض (in harmony) على آخر اليوم..

د. يحيى

.... يبدو أن كل المطلوب منا هو **أن نواكب مسيرة توجه الحركة التى خُلِقْنا بها** لا أن نضغط على بَدال تسريع حركتنا ونحن نحسب أن وراءنا شيئا بذاته – لابد من إنجازه – من خلالها

د. مى حلمى

.... بس علشان ده يحصل كان لازم أسمح شوية..

يحيى

.....أنا اصدقك، وأتصور أن استجابتك هذه هى دليل على صدق محاولتنا، برغم ضآلة العدد المشارك، الأمر الذى أصبح يشكّل لى ميزة لا عيبا، حتى تصورت أننا (مجموعة بريد الجمعة) نمارس نوعا من مجموعات المواجهة encounter groups ولكن – كتابةً – وإن كنت قد افتقدت كريم هذا الأسبوع.

د. مى حلمى

يا ترى العيانين اللى بيشوفوا ده بيعملوا إيه؟ و هل النوم فعلا كفاية؟

د. يحيى

... النوم، بما فيه من حركية الأحلام الإيقاعية، هو صمام الأمن فعلا، وفرصة الإبداع الفسيولوجى، على شرط ألا نلغى نتائجه أولاً بأول فور استيقاظنا، أما عن المرضى فبصراحة، يبدو لى أحيانا أن الفرصة عندهم أكبر منا، (ربما)، يا ترى هل لاحظت ما اقتطفناه من تفاعلهم يوم الأربعاء **(يومية 5-12 الأنفُ تدرك مثل العين أحياناً!!)**، دعينى أعترف لك كم واجهتُ مشكلة منهجية حقيقية حين تبينت ثراء ما يجرى فى العلاج الجمعى فى مقابل صعوبة توصيله كتابةً: إذا كان مقتطف بهذا الحجم المتواضع قد استغرق منى لتقديمه للناس الذين حرموا من فرصة مشاهدة العلاج الجمعى استغرق منى كل هذا الوقت والجهد، فماذا سوف أفعل فى مئات الأشرطة والتسجيلات التى عندى، حتى لو تفرغتُ لها مائة عام (بما فى ذلك ما بعد موتى بالسلامة!)، دعينا نأمل، ونواصل طالما نحن نعيش ونحاول.

ولم لا؟ أظن آن الآوان أن نلتقى برامى الذى لا يبخل علينا أبدا بفيض طلاقته.

يا عم رامى، لعلك قرأت اقتطافى لتعليقك على موضوع الشم يوم الثلاثاء، وأنا لا أشعر بحاجة إلى تكراره اليوم، فلنسمع تعليقك على موضوع "الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى" يومية 28-11

أ. رامى عادل

اللى جوايا واحد بيفتن على الناس, وكمان بيتجسس عليهم, وبيخترقهم، ومتهيألى بيكرههم، وبيحقد عليهم, هو شخص وحش جدا وشرير جدا. ودايما يسلطنى على ناس, ومش عاجبه حد, وأنا طبعا مش عارف أفاوضه ولا اخش معاه فى حوار ولا عارف أروّضه, وحاسس إن واحد فينا هيخلص على التانى. انا باسمعه يا عم يحيى وهو بيقولى: ده بيشتمك وده بيكرهك وده عايز يعمل فيك وده عايز يـــــ.....، ودى بتستثقل دمك (هو اللى بيقول لى), ودي عايزه تخنقك, ودي عايزه تقتلك, ودى بتضحك عليك.

وبعدين يقول لى: الناس مبهوره بيك, الناس بتفكرفيك (مش كل الناس طبعا), ويقولى فلان وقع تحت تأثيرك, فلان قربّ أهو منك.

ويقول لي عليك ياعم يحيى انك كنت هتجيبلى شغل بس لما انا قلتلك عامل صحون بدال عامل نضافه مقدُرتنيش.

ويقول لي عليك يا عم يحيي انك بتشتغل ويّا الحكومه في تضليل المواطن بالبروباجندا.

د. يحيى
الله يسامحك يا رامى، يمكن..!! ثم خلّ بالك يا رامى أنت لم تتكلم إلا عن شخص واحد داخلك، وأنا همى الآن هو أن أوصل للناس توصيل فكرة أننا، أنى، أنك

أ. رامى
يا عم يحيي انا ما بصدق (الجدع ده) يسكت هو عشان اتنفس أنا، يا عم يحيى، انا متهيألى هو شبهي بس علي وحش (هو انا اصلا حلو.. يا دي الخيبة).

أما البنت اللي جوايا فأنا قابلتها وفضلت تكلمنى وأنا اسمعها لأسابيع طويلة. وهى اسمها أمل، وهى حقيقية وجارتى، هى إللى أنا عملتها قرينة,

د. يحيى
يا ترى عملتها قرينه أم أسيتها قرينة؟ فكرة "الكتير" بداخلنا يبدو أنها مسألة محسومة، بالنسْبة لى، لكن يبدو أن الاختلاف يتركز حول اللغة التى نتكلم بها عنها، والأسماء التى نسميها إياها، والمجال الذى نسمح لها بالتجلى فيه. فى التاريخ والوعى الشعبى يتجلى التعدد بشكل أو بآخر فى الأسطورة والحدوتة. وعند العامة يفضلون أن يتعاملوا معها باعتبارها الجان، والمَسّ، وما إلى ذلك، وفى الإبداع خذ عندك لها تجليات بلا حصر، أغلب هؤلاء الذين بداخلنا يمكن أن يكونوا انطباعات بيولوجية حقيقية احتفظنا بها دون تمثُّل كامل، أو لعلنا نختزلها حتى نتمثلها، ولكننا قادرون- من حيث المبدأ- على استرجاعها، فى الحلم أساسا، أو كما تفعل أنت الآن، ثم إننا قد نستعملها وقد تستعملنا بوعى، أو بنصف وعى، أو ... لست أدرى، يا خبر يا رامى، اندفعت من فرط حماسى أشرح لك ما قد لا يهمك، أنت مالك أنت إن كانت بيولوجية أم تجريدية أم مفهومية، آسف يارامى يا إبنى، آسف ... أكمِلْ أكمِلْ ...

أ. رامى
... (أمل دى) بقت تصحينى من النوم كل يوم, وأسمعها بتهمس لي فأهمس لها من جوايا، وهي بتتنطط من على الأسطح في دجله المعادي, ورافقتني بتاع خمس ست شهور في الوهم والحقيقة. وكنت بقرالها هى وابنها (ما هى أصلا هى في الحقيقه متجوزه) القرآن وقصصه, وكان معاها سيف نينجا، وشرّحتلى بيه البنطلون البيير كاردان (إزاى انا مش عارف) وبتركب الريح. وكنت بانيمّها مغناطيسيا من على بعد(لاحظ يا عم يحيي إن أمل دى ست حقيقية بس أنا حبّيتها من 3 سنين، وبقيت أتخيلها معايا مهما كان الزمان أو المكان) وفي الآخر (آه من الآخر يا عم يحيى) سَلَطِتْنى (بيتهيأ لي) علي أبويا.... **والغريبه إنها كانت بتثير غيرتى بأبويا.**

د. يحيى

يا خبر اسود، حاسب يا جدع انت،.. إنت رحت فين؟

أ. رامى
ملحوظة أخيرة: علاقتي بأمل الحقيقية مش أكتر من "صباح الخير" "صباح النور" "عامل إيه"؟ "كويس" "ماما عامله ايه كويسه"؟.

آه والله يا عم يحيي الباقى كله من وحي خيالي وهلاوسى. شكرا يا عم يحيي إنك أتحت لي الفرص دى للتعبير ليك انت بالذات. شكرا يا عم يحيى. تصبح على خير كل سنه وأنت طيب.

د. يحيى
وأنت بالصحة والسلامة، بمناسبة ماذا؟ لكن برضه كل سنة وانت طيب، وكل واحد ونيته.

ثم إن لى رأى فى حكاية الخيال هذه، فهذه الشخوص الكثيرة التى نتكلم عنها هى بالنسبة لى، حقائق بيولوحية، نحن نبدأ منها بما هى، ولا نملك حين نحكى عنها إلا اللغة المتاحة، فهى ليست من نسج خيالنا تماما، وإن كان الخيال يتعامل معها، خاصة فى الإبداع، وأحيانا فى الجنون، باللغة المتاحة، وهل ثَمّ سبيل آخر؟

ثم لا تؤاخذنى يا رامى لمخاطبتك بكل هذه الصعوبة ناسيا أننا فى حوار عام بسيط، إذْ يبدو أننى فى حال!، أشعر أنه يحيط بى شئ أقرب إلى الحزن، ليس ذلك الحزن الذى يحفزنى فأرحب به، لكنه حزن شائك صعب وثقيل وربما غريب، لكنه ليس لزجاً والله العظيم.

أ. رامى
ماتزعلش يا عم يحيى, توكل على الله . وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.

باىْ شكرا،
أنا متفائل عايز تزعل إزعل,
بس إياك تهرب يوم من مواجهة.

وإياك تخسر حرب,

يا بنى أنت لسه صغير . والحياة قدامك واسعة، ودمك بيجري في عروقك زى النار واحمى، شغِّل...

د. يحيى
شكرا. ربنا يسهل، شكرا يا رامى، هل بقى عندك شئ آخر.

أ. رامى عادل: العين الداخلية (والأنف الداخلية كذلك) يومية 4-12
... إيه ده الجحيم اللى جواك ده. البارانويا يا عم يحيى؟ الفلسفة يا عم يحيى؟ طب أنت تقدر تتحمل الرؤية والرؤى الفلسفية دى كلها لوحدك من غير ما أشاركك؟... إزاى؟

د. يحيى
مش فلسفية قوى يا رامى، دى باينّها حقائق، بصراحة لأ، أقصد لست متأكدا، يعنى يا رامى ألم يصلك أخيرا لماذا كتبت هذه اليومية؟ يا شيخ!! فى الأغلب أنا كتبتها من أجل أن تشاركنى، فطبعاً أنا لا أستطيع أن أحتملها وحدى.

أ. رامى
يا عم يحيى انت تعبت ولاّ ايه؟ انا مره شفت سيجارة.. ما كانتش بتطلع دخان لحد ما أبصرتها. فطلع منها خيط دخان, ومرة بابص على عيون ست فى عربية جاية من الوش قامت ماتت, كده لوحدها, ومرة باتكلم مع قريبة جارتى (إنت مصدقنى إزاى أصلا؟ وليه؟) من البلكونه وهى تحتى من الجنب فى الدور التالت. فلما طلع جار ليها جديد وقاطعنى، بصيت له فصعق وارتد للخلف (اتشد لورا).

د. يحيى
كفاية بقى الله يخليك، أنت زودتها

أ. رامى
إتحرك يا عم يحيى، بسم الله، عيناك ليالٍ صيفيه ورؤى.
وأخيرا إنت مش سفاح وبس انت كمان حزين، وانا عرفت سبب حزنك. إنت خايف. إنت خايف علىّ وكمان بتحب..، أنا عايزك ترتاح أرجوك ترتاح .عايزك ترتاح منى خد (بريك) break

د. يحيى
حاضر يا رامى حاضر، بالله عليك كيف عرفت كل هذا يا رامى؟ كتر خيرك، ها هو يا رامى واحد من أولادى الأكبر حضر يشاركنا، حاول أن تفهمه معى يا رامى، فأنا لم أفهمه جيدا.

د. يحيى جعفر: (الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى/ يومية 28-11)
أنا اتعجب واحترم صبرك ومثابرتك لكن رؤية التعدد مرعبة فمن يتحمل العدم إلا فى حضور مدرك لله.

د. يحيى:
أهلا يحيى، أخيراً،!!! أخيرا تحاول أن تسهم؟! لكن يبدو أن أول القصيدة...، والله العظيم ما أنا فاهم كلامك! ماذا تعنى؟ أى عدم؟ وهل يوجد عدم أصلاً؟ ثم ما هذا الذى تقول "حضور مدرك لله"؟ حين عجزت عن الفهم تصورت أن ثَمَّ خطأ مطبعى فى الرسالة.

د. يحيى جعفر
.... كيف يخاطب التعدد بلغة محكمة, خاطب الكتاب التعدد بلغة أميل للتفكك، وأغلب الكتاب غير محكم فتمت ترجمته إلى محكم .

أعانك الله

د. يحيى
يا عم يحيى ربنا يعيننا جميعا، ولكن، من تقصد بالكتاب؟ تقصد المبدعين؟ أم من؟

ثلاثة أسطر هى التى هانت عليك يا يحيى، وبكل هذا الغموض.

يا شيخ الله يسامحك.

بعد الحوار

بعد الانتهاء من كتابة الحوار، وأنا أهم بالذهاب إلى العيادة، أحضرت لى السكرتارية رسالتين: الأولى من الإبن كريم شوقى بعد أن أعلنت فى ردّى على مَنْ فى أول هذا الحوار أننا افتقدناه هذا الأسبوع. أما الرسالة الأخرى فهى من محمد إبنى بعد ما أعلنت فى ردّى على د. "أسامة عرفة" تعجبى من موقفه (موقف محمد) من مفهوم "الوحدة والتعدد"، فوجدت أن رسالته هذه هى فى صلب هذا الموضوع (التعدد) وهى طويلة وجادة ومثيرة للجدل ومن ثَمّ أجلت مناقشاتها، فامتد الحوار إلى الغد (السبت) وبالمرة هى فرصة أحاور فيها الابن د. كريم، و أيضا ما تبقى من العزيز رامى.

السبـــــــت 08-12-2007

99- اعتـــــــذار، وحيـــــــرة حـــــــول المنهـــــــج

الخطوط العريضة للفرض الأساسى لنقد "العطر"

اعتذار ضرورى

وعدت أمس أن تكون يومية اليوم هى امتداد لحوار أمس، وذلك لأهمية ما ورد إلىّ فى آخر لحظة من رسالة ابنى محمد، والضيف الذى افتقدناه هذا الأسبوع د. كريم شوقى، لكننى حين حضرت فجر اليوم بحثت عن الرسائل على مكتبى، فلم أجدها. الساعة الخامسة صباحا، والسكرتير لن يحضر قبل الثامنة، أثناء البحث وجدت أوراقاً تتعلق ببداية نقدى رواية العطر، الأمر الذى أشرت إليه أمس، وقبل أمس، وكثيرا، قلت لنفسى فهى فرصة أن أبدأ فيما أجلّته طويلا.

بمجرد أن انتهيت من كتابة خواطرى حول المنهج الذى اقترحته على نفسى لأقوم بنقد هذا العمل الرائع نقدا يستأهله وجدت أنها تصلح أن تظهر يومية الغد، وأن تزيح البريد المؤجل إلى يوم الجمعة القادم.

لكن رسالة محمد إبنى لم تستطع الانتظار فهربت من هذه الوصاية، وقفزتْ كاملةً لتفتتح بها باب **"المحررون الضيوف"**، فوافقْتها وأنا خجلان من أن يكون الافتتاح "عائليا" هكذا، ولكن ماذا أفعل ولم يتفضل علينا أى من المحررين القدامى، فى "الإنسان والتطور" بالمشاركة حتى الآن، مع أننى دعوتهم بالاسم منذ اليوميات الأولى **("عودٌ على بدء، ثم نرى" يومية 1-9-2007)**

وبافتتاح هذه الزاوية أكرر الدعوة، وبالاسم، للأصدقاء القدامى، ثم أعمم الدعوة لكل من يرى أننا نستأهل إسهامه، وبالذات كل من يريد أن يكتب تعليقا متكاملا (مثل محمد إبنى الذى بدأنا به اليوم) أو كل من يرفض أن نقطع تعقيبه ونقلبه حواراً، تماما مثلما كان الحال فى الإنسان والتطور المجلة (1980 - 2002)

وفيما يلى دعوة جديدة إلى المحررين القدامى وبالاسم.

قائمة بالدعوة

كتاب مجلة الإنسان والتطور 1980-2002

د. مجدى عرفة	د. رفعت محفوظ	زينب عزب
د. عماد حمدى غز	د. باهر محمد	د. عبد الحميد كابش
د. محمد هويدى	الزينفيصل الشبير	عبد الحميد الكاشف
وفاء خليل	د. محمد حسيب	د. هناء سليمان
د. سيد حفظى	الدفراوى	د. صلاح مخيمر
محمد جاد الرب	د. محمد السماحى	عصمت دواستاشى
د. اسامة بهاء الدين	إبراهيم عادل حسن	محمود لاشين
د. مها محمد كامل	د. وفاء الليثى	د. محمد يحيى الرخاوى
د. باهر محمد الزين	أ. حافظ عزيز	د. مرقص عوض
د. محمد شعلان	د. يسرية أمين	زينب عزب
علاء إبراهيم	محمود حنفى	أسامة عبد الحليم
عبد المنعم عبد	محمود لاشين	زكى
القادر	د. عاطف طنطاوى	محمد عبد السلام
د. رفعت لقوشة	د. مرقص عوض	ولد دوح
د. خالد الدش	فؤاد قنديل	وليد منير
د. حلمى شوقى المصرى	محمد عبد المطلب	فؤاد سلامة
د. ماهر شفيق فريد.	أحمد المدثر عيسى	عباس الصهبى
محمود حنفى	د. سامى عبد القوى	أحمد زغلول الشيطى
د. محمد المخزنجى	على	د. عصام اللباد.
السيد أحمد زرد	د. عصام طنطاوى	رضا عطية
احمد زرزور	فاطمة مدكور	صلاح الدين محسن محمد.
حازم شحاتة	محمد محمود عثمان	د. أسامة عرفة
عبد المنعم رمضان	د. عادل مصطفى	أ. مجدى حسنين
اعتدال عثمان	د. إبراهيم أبو عوف	د. عاطف عبد السلام
فؤاد حجازى	عباس الصهبى	أحمد عبد السلام
سفاروق حسان	هالة جبر	بسيونى
رضا عطية	كوثر مصطفى	محمد شقرة
راوية حمودة	شمس الدين موسى	هشام أحمد أحمد
وليد منير	عبدالوهاب الأسوانى	ماجد يوسف
صفية فرجانى	خيرى عبد الجواد.	منتصر القفاش
د. إلهام عبد الحميد	سمير عبد الفتاح	طارق النعمان
إيمان مرسال	أحمد فضل شبلول	سها النقاش
د.حسام حشمت	– حلمى سالم	إيمان مرسال
د. عيد صالح	رجب الصاوى	على الشرقاوى
عبد المنعم الباز	نعيم عطيه	د. إيهاب الخراط ..
د. هانى يحيى	د. أحمد صبحى منصور	د. رمضان بسطاويسى
د. أحمد حسين	أ. ياسر عبد اللطيف	أ. إدوار الخراط
د. أحمد الفار	أ. يوسف عزب	صالح عيد
	د. أحمد تيمور	د. عادل مصطفى
	أ. فريد زهران	نعيم صبرى
	أيمن حامد عبد الشافى	

عن اقتراح منهج لنقد رواية العطر:

بداية وحيرة!

امتد المنهج الذى اهتديت إليه وأنا أقرأ - ناقدا- أصداء سيرة محفوظ إلى أن أغرانى أن أتبعه هو هو فى قراءتى لأحلام فترة النقاهة، الأمر الذى أواصل العمل فيه بمشقة رائعة متعبة ومتحدية.

خلاصة خطوات هذا المنهج يمكن إيجازها فيما يلى:

- يُكتب المتن كما هو فقرة فقرة،
- يُقرأ هذا الجزء نقدا بذاته لذاته
- ثم بعد الانتهاء من كل الفقرات، تجرى القراءة الطولية (الشاملة)

كان الإغراء باتباع هذا المنهج هو طبيعة العمل الأول (الأصداء) حيث وصلنى باعتباره مجموعة أصداء تتردد، وكأنها خواطر تقفز من مخزون الذاكرة لتُعاش فى وادى الإبداع وهى تتردد أصداءً بين جنبات الجبال المحيطة من الخبرات والرؤى والمشاعر، بهذه الصورة: يمكنك أن تستمع إلى نغم كل صدى يتردد منفردا وكأنك تختبر كفاءة آلة عزفه، آملاً أن تعزف اللحن كاملا حين تنتهى من الاطمئنان لسلامة وجودة أداء كل آلة صدى على حدة،

حين رحت أطبق نفس المنهج فى قراءتى الأحلام وجدت صعوبات بلا حصر: فمن ناحية لقد عاشرت كاتبها وهى تولد، ثم محت آثارها عليه وهى تبزغ، ثم قرأتها متقطعة وهى تنشر، ووصلنى منها ما قبلته وما رفضته، وهى لم تشدّنى، - كما فعلت الأصداء- أبدا لقراءتها ناقدا، ومن ناحية أخرى مثّلت لى كلمة **"حلم"** التباسا مزعجاً حتى رحت أنبه نفسى طول الوقت أنه ليس حلما بالمعنى الشائع عند الناس، مع أن الإبداع الحقيقى عندى ليس إلا حلما فائقا، كما أن الحلم الحقيقى عندى ليس إلا إبداع الشخصى العادى على مستويات مختلفة **(إبداع الشخص العادى، وإبداع المرأة !! يومية 29-9)**، ثم كانت ثمة صعوبة ثالثة هى أنى خشيت - ومازلت أخشى- أن يُقرأ النقد الذى أحاوله على أنه "تفسير للحلم"، وهذا من أكثر الأمور بعدا عن اهتمامى، وأحيانا عن احترامى، بما فى ذلك الكتاب الذى يقول عنه كل الناس، بما فى ذلك مؤلفه، أنه درة أعمال كاتبه سيجموند فرويد، وهو كتاب "تفسير الأحلام"، وقد أثبت موقفى بوضوح من تفسير الأحلام، وكذلك من طبيعة الحلم والشعر والإيقاع والإبداع فى عمل متكامل سابق **(الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع)**

فماذا أغرانى بعد كل ذلك أن أجرب نفس المنهج فى قراءتى للعطر؟

أعتقد أن دافعى إلى ذلك هو أن كل فقرة من هذه الرواية النادرة كانت تمثل لى إثارة نقدية، ليست أقل إلهاما من أحلام محفوظ، فعلا كانت ولا تزال تصلنى تحديا معرفيا يغرينى بمحاورتها قبولا، أو شحذاً للوعى، أو نقدا، أو إعادة تشكيل:

قلت: فلنبدأ، ولنجرب بضعة صفحات، ثم نرى

هل يصلح نفس المنهج لقراءة رواية العطر؟ كيف؟ ولماذا؟

تجربة محدودة (عينة)

حين كتبت عن حاسة الشم تلك اليوميات الثلاثية **يومية 3-12 (رائحة للذات، والحياة، والجسد، والأشياء)**، **يومية 4-12 (العين الداخلية (والأنف الداخلية كذلك)**، **يومية 5-12 (الأنفُ تدرك مثل العين أحياناً)**، حضرتنى رواية العطر، وبصراحة كانت هى الدافع الذى حفزنى أن أكتب فى موضوع الشم هكذا، قلت لعل الأوان قد آن لاستكمال نقد الرواية ونشره، وبدأت باقتطاف أول جزء من الرواية، بدون تعليق.

اليوم حين بدأت فى قراءتى لها ناقدا وثقت فى الترجمة إلى العربية مرة أخرى وفرحت بها بلا تردد.

بمجرد أن كتبت صفحتين، وأعدت قراءتهما، تيقنت أن هذا المنهج، هكذا، لا يصلح إلا أن يكون مسودة، فأكملت مع نفسى: "وما المانع أن استغل هذه اليومية فى نشر مسودات ما أحاوله، فى هذه السن وسط هذه الزحمة، ذلك لأنى لا أضمن، بل لعلى على يقين أننى لن أتمكن من تبييض كل مسوداتى. فليتحملنى القارئ، أو يرشدنى، أو يحول دون استمرارى، أو يأذن الله فى أمرى.

العنوان

العطر [1][1]

قصة قاتل

هذه رواية كتبت سنة عام 1985 ونشرت سنة 1997 وترجمت إلى (ستة وأربعون لغة)، تقييمى للترجمة فى ذاتها، دون الرجوع للأصل بالألمانية طبعا (مع المقارنة المحدودة بالنسخة الانجليزية)، بقدر اجتهادى أنها ممتازة حتى خيل إلى (مثل ترجمة سامى الدروبى لروايات ديستويفسكى)، **أنها إعادة إبداع النص بلغة أخرى** (أنظر بعد).

من البداية حتى النهاية تحفظت على العنوان الفرعى **"قصة قاتل"** فأنا لم أستقبل غرينوى أبدا باعتباره قاتلا بالمعنى الإجرامى، وذلك برغم عدد القتلى، ونوع القتلى، وبشاعة طريقة القتل، فإنه لم يصلنى أن هذه الصفة بالذات "قاتل" هى التى تميزه،

غرينوى كان إلها زائفا،
نيزكا ساقطا إلى أعلى
كان جسما غريبا **بائسا**،
كان متفردا غبيا،
كان قرادة جافة مُنْقَضَّه،
وكان – أيضا – قاتلا لأنه كان كل هذا،

فلماذا يفرض علينا المؤلف هذا العنوان الفرعى هكذا

على الغلاف حتى لو وصله هو شخصيا أنها **"قصة قاتل".**

أول فقرة ص (5)

في القرن الثامن عشر عاش في فرنسا رجل ينتمي إلى أكثر كائنات تلك الحقبة نبوغا وشناعة، وهي حقبة لم تكن لتفتقر إلى أمثال هذه الكائنات، وقصة هذا الرجل هي ما سنرويه هنا. كان اسمه جان باتيست غرنوى Jean-Baptiste Grenuille. وإذا كان اسمه اليوم قد طواه النسيان على نقيض نوابغ أوغاد آخرين، مثل دوساد، سان جوست، فوشيه أو بونابرت وغيرهم، فذلك بالتأكيد ليس نتيجة أن غرنوى بمقارنته مع هؤلاء الرجال الموهوبين الأكثر شهرة، يقل عنهم تعالياً واحتقاراً للبشر ولا أخلاقية، وباختصار كفراً.

بعد مقارنة متواضعة لهذه الفقرة الأولى التي هي موضوع هذه اليومية، بالترجمة الانجليزية (انظر نهاية اليومية) قررت فعلاً أن اعتبر المتن العربي الذي بين يدى بمثابة **نص مُبْدَعٌ مستقل،** وألا أرجع إلى الترجمة الإنجليزية إلا مضطراً، أما الأصل الألماني فأدعو الله ألا اضطر أن استشيره إلا عندما يختل منى السياق تماما، فأجدنى محتاجاً جدا إلى الأصل الألماني، ربما يدعم أو ينفى فرضاً من فروضى الصعبة.

تعبير **"الكائنات"** هنا وصلنى بدلالة خاصة، الكاتب لم يقل رجل ينتمي إلى أكثر الناس أو الأشخاص، فهو يذكرنا مباشرة ومن البداية أننا لسنا إلا كائنات، مجرد أحياء، وأن الإنسان هو أحد هذه الأحياء، أحد هذه الكائنات.

ثم إن الكاتب راح يحدد صفات هؤلاء النوابغ الأوغاد، منهم غرينوى بكل مما يلى: **(1) التعالى (2) واحتقار البشر (3) واللاأخلاقية،**

نبدأ بمسألة اللاأخلاقية حيث أن موضوع تعريف ما هو أخلاقى هو إشكال فى ذاته **(يمكن الرجوع إلى يومية 15-10 "من ملف القيم والأخلاق فى مصر الآن)** وبالتالى، فإن صفة اللاأخلاقية تصبح أضعف الصفات دلالة فى وصف هذا الكائن، **(وأمثاله الأكثر شهرة وسلطة وقسوة وقتلاً)،** أما **التعالى واحتقار البشر،** وهما شديدا الاتصال سببا ونتيجة بالتبادل، فلهما دلالة مهمة فى فهم موقف غرينوى لاحقا، موقفه من التنازل عن الحب لصالح ما تصوره الحياة. الاحتقار والتعالى، نفْى حاسم. وربما مطلق لأى حب (ربما من أى نوع)، وهذا ما أرجو ان يتضح خلال مراحل النقد المختلفة.

أما اقتران كل هذه الصفات بل إيجازها فى كلمة واحدة وهى "الكفر" فهذا ما قد يدور حوله أغلب النقد المقدم هنا، ربما ربطا بدراستى عن الإخوة كارمازوف واستحالة الالحاد (بيولوجيا) **(تبادل الأقنعة "حركية العلاقات البشرية جدلا وامتدادا فى الإخوة كارامازوف")،** وربما هى فرصة لتقديم معنى آخر للكفر والإيمان .

أما مسألة ربط الكفر، بالنبوغ بالوغدنة فهذا يحتاج إلى

وقفة أمام كلمة **نبوغ**، نحن نعلى من قيمة النبوغ بشكل متواتر دون النظر فيها بما يكفى، هل اقترنت هنا كلمة نبوغ بالوغدنة كنقيضين أم كمترادفين؟ **النابغة يمكن أن يكون وغداً، لكن هل الوغد يمكن أن يكون نابغة؟ أم أنهما لفظان متلازمان**، ولو واتتنا الشجاعة ربما قلنا **"إن كل نابغة وغد"**، أو على الأقل هو "مشروع وغد" بشكل أو بآخر، وإذا كان الكاتب قد اختار دوساد وسان جوست، وفوشيه، وبونابرت، كأمثلة فقد خطر ببالى نيتشه، وأينشتاين، مع أننى أحبهما جدا (أتساءل الآن: هل استطعت أن أحب غرينوى أبداً، وأؤجل الإجابة حتى نهاية الدراسة)

إلتزمت بالألفاظ العربية دون ما يقابلها بالإنجليزية.

التحدى المزعج:

آن الآوان أن نناقش هنا نفس الفقرة بالانجليزية 2[2]

In eighteenth-century France there lived a man who was one of the most gifted and abominable personages in an era that knew no lack of gifted an abominable personages. His story will be told here. His name was Jean-Baptiste Grenouille, and if his name – in contrast to the names of other gifted abominations, de Sade's, for instance, or Saint-just's, Fouche's, Bonaparte's, etc. – has been forgotten today, it is certainly not because Grenouille fell short of those more famous blackguards when it came to arrogance, misanthropy, immorality, or , more succinctly, wickedness,

بصراحة عجزت عن أن أجد الألفاظ المتقابلة بين اللغتين.

- بدأت باللغة العربية وبلفظ "وغد" فوجدته (مع الإيجاز الشديد): وغُد (بضم العين "الأساس"): كان رذلا دنيئا صغير العقل (الوسيط)

- ووغُد (أساس البلاغة/الزمخشرى): دنئ، وأصله: **"سهم لا حظّ له.** (فهمُتها، لم يُصِبْ هدفه، لاحظ كيف سيتطابق ذلك مع غرينوى)

ثم رحت قبل أن أقرأ النص الانجليزى لأجد أقرب لفظين إلى المعنى هما Villain & Scounder وفضلت الأخير.

لكننى حين قرأت النص المترجم وجدت أنه ترجمة إلى abominable فرحت أستشير المعاجم الإنجليزية فلم تسعفنى بما يفسر الاختلاف.
وبما أنى أكاد أزعم أنى أعرف غرينوى معرفة كافية، فقد وجدت الوصف باللسان العربى هو الأقرب إليه.
- أما لفظ **نابغة**، فقد جاء ما يقابله بالانجليزية Gifted، وهو الذى يعنى عندى "موهوب"، والنبوغ عندى (وربما عند الكثيرين) ليس مرادفاً للهبة.

[1][1] – تأليف: باتريك زوسكيند – ترجمة: نبيل الحفار – الناشر: دار المدى عام 2003

- أما ما يقابل لفظ **"الكائنات"** الذى اعتمدت عليه لأرجع بغرينوى – فيما بعد – **إلى بدائيته المتألهة**، فلم أعثر على ما يقابله فى النص الانجليزى إلا لفظ Personage!!

- وأخيرا، فإن لفظ **الكفر**، الذى يمكن ان تدور عليه فكرتى لفروضى المحورية يقابله فى الانجليزية لفظ Wickedness وهل هذا الاختلاف يحتاج إلى تعليق؟

بصراحة انزعجت انزعاجا بالغا وطرحت كل ذلك جانبا وقلت:

إن ما وصلنى من النسخة بالعربية، سوف يكون منبعى ومصبى، حتى لو كان مؤلف النص الذى أقرأه ناقدا هو د. نبيل الحفار وليس باتريك زوسكنيد.

الخطوط العامة لفرض الدراسة (مؤقتا):

- غرينوى – بطل الرواية – **لم يوجد أبدا،**

لم يعترف أحد بوجوده، منذ الحمل حتى النهاية الغامضة، فراح غرينوى منذ اختار الحياة – بقاءً – حتى لو كان نيزكا منفصلا، اختارها: بديلا عن الحب، راح يخلَق نفسه بنفسه لنفسه.

- غرينوى خَلَق له روحا (رائحة) متفردة، شكّلها من توليفة من أرواح نقية لم تتشوه بعد، انتزعها انتزاعا من العذارى الجميلات، الواحدة تلو الأخرى، وكأنه يقتنى ألوان لوحته الزيتية الفريدة،

- حين أتم غرينوى صناعة نفسه بنفسه حاول أن يفرضها على الناس – كل الناس – فرضا، دون علاقة أصلا

- نجح غرينوى – فى ذلك من وجهة نظره بطريقته– فزاد انفصالا عن الناس الذين سجدوا له، ذهولا عنه، وعن أنفسهم،

- هكذا سقط غرينوى فى هاوية التجاهل والإنكار، والوحدة من جديد.

- انكشف زيف ألوهيته له، قبل أن ينكشف للناس

- نجح غرينوى أن "يبقى" رغما عن كل ما أنكروه عليه

- أن تبقىَ ليس مرادفا لـ "أن تحيا"

- لم ينجح غرينوى أن يحيا بشراً بين البشر.

- الإنسان لا يكون بشرا بروحه ولا برائحته ولا بسحره ولا بقوته ولا بتأثيره،

- الإنسان لايكون بشرا إلا بجدل متصل مع بشر مثله تماما، ليس مثله بمعنى أن يساويه أو يشبهه، وإنما مثله بمعنى أن **يمارس نفس تجربة التواصل مثله**، بنفس صعوباتها وجدلها

وتحدياتها ومفاجآتها،

- لا غرينـــوى ولا أمـــه، ولا أى ممـــن ظهـــروا فى الروايـــة استطاع أن يفعلها، لكنهم رضوا أن يحاولوا، وأن تستمر المحاولة حتى لا يتألهوا زيفا.
- غرينوى قرر أن يستغنى عن المحاولة (عن الحب)
- النهاية مازالت تقلقنى
- وعندى لها أكثر من تفسير محتمل،
- لذلك سوف أؤجل الحديث عنها لعل أحد هذه الاحتمالات يرجح أثناء ممارسة النقد فقرة فقرة (إذا ما صلح هذا المنهج أصلا!!)

الأحـــــــــد 09-12-2007

100- تعـــــدد الكيانـــــات وحركيـــــة الإبـــــداع

مقدمة

يبدو أن موضوع تعدد الكيانات (الذوات) سوف يجد فرصة فى هذه اليومية ليأخذ حقه من الحوار والجدل والقبول والرفض، أكثر مما حدث حين تناولتهُ كتابةً فى مواقع أخرى سابقة، فمنذ كتبت فيه المقال التنظيرى الأول الذى أشير إليه كلما عرجنا إلى هذا الموضوع "**الوحدة والتعدد فى الكيان البشرى**" أكتوبر 1981 فى الإنسان والتطور، ثم كتبت حوالى أربعة عشرة مقالة فى تلك الصحيفة اليومية الخفية التى استضافتنى تسعة أشهر لم يصلنى خلالها تعقيب واحد يسمح لى بمعرفة ما وصل للناس مما أكتب، أو يتيح لى فرصة أن أناقشه أو يعّدلنى، أو يطورنى، منذ ذلك الحين، وانا أمارس مهنتى، وربما حياتى من هذا المنطلق، منطلق هذه الفكرة (دون أن أدرى فى كثير من الأحيان) إلى أن جاءت هذه الفرصة لإعادة فتح الملف هكذا من خلال هذه اليومية، وإذا بالنقاش يدور أكثر جدية، وربما أبعد أثرا.

لعل أهم ما دعانى إلى فتح الملف على مصراعيه هو محاورتى مع كل من د. أسامة عرفة، ورامى عادل يوم الجمعة الماضى، بالإضافة إلى ما وصلنى من د. محمد يحيى الرخاوى من مقال نشر فى باب "**المحررون الزوار**" باسم "**الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى .. كيف؟ إلى أين؟**"، ثم فوجئت هذا الصباح بوصول تعليق آخر عن نفس الموضوع بشكل يسمح باستمرار الحوار، بل توجيهه.

لكن يبدو أن المسألة تجاوزت أن يحتويها حوار يوم الجمعة، فهى تلحُّ فى مواجهة أشمل بمسئولية أعمق، ولغة أقدر.

فتصورت أن تحديث هذه السلسلة من المقالات التى ظهرت يوما فى تلك الصحيفة اليومية الخفية، يمكن أن يكون أرضية مناسبة لحوار مسئول ممتد.

فنبدأ اليوم بعلاقة هذه التعددية بالإبداع

الحركة هى الحل

وصل بنا الأمر، حتى ونحن نبحث عن تعريف للفطرة، أن

اعتبرنا أنها **"الحركة الطبيعية إلى ما هى إليه"**، وليست كيانا فجاً، أو قيمة أولية، وبذلك يستحيل أن نترادف الفطرة مع البدائية، ثم تكرر هذا التوجه للتأكيد على الحركة والجدل والتوجه والدال قبل المدلول، كل ذلك فى مقابل التنبيه إلى الحذر، من التوقف عند التشريح والتوصيف والمحتوى، وتوفيق الأوضاع، أو دوامية الصراع.

السبيل الأمثل لحل إشكال مواجهتنا بهذا التهديد المسمى "التعدد" (تهديد بما هو "حقيقة"!!) هو تبنى فكرة **الحركة فى مواجهة الحركة**، ولأنى جاهل فعلاً بما يسمى الطبيعة الحديثة والرياضية الحديثة، وعلم نفس اللغة، وعلم الشواش وعلم التركيبية والعلم المعرفى، فإننى أطمع من خلال جهلى هذا أن يكون فى عطاء هذه العلوم مجتمعة ما يمكننا من أن نستوعب معنى "حركية" فى مواجهة "حركية"، بما فى ذلك حركية الراصد والمرصود.

أعتقد أن ما هدانى (برغم جهلى السالف الذكر، وبسببه)، إلى اليقين الذى أعيشه حاليا وأحاول توصيله إلى الناس، حول مسألة **تعدد الكيانات داخلنا** هو حركية وعيى فى مقابل حركية وعى مرضاى أثناء العلاج الجمعى خاصة.

من هنا نبدأ

التعدد **هو حركة كيانات أكثر منه كيانات فى حركة**!! ياه !! لم أقصد، ولكننى سوف **أترك** هذا التعبير كما خرج منى هكذا للنقاش، مادام ثم نقاش،

من هنا يأتى مدخلنا إلى **"حركية الإبداع"**ليس بصفته موهبة نادرة، أو عبقرية متميزة أو ناتج فذ، بل بصفته أرقى أنواع التشكيل المتجدد لمستويات متعددة من الوعى بما تحتويه ويحتويها من كيانات مرنة تسمح بهذا التشكيل فى ناتج أصيل جديد، إن هذا المدخل هو الذى يمكن أن يهدينا إلى الاحاطة بالمعنى الحركى للتعدد من حيث المبدأ.

المبدع

المبدع المتميز المنتج – كما نعرفه عادة – يمارس عملية الإبداع بإرادة مشتمِلة، يعى بعضها فى ظاهر شعوره بدرجة ما، لكن أغلبها (أغلب إرادة الإبداع) يأتى من عُمْق شامل حركىّ عنيد مثابر جاهز متحفز قادر.

عملية الإبداع هذه لا تحدث فى وعى بديل يتناوب مع الوعى السائد، كما هو الحال فى عملية الحلم، ولا هى (عملية الإبداع) تحدث فى حالة وعى الصحو العادى الذى نمارس به حياتنا الروتينية طول الوقت،

لكنها تحدث فى حالة خاصة من الوعى تسمى أحيانا **"الوعى الفائق"**، وأنا أفضل أن أسميها **"الوعى المشتمِل"**، هذا الوعى الفائق/المشتمل هو حالة تحتوى أكثر من مستوى من مستويات الوعى "معا"،

فهى **جماع وعى الصحو ووعى الحلم،**

وهى أيضا **جماع وعى النصف الطاغى من المخ والنصف المتنحى،**

وكذلك هى **جماع وعى مستويات الدماغ القديمة والحديثة،**

يحدث كل ذلك نتيجة لقدرة المبدع أن يعيش **حركية المعلومات،** ليخلق منها **سيمفونية الإبداع،**

يفعل المبدع ذلك وهو فى حالة من الإفاقة تسمح له بإمكانية التشكيل الهادف الذى يحرك بدوره ويضيف.

حكاية **"أنا واحد ولا كتير"** اتسعت منا - بوجه حق - حتى قبلنا احتمال كيف يمكن أن نكون كيانات بلا حصر، لا لنتشتت فنجن، ولكن لنكون من المرونة والحركية بحيث نحترم تركيبنا من المعلومات الحية القادرة على دفعنا على مسار النمو والإبداع باستمرار، بتشكيلاتها فى كيانات متكاملة متحركة داخلنا، وليست مجرد ذكريات تُستعاد، أو أبجدية تُستعمل.

هذا الكثير الذى نشير دائما إلى كيفية حركيته على مسرح الأحلام، هو هو الذى يتحرك فى حقل الإبداع فى وعى مختلف شديد اليقظة، بالغ الطزاجة، نشط الحركية، قادر على التشكيل لإخراج الجديد/المفاجأة/الدهشة/الجمال.

نوعان من المعلومات، وماهية الإبداع

المعلومة نوعان، تلك التى ألفنا الحديث عنها ونحن نتكلم عن **عصر المعلومات، ونحن نحفظ المحفوظات، ونحن نسمّع جدول الضرب.** هذه المعلومات لها وظيفتها باعتبارها أبجدية مستقلة نافعة، تستعمل من الظاهر إلا قليلا، هى تقع فى منطقة الرموز والتجريد أساسا، وهى تسمى أحيانا ذكريات، وأحيانا كلاما، وأحيانا (خطأ غالبا) "لغة"، وهى ليست مستقلة تماما عن كياننا الحيوى، لكنها تعتبر بمثابة حروف هجاء، أو أدوات صنعة التواصل والتفاهم أكثر منها كيانات حيوية نشطة بما هى.

النوع الآخر من المعلومات هو **المنغرس أو الملتحم بيولوجيا بكياننا الحيوى،** بدءاً بالدماغ، شاملا الجسد كله، وليس فقط المخزون فى مخزن الذاكرة، تلك هى المعلومة **"الوحدة البيولوجية/المعنى"،** التى تدخل إلينا باعتبارها "كيانا متكاملا من نبض، ووجدان، وحفز، ونشاط،

يتوقف شكل الإبداع وناتجه على أبجديته (المعلومة الأولى) وحركيته (المعلومة الثانية) معا.

الإبداع ليس قاصرا على نوع بذاته، أو شكل بذاته، وإنما هو يشمل أية إعادة تشكيل تأتى بجديد، وهو يصنّف بحسب غلبة أبجديته.

- فإذا كانت أبجدية المبدع معادلات رياضية، وعلوم طبيعية، أخرج لنا **نظرية فى الطبيعة** أو الرياضة.

– وإن كانت أبجديته هى المساحة، واللون، والحجم، أخرج لنا **نحتا جميلا جيدا، أو لوحة** غير مسبوقة من تأليف غير مألوف.

وإن كانت أبجديته هى الناس والأحداث والتاريخ والواقع بكل تصنيفاته، فإنه ينسج لنا من كل هذا حركة أحداث أخرى، بعلاقات أخرى، فى زمن آخر، **فهو الروائى المبدع،**

وإن كانت أبجديته هى ألفاظ لغتنا العادية، لكنها تتآلف بشكل آخر، فى مساحات صور أخرى، مع تشكيل نغم آخر، **فهو الشعر**، وهكذا.

كل هذ يقع تحت ما يسمى "إعادة تنظيم"، أو إعادة تشكيل، تماما مثل العملية التى تجرى فى الحلم (من حيث المبدأ)

الكيانات التى نتحدث عنها فى مسألة التعدد هى **أقرب إلى النوع الثانى من المعلومات**، وإن كانت العلاقة بين النوعين ضرورية وقائمة طول الوقت، قلت هى أقرب إلى النوع الثانى وأضيف: لكن يستحيل عليها أن تستبعد استعمال النوع الأول من المعلومات.

فى **العلاج الجمعى** تعلمت أنه – من خلال السيكودراما أو الألعاب مثلا – يمكن أن نقلب **المعلومة الرمز المفهومة** إلى **المعلومة الكيان الحيوى بدرجة أو بأخرى.**

مع بعض الدفاعات (الميكانزمات) وخاصة العقلنة Intellectualization يمكن أن يحدث العكس، أى أن تختزل **المعلومة الكيان إلى المعلومة الرمز، فتُفرغ من نبضها كيانا**، لتستعمل من الظاهر **أبجدية.**

الإبداع يلزمه نوعىْ المعلومات معا على مستوين متداخلين:

ليكون للإبداع ناتج يصل إلى الآخرين، فإنه يلزم أن تمر عملية الإبداع بطورين أساسيين: **من حركية المعلومة** (الكيان الحى) الأول **إلى تشكيل الناتج فى الشكل الذى تسمح به** أبجديته (المعلومة الرمز المفهوم).

من شهادات المبدعين

فى إجابات عدد ليس قليلا من المبدعين عن حركية إبداعهم من خلال تجاربهم ،يمكن أن نرصد هذين المستويين، كيف تتم عملية الإبداع بالانتقال من مستوى المعلومات الحية (**الكيانات** التى هى نحن **"كتير"**) إلى مستوى التعبير والتشكيل المتاح بالأدوات المتاحة:

> **إدوار الخراط:** مجلة فصول- المجلد الثانى- العدد الرابع ص: 265 سنة 1982)
> "... بداءة، تتخلق القصة عندى – على الأغلب، أو على الأرجح – من صورة، صورة تتشكل فى الوقت نفسه بأصوات، بكلمات(.....)، فهى أساسا صورة تتخذ لنفسها على الفور جسدا من اللغة. وأظن أن لى لغتى، فهى تتخلق بالكلمة أو بنسق من الكلمات، بجرسها وإيقاعها

وكثافتها...،وهى فى الآن نفسه تأتى حسية ومدركة، أى أنها تأتى حسية ومتجسدة، ولها طعمها ورائحتها وملمسها، ومرتبة شديدة الحضور البصرى أساسا".

القراءة

نلاحظ تركيز الكاتب على المثير بوصفه **"صورة"**، تتشكل بأصوات (مثل الهلوسة) ، ثم إن الصورة تتخذ لنفسها **جسدا من اللغة**، ثم انظر النقلة التى أشرنا إليها فى موضوع الأحلام، والتى تؤكد ما ذهبنا إليه من تصنيف المعلومات فى قوله : **"تتخذ الصورة لنفسها جسدا من اللغة"**. ثم لاحظ كيف أن هذا الجسد اللغوى له جرْس وإيقاع وكثافة، قبل أن يكون له مضمون ودلالة. وأخيرا التأكيد على أنها **حسية، ومرتبة شديدة الحضور البصرى أساسا.**

هل هناك دليل أوضح من هذا يشير إلى أن المعلومات الأساسية فى الإبداع هى "كيانات" حية، وليست مجرد رمز أو تجريد؟ وأن هذه الكيانات هى "الكثير" بداخلنا جميعا؟

نجيب محفوظ: مجلة فصول- المجلد الثانى - العدد الرابع ص: 303 سنة 1982)
... تدب حركة من نوع "ما" (التنصيص من عندى) فينشط الكاتب لتوصيلها إلى القارىء بعد أن تتجسد له فى شكل معين، ما هذه الحركة؟ قد تكون "أى شيء"، أو "لا شيء "بالذات.. ".

القراءة

نلاحظ هنا تعبيرات **"تدب حركة" "ما"**، فلم يستطع محفوظ أن يلتقط من هذا الذى يدب (ينشط) إلا أنه من نوع "ما "، فهو ليس مجهولا كل الجهل، كما أنه ليس محددا بعد. ثم نلاحظ هنا تحديد استجابة الكاتب بأن ثَمّ توصيلا يُلح للإنجاز، وأن ثم "آخرا" يتوجه إليه التنشيط.

ثم يعود محفوظ ليجهّل طبيعة هذه الحركة فى أنها "أى شيء" أو" لا شيء بالذات" على نحو يتحقق معه التأكيد على البدء بحركية حيوية كما ذكرنا، وهو ما يشير إلى أن الخطوات الأولى للإبداع (والحلم) تتميز بحركيتها وتوجهها أكثر مما تتميز بمضمونها أو هدفها (المحدد).

الحركة البدء هنا ليست ترميزا لموجود، ولكنها **تحريك لكيان وكيانات كثيرة، هى نحن "الكثير"**، فى جدل مستمر.

يوسف إدريس: مجلة فصول- المجلد الثانى- العدد الرابع ص: 305 سنة 1982)
".. الإبداع عندى أشبه مايكون بخلق الكون..، سديم من الإحساس يتكون داخلى، ثم تبدأ حركة هائلة الضخامة، بطيئة الوقع. وتتخلق الأفكار من هذه الحركة السديمية للأحداث والشخصيات.. وبتوقف الحركة تكون القصة قد تخلقت فيما أسميه القصة -الكون - الحياة التى هى أعلى مراحل السديم".

القراءة

نلاحظ هنا تعبير"السديم" الذى له معنيان الأول "السديم: الضباب الرقيق"، والثانى: "السديم: مجموعة نجوم تظهر بعيدة، تظهر كأنها سحابة رقيقة"، وكلاهما يفيد ما أريد مما يناسب المقام هنا، والمعنيان متداخلان.

ثم نلاحظ كيف أن هذا السديم عند إدريس ليس مثولا ثابتا، بل هو حركة أساسا (الحركة السديمية)، ومع أنه ألحق بها "للأحداث والأشخاص"، إلا أنها فى مرحلتها السديمية تلك ليست أحداثا بذاتها أو أشخاصا متميزين بقدر ما هى تنبىء، وتجزم فى الوقت نفسه، بأحداث وأشخاص "ما".

ثم إن الأفكار تتولد من هذه الحركة، وكأن الأفكار هنا هى التى تنشىء من هذا الضباب الرقيق (أو تكثفه إلى) ما هو، فهى ليست ترجمة الإحساس إلى مفاهيم بقدر ما هى تخليق لمفاهيم قادرة على استيعاب حركة السديم المنبعثة.

ومن ثَمَّ فإن **الكيانات بداخلنا ليست موجودات ساكنة**، ولكنها كيانات تتخلق، وهى ليست قاصرة على ما شاع عنها، وإنما هى مشتملة لكل معلومة حية بما هى، وبما يخرج منها مع غيرها فى تشكيلات بلا حصر، وحركية لا تتوقف إلا لتنشط.

> **أبو المعاطى أبو النجا:** مجلة فصول- المجلد الثانى - العدد الرابع ص: 261 سنة 1982)
> ".. فأكتب القصة لأعبر عن شىء، أو لأمسك بشىء يتململ فى داخلى، ويعجزنى أن أتعرف عليه قبل أن أضعه فى شراك الصيغة القصصية الملائمة، لأجسد شيئا هلاميا، يفتقر إلى التجسيد، ليكتسب معنى".

القراءة

نلاحظ هنا أيضا معنى التنشيط الداخلى الذى أشرنا إليه، وذلك فى قول أبو النجا: "يتململ فى داخلى".. إن هذا الذى يتململ هو بعيد عن التعرف عليه فى ذاته بما هو، كما هو، إذ لابد أن تصوغه إبداعية الكاتب فى تخليق مكتمل. لاحظ قوله: **أضعه فى شراك الصيغة القصصية**. ثم إن الكاتب قد وصف هذا المستوى المعرفى الأول بـ " الشىء"، وفى الوقت نفسه بالهلامية، وأنه لم يكتسب معناه بعد، ثم إنه لايكتسب معناه إلا بعملية "الوضع (وتضع كل ذات حمل حملها) "فى شراك المستوى المحتوى إياه، المتجادل معه.

أليست كل هذه **كيانات حية**؟ اليس هذا هو **الكثير** الذى نحن مصنوعون منه لنصير؟

ننتقل إلى الشعراء

> **نزار قبانى** (قصتى مع الشعر- بيروت 1974 ص186-187)
> "تأتينى القصيدة - أول ماتأتى- بشكل جمل غير مكتملة، وغير مفسرة، تضرب كالبرق وتختفى كالبرق. لا أحاول الإمساك بالبرق، بل أتركه يذهب، مكتفيا

بالإضاءة الأولى التى يحدثها... أرجع للظلام وأنتظر التماع البرق من جديد، ومِن تجمع البروق وتلاحقها، تحدث الإنارة النفسية الشاملة... وفى هذه المرحلة فقط أستطيع أن أتدخل إراديا فى مراقبة القصيدة ورؤيتها بعقلى وبصيرتى".

القراءة

هذا مثال آخر لمستوى مختلف من الشعر، نلاحظ فيه أن الشاعر يظل محتفظا بنبض المستوى الأول نفسه، حتى تظهر ملامحه فى القصيدة نفسها بعد اكتمالها، وذلك من خلال مظاهر التكثيف والشفافية وتعدد الأبعاد فى أكثر من توجه "معا". ثم إنه يستعمل كلمة "السديم" نفسها (مثل إدريس)، ولكنه يستعملها لوصف القصيدة ذاتها وليس لتفسير الحركة المخلَّقة لها.

وبعد

نرجع إلى بداية هذا الفرض التوضيحى الذى ينبه **إلى علاقة فكرة التعدد بالحركة، وليس بمجرد تعداد الكثيرين بداخلنا.** إن صحة هذا الفرض إنما تدعمها حركية عملية الإبداع كما بَيَّنَا.

الذى يترتب على ذلك هو **التراجع عن المبالغة فى التأكيد على التعدد بمعنى العدد، أو حصر هذا التعدد فى وحدات بذاتها** لها حدودها المتميزة المنفصلة، نتراجع عن هذا التناول السكونى المختزل، ليتسع وعينا **إلى قبول فكرة الكثرة بما يسمح بتجسيد وحداتها بعمليات مختلفة لأهداف متنوعة.**

ففى **الإبداع** كما ظهر من مقتطفات شهادات المبدعين، ومن قراءتنا لها تتجسد الوحدات معا **فى حركية جدلية ليعاد التشكيل.**

وفى **الدراما (النفسية) فى العلاج الجمعى** مثلا **"تتعين"** الوحدات حسب الدور الذى تلعبه أثناء تفاعل ما، كما يجرى أحيانا تعيين Concretization الأفكار فى **كيانات يمكن أن تتجسد** وتمثل(فبدلا من الحديث عن الحرية - مثلا - يجسد الكيان الحر ليلعب دوره، مقابل كيان خائف من الحرية) **(وهكذا).**

الخلاصة

- إن قبول فكرة التعدد يشمل السماح بحركية إعادة التشكيل (الإبداع).
- إن **تجسيد حركية التعدد فى كيانات لحظية** هو مفيد لتعميق التعامل مع كيانات قابلة وقادرة ألا تكون كيانات مستقلة نافرة أو غاطسة.
- إن **التوقف عند "لفظنة" فكرة التعدد**، يقلبها لعبة كلامية معقلنة مفهومية مُفْرغة.
- إن **إلغاء فكرة التعدد** خوفا من الاستسهال، والتسطيح والتسيب مهما بدا توقّيا لكل ذلك هو مخاطرة على حساب الحقيقة والمعرفة الأصعب.

- إن البحث عن لغة ومنهج أكثر قدرة على استيعاب مفهوم التعدد هو جار وواعد غالبا من خلال الانجازات الأحدث لكل من اللغة والمنهج.

- إن حركية الإبداع هى شديدة الارتباط بحركية التعدد تفكيكا وجدلا وتشكيلا وتوجها.

- إن الربط بين حركية الإبداع، والجدل مع حركية الوعى الكونى، وطبيعة السعى المتواصل بينهما قد يكون مدخلا إلى الاستفادة من خبرات إبداع الوعى الذاتى فى رحاب الوعى الكونى (التصوف: إبداعاً) كدحا إلى وجه الحق سبحانه بغير نهاية.

- إن إنكار حركية التعدد قهراً وكبتاً مطلقا يمكن أن يترتب عليه توقف النمو (اللا إبداع) كما يتجلى فى بعض أنواع اضطراب الشخصية.

- إن الإفراط فى السماح بطلاقة التعدد دون إعادة تشكيل، أو تمحور ضام، يسمح للتعدد أن يفكك "الواحدية" بتفعيل متناثر، وهو ما يظهر عادة فى صورة ما يسمى الفصام.

خاتمة

إن معايشة فكرة التعدد مع مرضى متوسطى التعليم وأمّيين من مختلف الأعمار والطبقات الاجتماعية يتم بسلاسة وواقعية فى العلاج الجمعى (مثلا) دون أية حاجة إلى كل ما سبق من تنظير!!!

الإثنيـــــــن 10-12-2007

101- الطفـــل والتعـــــدد والنمـــــــو والإبـــــداع

مقدمة

يبدو (مرة أخرى) أنه لا مفر من استمرار فتح ملف **"تعدد الذوات"** فى التركيب البشرى، والذى اسميناه بالعامية المصرية، "أنا واحد ولاّ كتير" فثبت أنه اسم أبلغ دلالة، ذلك أننى بعد كل يومية فى هذا الموضوع ألاحَقُ (أو أتصور أننى ألاحَقُ) بتساؤلات أو اعتراضات أو حماس وتصفيق، أشعر من خلالها جميعا أننا بعيدون عن الإلمام بأبعاد القضية كما عاينتها وأريد توصيلها بشكل أو بآخر.

حين عرجت أمس إلى علاقة الإبداع بفكرة التعدد، أو بدقة أكثر، بحقيقة **حركية التعدد**، كنت آمل أن أنجح فى التأكيد على ما هو حركية فى هذه القضية، بديلا عن التوقف للتوصيف الساكن لذوات متعددة، مهما أوضحنا آليات وإعراب العلاقات بينها.

فإذا حاولنا مراجعة **اختبار هذا الفرض كما تم فى برنامج "سر اللعبة"** link & link مع **أسوياء** متطوعين، لوجدنا أن النجاح الذى تحقق نسبيا فى إثبات الفرض تمّ من خلال أن اللعب **نجح فى تحريك الوعى نحو احتمالات ممكنة**، دون فرض وجهة نظر بذاتها.

الذى زاد الأمور اهتزازا أو خطرا، لم يأت من ناحية المتحفظين والمترددين فى قبول الفكرة، بل من حماس الموافقين المختزلين لها. من أهم أشكال الاختزال كان الاقتصار على استعمال بعض لغة نظرية التحليل التفاعلاتى Transactional Analysis، أقول "بعض" هذه اللغة وليس كلها، الثالوث الذى يستعمل عادة هو ثالوث حالات **"الطفل"، "اليافع"، "الوالد"**. نادرا ما قابلت من يعطى مستوى التحليل الفوقى أو البعدى Meta-analysis، أهمية كافية، وكذلك لا أحد يستعمل مفهوما أدق وربما أهم هو مفهوم "وحدات الآنا" أو **"وحدات الذات"** Ego Units.

التحليل البعدى يتكلم عن أن كلا من هذه الذوات الثلاث الأشهر هى فى ذاتها تحتوى طفلا يافعاً ووالدا.

أما "وحدات الذات" فهى تعنى عددا بلا حصر من وحدات "فكر-وجدانية-سلوكية" معا، يعلوا بعضها بعضاً، أو يتلو بعضها بعضاً.

ما أسهل أن نتكلم عن الطفل بداخلنا. أو أن فلانا مهما بلغ سنه أو شاعت عبقريته يتصرف بطفولة جميلة وطازجة، فيبدو طفلا كبيراً، المسألة ليست بهذه البساطة، كما أن هذه البساطة لا تخدم الفكرة (أو الحقيقة) بما تستحق.

البداية

لعل البداية من حركية الإبداع قد وضعتنا أمام ما ينبغى تناوله بمزيد من التوضيح تدريجيا، وهو أن نواصل تقديم ما يدعم الفكرة (أو الحقيقة) **من خلال تطبيقاتها وتجلياتها عند الأسوياء قبل المرض**، أكثر من التنظير والمناقشات فإذا كنا قد بدأنا بالمتطوعين فى برنامج "سر اللعبة"، ثم عرجنا إلى شهادات المبدعين، فنحن اليوم نحاول أن نتبين مزيدا من معالم الأطروحة من خلال النظر **فى الطفولة على مسار النضج.**

مسار النمو وتشكيلات التعدد والواحدية:

- يولد الطفل وهو يحمل كل تاريخ التعدد الذى يمثل تشكيلات كل الأحياء التى كانها وتطور من خلالها، حتى أفرزته (بإذن الله).
- منذ هذا البدء يتناغم إيقاعه الحيوى الفطرى مع الإيقاع الحيوى الكونى لمُنطلق "الانفصال للأتصال"، ذلك لأن **ولادته بشرا تعنى استعداده لأن يكون له وعى ذاتى:** انفصالا مؤلما عن الوعى الكونى، فى طريقه إلى اكتساب **وعيه الخاص** دون خلع مُبَاعد، بقدر ما هى تعلن **بداية مسيرة طويلة واعدة.**
- تتلاحق وتتابع بعد ذلك نبضات الإيقاع الحيوى للنمو والتناسق فيعيد الكائن البشرى تاريخه النابض، فى مراحل متعاقبة:

  نعرف ويمكن أن ترصد بعضها،
  ونستنتج بعضها.
  ونتخيل بعضها
  ونجهل أغلبها.

- وفى كل مرحلة، قصُرَتْ حتى الثوانى، أو طالت حتى السنوات يكون الإنسان الفرد **واحدا ظاهرا فى لحظة بذاتها.**
- وفى نفس الوقت هو يحتوى حركية التعدد (أو هو يحتوى التعدد حركية) نابضا من خلال دورات الإيقاع الحيوى.
- ومع كل نبضة نمو -التى قد تمتد سنين عددا خاصة فى أزمة المراهقة ومنتصف العمر- يعاد تشكيل التركيب البشرى بحيث تصبح العلاقة بين الكيانات ليست مجرد ترجيح كيان مناسب واحد ظاهر فاعل للموقف الآنى، وإنما عملية تخليق واحدية ضامة طول الوقت من خلال الإيقاع الحيوى المستمر (بطؤزَيه: الإستيعاب والبسط).

- تتخلق هذه الواحدية الضامة من جدل مستمر، فى تطور مستمر، يشمل أكثر فأكثر ما نجح أن ينضم إليها فيتمثلها لتظل نامية متوجهة إلى غايتها.
- لا تتحقق هذه الواحدية كاملة أبدا طالما ظل الإنسان هذا هو الكائن الذى نعرفه بشرا.
- وبالتالى يظل الإيقاع الحيوى نابضا على المستويات التى نعرفها والمستويات التى لا نعرفها، ويظل النمو مضطردا حسب الفرص المتاحة.
- توازيًا مع هذه المسيرة، يظل الإيقاع الحيوى الكونى متسقا متناغما -بدرجات مختلفة -بشكل أو بآخر مع الإيقاع الحيوى الذاتى (ربما مرورا بدورات نمو المجتمعات والحضارات).
- كلما تقدمنا فى مسيرة النمو تزايد احتمال تخليق الواحدية الضامّة التى تتناغم مع الإيقاع الكونى أكثر فأكثر باضطراد.
- فى أزمة الموت، يعود التناغم بين الوعى الذاتى والوعى الكونى متسقا بقدر نجاح نمو هذه الواحدية النابضة فى تناسق مع إيقاعية الكون توجها إلى وجه الحق تعالى.

حدس من الإبداع للطفل يدعم فرض التعدد.

تناولت قبلا رأيا أن الباحث هو أداة البحث وحقله فى دراسة الطفولة (والجنون)Link ، كذلك فإننى أرى أن المبدع (وهو باحث فائق إن صدق إبداعه) هو أيضا أداة إبداعه وهو يتحسس طريقة إلى عالم الأطفال، أو وهو يوجه خطابه للأطفال، أو وهو ينقد نصًا عن الأطفال.

مقتطف دال، ومقتطف

سوف أحاول الآن عرض بعض ما يدعم فرض التعدد هنا من اقتطافات محدودة قمت بها ناقدا فى هذا المجال:

(1) من نقد نيتوتشكا نزفانوف: ديستويفسكى

ذكرت فى هذا العمل Link كيف تعلمت سيكولوجية الطفولة، وسيكولوجية النضج من ديستويفسكى أكثر مما تعلمته من كتب علم النفس والتربية، وسوف أقتصر على بضعة إشارات لأدوار تجلت فى الطفلة نيتوتشكا، هذه الأدوار هى ما قد نشير إليها أحيانا باعتبارها كيانات

منذ البداية بدت نيتوتشكا **أمّا لأبيها** كالتالى:

نيتوتشكا: **"حتى لأستطيع أن أقول أن هذه العاطفة تشتمل على شئ مما تشعر به الأم نحو إبنها من حب وقلق" (ص66)**

وهى ذات نفسها تعلن غرابة الأمر (لنتعلم! وياليتنا نفعل) وهى تكمل:

"إن لم يكن مضحكا أن توصف عاطفة طفل بمثل هذا" (ص66)

يبدو أن الذى يحدد "مَنْ الوالد" و" مَنْ الطفل" ليس هو

السن أو القُبل العُلوية أو مَنْ يجلس على ركبتىْ من، وإنما اتجاه الاعتمادية ونوع وعى كل طرف بالآخر:

فالأب هنا بدا هو الأضعف، إذن: فهو أولى بالطفولة!.

"كان يتراءى لى أن أبى حقيق بالرثاء، معذب، مضطهد" (ص66)

ثم بالتالى:

"وأن من الظلم ألا أحبه حبا قويا" (ص66)

"ومع أنى كنت طفلة، استطعت أن أنفذ إلى أعماقه" (ص102)

"لا شك أنه هو الطفل لا أنا، ما دام يحدثنى بهذه اللهجة عن أعدائه" (ص102)

وقد ظلت أمومتها لأبيها تلاحقها حتى فى أقسى لحظة فى حياتها حين تركها فى الشارع غدرا بعد وفاة والدتها، فبدلا من أن تثور عليه وترفضه أو على الأقل تعامله تَرْكَاً بَتْرِكِ، ظلت تجرى وراءه لا لتحتمى به.. ولكن لترعاه:

"أخذت أعدو وراءه عدوا سريعا وقد تملكنى خوف مجنون.. ووجدت قبعته فى الطريق، لقد سقطت عن رأسه وهو يعدو فحملت القبعة وتابعت عدوى.. كنت أشفق على أبى، كان صدرى يختنق إذ أتذكر أنه بلا معطف، وبلا قبعة، بعيدا عني"

ثم تتجلى لنا نيتوتشكا فى تشكيلات وكيانات عدة أطفال بالتبادل غالبا، فثمة: **الطفلة الدمية، الطفلة الطفلة، والطفلة الأخت، والطفلة الأم.**

قد يقال إنها أوجه مختلفة لسلوكيات متنوعة (ومتناقضة) حسب المواقف المختلفة، لكن النقد ناقش ذلك وما وراءه من كيانات دون أن ينفيه.

ويمكن الرجوع إلى كل ذلك فى النقد الأصلى link ، وفيه امتداد إلى مثل ذلك فى "قصة البطل الصغير" لديستويفسكى أيضا.

هانز كريستيان أندرسون

فإذا انتقلنا من ديستوفسكى إلى هانز كريستيان أندرسون، لراعتنا ثلاثة أمور

الأول: كيف عرف هذا المبدع الشاعر الجميل ذلك التركيب المتعدد النامى للأطفال إلا بأنه استطاع أن يحرك أطفاله بداخله

الثانى: كيف استطاع من خلال ذلك وغيره أن يخاطب الأطفال (بما فى ذلك الأطفال داخلنا)

الثالث: كيف بحدسه الشعرى والإبداعى رصد مسيرة النمو هكذا من خلال هذا التعدد.

قصة الظل(1[1])

سوف أثبت القصة كلها حتى استغل سماح المساحة (ما دمنا في الموقع الرحب)،

ولأني أشك أن اختزالها أو تلخيصهما يمكن أن يقوم بتشويهها،

كما أني استبعد أن يكون القارئ (الزائر) قد قرأها، أو إذا كان قد قرأها أنه مازال يتذكرها.

القصة: (الظل)

(ص 75) 2[2] في البلاد الحارة، حيث الشمس حارقة يصطبغ الناس بلون بنِّي تماما، وفي البلدان الأشد حرارة يحترقون حد السواد، ولكن هذا ولحسن الحظ كان يحدث فقط في البلاد الحارة. طالبُ علم قد جاء البلاد الباردةِ واعتقدَ أن بإمكانهِ تدبر أمرَ ذلك، كما في بلده. لكنه سرعان ما أقلع عن الفكرة، فهو وكل الناس العاقلين كان عليهم البقاء داخل بيوتهم.

مصاريع الشبابيك والأبواب مغلقة طوال اليوم، يبدو وكأن البيوت بمن فيها نيام، أو كأن لا أحد فيها. الأزقة الضيقة بين البيوت العالية، حيث يسكن، كانت هي الأخرى قد بُنيت أيضا بحيث تظلُ أشعة الشمس من الصباح إلى المساء هناك. لم يكن الأمر يطاق بالفعل! (ص 76) "طالب العلم" القادم من البلاد البادرة كان رجلا شابا، رجلا ذكيا، شعر بأنه قد جلس في فرن ساخن. لقد تمكن الحر منه، هَزُلَ تماما، حتى ظله انكمش، صار أصغر بكثير مما كان عليه في بلده، فالشمس قد أخذت منه مأخذا، لم يكونا، هو وظله، يعيشان إلا بعد مغيب الشمس عند المساء.

كان مثيرا للدهشة رؤيةَ الظل حال دخول الضوء إلى الصالة، وهو يتمدد عاليا على طول الجدار، بل وحتى السقف. لقد استطال كثيرا. كان عليه أن يتمطى ليسترد قواه. خرج طالب العلم إلى الشرفة ليتمدد هناك.

مع ظهور النجمة تلو الأخرى في ذلك الجو الصافي اللطيف يشعرُ وكأنه يعود إلى الحياة مرة ثانية.

أطل الناس من كل الشرفات في الشارع، ففي البلاد الحارة هناك لكل شباك شرفة، لأن المرءَ يحتاج إلى نسمة هواء، رغم أن المرء اعتاد أن يكون بلون بني!

دبّت الحياة في كل مكان فنزل الإسكافيون، الخياطون وكل الناس إلى الشارع. ووُضعتْ الطاولات والكراسي، وأوقدت الشموع، أجل، أكثر من ألف شمعة أُوقِدت. وهناك واحدٌ يحكي وآخرٌ يغني، والناس تتمشى، العربات تروح وتجئ، والحمير تحمل أجراسا تصدر أصواتا "دنك دنك دنك"، وهناك جثمان يدفن ترافقه التواشيح، والأولاد يقذفون الحجر بنقافاتهم، وأجراس الكنائس تُدَقُ. أجل، كانت هناك حياة نشيطة في الشارع.

ما عدا ذلك البيت المقابل، حيث يسكن طالب العلم الغريب، كان هناك هدوءٌ مطبق. ومع ذلك فهناك يعيش أحدٌ

ما، ففى الشرفة زهور انتعشت بحرارة الشمس، فهى لم تكن كذلك لو لم يتمْ سقيُها، إذ لابد من أحدٍ ما يسقيها، لابد من وجود أناس هناك. فُتِحَ باب الشرفة أخيرا فى وقت متقدم من ذاك المساء، وكان الداخل مظلما، على الأقل فى الغرفة الأمامية. ومن العمق ينبعثُ صوت موسيقى. (ص 77) دُهِشَ الرجل طالب العلم الغريب فذلك لم يكن له مثيلٌ، ولكن ذلك يمكنُ أن يكون مجرد خيالٍ لأنه وَجَدَ كلُّ شئ استثنائيا فى تلك البلاد الحارة، لو لم تكن هناك شمسٌ.

المؤجر قال بأنه لم يعرف من استأجر البيتَ المقابل، لم ير المرء أناسا، وأما ما يخص الموسيقى يعتقدُ هو بأنها مملة بشكل فظيع" وكأن أحدا ما قد جلس وتمرن على معزوفة لم يتمكن الخروج منها، دائما ذات المعزوفة، "سأخرج منها حتما!"، ولكنه لن يخرج منها، مهما طال عزفه".

ذات ليلة صحا الغريب، إذ كان نائما وباب الشرفة مفتوح، ارتفعت الستارة أمامه بفعل الريح، واعتقد هو بأن لمعانا عجيبا جاء من شرفة الجار المقابل، كلُ الزهور التمعت كالشعلات بأجمل الألوان وفى وسط الزهور وقفت عذراء رشيقة مليحة، وكأنها هى أيضا أضاءت. غشى الضوء عينيه، ففتحهما على وسعهما، وبقفزة واحدة كان على الأرض. وبجذر خرج من خلف الستارة، ولكن العذراء كانت بحالة جيدة كما هى دوما. كان الباب مواربا، ومن العمق تتردد الموسيقى، عذبة وجميلة. وكان يمكن للمرء أن يسرح حينها كليا فى أفكار حلوة. كان الأمر فى الواقع كمشهد سحرى، من يسكن هناك ؟ وأين هو المدخل الحقيقى؟ كل الطابق الأرضى كان مقسماً إلى دكاكين متلاصقة، فلا يمكن للناس على أية حال دوما المرور من خلالها.

ذات مساء جلس الغريب فى الشرفة، كان الشمع من خلفه داخل الصالة موقدا، ولهذا كان من الطبيعى أن يكون ظلهُ على جدار جاره المقابل، نعم، استقر هناك بين الزهور تماما فى الشرفة، وعندما يتحرك الغريب، يتحرك الظل أيضا، وهذا هو الطبيعى.

"أظن بأن ظلى هو الوحيد الحى هناك"! قال الرجل طالب العلم "انظر، كم هو لطيف وهو يجلس وسط الزهور، الباب مواربٌ، والآن على الظل أن يكون حاذقا ويمشى إلى الداخل، ينظر لما حوله ثم يأتى (ص 78) ويحدثنى عما رآه، نعم، عليك أن تقوم بعمل مفيد "قال مازحا" ادخل هناك، ماذا! هل ستذهب؟" ومن ثم أحنى رأسه إلى الظل، فأحنى الظل رأسه موافقا. "أجل، إذاً إذهبْ، ولكن لا تغبْ طويلا!"

نهض الغريب من مكانه فنهض ظله فى شرفة الجار المقابل أيضا، واستدار الغريب فاستدار الظل أيضا، أجل، لو انتبه أحد بشكل جيد لكان بإمكانه أن يرى بوضوح، أن الظل قد دخل من خلال باب الشرفة المواربة عند الجار المقابل، فى اللحظة التى دخل فيها الغريب صالته وترك الستارة الطويلة تنسدل خلفه.

فى اليوم التالى ذهب الرجل طالب العلم ليشرب القهوة ويقرأ

بعض الصحف. "ولكن ما هذا!" قال عندما خرج تحت أشعة الشمس، "أين ظلى! إذاً لقد راح البارحة فعلا ولم يعدْ ثانية، إن هذا لأمر مؤسف!

أزعجه ذلك كثيراً، ليس لأن الظل اختفى، ولكن لأنه علم بأن هناك قصة ثانية لرجل بلا ظل، يعرفها الناس جميعا فى البلاد الباردة، والآن لو جاء طالب العلم نفسه وحكى قصته، سيقول الناس بأن هذه ليست قصته، وهو لم يكن بحاجة لذلك، لهذا لم يشأ إطلاقا التحدث عن ذلك، وهذا كان تفكيرا معقولا.

عند المساء خرج إلى الشرفة مرة أخرى، وضع الشمعة تماما خلفه، لأنه عرف بأن الظل يريد سيده غطاء له دوما، ولكنه لم يستطع غوايته كى يظهر. جعل من نفسه صغيرا، كبيرا، ومع هذا لم يكن هناك ظل، لم يكن هناك أحد! تنحنح، إحم! ولكن بلا جدوى.

كان الأمر محزنا، ولكن فى البلاد الحارة والتى ينمو بها كل شئ بسرعة فائقة، لاحظ ويا لسروره الكبير وبعد مرور ثمانية أيام بأن ظلا جديدا قد نما له، برز من قدميه عندما خرج إلى أشعرة الشمس. لابد إن الجذر كان باقيا فى مكانه. بعد ثلاثة أسابيع صار لديه ظل لا بأس به. وعندما قفل راجعا إلى البلدان الشمالية، نما أثناء الرحلة أكثر وأكثر، حتى إنه أصبح أخيراً طويلا وكبيرا جدا حيث إن نصفه يكون كافيا، (ص79) ولما وصل طالب العلم إلى بلده ألف كتبا حول ما هو حقيقى فى العالم، وحول ما هو خير، وحول ما هو جميل. ومرت الأيام، والسنوات، سنوات عديدة.

وذات مساء وعندما كان جالسا فى صالته، نقر على الباب نقر خفيف.

"ادخل! قال طالب العلم، فلم يدخل أحد، قام وفتح الباب، فرأى انسانا نحيفا للغاية أمامه، اعتراه إثر ذلك شعور غريب بالمناسبة كان هذا الإنسان حسن الثياب، ومظهره يدل على أنه ذو حسب ونسب.

"من الذى تشرفنى مخاطبته ؟" قال طالب العلم.

"نعم، هذا ما فكرت به!" قال الرجل الأنيق" حضرتك لم تتعرف على! لقد صار لى جسم، لدى الآن وفر من اللحم والثياب. حضرتك لم تفكر أبدا بالتأكيد فى يوم ما بأن تراني بهذا الجاه. ألم تتعرف حضرتك على ظلك القديم؟ نعم، بالتأكيد لم تعتقد حضرتك بأنى سأعود ثانية. معى سارت الأمور بشكل جيد للغاية منذ آخر مرة كنت فيها عندك. لقد صرت صاحب ثروة ونفوذ! لو كنت عبدا فبإمكانى شراء حريتى!" خرخشتْ المسكوكات الثمينة التى كانت معلقة بالساعة عندما أمسك بيده السلسة الذهبية السميكة التى حملها حول رقبته، يالروعة فالأصابع كلها تلمع بالخواتم الماسية! وكلها أصلية.

"هل أنا فى وعيى! "تساءل الرجل طالب العلم، " ما كل هذا!"

[1]1 – هذا الجزء مقتطف من مقال نقدى أطول للكاتب ظهر فى وجهات نظر، باسم أطفالنا بين روح الشعر ونظم الحكمة، مارس 2005

[2]1 – هانز كريستيان اندرسون، جريدة القاهرة "الجزء الثانى"، دار المدى، 2005

"معك حق، ليس الأمر عاديا، قال الظل، ولكنك أيضا لست من العامة، وأنا تعرف تماما حضرتك، مشيت منذ نعومة أظفارى على خطاك. حالما تأكدت بأنى قادر لأن أتدبر شأنى وحدى شققت طريقى الخاص بنفسى، أنا الآن فى عز تألقى ولمعانى، لكن داهمنى نوع من الحنين لرؤية حضرتك، قبل أن تموت حضرتك، أنت تعرف بأن حضرتك ستموت ! أنا أود لو أرى مجددا تلك البلدان، لأن المرء يحن بالتأكيد دوما إلى أرض أجداده! وعلمت بأن حضرتك قد حصلت على ظل (ص 80) جديد من جديد، أمدين أنا لحضرتك أو له بشئ لأدفعه؟ حضرتك تأمر."

"أحقا هو أنت!" قال طالب العلم، "إن هذا لأمر غريب جدا! لم أعتقد يوما بأن ظلا قديما لإنسان ما يمكن أن يعود لهيئة إنسان!"

"قل لى، كم على أن أدفع! قال الظل، "فأنا لا أحب أن تكون على ديون من أى نوع!"

"كيف لك أن تقول هذا! "قال طالب العلم. "ما علاقة هذا بالديون! لتتحرر كأى شخص آخر! يسعدنى جدا أن يوافيك الحظ! إجلس أيها الصديق القديم، حدثنى ولو قليلا، كيف حدث ذلك، وما الذى رأيته عند الجار المقابل هناك فى البلاد الحارة!"

"نعم، سوف أخبر حضرتك، "قال الظل وجلس، "ولكن على حضرتك أن تعدنى، بألا تخبر احدا هنا فى المدينة، وحيثما تلقانى، بأننى كنت ظل حضرتك! ففى نيتى أن أخطب فتاة، لأن بمقدورى الآن إعالة أكثر من عائلة!

"إطمئن تماما!: قال طالب العلم، "لن أخبر أحدا عن حقيقة من تكون! هاك يدى، أعدك والرجل كلمة!"

"الكلمة ظل!"

قال الظل، ولم يمكنه قولها بغير هذا الشكل.

وغريب كم بدا ذلك الظل إنسانا، بلباسه الأسود، والذى كان من أرقى الثياب، والجزمة اللامعة، والقبعة التى يمكن أن تطبق فلا يظهر منها غير أعلاها وصيوانها، عدا عن الذى عرفناه من قبل من مسكوكات، وسلسلة العنق الذهبية وخواتم الألماس. أجل، الظل كان أنيقا بشكل غير عادى، وهذا كان بالضبط ما جعله يبدو وبالفعل إنسانا.

"والآن دعنى أخبرك!" قال الظل، وخبط بالجزمة اللماعة الأرض بكل ما أوتى من قوة على ذراع الظل الجديد لطالب العلم، والذى استقر ككلب البودل عند قدميه، وكان هذا إما لحماسته، أو لأنه أراد من الظل الجديد أن يواصل الإصغاء. وبقى الظل المستلقى ساكنا هادئا (ص 81) حريصا على الإنصات. هو بالتأكيد يود معرفة كيف يمكن للمرء أن يتحرر هكذا ويرتقى ليصير سيد نفسه.

"هل عرفت حضرتك من الذى كان ساكنا فى البيت المقابل؟"

سأل الظل". كان أهل الكل، كانت روح الشعر! كنت هناك لثلاثة أسابيع، كان مفعولها كما لو كان المرء قد عاش لثلاثة آلاف سنة وقرأ كل ما نظم وكتب من شعر، ولأنى أنا الذى أقول، فهو صحيح، لقد رأيت كل شئ وأعلم كل شئ!"

"روح الشعر!" صاح الرجل طالب العلم!" نعم، نعم، إنها متصومعة دوما فى المدن الكبرى! روح الشعر! أجل، لقد رأيتها مرة خطفا، ولكن النعاس لحظتها قد أطبق على عينى! كانت تقف فى الشرفة، أشرقت كما يشرق الشفق الشمالى! إحك، إحك! كنت فى الشرفة، دخلت عبر الباب، ثم..!" سأل طالب العلم.

"ثم صرت فى الممر الموزع!" قال الظل. "حضرتك كنت دائما تجلس وترنو إلى الممر. لم يكن هناك ضوء نهائيا، فهناك ما يشبه الشفق، ولكن الأبواب كانت جميعا مفتوحة الواحد على الآخر على طول الصالات والقاعات، وهناك أضئ المكان، لو كنت دخلت حيث العذراء لكنت قد مت، لكنى كنت متأنيا، أخذت بعض الوقت للتفكير، هذا عين الصواب!"

"وما رأيت بعدها؟" سأل الرجل طالب العلم.

"رأيت كل شئ، ولسوف أحكى لحضرتك، ولكن، ليس اعتزازا بنفسى، ولكن، ككائن حر وبهذه القابليات التى لدى، إضافة إلى وضعى الجيد وأحوالى الحسنة، أتمنى من حضرتك لو تخاطبنى بشكل رسمى!"

"المعذرة!" قال طالب العلم، "إنها عادة قديمة متأصلة! حضرتك على حق تماما! ولسوف أتذكر ذلك، ولكن الآن ستخبرنى حضرتك عن كل شئ رآه حضرتك!"

"كل شئ" قال الظل، "لانى رأيت كل شئ، وأعلم كل شئ!" (ص 82) "كيف بدت الصالات فى عمق البيت؟ "سأل طالب العلم.

"هل كان مثل دخول فى غابة نضرة أو كدخول إلى كنيسة مقدسة؟ وهل كانت الصالات كبيرة مفتوحة وكأنها السماء المرصعة بالنجوم عندما يقف المرء على الجبال العالية؟"

"كل شئ كان هناك" "قال الظل. "حقيقة لم أدخل تماما إلى الداخل، بقيت فى الغرفة الأمامية عند الشفق، ولكنى كنت واقفا بمكان مناسب، رأيت كل شئ، وأعلم كل شئ!، لقد كنت مع حاشية روح الشعر فى الممر الموزع".

ولكن ما الذى رأه حضرتك؟ هل مر بالقاعات الكبيرة كل آلهة العصر القديم؟ هل حارب هناك الأبطال القدماء؟ هل لعب الأطفال الجميلون وحكوا عن أحلامهم؟"

"أقول لحضرتك، كنت هناك، هل بإمكانك أن تدرك، رأيت كل ما يمكن أن يرى! لو جئت حضرتك هناك، لما صرت إنسانا، ولكننى صرت" وعرفت طبيعتى أيضا، وما خلقت عليه، علاقتى العائلية بروح الشعر. أجل، عندما كنت مع حضرتك فى ذلك الزمن لم أفكر بذلك. ولكن بشروق الشمس، بغيابها، كما تعرف حضرتك، صرت كبيرا بشكل غريب على ضوء القمر كنت أوشك

تقريبا أن أصير أوضح من حضرتك. لم أفهم وقتها طبيعتى، أدركت ذلك فى المرر الموزع! صرت إنسانا! خرجت راشداً، كنت حضرتك حينها قد تركت البلاد الحارة، خجلت من نفسى، كإنسان، بأن أخرج بالطريقة التى خرجت بها. احتجت إلى جزمة، لباس، إلى كل تلك الهيئة الإنسانية، التى تجعل إنساناً ما مُغَرّفا. انطلقت، أجل، أقولها لحضرتك وحدك، ولن تذكر حضرتك هذا فى كتاب، تسللت داخل تنورة الخبازة، اختفيت تحتها. لا تعلم تلك المرأة بما خفى تحت تورتها، لم أخرج إلا عند حلول المساء، تنقلت من مكان لآخر تحت ضوء القمر فى الشارع. أطلت قامتى على طول الجدار، ذلك يدغدغ الظهر بشكل لذيذ! ركضت إلى الأعلى، وركضت إلى الأسفل، نظرت عبر أعلى النوافذ، إلى الداخل (ص 83) فى القاعة وعلى السقف، نظرت فى أمكنة لا يمكن لأحد أن يصلها، ورأيت ما لا يمكن لأحد أن يرى. وما لا يجب لأحد أن يرى! إنه عالم وضيع! لم أشأ أن أكون إنسانا، لو لم يكن هذا الأمر ذا اعتبار ومقرر من الجميع! رأيت كل ما لا يخطر على بال بين النساء، عند الرجال، عند أولياء الأمور، والأطفال الذين لا يضاهيهم أحد. "علمت" قال الظل، "ما لا يجب لإنسان أن يعلم، ولكنه يتحرق لمعرفته، كمصاب الجار، لو كتبت جريدة، للاقت رواجا! ولكنى كنت أكتب للشخص المعنى تحديدا، فيحل رعب فى كل المدن التى أحل بها. صاروا يخافون منى كثيرا! ولهذا أحبونى كثيرا! البروفيسورية جعلوا منى بروفيسوراً، الخياطون أعطونى لباسا جديدا، لهذا أنا مجهز بكل شئ، والذى يسك النقود سك لى نقوداً، والنساء قلن لى بأننى جميل جدا! وهكذا صرت الرجل الذى أنا عليه اليوم! والآن أودعك، هاك بطاقتى، أسكن فى جهة الشمس، وعلى الدوام فى البيت فى الجو الممطر! وخرج الظل.

"عجيب غريب!" قال طالب العلم.

مرت السنون والأيام، وجاء الظل مرة أخرى وسأل، "كيف تسير الأمور؟"

"أوه" قال الرجل طالب العلم، "أكتب عن الحقيقة والخير والجمال، ولكن لا أحد يعجبه سماع شئ من هذا القبيل، أنا بالفعل يائس، لأن ذلك يغمنى.

"لكن أنا لا! "قال الظل" أنا اصير أسمن، وهذا ما يجب على المرء أن يحرص على أن يكونه! نعم، حضرتك لا تفهم حقيقة هذا العالم، ستمرض حضرتك من جراء ذلك، وعلى حضرتك أن تسافر! سأقوم برحلة فى الصيف، هل ترافقنى حضرتك؟ أتمنى أن يكون لدى رفيق سفر! هل ترغب حضرتك بالسفر معى، كظل؟ إنها لمتعة كبيرة أن تكون حضرتك معى، أنا أتكفل مصاريف الرحلة!"

"إن هذا لكثير!" قال طالب العلم.(ص 84) "ذلك يعتمد على رؤية المرء للأمر! "قال الظل"، ستجنى الكثير من السفر! إن قبلت أن تكون ظلى، ستحصل على كل شئ مجانا فى الرحلة!".

هذا جنون! "قال الرجل طالب العلم.

"هكذا هو العالم اليوم! "قال الظل"، وهكذا سيبقى وراح الظل.

لم يكن الرجل طالب العلم على ما يرام. الحزن والعذاب طارداه، وما قاله عن الحقيقة والخير والجمال، كان بالنسبة للغالبية كإهداء وردة لبقرة! وأصبح أخيرا مريضا بالفعل.

"تبدو حضرتك بالفعل كظل" قال الناس لطالب العلم فاقشعر بدنه للقول، لأنه كان يفكر بذلك.

"يجب على حضرتك أن تقصد حماما صحيا!" قال الظل، الذى جاء لزيارته، "لا حل غير ذلك! سآخذ حضرتك معى من أجل معرفتنا القديمة، أنا أدفع تكاليف الرحلة، أما حضرتك فعليك الكتابة وشئ من قبيل الترفيه عنى فى الطريق! لأنى أود الذهاب إلى حمام صحى، لحيتى لا تنمو كما يجب، إنه مرض، واللحية لابد منها! كن حضرتك عاقلا واقبل العرض، سنسافر كأصدقاء!".

وسافرا معا، الظل كان هو السيد، والسيد كان الظل. انطلقا سوية، ركبا العربة ومشيا معا، جنبا إلى جنب، أمام وخلف، حسب موقع الشمس. الظل حرص على الجلوس دائما بمكن السيد، أما طالب العلم فلم يفكر هكذا بالأمر، كان ذا قلب طيب، ورقيقا ولطيفاً جدا، وذات يوم قال للظل: "بما أننا أصبحنا رفيقى سفر، كما نحن الآن، ونحن أيضا قد نشأنا منذ الطفولة معا، ألا نشرب نخب رفع الكلفة بيننا، إنه أمر أكثر ألفة!"

فرد الظل الذى كان هو السيد الآن "سمعت حضرتك، فاسمعنى الآن، قولك مباشر وصريح وبنية حسنة، وأود أنا أن أكون حسن النية وصريحا أيضا. حضرتك كطالب علم، تعرف بالتأكيد كم هى غريبة. (ص85) طبيعة الإنسان. بعض الناس لا تتحمل أن تمس الورق الأسمر، تتأذى من جراء ذلك، آخرون تقشعر أبدانهم لمجرد سماعهم أزة مسمار على زجاج نافذة، ينتابنى شعور كهذا لمجرد أن أسمعك تنادينى بـ أنت أشعر وكأننى قد سحقت على الأرض تماما كما فى خدمتى الأولى عند حضرتك. كما ترى حضرتك إنه شعور، وليس تعاليا. لا أستطيع أن أسمح لحضرتك أن تقول لى : أنت، هكذا، ولكنى أود مناداتك بـ أنت بدل لحضرتك، وبهذا نكون قد رفعنا نصف الكلفة ".

وبدأ الظل بمخاطبة سيده السابق مباشرة.

إن هذا لجنون ولا شك،" فكر طالب العلم"، أن أناديه بحضرتك وهو ينادينى بإسمى!" وهو لايملك إلا أن يتحمل هذا الأمر.

وجاء المصح كان فيه الكثير من الغرباء ومن بينهم إبنة ملك جميلة، كانت تشكو من علة وهى أنها نافذة البصيرة، وهذا ما كان يثير القلق.

انتبهت ابنة الملك لهذا الذى دخل فى الحال، كان شخصا يختلف تماما عن الباقين، قيل انه جاء ليجعل لحيته تنمو، ولكنى أرى أن السبب الحقيقى أنه بلا ظل.

تملكها الفضول، وراحت تتحدث بالحال مع السيد الغريب أثناء تمشيهما. كإبنة ملك لم يكن الأمر يحتاج للكثير من المقدمات، قالت "مرضكم هو أن حضرتك لا تستطع أن ترمى ظلا" لابد وإن جلالتكم يتحسن! قال الظل، "أعلم بأن مرض حضرتك هو نفاذ البصيرة، ولكنه صار أخف وطأة، لقد شفيت حضرتك، فلدى الآن ظل غير اعتيادي! ألا ترين حضرتك ذلك الشخص الذى يسير دوما معى! فأناس آخرون لديهم ظل اعتيادي، ولكننى لا أحب ما هو اعتيادى. الناس فى الغالب تلبس خدمها أفضل لباس، أنا هذبت ظلى وجعلت منه إنسانا! أجل، وكما ترين حضرتك، فقد منحته ظلا أيضا.

ذلك مكلف جدا، ولكنى أحب أن أملك ما هو متميز !

ماذا ؟ فكرت الأميرة، هل شفيت فعلا!، هذا الحمام هو الأول (ص86) من نوعه فى فعاليته! يا للماء فى وقتنا هذا من قوى عجيبة. ولكنى لن أسافر، لأن الأمر أصبح الأن مسليا، يعجبنى هذا الغريب بالفعل. علّ لحيته لا تنمو، كى لا يسافر!"

فى المساء وقصت الأميرة والظل فى قاعة الرقص الكبيرة. كانت خفيفة، ولكنه كان أخف. لم تر راقصا مثله قط. أخبرته من أى بلد جاءت، وقد عرف البلد، حيث كان هناك، ولكنها فى ذلك الوقت لم تكن فى القصر، نظر عبر النوافذ العليا والسفلى، رأى كل شئ، ولذا فقد تمكن من إجابة إبنة الملك ملمحا لها بعض التلميحات مما جعلها تتعجب. لعله أكثر الرجال حكمة فى العالم كله! أكنّتْ تقديرا لمعرفته، وعندما رقصا معا مرة ثانية وقعت فى حبه، وقد شعر الظل بذلك، لأنها كانت قادرة على سبر غوره. ومن ثم رقصا مرة أخرى، وكانت على وشك أن تقولها، ولكنها كانت متعقلة. فكرت ببلدها والمملكة والناس الذين ستحكمهم. "هو رجل حكيم!" قالت لنفسها، "هذا جيد!" وهو راقص جيد، هذا أيضا جيد، ولكن يا ترى هل لديه إلمام عميق بمختلف العلوم والمعارف، هل له ذات الأهمية، يجب أن يتم اختباره". وهكذا بدأت قليلا قليلا بسؤاله عن أصعب الأشياء، حتى لاتعرف لها جوابا. تغيرت معالم وجه الظل.

"لايمكن لحضرتك أن تجيب!" قالت ابنة الملك؟

"إنه سؤال يوجه للمبتدئين، "قال الظل،" حتى ظلى هناك عند الباب يمكنه الإجابة عليه!"

ظل حضرتك؟ قالت إبنة الملك، "إنه أمر شديد الغرابة".

"نعم، لا أقول بالتأكيد إنه يعرف!" قال الظل، "ولكنى اعتقد ذلك، لقد تبعنى لسنين عديدة وأطاعنى، أعتقد ذلك! ولكن لتسمح لى جلالتكم، أن ألفت انتباهكم إلى إنه مزهو جدا بسبب النظر إليه كإنسان، فيجب أولا أن يكون بمزاج حسن لكى يجيب جيدا على السؤال، ومن ثم عليك معاملته كإنسان بالضبط".

"هذا ما أحبه!" قالت إبنه الملك.(ص 87) وتوجهت حيث طالب العلم عند الباب، تحدثت معه حول الشمس والقمر، وحول الناس، خارجهم وداخلهم، فأجابها بذكاء ودقة.

"أى رجل عساه أن يكون، هذا الذى لديه ظل حكيم بهذه الدرجة!" فكرت الأميرة، "سيكون هذا بركة لناسى والمملكة إن اخترته زوجا لى: سأفعلها!"

واتفقت إبنة الملك والظل، فى الحال على ذلك، ولكن لا أحد يجب أن يعلم عن ذلك قبل أن تعود إلى مملكتها.

"لا أحد، ولا حتى ظلى!" قال الظل، وكان له قصد فى ذلك!

وجاءا بعد ذلك إلى البلد الذى تحكم فيه إبنة الملك.

"إسمع يا صديقى العزيز!" قال الظل لطالب العلم، "الآن صرت أكثر الناس سعادة وسلطة، الآن أود أيضا أن أفعل شيئا خاصا لك! ستسكن عندى دوما فى القصر، تركب معى فى عربتى الملكية، وتحصل على مئة ألف درهم سنويا: ولكن عليك أن تسمح للناس بمختلف طبقاتهم بأن يخاطبوك كظل: عليك ألا تخبر أحدا بأنك كنت فى يوم ما انسانا، مرة فى السنة عندما أظهر نفسى لتحية الناس فى الشرفة تحت أشعة الشمس، عليك أن تمكث عند قدمى كما يجب على الظل أن يفعل! أخبرك بأنى سأتزوج إبنة الملك، وسيقام حفل الزفاف هذا المساء."

"لا، إن هذا لقمة الجنون!" قال طالب العلم". لا أقبل هذا، لن أفعل ذلك! أن تخدع البلد بأكمله وإبنة الملك! سأقول كل شئ! بأنى انسان، وبأنك الظل، وأنت مجرد ثياب!"

"لن يصدق احد هذا!" قال الظل، "تعقل وإلا ناديت عليك الحرس!"

"سأذهب بالحال إلى ابنة الملك!" قال طالب العلم. "سأذهب قبلك!" قال الظل، "سيقبض عليك". وهذا ما حصل، لأن الحرس أطاعوه، لأنهم يعرفون بأن هذا ما تريده إبنة الملك.

"أنت ترتعد!" قالت إبنة الملك عندما دخل عليها الظل،" هل(ص 88) حدث شئ ما؟ لا يجب أن تمرض هذا المساء، فلدينا حفل زفاف."

"شهدت أفظع ما يمكن لامرئى أن يشهد!" قال الظل، "تصورى، إن دماغ ظلى المسكين لا يستطيع أن يحتمل كثيرا! تصورى، ظلى صار مجنونا، يعتقد بأنه إنسان، وأنا تصورى أنت، أنا ظله!"

"هذا أمر مريع!" قالت الأميرة، "حبسته بالتأكيد؟"

"أجل! لا أعتقد أبدا بأنه سيشفى."

"مسكين هذا الظل!" قالت الأميرة، "إنه تعيس جدا، من الأفضل تحريره من الحياة المتبقية له، وفى الحقيقة عندما أفكر فى ذلك، أجد من الضرورى التخلص منه سرا!"

"ذلك صعب جدا!" قال الظل، "لأنه كان خادما مخلصا!" ومن ثم أطلق ما يشبه حسرة.

"حضرتك نبيل!" قالت إبنة الملك.

فى المساء كانت المدينة مضاءة بأكملها، والمدافع تطلق: بم! والجنود يقدمون عرضا ببنادقهم. كان حفل زفاف حقيقيا! ظهر الظل وابنة الملك فى الشرفة ليحييهما الناس ويهتفوا لهما ابتهاجا بالمناسبة، هوراه!

ولم يسمع طالب العلم شيئا من كل هذا، لأنهم كانوا قد تخلصوا منه

كتبت فى عام 1847

القراءة

وودت لو أننى لا أكتب أى تعليق، وأترك للقارئ أن يتعرف بنفسه على الكيانات التى تجلت فى القصيدة القصة، وهى تجرى كلها تقريبا فى ساحة النفس، حالة كونها تنمو، وأن يلاحظ تبادل الأدوار، ورحلات الذهاب والعودة، والساحة الداخلية، ومحاولات التوفيق وأخيرا اختفاء طالب العلم لحساب "القادم"

قد أرجع لكل ذلك تفصيلاً لكننى أكتفى الآن هنا بإثبات ما سبقتُ إلى الاشارة إليه.

.....

نلاحظ حيوية الحوار، ثم تجسد الظل إنسانا وبالعكس،

ثم الاختفاء والظهور،

ثم غلبة الظل متكاملا كأنه الأصل.

قصة الظل هذه عمّقت التقابل بين **"روح الشعر"** (كيانا حقيقيا) وبين **"طالب العلم"** المعلوماتى الظاهر الوصّى،

لم يخطئ أندرسن فيتمادى فى الاستقطاب بين الظل الذى استوعب روح الشعر، وبين طالب العلم، ليفضّل أحدهما على الآخر فى مناظرة مسطحة، وإنما مضى ليجعل رحلة "الظل" رحلة معرفية إبداعية شديدة العمق دون إلزام بتنافس سطحى مع "طالب العلم".

إن رحلة "الظل" إلى "روح الشعر" لم تكن حكرا على "الظل"، فهذا الأخير يخاطب صاحبه "طالب العلم" بعد أن التقاه لقاء الند للند فيشرح له كيف أن فرصة لقاء "روح الشعر" مفتوحة لمن يريد، على شرط أن يتقدم إليها لا أن يجلس فى الشرفة ينتظرها،

يقول "الظل" "لطالب العلم: **".... حضرتك كنت دائما تجلس وترنو إلى الممر، لم يكن هناك (عند الجار الغامض) ضوء نهائيا، فهناك ما يشبه الشفق، وكل الأبواب كانت جميعا مفتوحة على الآخر على طول الصالات والقاعات..".**

خيل إلى أن اختفاء طالب العلم فى النهاية لم يكن لحساب الظل المتأنسن، وإنما لحساب **روح الشعر**

وصلنى أيضا أن أندرسن قدم فرصة الإبداع تكاملا باعتبارها فرصة لكل الناس دون استثناء. هى ليست حكرا

على صفوة موهوبة إذن،

يدور الحوار بين طالب العلم وظله بعد عودته من رحلته المعرفية الواعدة بتخليق ذاته (ذواته معا) وقد تجسد إنسانا، يدور الحوار بمنتهى الاحترام التلقائي، ثم بناء على إصرار "الظل" على أن يخاطبه "طالب العلم" بـ "حضرتك..." حتى لو لم يفعل نفس الشئ بالمقابل. الاستقطاب المباعِد بين المتحاورين لم يكن مطروحا، فالظل لم يكن هو "حالة الذات الطفلية الحرة المنطلقة" (حسب نظرية التحليل التفاعلاتي) مع أنه كان يمثل الحرية والبحث عن المعرفة الأخرى، كان نحيفا لكنه يافع تماما، وقوى، وواثق من نفسه، ومطالب بحقوقه برغم شكواه من أن "الحيتى لا تنمو كما يجب" إشارة إلى أن النضج لم يتم.

الاحترام هنا ليس التبجيل التقليدى بقدر ماهو **الاعتراف المتبادل**

بحدس إبداعى فائق يدرك أندرسن، فيبيّن كيف أن **التكامل بين الذوات** إنما يتم بالتصالح والمواكبة، لا بالتبادل المستقطب، ولا بالتسوية المائعة، حتى قال طالب العلم للظل ذات يوم وهو يرافقه بناء على اتفاق طيب **"..بما أننا أصبحنا رفيقَىْ سفر كما نحن الآن، ونحن أيضا قد نشأنا منذ الطفولة معا، ألا نشرب نخب رفع الكلفة بيننا، إنه أمر أكثر ألفة".**

فى نفس الوقت يعلن حدس أندرسون كيف استطاعت الأميرة أن تنتبه إلى أن "الظل" حين جاء إلى المصح لم يحضر **"حتى..يجعل حيته تنمو، ولكنى أرى السبب الحقيقى أنه بلا ظل"**، (بلا هوية إلا بمكن يكملها) فنتذكر كانديرا فى "الكائن الذى لا تحتمل خفته" وبدرجة أقل نتذكر فتحى غانم فى "الرجل الذى فقد ظله".

أنظر أيضا ما ورد على لسان "الظل" فى عبارة عابرة وهو يحاور صاحبه "طالب العلم"، فيكشف عن دور الإيقاع الحيوى اليوماوى **Circadian** جنبا إلى جنب مع "الأزمة المفترقية" **Cross-Roads crisis:** [3]3 يقول لصاحبه بعد عودته **"... أقول لحضرتك، كنت هناك، هل بإمكنك أن تدرك ما يمكن أن يُرى؟...عرفت طبيعتى أيضا وما خلقت عليه، علاقتى العائلية بروح الشعر، أجل، عندما كنت مع حضرتك فى ذلك الزمن لم أفكر بذلك، ولكن بشروق الشمس، بغيابها، كما تعرف حضرتك، صرت كبيرا بشكل غريب، على ضوء القمر كنت أوشك تقريبا أن أكون أوضح من حضرتك، لم افهم وقتها طبيعتى ـ أدركت ذلك فى الممر الموزع، صرت إنسانا، خرجت راشدا".**

الراشد، المتكامل الذى قال إريك برن أنه غاية النمو توليفا بين الذوات الأساسية الثلاثة لم يتضح أبدأ حتى باعتراف صاحب النظرية نفسها إريك برن، أندرسون هنا يشير إليه بسلاسة دون أن يختزله.

نعقّب نحن أن المفروض أن هذا الراشد المتكامل يظل مشروعا ناميا فعلا لا يتكامل أبدا كما ذكرنا فى المقدمة.

وبعد

أمامنا سبيلان للتعليق على مثل هذا الإبداع الكاشف:

نحن إما أن نتكلم عن خيال المؤلف وحدسه وشاعريته التى سمحت له بهذا التوليف الكاشف المضئ وكأن المسألة خيال وإبداع منسوج.

وإما أن نستلهم من هذا العطاء أن داخل هذا المبدع من الكيانات المرنة القادرة على التحرك فى الزمان نكوصا إبداعيا أو فى المكان جدلا آنيا، وإلى الوعد توجها نمائيا، وأن هذا هو الذى أتاح أن يصل عمق فكرة النمو قبل أن تُنَظَّر علما بقرن أو اثنين.

الساحة –فى القصة-كلها هى فى الداخل حين يتجلى تركيب النفس البشرية، وحركيتها، ونبض كياناتها فى عملية التكامل المتصاعدة أبدا.

الخلاصة

إذا كنا قد تحركنا نحو قبول فكرة (حقيقة) التعدد من خلال حركيتها، وليس رصدها أو صفها، وكنا قد فعلنا ذلك ونحن نرصد حركية الإبداع عامة، ثم حركية مسار النضج الممتدة (من خلال عينة للإبداع عند الطفل) فإنه بقى أن نربط مفهوم التعدد بفاعلية ممارسته –وليس بضرورة الوعى به – بشكل براجماتى فى العلاج أو النمو أو الابداع بمختلف تجلياته بما فى ذلك حركية الإيمان.

الثلاثـــــــاء 11-12-2007

102- المخـــــدرات العصريـــــة والمفاتيـــــم السريـــــة

عن كتاب وفيلم "السر"
The secret

تمهيد

فى يومية 23 نوفمبر 2007، فى ردى على أحد ضيوف حوار الجمعة (أ.غنيم) وهو يسألنى عن التنمية البشرية، والبرمجة اللغوية المعاصرة. أشرت إلى كتاب، وفيلم، وبدعة ما يسمى "السر" The secret وقانون الجذب The Law of Attraction قلت وأنا أرد عليه: **"... فزعت فزعا شديدا من لعبة بيع الأوهام هذه، تلك اللعبة التى وصلت إلى درجة تكاد توازى ترويج المخدرات، أى والله،** ثم أردفت: **.... لا أنكر يا سيدى أننى عثرت على بعض الحجارة الخام الملقاة هنا وهناك بين أكوام القش الهشة هذه، تلك الأكوام التى يسوّقونها تحت هذه الأسماء، وأنا أكاد أكون متأكدا أنهم لا يعلمون شيئا عن أن بعض هذه الحجارة قد تكون من الأحجار الكريمة، لو أحسن الكشف عنها بطريقة أخرى لهدف آخر غير التجارة وبيع الأوهام.**

أذكر أن ما وصلنى بعد ذلك من بعض المحاورين، وأيضا من نقاشى مع حفيدى عمر الذى انبهر جزئيا بما أورده الفيلم، أنه "وكيف كان ذلك"؟ أعنى كيف أن ثمة حجارة كريمة يمكن أن نعثر عليها فى كوم القش (أوراق البانجو الجافة)، وكيف نكتشف أنها حجارة كريمة؟

هذا هو موضوع هذه اليومية

مقدمة

يبدو أنه من الأفضل جمع الأحجار المتناثرة فى كوم القش الذى يغرى بما لا يمكن مقاومته (المال والحب والرفاهية والحاجات دى)، تحصل عليها بمجرد أن **"تريدها جدا، وتركز فى ذلك، وتصر على ذلك، فتأتى إليك بالسلامة".**

ولكن دعونا قبل التمادى فى السخرية التى سبقت إلى قلمى دعونا نتعرف على بعض المعلومات التى اقتطفتها من "النت"، وقد كتبت بتاريخ: 7 مايو سنة 2007 يقول المقتطف:

"لا يوجد سر فى "السر"،
إن الكتاب والفيلم يقرران أن :

· قانون هذه الظاهرة الأساسى **هو: إن أفكارك هى التى تحكم الكون .**

· إنه من خلال **قانون الجذب،** عليك أن **تدع رغبتك تتجلى حاضرة تماما كأنك تشير إلى طلب محدد من قائمة معروضات** (كتالوج).

· عليك أن تعرف أن **ما تريده "هو لك" فى نفس اللحظة التى تطلبه فيها**

· **تريد أن تجد نفسك تعيش فى مجبوحة (وفرة) فليس عليك إلا أن تجذبها إليك.**

· إنها القاعدة التى تنجح **كل مرة، لكل واحد دون استثناء.**

· الإغراء واضح: **إنسَ التعليم، والجهد، والأداء.**

· كل ما تطلبه من **المال،** إلى **القوة،** إلى **حذاء يريح قدميك:** هو لك، ببساطة، **بمجرد أن تريده بدرجة كافية.**

هل وسط ذلك يمكن أن نجد حجارة كريمة بأى صورة من الصور؟.

لكن دعنى – قبل أن أجيب- أنكد على حضرتك بتصوير بطىء ، لتتقمص صورتين كما فعلت أنا شخصيا، وأنا أشاهد مقطعان من الفيلم هكذا:

الصورة الاولى:

أنت عامل بناء تسكن فى حجرة على السطح فى عزبة القصيرين فى غمرة، الساعة التاسعة مساء، ورجلك فى الجبس لانك وقعت من على السقالة منذ أسبوع، والمقاول لم يكن مؤمنا عليك، الأولاد (ستة) يذاكر الأول والثانى فى المطبخ (لا يوجد مطبخ لكنه يسمى كذلك) والثانية والثالث، ناموا بعد أن يئسوا، والرابعة والخامسة يبكيان من الجوع، عليك أن تصدق ما جاء أعلاه، (فى موضوع السر)، وأن تعرف أن أفكارك هى التى تحكم الكون، لو سحت ركّز بكل ما عندك من حسن نية ، وشديد عزم، ويقين بالاستجابة، ركز على خمسة أرغفة بلدى، ليست ساخنة بالضرورة، لم يحدث شىء؟ هى غلطتك، لو سحت ركز أكثر؟ بكاء الأولاد يزعجك؟. ماذا يحول دون أن تركز أكثر؟ إنتظر قليلا، ها هما قد ناما ربما يأساً مثل الآخرين، عد فركز كل أفكارك على عشرة أرغفة ، فالأسرة من ثمانية بحسابك وحساب أمهم ، شاور بوعى بإصبعك إلى ما تريد (فى الهواء إلى الكون) حتى لا تلتفت هنا أو هناك، إشحذ فكرك ، ردْ ما تريد، **لا تشغل بالك بما لا تريد،** ولا بحقك فى التأمين، ولا بنذالة المقاول الذى نسيك حتى لم يزرك ليقول لك سلامتك، ولا تسمح بندمك أن يعاودك على أنك لم تحجز من أجرك ما يكفى

لهذا اليوم، (مع استحالة ذلك "إجذب" من الكون بأفكارك الأرغفة الواحد تلو الآخر، ها هو الباب يدق، أحدهم جاء بالأرغفة، أو لعله جاركم جاء يسد ما استدان منك منذ ثلاثة أشهر، خمس وثلاثين جنيها بالتمام، أو لعلها بنت خالة زوجتك عرفت ما جرى، فقدّمت دور زوجتك وفضلتها على نفسها لتقبض "جمعية" هذا الشهر بدلا منها، هكذا تَحقق مفعول "السر" سوف تأخذ بعضا من أى من ذلك، وترسل زوجتك إلى المخبز الذى بجواركم لتحصل على ما تريد، لا-لا إبعد هذه الأفكار الأخرى، وانس الطابور الذى حكت لك زوجتك عنه هذا الصباح، فهذه أفكار سلبية تمنعك من التركيز الآن، وأيضا لا تنشغل باحتمال أن الطابور قد انفض دون أن يحصل من كان يقف فى نهايته على الخبز الذى جاء من أجله، هذه أفكار سلبية، حتى لو حدث ذلك فليس لأن المخبز خلص ما فيه قبل أن يصل إليه الدور، ولكنه بسبب خطأ هؤلاء الذين كانوا فى آخر الطابور، إن أياً منهم لم يركز على الأرغفة التى قرر أن يحصل عليها، بل وراح يسخط من طول الطابور، أو لعله تجرأ فلعن الحكومة، وكان الأولى به أن يعرف أن أفكاره هى التى تحكم الكون، وأنه بدلا من الضجر والسخط وهذا الكلام الغبى، كان عليه أن يستدعى "قانون الجذب" بكل تركيز، كان القانون سوف يقصر طول الطابور، أو على الأقل يزيد كمية الخبز ، حتى إذا جاء دور هذا المحظوظ بممارسة توصيات السر، وجد طلبه تحت بصره فى نفس اللحظة (أو بعد نصف ساعة، لا يضر)، تفيق من أفكارك هذه وتذهب لفتح الباب، فلا تجد أحدا، هل كانت خبطة عشواء، أم أن أذنك التقطت أصواتا لا وجود لها، ترجع فتجد الطفلين قد لحقهما الدور، ونامت هما كذلك، نامت جائعين تتساقط الدموع من عينيك فتحاول أن تخفيها عن زوجتك، لم يحدث أبدا أن رأت زوجتك دموعك، هى أيضا تحاول أن تخفى دموعها عنك، وهى تغطى الأولاد ببقايا البطانية القديمة

الذنب ذنبكما ، لم تصدقا "السر"،

ولم تحسنا استعمال قانون "الجذب"

الصورة الثانية:

حضّر خيالك معى، لو سمحت
لا تستطيع؟
لماذا؟
ما زالت الصورة الأولى تشغل بالك؟.

أنت غاوى نكد ، لو سمحت ، لو سمحت، نعم، هكذا استعد، نعم، هكذا، شكرا. ،

أنت الآن شخص أمريكى جدا، تريد أن تحصل على مائة ألف دولار، (يعنى ماذا؟ أنت مالك!) ما عليك إلا أن **تريدها جدا**، نعم، هكذا ، الآن : عليك أن ترسل أفكارك إلى الكون لتتحكم فيه ليجيب طلبك، تركز أكثر لو سمحت ينجذب طلبك إليك، تهتدى إلى طريقة تسويق أربعمائة ألف نسخة 400000من كتاب ألفته وفشلت أن تسوّقه كما ينبغى، لكنك لما ركزت جدا جدا،

على قرارك ورغبتك فى الحصول على 100000 مائة ألف دولار جعلك هذا التركيز بفضل قانون الجذب تهتدى إلى مجلة إعلانات أثناء تسوقك فى سوبر ماركت ما، فتنشر فيها إعلان عن كتابك هذا وأنه بربع دولار لا غير، ثم تناقشك صحفية انتبهت للإعلان، فتكتب مقالا عن كتابك، فتباع كل النسخ فى وقت قياسى فتحصل على المائة ألف دولار التى ركزت عليها لأنك تريدها ، أى والله، فتقول لك زوجتك وهى تعد الأوراق الجميلة ذات الرائحة الخاصة (نعم للأوراق رائحة: ولكل عملة رائحتها المختلفة عن رائحة العملة الأخرى **راجع يومية الأنف تدرك مثل العين أحيانا)** تقول لك زوجتك وهى تملأ خياشيمها بالرائحة دون أن ترفع رأسها إلى أعلى، تقول لك: ما دام الأمر كذلك هيا نركز على مليون دولار، فتركز، فيشاء الكون السميع العليم أن تحصل عليه بسر الجذب بالسلامة "... الخ.

وخلاص.
(هذه القصة منشورة فى الكتاب، وموجودة فى الفيلم، ومثلها كثير، وصاحبها هو الذى يحكيها وعلى وجهه ابتسامة لم أفهم معناها بصراحة)

أما القصة الأولى فهى موجودة هى الأخرى لكنها ليست منشورة، لأنها مكررة، ليس فيها جديد، ويمكنك التأكد من مصداقيتها فى أى مكان مثل عزبة القصيرين، مثلا: البساتين، حارة السكر واللمون، درب شبانة، كفر الاقرع ، ..إلخ إلخ.

****

من حقك أن تسألنى الآن:

طيب ، إذا كان الأمر كذلك بعد هذه التعرية الصارخة، فهل يمكن أن نجد وسط هذا العبث أية أحجار كريمة كما تقول؟

قبل أن أجيب ، دعنى أذكر لك بضعة أرقام ذكرتها نفس الكاتبة التى اقتطفنا كلامها من النت فى البداية، أرقام عن المدى الذى وصل إليه انتشار الكتاب

هذا الكتاب هو من مجموعة "أوسع الكتب انتشارا"، يقول الناشر (سيمون شستر Simon Schuster) إن الكتاب **يبيع مائة وخمسين ألف نسخة أسبوعيا**، وأن "الـــ دى فى دى"DVD باع على الأقل مليون ونصف مليون قرص (طبعا غير الذى سرقت من ورائهم)، وأنه أكثر الكتب مبيعا فى أستراليا، وبريطانيا وأيرلندا، وأنه ترجم لثلاثين لغة

طيب
حلال عليهم، ناس رايقة؟
ونحن ؟

فوجئت أن حفيدى عمر (18 سنة) ، وهو صديقى كما أشرت من قبل فى أكثر من مناسبة، أقول فوجئت أن عمر ، رأى الفيلم، وأنه معجب به ، ويصدق أغلبه ، قلت له مازحا أو منبها، هيا يا رجل ركز لنا على ما يجرى فى العراق، لنتخلص

من بوش، ومن كل ما ترتب على وجوده فى هذه الدنيا هو ومن يمثله، نبهنى أنه **لا**، ذلك أن قانون الجذب (الخاص "بالسر") يمنع التركيز للتخلص من أى شئ أو أى شر أو أى شيطان. لا ينبغى أن يوجه التركيز للتخلص من السلبى، ولكن فقط يسمح بالجذب لكل ما هو إيجابى للشخص، وبنص التعليمات فإن **"الحركة المضادة للحروب زادت من الحروب"** كذلك لا ينبغى أن يتوجه التركيز لإيذاء الآخر، ولكن للحصول على ما تريد لك أنت فقط.

أقفلت باب النقاش، وكنت على وشك أن أكتب ما أكتب الآن، وقلت أرد عليه وللناس.

ثم يبدو أن عمر، وهو طالب بالجامعة الأمريكية، قد لا يمثل نفسه، بل يمثل جماعة لا أعرف حجمها من الشباب، لكن يمكن أن أستنتج ذلك بعد أن طلبت منى إحدى المعدات الفاضلات فى قناة "أوربت" أن اسجل معها حول هذا الموضوع، وبصراحة أنا لم أكن أعرف شيئا عنه وسط انشغالاتى، ولكن بمجرد ان وصلنى طلبها استمهلتها فى الاستجابة حتى أتعرف على هذا الكتاب، وهذه الظاهرة، وهأنذا أفعل.

شبابنا فى قاع البحر

نحن نلوم الشباب الذين يدفعون الآلاف مقابل أن يموتوا غرقى على سواحل الأعاجم غوْصاً إلى عمق البحر، وعلى الجانب الآخر هذا هو حفيدى وصديقى يتصور أنه يمكن أن يحقق ما يريد بممارسته قواعد وقانون السر، ولعل المفتى – غفر الله له – كان يريد من الشباب الطماعين أن يعرفوا "السر" قبل أن تقتلهم أطماعهم، كان يكفى أن يجلس أى منهم فى داره ويركز على ما يريد، مثلا وظيفة كاتب محكمة فى الوادى الجديد، أو أمين مساعد فى مخازن ورش غمرة، شريطة أن يتقن طقوس "أن يريد ما يكون، فيكون"، لا أن يرفض ما لا يريد كما أفهمنى عمر، هذا هو السبيل المضمون للسلامة، والكرامة معا، بدلا من أن يحسر قلب أمه عليه هكذا، وحتى لو كان هو مستغنيا عن حياته التى لا تساوى شيئا بنص الدستور، فما ذنب أمه؟

المهم .

بعد كل ذلك: هل يمكن أن نجد وسط هذا الكوم من الأوهام والأحلام والاختزال والتخدير أحجارا كريمة كما أزعم.

الإجابة أن : نعم

قالوا وكيف كان ذلك

قلت انتظروا قليلا وهيا معى أولا إلى استرجاع خفيف خفيف (فلاش باك) لحكاية السعادة التى سبق أن تكلمنا عنها .

عودة إلى "سعادة" برتراند راسل

حين نشرت يومية موجزة **عن كتاب انتصار السعادة لبرتراند راسل**_ تصور القراء أنى غير موافق أن يكتب برتراند راسل، وهو من هو، عن هذا الموضوع بهذا الشكل، وقد حاولت أن

أنفى ذلك، أنفى اعتراضى، ويبدوا أننى لم أنجح، فراسل لم يكتب عن "انتصار السعادة"، كما ترجم العنوان خطأ، السعادة لا تنتصر، ولكنه كتب عن "اقتناص السعادة"، كلمة Conquest تعنى اقتناص ، وليس انتصار Victory (وقد أشرت سابقا أننى لم أعثر على الكلمة المناسبة بدلا من انتصار، وهأنذا عثرت عليها وأنا أتناول معالجة موضوع اليوم).

سأبدأ برحلة البحث عن الأحجار الكريمة وسط كوم أوراق البانجو الجافة ، هذه بأن أفسر الإيجابيات التى وصلتنى من توصيات ونصائح برتراند راسل، لعلنى أنجح فى النهاية أن أجد حلا لبعض ما جذب الناس إلى "هذا السر".

فمثلا سوف أحاول أن أقرأ **"قانون الجذب"** الخاص **بالسر** على أنه نوع من اقتناص السعادة **من خلال شحذ التلقى الايجابى**، ذلك أننى فهمت من مجمل كتاب راسل أنه يقصد بالاقتناص هذا النوع من **الانتقاء الجميل، والاقتحام الطيب، لما يمكن أن يفرحنا** بدلا من التركيز على ما مضى، وما لا حل له، لاستحالة استعادة نفس الأحوال التى أفرزته.

هذا مجرد فتح كلام. (وسوف أقارنه ببعض قواعد السر لاحقا)

حين شغل راسل أكثر من نصف مقدمة كتابه (صفحة ونصف) باقتطاف من شعر**"والت ويتمان"** نبهت إلى ما يجدر بنا أن نأخذه من إيجابيات هذا المقتطف، وما ينبغى أن نحذر من التسليم له دون تحفظ.

من تلك الإيجابيات أن من أهم ما **يعطلنا** عن **اقتناص** السعادة هو

- العويل على ما فات،
- وتأجيل الفرحة،
- والشعور بالذنب،
- والحرص على امتلاك ما لا نحتاج،

أما أهم ما ينبغى أن نحذر منه فهو أن تكون سعادة الحيوانات هى مثلنا الأعلى،

فمنذ اكتسب الإنسان الوعى، ثم الوعى بالوعى، أخذ مقلبا إذا هو لم يتمكن من حسن استعمال هذا المكسب

وقد أنهيت نقاشى لهذه القضية بطرح بعض الخطوط العامة التى سوف أعيدها (لأننى سوف أناقشها فى هذا السياق الجديد)، وهى كما يلى :

1- إنه لايجوز الحديث عن السعادة أصلاً، (أو البحث عنها)، فهذا فى ذاته : ضدها.

2- إن الوعى بها (أو بأى مسمّى باسمها) هو **نتاج جانبى** لحياةٍ قادرة على إفرازها من ورائنا، بما يسمح لها أن **تتسرب إليك من باب تركته مفتوحاً دون قصد .**

3- إنها **حركة نابضة، عميقة وغامضة، وجميلة وساحرة** دون إعلان ذلك، وهى **لا تتعارض مع الألم الحى، والحزن الخلاّق**

4- إنها **متعددة التجليات بتعدد التباديل، والتوافيق** مع سائر مستويات وجود الفرد وتقلباته، لكنها فى النهاية حضورٌ كلىّ مشتمل

5- إنها **مسامّية** (تسمح بالدخول) **انتشارية** (يستحيل حبسها فيمن يتمتع بها وحده لنفسه)

6- إنها **نمائية** (من النمو)، إذْ **تواكب وتدفع إلى ما بعدها، والذى هو هى**، لكنه مختلف

7- وهى غير حاضرة بما هى إلا **"الآن جداً"، "الآن فقط"، "الآن الممتد أبدا"،**

8- وهى القادرة على أن **تملأ الوقت بما يستحق أن يُملأ به،** بغض النظر عن نوع محتواه

9- وهى غير قابلة للتعريف، ولا حتى بأنها ضد ما هو عكسها!!

10- وهى ما تبقى فيك رغما عنك مما سبق ذكره، ما تبقى من كل ذلك، مما هو ليس أيا من ذلك!!

ثم قلت استدراكا :

لو أن السعادة هى كما ذكرنا الآن، فهى **"ليست السعادة"** التى يتحدثون عنها

ولو أنها **"السعادة"** فعلاً فلن يجرؤ أحد أن **يدّعى أنه سعيد.**

اقتراح عملىّ (لا تأخذ به من فضلك):

"تصورتُ أنه .... أننا... يمكننا أن نكتشف، بما نحن فيه "الآن"، دون أى جهدٍ إضافىّ، أن كل ما ذُكِرَ سالفا هو موجود لدى أى واحد منا، حالاً،

وأننا لا نشعر به لأننا لم ننتبه إلى أنه يدخل فعلاً من الباب الذى نسينا أن نغلقه (بند 2)،

وأن كل ما علينا هو أن ننتبه إلى هذا الباب المفتوح أصلاً،

لعلنا نستقبل منه بعض كل ذلك،

برغم كل ما هو ليس كذلك !!".

***

هل يوجد وجه شبه مع ما نبحث عنه فى مسألة "السر".

(انتظرنا فى يوميات لاحقة).

من هنا - أيضا- نبدا

حين راجعت هذا الذى جاءنى هكذا من فرط الحب والغيظ اللذان أثارهما فىّ كتاب "راسل"، قلت ليكن هذا هو مدخلى إلى محاولة اليوم :

"اكتشاف الأحجار الكريمة فى كوم قش ورق البانجو" وسوف يكون هذا هو موضوع يومية الغد.

فى الأجزاء التالية أرجو أن نعثر على كل من (كعينات):

- إيجابية العيش فى **"هنا والآن"**.
- وعمق الحق فى "العوزان".
- ومعنى حق الدعاء.
- ومدى حق الاستجابة.

كما أرجو أن نتعلم كيف نضئ الضوء الأحمر أمام كل من (كعينات):

- اجترار الألم.
- قىء الذكريات الواخزة.
- التأجيل العبثى حتى تحت زعم المشيئة دون الوعى بحقيقة المشيئة.

وغير ذلك من هذا وذاك.

الخلاصة

هل ننتهى فى نهاية النهاية إلى معرفة كيف يمكن:
العمل على تكريس اللحظة بما هى لما هى (ما أمكن ذلك)؟
هل تكون هذه هى "اللؤلؤة" التى نبحث عنها؟
وهل ثم ملامح لها وسط قمم قش ورق البانجو الجافة (السر)؟
وهل نستطيع أن نخرج منها بنتائج ظاهرة، لسلوك محدد؟
هذا كله هو بعض ما نأمل فى تغطيته لاحقا.

الإربعـــــــاء 12-12-2007

103- أحجـار كريمـة وأشيـاء أخـرى وسـط كومـة قـش

مقدمة

وعدت أمس أن أقدم إيجابيات البدعة الجديدة المسماة **"السر"**، برغم ما قدمتُ من نقد قاس وتعرية ساخرة لهذه البدعة، وحين رحت أبحث عن هذه الأحجار الكريمة، ملقاة داخل كومة القش أو مدفونة في جوف الحجارة الحجارة، اختطلت الأحجار الكريمة ببقايا الزجاجات المكسورة بعلب السلمون برائحة المعسل بحبات المسابح ببقايا شراشيب، سجاجيد الصلاة، بأوراق زهور نادرة، ببذور نباتات للزينة، بأوراق نباتات طبية، بما لا أعرف.

حاولت الاكتفاء بانتقاء ما يفيد الناس فقط بهدف أن أظهر بعض الجوانب الجديدة في الموضوع لعلها تنبه الناس إلى **"حقهم في إيجابيات عطاء اللحظة الراهنة هنا والآن"**، وسط أمواج التهريج، والتفتيت، والاغتراب والتأجيل، والحسابات الخائبة، ..... فلم أستطع.

لم أجد مفرا من الانتقائية شبه العشوائية، دون أن أزعم نفي تهمة التحيز.

وهذا بعض ما كان صفْته فيما يشبه حوار الجمعة لعله يفيد:

(التاجر الشاطر- ربما حسن النية):

... هذا السر يعطيك كل ما تريد

السعادة والصحة والغنى

يمكنك الحصول على، أو أن تفعل، أو أن تصير: أي شيء تريده

يمكننا أن نحصل على أي شيء نختاره

لا يهمني مهما كان كبيرا

(واحد مصري طيب يقظ):

أي شيء !!!! ؟؟ أي شيء !!! ؟

يا رجل حرام عليك.

لا تعليق أكثر من ذلك.

!!!!!

(واحد مصرى طيب يقظ):

صحيح، لكن ليس لهذا العرض الذى تلوّح به، أو حتى تتحلمنى دعنى أقول: ليس لهذا الغرض **فقط**، **ان نفس هذه المعلومة هى القادرة على أن تفتح باب الإبداع، وباب النمو المفتوح النهاية، وباب الإيمان بالغيب**، فلماذا نختزل السبيل إلى كل هذه الآفاق، بهذا التبسيط الاستسهالى، للحصول على قصر، أو آلاف دولارات، أو سيارة حديثة، أو بخت بنسائه وغلمانه؟.

آسف، أحاول ضبط سخريتى بلا طائل، عذرا، وهيا قل لى ما هو طبيعة هذا السر يا سيدى؟

(التاجر الشاطر- ربما حسن النية):

السر هو -**"قانون الجذب"**-

كل ما يأتى إلى حياتك إنك أنت تجذبه إلى حياتك

وهو ينجذب إليك بسبب الصورة التى تتمثلها فى مخيلتك

إنه ما تفكر

انظر: مهما يحصل فى فكرك

فإنك تجذبه إليك

(واحد مصرى طيب يقظ)

(تعلمنا صغارا العكس، أننا نحن الذين ننجذب إلى الأرض بجاذبيتها، أنت تشير إلى شئ آخر، تقول نحن نحقق أفكارنا فى الكون عيانا بيانا، لنجذبها إلينا هذا فتح جديد. الجذب هنا نحن مركزه، لا مانع، ليت ذلك يكون، ولكن ألا تخشى سيدى أن تزيد بذلك الإنسان غرورا بنفسه، قبل كوبرنيكس كانت الأرض هى مركز الكون، ثم تواضعْت وتراجعت، فهل هذا السر يأتى الآن يعيد للإنسان تمركزه ليدور الكون حوله يجيب طلباته؟

ثم أن **"يكون التفكير، بل التخيل هو الذى يجذب"**، هذا موقف يغير الأمور جذريا.

من حيث المبدأ أنا لا أمانع أن يكون الخيال **واقع آخر**، لكن حكاية ما يحصل فى فكرك فإنك تجذبه تحتاج ملاحظة:

التفكير (بالمعنى التقليدى) لم يعد سيد أدوات معرفة الحقيقة، تراجعتْ حكاية "أنا أفكر فأنا موجود"،

التفكير الذى يمكن أن يحقق بعض ما يدعيه هذا **"السر"**، أنا لا أرفضه كله، أتصوره نوعا آخر من النشاط المعرفى، لا هو حل المشاكل Problem Solving كما يعَّرف التفكير عادة، ولا هو الخيال التجريدى،

التفكير الذى يمكن أن يخدم فكرة العلاقة مع الكون هو نوع أشمل من النشاط المعرفى إذْ يساهم فيه الجسد والوجدان والعقل معا،

مسألة أنت تجذبه وهو ينجذب إليك هى أيضا بها بعض الإيجابية من حيث المبدأ، وليس بمجرد أن شيئا فى مخيلتك يتحقق، لو رجعت إلى تعريف الفطرة (**يومية 11/4 "الفطرة، والقشرة والانشقاق") بالحركة**، الضامة إلى غايتها، أو رجعت إلى شرح تعدد الذوات **بالحركة** الممتدة إلى تعدد مستويات الكون **(يومية 9-12 "تعدد الكيانات وحركية الإبداع")**، إذن لعرفت اعترافى باحتمالات جيدة واحترامى لهذا الاتجاه،

كل هذه احتمالات تشير إلى **حتمية وصحة وجمال التأكيد على العلاقة بن الإنسان والكون**، وبين الإنسان والإنسان. تدريبات التواصل مع الطبيعة بالإبداع، والتأمل، والعبادات، هى كلها تقع فى هذا النطاق. اختزالها إلى مثل ذلك الذى تقول يذكرنى بموجة التأمل التجاوزى (مهاريشى) Transcendental Meditation التى انتشرت فى السبعينات، لقد جرّبتها شخصيا، جاءنا شاب أمريكى ذاهل النظرة، بالغ الحماس، طيب الخضور، مبعوثا من السيد **"مهاريشى الهندى"** الذى أنشأ معهدا لهذا التأمل فى "سويسرا"، وأخذ يدربنا (أنا ومجموعة صغيرة ممن أراد التجربة) على هذا التأمل، وأعطى لكل واحد منا كلمة السر (الشاكرا) وثلث ساعة فى الصباح. وثلث ساعة فى المساء، هات يا تأمل، وهات يا "شرنج" (هذه كانت كلمة السر الخاصة بى)، وعرفت ما يكفينى أن أضع الأمور فى نصابها، وانتهى كل ذلك إلى ما جعلنى أنا قشك هكذا!

أنا أوافق على قانون الجذب المتبادل (لا الجاذبية السلبية ولا الجذب إلىّ فقط) إذا كان يعنى **قانون تنظيم الإيقاع ما بن الكون والإنسان،**

هذا القانون "ضبط الإيقاع الحيوى"، هو بمثابة "نوتة" اللحن الوصْلى لثالوث **الإبداع - التأمل- العبادات**

(للفكر/المعرفة (بالمعنى الشامل السابق ذكره) أن ينشط فى هذه المنطقة – منطقة ضبط الإيقاع الحيوى – لصقل هذا اللحن بيننا وبين الطبيعة وتطويره، لكن ليس للحصول على علاوة بآلاف الدولارات، أو بناء فيللا أو شراء يخت.

يالله عليك ألا ترى أين هؤلاء الذين عندهم مثل ذلك ؟

(التاجر الشاطر- ربما حسن النية):
بماذا تعلل أن 1 بالمائة من البشر
يكسبون حوالى 96 بالمائة من جميع النقود
هل تظنه صدفة؟
إنه ليس بالصدفة
إنه مصمَّمٌ كذلك
إنهم يفهمون شيئا
يفهمون السر

(واحد مصرى طيب يقظ):
لا يا شيخ !!!
يا أخى حرام عليك !

بماذا أعلل ؟ ؟ !!!!!
يا أخى لمن تقول هذا الكلام؟

لا طبعا ليس صدفة، أوافقك مائة فى المائة، ليس صدفة

كان الشعراء العرب أرحم منك يا رجل حين يسخرون شعرا من مثل ذلك، كانوا ينصحونك ألا تفكر فى سبب ما وهبه "ملك الملوك" لمن له مثل هذا الحظ السعيد، كانوا يقولون:

ملك الملوك إذا وهب لا تسألنّ عن السبب
الله يفعل ما يشا فالزم حدودك بالأدب!!

وكنا ننتبه إلى تحويه هذه السخرية من دعوة إلى رفض ذلك، ولا نلزم حدودنا لا بالأدب ولا بقلة الأدب، ثقةً بعدل ربنا، لأن ملك الملوك لا يهب اللصوص على حساب الجوعى ، وحين رحنا نستغفر الله وننزهه عن هذا الظلم، كان علينا أن نبحث عن إجابة للسؤال الذى طرحته سيادتكم، " بماذا تعلل أن **واحد بالمائة 1 % من البشر، يكسبون حوالى 96 بالمائة من جميع النقود، هل تظنه صدفة؟**

ووجدنا أنه ليس صدفة طبعا.

بعد أن نزّهنا ربنا ملك الملوك أن يكون مشتركا معهم فى مثل ذلك، جاءتنا الإجابات أسهل مما تفترضه يا سيدى، ومع أننا لا نعرف إلا الإجابات الظاهرة فى السياسات المعلنة، إلا أن الإجابات الخفية ستكون فى نفس الاتجاه، على ألعن.

من الإجابات الظاهرة يا سيدى التى تثبت أنها ليست صدفة مايلى:

السبب، يا سيدى، هو توحش تلك الحروب التى يديرها السيد ديك تشينى ومن يمثله، بواجهة السيد دبلويو بوش، على خلفية الحكومات الحقيقية من الشركات اياها التى تستولى على البترول مخلوطا بالدماء البشرية، لتحسين جودته!!

السبب، يا سيدى، هو شركات الدواء التى جعلت من العلماء **بروليتاريا العصر الحديث**، فراحوا يفصلون النظريات العلمية، بوعى أو بغير وعى، لتخدم مكاسب هذه الشركات لا مصلحة المرضى، ولا أخلاق وشرف الأطباء الضحايا والمشاركين معا.

السبب، يا سيدى، هو غياب العدل، وغياب الوعى، وتغييب الله الحقيقى، والذهول المبرمج لصالح هذا الـ 1% من البشر.

تقول لى بماذ تعلل هذا؟

حرام عليك يا شيخ، أنا لم أتكلم عن المافيا وتجار المخدرات، فهم ليسوا أخطر ممن ذكرت، لعلك تعرف أنت ما يركزون عليه بطرقهم التى يخفونها عنا وعنك، أم عندك خبر عن سرهم.؟

ولكن خلنا فى هذا السر الأبسط وزدنا فى الحديث عنه، ما هو بالضبط؟

(التاجر الشاطر- ربما حسن النية):

أبسط طريقة للنظر إلى "قانون الجذب"ـ هى إن أتخيل نفسى أنى مغنطيس

وأعلمُ أن المغنطيس يَجْذبُ إليه

يقول ـ**"قانون الجذب"**ـ أن الشبيه يجذب الشبيه

(واحد مصرى طيب يقظ):

ليكن،

إلا أن ما وصلنى من حكاية أنى مغناطيس هو شىء سلبى حتى لو جذبت إلىّ مال قارون، ثم ما حكاية الشبيه يجذب الشبيه، أين الاختلاف للجدل؟ أين التفاعل للنمو؟ ليس فقط بين البشر وبعضهم، بل بينى وبين الكون نفسه؟

برجاء مزيد من الإيضاح حول هذا القانون أو المبدأ؟

(التاجر الشاطر- ربما حسن النية):

يمكن تلخيص هذا المبدأ (مبدأ الجذب) بثلاث كلمات بسيطة

الأفكار

تصير

أشياء

ما لا يفهمه غالب الناس هو أن الأفكار لها ترددات

كل فكرة لها تـَرَدّدٌ

يمكننا قياس الفكرة

(واحد مصرى طيب يقظ):

ربما يكون هذا صحيحا ، لا مانع عندى، لكن فى نفس اللحظة، نفس الثانية، توجد عند أى واحد منا، أفكار كثيرة ، لها ترددات مختلفة، والأفكار الشعورية ليست أكثر الأفكار قوة فى الترددات، والمطلوب منى، وأنا أجذب ما سوف يكون لى، أن أفعل ذلك بفكرى الذى أعرفه، فما هو السبيل أن أمنع ترددات الأفكار الأخرى التى تزاحم هذا الفكر مما لا أعرف، وربما يكون لها ترددات أقوى، فتجذب إلى داخلى ما طلبتْ هِىَ، لا ما طلبت أنا.

أمّا أن الأفكار تصير أشياء فهذا شىء له دلالات أخرى عندى لأنى أقبله بشكل آخر، فى العلاج الجمعى نحاول أن نقلب كل فكرة إلى شخص يتكلم، وفى الهلوسة (ليس بمعناها المرضى) تنقلب المفاهيم، الأفكار إلى أشياء فى عملية تسمى **"التعين النشط"** Active concretization ،

الأفكار تنقلب أشياء، هذا رائع يخفف عنا عبء الانفصال الذى حدث بين الفكرة والفعل والوعى والوجدان، لكن أن تُخْتزل إلى أن فكرتى فى الرغبة فى سيارة جاجوار، مع كل الجذب

الواجب تنقلب إلى أن أحوز سيارة جاجوار إذ تنجذب لى تلك السيارة من معرض سيارات الكون، بعد أن تهيئ الأسباب البشرية المادية طبعا (حتى لاتزعل سيدى)، أن يحدث هذا هكذا؟ فاسمح لى،

وماذا عما إذا ما أتتنى أفكار فيما لا أرغبه، لتحل محل ما أرغبه، هل تسمى هذا وسواسا أم ماذا؟، وكيف أدفعه؟

(الخواجة التاجر- ربما حسن النية):

عندما تركز فى الشيء الذى لا ترغبه

وتصرخ ـ"لا"ـ عليه

فإنك فى الواقع لا تقوم بدفعه عنك

بل إنك تحرك نفس فكرة ما لا ترغبه

(واحد مصرى طيب يقظ):

طيب ، بالله عليك، كيف أدفعه ؟

(الخواجة التاجر- ربما حسن النية) :

إنْ كنت تشتكى ـ "كم ذلك سيء"ـ

فإنك تنشئ مزيدا من ـ "كم ذلك سيء"ـ

القراءة

أشكرك، وددت لو حصلت على أحد الأحجار الكريمة قبل أن أنهى يومية اليوم. وهأنذا أعثر على أول حجر من هذه الأحجار،

أنا أوافقك تماما، بل دعنى أذيع لك سرا يوافقنى عليه أغلب مرضاى، وإلى درجة أقل يقتنع به الأهل، وإلى درجة أقل فأقل يصدقنى زملائى، وربما يسخرون منى بعد ذلك.

رحت مؤخرا أكتب تعليمات على أغلب الوصفات (الروشتات) التى أكتبها لمرضاى (أقول أغلب) أكتب ما يلى:

- ممنوع وصف الآلام والمتاعب والأعراض إلا للطبيب وحين يأتون لوصفها كما وعدت، أخرف بهم بعيدا عنها ما أمكن ذلك.
- ممنوع الكلام فى الماضى (خاصة بما يتعلق بالشكوى) مع المحيطين
- ممنوع الاستغفار، ويقلب حمدا مع الإكثار من الحمد
- وغالبا ما تظهر فى عيونهم تساؤلات، أو رفض، باعتبار ما يسمعونه فى وسائل الإعلام والدراما هو عكس ذلك، فهم يسمعون، أن العلاج هو أساسا **"فضفضة"**، ويعبرون عن ذلك بتكرار ما يقال لهم "طلع إللى فى قلبك"، "ما تكتمشى فى نفسك"، أحاول أن أفهمهم أن هذا بعد آخر، وأن علينا أن نوقف هذا التأكيد على الشكوى طول الوقت، ولعلك تلاحظ يا سيدى كيف أن هذه التعليمات تتفق مع ما أسميته أنت: "كم ذلك سيء". فإذا كان الامر يتعدى "كم ذلك سيئ"، إلى كم أنا سيء فخذ عندك: أثقال من تثبيت لا يمكن تصديقها

بل إن كثيرا من المرضى ينسون ما يشكون من آلام، ومصاعب، فيأتى الواحد منهم ممسكا بورقة مكتوب فيها أن عنده صداع فى الجانب الأيمن، وأحيانا يشير إلى الجانب الأيسر وهو يقرأ من الورقة، ليس معنى ذلك أنه يدّعى، لكن الذى أريد موافقتك عليه، وتوصيله إلى الناس أن كثرة تكرار ما هو شكوى، أو ألم، أو معاناة، يثبت الشكوى والألم والمعاناة بشكل مضطرد.

ثم إن الأهل أحيانا ما يشتركون فى لعبة التثبيت هذه بكثرة تذكرة المريض بما يشكو، وبما يعانى، باعتبار أن ذلك يخفف مما به.

أنا أتحفظ على تفسير ذلك بالإيحاء الذاتى،

لقد استبعدت تفسير **"السر"** الذى تحكى عنه بالإيحاء، لأن الشهود الذين شهدوا بتحقيق طلباتهم (من كتالوج الطلبات من الكون بالجذب المباشر - عقبالنا) لم يخيل لهم أنهم حققوها، بل هم حققوها بالفعل،

إن الإيحاء هو إيهام بما ليس هناك، فى حين أن السر يجعل الأفكار تصير أشياء عيانية حاضرة.

هناك أبعاد أخرى كثيرة فى اتجاه الموافقة على هذه النقطة الإيجابية قد نعود إليها ونحن نفحص أحجارا كريمة تالية، إذا نجحنا فى إزاحة غير ذلك،

ولنا لقاء فى يوميات قادمة.

الخميـــــــس 13-12-2007

104- قبـــــل قـــــــــراءة الأحـــــــــــلام:

أول أمس كان يوم مولده، 11 ديسمبر 1911، ذهبت بدعوة من د. زكى سالم إلى فرح بود، قابلت صديقين عزيزين حسن ناصر ونعيم صبرى، ياه!! بالإضافة إلى الداعى ومحبيين أفاضل أوفياء،

لم أكن قد ذهبت لأعوام حتى قبل رحليه (إن كان قد رحل)، قررت أن ألحق بقراءة هذه الأحلام القصيدة التى كتبتها فى عيد ميلاده الثانى والتسعين وكذلك قصيدة رثائه أيضا، حتى لو كنت قد نشرتها عشر مرات.

بل إننى إذا أعطانا الله العمر،

أريد أن أعترف أننى كلما قرأتهما حسبت أنى أقرأهما لأول مرة، وأننى لست الشخص الذى كتبهما.

****

قراءة فى أحلام فترة النقاهة
الحلم (15)

بهو رُصّت على جوانبه المكاتب .. إنه مصلحة حكومية أو مؤسسة تجارية والموظفون بين السكون وراء مكاتبهم أو الحركة بين المكاتب.

وهم خليط من الجنسين والتعاون فى العمل واضح والغزل الخفيف غير خاف. وأنا فيما بدا من الموظفين الجدد ومرتبى على قد حاله وشعورى بذلك عميق، ولكنه لم يمنعنى من طلب يد فتاة جميلة وهى كموظفة أقدم وأعلى. والحق أنها شكرتنى ولكنها اعتذرت عن عدم الاستجابة لطلبى قائلة:

- لا نملك ما يهيئ لنا حياة سعيدة

وتلقيت بذلك طعنة نفذت إلى صميم وجدانى.

ومن يومها تحسبت مفاتحة أى زميلة فى هذا الشأن على الرغم من إعجابى بأكثر من واحدة. وعانيت مر المعاناة من العزلة والكآبة.. وألحقت بالخدمة فتاة جديدة فوجدت نفسى فى مكانة أعلى لأول مرة. فأنا مراجع وهى كاتبة على الآلة

الكاتبة. ومرتبي ضعف مرتبها إلا أنها لم تكن جميلة بل الأدهى من ذلك أنى سمعت همسا يدور حول سلوكها، وبدافع من اليأس قررت الخروج من عزلتى فداعبتها فإذا بها تداعبنى ومن شدة فرحى فقدت وعيى وطلبت يدها، وقالت لى:

- آسفة!

فلم أصدق أذنى وقلت وأنا أتهاوى

- مرتبى لا بأس به بالإضافة إلى مرتبك

فقالت بجدية:

- المال لا يهمني

وهممت أن أسألها عما يهمها حقا ولكنها ذهبت قبل أن أنطق.

****

القراءة

هذا الشعور الأساسى فى الوجود، أن **تكون مقبولا، أن تريدك "أنت" أخرى،**

أن تسمح لك أن تكون رجلها،

هذا هو صك الاعتراف بوجودك من عدمه،

دع كل ما بعد ذلك جانبا:

البدء أن تكون مقبولا، مرغوبا فيك.

منعت نفسى أن أسمح "لعثمان بيومى" (حضرة المحترم) أن يتسحب إلى قراءتى لهذا الحلم، الفروق بلا حصر، لكن هناك ما أحضر عثمان إلى الساحة، فطردتُه،

القبول اعترافٌ بوجودك، تحليقٌ لك، يأتى بعد ذلك الحب أو الجنس أو الزواج على أرضية هذا القبول،

يبدأ الإعتراف بك من قِبلَ **"الأم"**، وقد ينتهى به، وقد يتطور منه،

الواضح فى هذا الحلم أن المرأة هى السيد، هى التى بيدها القبول والرفض،

الأم هى أول من يُنْتدب للموافقة على حضور ابنها إلى هذا العالم،

ومع أنها هى التى سمحت لطفلها أن يغادرها، أن يخرج منها، لينطلق إلى العالَمْ حيث ينتظره غيرها منهم ومنهن، **إلا أن موافقتها بقبول وجوده خارجها معها، ثم خارجها بعيدا عنها**، هى خطوة لا غنى عنها.

دعَ جانبا دور الرجل - فيما بعد - فهو دور خادع مخادع إذ يتصور أن الأمر بيده لمجرد أنه - غالبا - هو الذى يتقدم بالطلب

الأهم هو: "من التى تقبل"؟ وهل تقبل؟

.....

المسرح فى الحلم تقليدى هادئ هامس: العمل نمطى رتيب، بلا حركة حقيقية، العقول ساكنة وراء المكاتب، أما الحركة فتبدو حركة "سيرا فى المحل": بين المكاتب.

وبرغم ذلك فالرسائل الخفيفة تتبادل بين الجنسين: فواتح كلام، أو لتزجية الوقت.

الراوى يحسبها بالقلم والمسطرة هى: "موظفة" أقدم وأعلى (نستنتج نحن أنها أكبر سناً)، لكنه يُقدم، فترد عليه بالقلم والمسطرة أيضا: "لانملك" ما "يهيئ" لنا حياة "سعيدة"

فمن أين الطعنة، وفى صميم الوجدان؟

المتقدم مطمئن للنتيجة، وهو يعرف موقعه منها، فهى أقدم ليس فقط وظيفيا، وإنما، ربما، اجتماعيا، كما بلغنى من بقية الحلم، وربما من كلمة "أعلى"، فالرفض وارد، والأسباب موضوعية واضحة، فلماذا ينتهى المشهد بالطعن، وفى صميم الوجدان؟ (الوجود!)

الطعنة تأتى من عمق رسالة "الرد"، وليس من مجرد الرفض: **إنه غير مرغوب، فيه غير مقبول = غير موجود!!** وكأنها بهذا الرفض قد انتزعت هوية وجوده من جذورها.

.....

ها هو يعيد حساباته ليتجنب كل أسباب الرفض الظاهرة السابقة، دون الغوص إلى الأسباب الحقيقية، (مع أنه يعرفها، غالبا، لا شعوريا على الأقل)،

الفتاة الثانية تبدو نقيض الأولى، هو يتغاضى عن كل شئ حتى يتجنب الرفض، جمال متوسط، درجة وظيفتها أدنى، تعيينها أحدث، ثم ماذا يهمه عن الهمس حول سلوكها.

التقدم هذه المرة كان بدافع اليأس، اليأس من ماذا؟ اليأس من جدوى الانسحاب النهائى إلى قوقعته، اليأس من التنازل عن حقه فى الوجود.

ها هويكسر قوقعته، يخرج من عزلته مرة أخرى، ويبدأ بالمداعبة، (وليس مباشرة بطلب يدها)، فتستجيب (فإذا بها تداعبنى)، إذن فثم قبولٌ مبدئى،

ما لاح من قبول مبدئى هذه المرة يجعل الطعنة أقسى، حتى بعد أن "جاء على نفسه" جوابها جاء ببساطة أنها "آسفة"،

الرفض فى المرة الأولى، كانت أسبابه ظاهرة وعملية، كما قلنا

الرفض هذه المرة هو رفض آخر، أقسى وأمرّ، هو رفض له شخصيا، رفض له رجلاً، هل كان رد المداعبة ترضية خاطر؟

أو موافقة موقوته مرتبطة بالهمس حول سلوكها؟ ربما؟
أما أنْ تقبله رجلها، الآن، ثم دائماً؟ فهذا أمر آخر .
الطعنة هذه المرة فى الصميم، فى بؤرة وجوده تماما.
ما أن لاح له احتمال أنه مرغوب فيه (فإذا بها تداعبنى) حتى فقد وعيه
وفى غمرة نشوة احتمال القبول إذا بالصفعة تصقعه أنه "ليس هو الذى ..."، ليس أنت.
"لست أنت!
أنت لست مرغوبا فيك من أصله".
ما الذى ينقصه ليكون مرغوبا فيه؟
ماذا فعل حتى لا تعترف الواحدة تلو الأخرى بوجوده؟
ماذا عليه أن يفعل.
هل اعترفت به أمّه أصلا؟
هل اعترف به أحد؟
هل اعترف هو بنفسه، لنفسه؟
هل كان عليه أن يعدل من البداية عن المحاولة الأولى؟
هل كان مطلوب منه ألا يتنازل عن نقائص الثانية وما شاع عنها؟
هل كان عليه أن يحجم عن أية محاولة من الأساس؟
هل كان عليه ألا يصدق أنها بادلته المداعبة؟ إلا من باب المجالة، أو استجابة موقوتة متسقة مع الهمس حول سلوكها.
المال لا يهمها.
ما الذى يهمها؟
ما الذى يهم؟
هل يعود إلى قوقعته؟
إلى كهفه؟

لكن بالله عليكم: ماذا يغرينى فى جوف الكهف،
وصقيع الوحدة يعنى الموت؟
لكن الموت الواحد: ... أمر حتمى ومقدر،
أما فى بستان الحب،
فالخطر الأكبر
أن تنسونى فى الظل،
ألا يغمرنى دفء الشمس
أو يأكل برعم روحى دود الخوف.
فتموت الوردة فى الكفن الأخضر،
لم تتفتح
والشمس تعانق من حولى كل الأزهار،
هذا موت أبشع،
لا..
لا تقتربوا أكثر،

جلدى بالمقلوب
والقوقعةُ المسحورة
تحمينى منكم

(هذا الجزء الأخير هو من ديوانى "سر اللعبة" 1973)

وهو يدور حول مثل هذا الموقف بشكلٍ ما!

****

الحلم (16)

هنأنى الطبيب المساعد على نجاح العملية .. عقب إفاقتى من التخدير أشعر بارتياح عميق وبسعادة النجاة الصافية. دخلت الحجرة فجاءت الممرضة بكرسى وجلست مقتربة برأسها من رأسى. تأملتنى مليا ثم قالت لى بهدوء شديد:

طالما كانت أمنيتى أن أراك راقدا بلا حول ولا قوة!

قالت باحتقار وحقد

- جاء وقت الانتقام

وقامت وغادرت الحجرة تاركة إياى فى دوامة من الحيرة والقلق والخوف، كيف تتصور تلك المرأة أنى أسأت إليها على حين أنى أراها لأول مرة فى حياتى، وجاء الطبيب الجراح ليلقى على نظرة فتشبثت به قائلا:

- أدركنى يا دكتور فإن حياتى فى خطر!

فأصغى إلى وأنا أقص عليه ما جرى. وأمر بعرض الممرضات المكلفات بالخدمة فى العنبر على ولكنى لم أعثر على الممرضة بينهن

وغادرنى الدكتور وهو يقول:

- 'أنت هنا فى كامل الرعاية'

ولكن صورة الممرضة لم تفارقنى

ولم تغب عنى الوساوس.

وكل من دخل الحجرة نظر إلىّ بغرابة كأنى أصبحت موضع تساؤل وشك. وتراءى أمام عينى طريق طويل ملئ بالمتاعب.

****

القراءة

أهى عملية قيصرية؟

ليس تماما،

لكنها الولادة.

لا مفر هنا من استطراد لعرض موجز للأسس المبدئية لنظرية العلاقة بالموضوع Object Relation Therapy (المدرسة التحليلية الإنجليزية، ما بعد فرويد - ميلانى كلاين - فيربيرن-

جانترب)، مع التحذير المبدئى من أن نقرأ كلمات بارنوى Paranoid، أو اكتئابى depressive، أو شبه فصامى schizoid (شيزيدى) على أنها تشير إلى، أو تدل على، أية أمراض، إنها الألفاظ التى ارتضت هذه المدرسة أن تستعملها **لوصف مراحل النمو العادية عند كل البشر.**

نجيب محفوظ لم يقرأ التطورات الأحدث فالأحدث فى التحليل النفسى والمدارس النفسية، وهذا أفضل، هو يكتشفها أعمق وأروع، ويعلمنا ماهيتنا متأصلة انطلاقا من إبداعه (أبعد من ديستويفسكى لأسباب ربما أذكرها فيما بعد).

أعرف عنه احترامه لفرويد، وقد شاهدت تأثير فرويد فى بعض كتاباته هنا وهناك، واعترضت على المباشرة والرمزية فى بعضها، ومع أنه (نجيب محفوظ) غاص إلى ما غاص إليه كارل يونج، إلا أنى رصدته قد غاص بحدسه على حسابه دون تأثر مباشر بيونج، مع أنهما وصلا – تقريبا – إلى ذات القاع، مثلا فى (ليالى ألف ليلة لمحفوظ).

– حين أصدرنا أول عدد من مجلة الإنسان والتطور أرسلنا إلى كل من وثقنا فى رأيه نطلب توجيها ونقدا، لم يرد علينا سوى أربعة كان نجيب محفوظ أحدهم، جاء فى رد نجيب محفوظ ما يلى:

السيد الاستاذ / رئيس التحرير
تحية طيبة وبعد
فقد اطلعت على مجلتكم فكانت سبيلى – مشكورة – إلى تصور جديد لعلم النفس يماشى تطلع الإنسان المنهك المعاصر إلى التوازن والقيم والإيمان, وثق من أننى أتمنى لها الاستمرار والنجاح, وكانت أول نتيجة لاطلاعى عليها الاسراع فى اقتناء أحد مراجعها المتاحه وهى: علم النفس الانسانى
ولا أشك فى أنها تحوى جديدا
كما أعتبرها مجلة علمية ثقافية
كما أعتبرها نفحة حياة طيبة فى الركود الخانق
وفقكم الله ودمتم للمخلص

نجيب محفوظ
1980/1/24

هكذا كانت روعة متابعته وتشجيعه لكل جديد فى علم النفس وغيره، هكذا كا تشجيعه لكل محاولة جديدة، ولم أكن أعرفه آنذاك إلا قارئا عاديا لأعماله!! ولو كان عرف عن مدرسة العلاقة بالموضوع التى أقدمها الآن لكان أحاط بها أحسن منى.

هذه المدرسة التى أقدمها حاليا ترتب مراحل النمو العادى تدرّجا من مرحلة إلى مرحلة، تسمى كل مرحلة **"موقفا"**، وهى ترجع هذه المواقف إلى علاقة الطفل بأمه'

1- نبدأ بالطفل فى بطن أمه وعقب الولادة مباشرة حيث ليس له علاقة بأى آخر كموضوع أصلا، وتسمى هذه المرحلة الموقف الشيزيدى Schizoid position

2- ثم بعد الولادة بقليل جدا يبدأ الطفل التعرف على الموضوع (بدءا بأمه) حيث يغلب التوجس والحذر، ويكون أسلوبه فى التعامل مع أى آخر هو **"الكر والفر"** باعتبار الموضوع هو مصدر خطر فقط، إنه العدو الذى يهدِّدْه وجوده، وعليه أن يدافع عن نفسه تجاهه، وأن يتقى شره، وتسمى هذه المرحلة الموقف البارنوى paranoid

3- ثم يأتى الموقف الثالث حين يتبين الطفل أن الموضوع الذى كان يعتبره الطفل خطرا هو هو مصدر الحياة (الرضاعة) والدفء (الحضن) والحنان (العلاقة)، لكنه فى نفس الوقت هو مصدر خطر أيضا، لكنه خطر من نوع آخر، الخطر فى هذا الموقف الثالث يأتى من **التهديد** بالهجر، ومن ثم الموت جوعاً وضياعاً.

إذا تهدد الطفل من مصدر الحياة الأساسى بأن ثم احتمال للترك أو الهجر فإنه يستعد للانقضاض عليه للاحتفاظ به، فيخاف عليه، ويتقدم إليه، ويحتاجه، ويرفضه، ويكرر ذلك، وهذا هو ألم الاكتئاب الدافع للنضج إذا استمرت مسيرة النمو فى الاتجاه الصحيح.

"الموضوع" هنا فى الموقف الاكتئابى حقيقى، وبعيد، وقريب، وفى المتناول، ويهدد بالاختفاء فى نفس الوقت، **ذلك لأنه موضوع مُحبّ وخطر فى آن واحد.**

.....

أعرف أنى أطلت، لكنى شعرت أن تقديم هذه المدرسة، ولو بهذا الإيجاز، هو ضرورة مبدئية ونحن بعد فى حلم 16، ذلك لأن أسس هذه المدرسة هى محور فكرى النظرى، والتطبيبى والنقدى أحيانا،

فمثلا كانت هى الأساس الجوهرى فى نقدى لكل من **يقين العطش لأدوار الخراط ، واسم آخر للظل.**

الحلم

تدخل الآن إلى قراءة هذا الحلم (16)

يبدأ الحلم بإخطارنا أننا فى الموقف الشيزيدى الحالم الناعم تحديدا، قرأت ذلك باعتباره أننا فى مرحلة قبل ظهور الوعى الذاتى، نحن داخل الرحم حيث لا موضوع، يمتد هذا الوضع إلى ما بعد الخروج من الرحم مباشرة، لم أستنتج ذلك من بداية الحلم فقط، وإنما من فقرة فى أصداء السيرة الذاتية.

نتوقف هنا لنقرأ بعض **فقرة "99" فى الأصداء**

.... تحية للعمر الطويل الذى أمضيته فى الأمان والغبطة. تحية لمتعة الحياة فى بحر الحنان".

من خواطر جنين فى نهاية شهره التاسع

هنا فى هذا الحلم يمتد **"بحر الحنان"** بما يمثله **"التخدير"** إلى ما بعد الولادة (العملية)، الفرق هو ان هذا التخدير يحقق ما أسماه هنا **"ارتياح عميق وسعادة النجاة الصافية"** هذه هى الجنة قبل الوعى بالوعى، ومواجهة الآخر الموضوعى.

يشير الحلم هنا تحديدا إلى امتداد هذا الموقف إلى ما بعد الولادة (غير الأصداء)، وهو الموقف الشيزيدى الذى يمتد فعلا أياما او أسابيع بعد الوضع.

ينقلنا الحلم بعد ذلك مباشرة إلى الموقف التالى:

تظهر الممرضة وتقترب مثلما يقترب وجه الأم من الطفل،

أول عاطفة يشعر بها الطفل تسمى البهرْ Orientation حين تقع عيناه على أول وجه آدمى (وجه أمه عادة)،

بمجرد أن يتبين العقل أن ثمّ آخر - بعد دهشة البهر- يتحقق من أن هذا الكيان الآخر هو غير كيانه "لا أنا" " " not me موجود فى الدنيا، فى العالم، فنجد أنفسنا فى الموقف البارنوى يعيش الطفل موقف المطاردة والكر والفر والاتهام دون جريرة.

إعلان نية هذا الآخر فى الانتقام هو مجرد شكل من أشكال توضيح أن الآخر عدو بلا أدنى شك، وأن الثأر قديم قدم الخروج من الجنة (الرحم).

المهم هو أن هذا الموقف البارنوى يعلن أن **كل من هو "ليس أنا"** هو **خطر علىّ.**

استقبالنا التخدير هنا على أنه مرحلة ما قبل الوعى، يجعل الاستنقاذ بالطبيب (أدركنى يا دكتور فإن حياتى فى خطر) بمثابة إعلان للرغبة فى التنازل عن الوعى البازغ، بمعنى أنه إعلان الرغبة فى العودة إلى المرحلة السابقة (التخدير- الرحم) وهذا من آليات النمو فيما يسمى برنامج الدخول والخروج: in - and - out program (مما يحتاج لتفصيل لاحق).

التطمين الذى منحه الطبيب (لم يذكر هنا المساعد) قد يكون إعلانا لبداية النقلة إلى الموقف الإكتئابى **حين يصبح الآخر مصدرا للطمأنية، لكن دون ضمان طمأنينه دائمة**، وهذا ما يشير إليه استنقاذ الكيان المهدَّدْ بالجانب الحانى واهب الحياة الجراح الكبير، لكن فى نفس الوقت مع الوعى بالمخاطر بنفس الدرجة.

من هذا يمكن أن نلمح بزوغ **مرحلة الانتقال إلى الموقف الاكتئابى** (لم يظهر بعد)

اختفاء وجه الممرضة الخطرة، واستبداله بممرضات عاديات مكلفات بالخدمة، قد يشير إلى أن الخطر **ليس واقعا** بقدر ما هو **"مصنوع"** انطلاقا من الموقف البارنوى.

هكذا أصبحنا فى بداية الطريق الطويل الملئ بالمتاعب،

هى رحلة الحياة بكل ما بها، وما تطلبه وما تعد به.

عودة مرة أخرى إلى **نفس الصدى فقرة (99)** لنتأكد من القراءة، نسمعه وهو يقول:

.... دع عنك ترهات الإنتقال إلى حياة أخرى، كيف ولماذا وأى حكمة تبرر وجودها، أما المعقول حقا فهو ما يحزن له قلبى.

(من ذكريات جنين فى الشهر التاسع)

****

الأهرام: 2003/12/15
فى عيد ميلاده الـ "92"
صالحتنى شيخى على نفسى ..

... ما عاد رسم الحرف يقدُر أن يحيط ببعض ما يوحيه لى، فى عيد مولدك الجميلْ، فجر جديدْ.
فى كل عام أحمد الله الكريم وأرتجيه يكون 'يومى قبل يومك'، وأعود أكتشف الحقيقة أننى لم أصدق الله الدعاء. طمعاً بأن نبقى معا عاماً فعاماً.
.... كم أنت سهلُ معجزُ تسرى كمثل الماءِ إذْ ينساب عذبا رائقاً بين الصخور من الجليد وقد تربَّع شامخا فوق الجبل.

****

... زعموا بأنِّى قادر أشفى النفوسَ بما تيسر من علوم أو كلام أو صناعةْ
عفواً، ومن ذا يشفِى نفسِى حين تختلطُ الرؤى، أو يحتوينى ذلك الحزن الصديق فلا أطيق؟
حتى لقيتكَ سيدى، فوضعت طفلى فى رحابك. طفلُ عنيد. مازالُ يدْهش كلَّ يومٍ من جديدْ.
صالحتنى شيخى على نفسى حتى صرت أقرب ما أكون إليه فينا،
صالحتنى شيخى على ناسي، وكنت أشك فى بله الجماعة يُخدعون لغير ما هم.
صالحتنى شيخى على حريتى، فجزعت أكثر أن أضيع بظل غيري.
صالحتنى شيخى على أيامنا المرَّة مهما كان منها.
علمتنى شيخى بأنا قد خُلقْنا للحلاوة والمرارة نحمل الوعْىَ الثقيلَ نكونه كدحا إليه.

****

وسألته يوما: "هل ثم حلٌ فى الأفق"؟
فأجاب يحفز همتى: ''كلا''.
فسألته جزعا: لماذا ؟
قال: "صاحبنا تصور أنه صار المسيح المنتظر."
قلت : "الصليب نهايته.."؟
فأجاب وهو يكاد يقرص بعض أذنى: 'لسنا يهوذا'. .... وهو ليس المنتظر.

****

من وحى أحلام النقاهة- سيدى- نشطت خلايا داخلى:

" فحلمتُ أنّى حاملُ، وسمعت دقا حانيا وكأنه وعْدُ الجنيْ.
جاء المخاض ولم يكنْ أبدا عسيرا، وفرحت أنى صرت أما طيبة،
لكننى قد كنتُ أيضا ذلك الطفل الوليد،
فلقفت ثدى أمومتى،
وسمعت ضحكا خافتا. لا،.. ليس سخرية ولكن.....
.... وسمعت صوتاً واثقا فى عمق أعماقى يقول: 'المستحيل هو النبيل الممكن الآن بنا'.
لمست عباءتك الرقيقة جانبا من بعض وعيى، فعلمت أنك كنته'.
وصحوت أندم أنى قد كنت أحلم.

****

شيخى الجليل:
سامح مريدك إذ تتطاول فاستباح القولُ دون البوح يشطحُ تحت ظلّ سحابة الغفران والصفح الجميلْ.

****

نشرت فى الدستور
2006-9-6

لِمَ قُلتَها شيخِى: "كَفى" !!

ماذا جرى؟
كيف جرى؟
قد كنتَ فينا رائحاً أو غادياً تخطو بنا نحو الذى قد صاغَنا،
وجعلتَ إيقاع الحياة له صليلٌ مثل نبض الكون سعيا للجليل،
حتى حسبنا أنها لا تنتهى،
وظللتَ تخطرُ هامساً كالطيفِ، كالروح الشفيفِ، كظلّ رب الكون فيما بيننا،
وجعلت تنحت جاهدا **لتعيد تشكيل البشرْ:**
خُلماً فحلماً: واقعاً منّا، لنَا،
نسعى إلى عمق الوجود ليلتقى فينا بنا،
"لتَعارفُوا"
هذا "طريق الزعبلاوى"، نحو وجه الحق، نحو النور، نحو العدل، نحو الله فينا حولنا.
ومضيتَ تقهرُ كلَّ عجز، كلَّ ضعف، كلَّ هَم،
حتى دعْونا ربنا أن تقهر الساعات تسحَبُنا إلى المجهول إذْ تخفى العدمْ,
حتى نسينا أننا بشرٌ لنا أعمارُنا

****

لم قلتَها شيخى : "كفى"؟
الآن؟ كيف الآن ؟ شيخى !؟ ربنا !؟ بالله ليس الآن،
إرجعْ عقارب ساعتكْ،
لا،
نحن لسنا قدْرها,
ليستْ "كفى"
لا ،

ليس هذا وقتُـها ،
أفلستَ تعلم أننا فى "عِـز" حاجتنا إليك؟
أفلستَ تعرف ما جرى؟
أفلستَ تعرف كيف تنهشنا السباعُ الجائعة؟
أفلستَ تعرفُ أن ما يأتى بدونك لهْوَ أقسى ألف مرة ؟
لو كنتَ أقسمتَ عليه،
من أجل خاطِرنا،
لأبرّك الله العزيز بقدر ما وعد الذين هـُمُـوا كمثلك.
لَم قلتَها شيخى: "كفىً؟
كنا نريدك دائما تخطو جميلا بيننا،
كنا نريدك خالدا فى قرة العين هنا،
كنا نريدك مثل أطفالٍ أبوْا أن يُفطموا من حلو ما نهلوا عطاءك، مثلنا،
كنا نريدك نحتمى فى دفء بُرْدِكَ من برودةِ عصرنا.
لكنَّ خاتمة الكتاب تقررت، فسمعتَها،
وكتمتَها حرصا علينا،
وانسحبتَ برقةٍ وعذوبةٍ،
وتركتَنَا.
لَم هكذا؟
علّمتنا شيخى بأنا قد خُلقنا للحلاوةِ والمرارة نحملُ الوعى الثقيل نكونُه سعيا إليه.
فاجَأتَنَا،
ورحلتَ دون سَؤالِنَا
وبكى الخميسُ لقاءَنا،
وتركتَ بيتَى خاويا فى كل جُمعةْ.

****

ماذا جرى؟
كيف جرى؟
هل يا تُرى : قد كان همسا من وراء ظهورنا يدعوك سرًّا:
ورجوتَ أن تلقاه شيخى بعد ما طال العناءُ؟
فاستاذن الجسدُ العليل بشجّةٍ فى الرأس كانت عابرة؟
لا لم تكن أبدا مصادفةً، ولم يشأِ القدرْ،
كانت نذيراً بالوداعْ،
قطعتْ حبالَ وصالنا
فتهتك العهدُ القديمُ وحرَّرَ الجسدَ العنيدْ،
والشيخ درويشُ "الزقاق" يقولها:
"لا شيء دون نهايةٍ"
وهجاؤها:
"قد حان وقتٌ للرحيل".

****

عُلمتنا شيخى الجليل:
أن الخلودَ بهذه الدنيا عدمْ،
والموتُ لا يُنهى الحياةَ لكلِّ من أعطاها مثلَك نفسَهُ،
الموتُ ينقلها إلى صُنَّاعها من بعض فيضك،
قد كنتَ رائدَ حملها
يا للأمانة !!
يا ثقلها !!!

هل جاء من أنباكَ أنّا أهلُها؟
حتى الجبال أبيْنَ أن يحْملنَها.
كيف السبيل, وكل هذا حولها ؟
****
لكنَّ ما قدّمتَ علّمنا "الطريق" إليه عبر شعابها:
لَما عرفتَ سبيل دربك نحوه،
كدحاً إليه :
ودخلتَ فى عمق العباد تعيد تشكيل الذى غمرتْه أمواجُ الضلالْ، حتى تشوّه بالعمى والجوع والجشع الجبانْ،
****
شيخى الجليل:
ما دمت أنتَ فَعَلتْهاَ
فانعم بها
واشفعْ لنا
أن نُحمل العهدَ الذى أوْدَعْتنَاَ
شيخى الجليل:
نمْ مطمئنا،
وارجع إليه مُبْدعاً،
عبر البشر،
وادخل إليها راضيا،
أهلاً لهاَ.

- فضلت التقريب لمنع الخلط الذى يحدث حين نترجم Schizoid إلى شبه فصامى، وهو خطأ صرف.

الجمعـــــــة 14-12-2007

105- حـــــــــوار/بريـــــــــد الجمعـــــــــــة

حـوار بلا ترتيب

على مدى ربع قرن!! بين ابن وأبيه!

اعتذار:

اعتذر لبقية المتحاورين، ليس بالضرورة لأسباب عائلية، ولكن لتقديم هذا الملف متكاملا، لعل وعسى، ثم إننى أنصح أن يطبع ويقرأ على الورق، لست أدرى لماذا، وأنتظر التعليق، فعلاً.

تمهيد

الذى حدث أننى أجلت ردى على د. محمد يحيى الرخاوى (تصادف أنه إبنى) فى حوار الجمعة الماضى، واعداً إياه أن أحاوره هذا الأسبوع هو ود. كريم، وما تيسر مما أجلناه من فيض الابن رامى عادل وطلاقته، ثم إنى اعتذرت لمحمد بأن أودعت مقاله (تعقيبه) فى ملف "المحررون الضيوف" الملحق بالنشرة" دون نقاش حتى الآن.

هذا الصباح قلت: آن الآوان أن أرد اليوم.

* طبعتُ مقال محمد وأعدت قراءته

* طبعتُ معظم المقالات المتعلقة بالموضوع التى ظهرت فى اليومية فى الشهر الأخير.

* وجدتنى قد أشرت إلى مقالى القديم الذى نشرته فى الإنسان والتطور بعنوان **"الوحدة والتعدد فى الكيان البشرى"**، وهو المقال الذى أشير إليه دائما كلما عاودت الكتابة فى هذا الموضوع.

* قرأت معظم التعليقات التى رحبت بتعليق محمد، وبعضها كاد يصفق له مثل د. كريم شوقى، د. أسامة عرفه، أ. رامى عادل، يبدو أنهم فرحوا أن ابنى ينكشنى، وينقدنى، وينبهنى، وكلام من هذا.

فجأة وجدت نفسى أمام حوار من نوع آخر، تميز بما يلى:

(1) مقالات بأكملها تناقش نفس الفكرة.
(2) الزمن بين أول مقال وآخر مقال أكثر من ربع قرن.

(3) كان عمرى أيام كتبت المقال الأول 47 سنة وشهران عدد أكتوبر 1981، وعمر محمد الآن :46 سنة إلا شهرين.

(4) عثرت على مقال لمحمد كتبه فى نفس السنة التى كتبت فيها مقالى الأول، وتعجبت أنه مرتبط بموضوع متداخل مع موضوع التعدد وكان عنوانه **"حول طبيعة المعرفة": المواجهة بين الفطرة والتعلم"** نشر فى عدد يناير 1982

(5) رجعت إلى يومية 2007/11/26 بعنوان **"القشرة والفطرة والتعدد والواحدية"** فوجدت ما يوازى مقال محمد (كان بعد طالبا جامعيا فى السنة الثالثة كلية الأداب) عن الفطرة والتعليم، وقدم فيه منظومتيه اللتين اسماهما أنذاك **"المنظومة الفطرية"، "المنظومة المكتسبة"**، ليخرج من تفاعلهما ما اسماه **"المنظومة التطورية".**

(6) عثرت على فقرة مهمة – مضيئة – فى مقال **"تعدد الكيانات وحركية الإبداع".**

ونظرت فى كل ذلك معاً، فقررت أن أجعل حوار اليوم – مهما طال – **"حوار مقالات"**، بفروق زمنية وفكرية بين الأجيال، وبين المقالات، فروق تتراوح بين عشرين وثلاثين عاما تقريبا. رأيت أن لها دلالتها وأهميتها.

تردد وتساؤلات

بعد كل ذلك غمرتنى أسئلة لم أستطع الإجابة على أغلبها مثل:

1- هل هناك فائدة فى هذا الحوار المقالاتى أم انها منظرة عائلية؟

2- هل هناك وجه شبه بين ما كتب باكرا وما كتب لاحقا؟ وهل وجود وجه الشبه يدل على الجمود؟ أم على وضوح الرؤية؟

3- هل ثم مجال لمقارنة منهجية بين هذه الأبعاد بهذا الفارق الزمنى؟

4- هل القضية التى طرحت هكذا – وغير هكذا – لها مكان حاليا فى تطورنا العملى والفكرى والحضارى؟ أم هى لعبة استعراض عضلات المخ؟

5- هل ثم مجال لإسهام آخرين فى هذا الحوار

قبل أن أوضح نظام تقديم حوار اليوم، أود أن اعترف بالفضل لهذه المجلة -الإنسان والتطور- التى ظهرت **بالصدفة** منذ ربع قرن، ولم تكن توزع إلا بضع مئات كل ثلاثة أشهر، ثم لهذه اليومية التى ظهرت **بالورطة والعناد** والتى أثارت كل هذا الجدل .

كل ما فعلته هو أنى قمت بترتيب هذه المقالات (الحوارية) آملاً فى مقارنة، واحتمال التقاط الحوار، مع أقل قدر من التعقيب:

المقال الأول: 8-12-2007

الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى

كيف؟ إلى أين؟

محمد يحيى الرخاوى

الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوى:

عندما بدأتم – مرة أخرى- فى تناول مسألة تعدد الذوات فى ندواتكم الشهرية بالمقطم، وأعلنت أنا فيها أننى أواجه صعوبة فى تقبل مسألة "تعدد الذوات" هكذا، كنت أكتب لكم ورقة (أسميها هنا الورقة الأولى) لم أنهها إلا الآن للأسف؛ فلم أرسلها، وانتظرت حتى أفهم أكثر. ثم إذا بكم تعيدون طرح الموضوع فى كتابتكم (اليومية !!!) فى موقعكم الإلكترونى، فوجدت نفسى أكتب لكم (الورقة الثانية) حيث أتصور أننى أنجزت بعض خطوة إضافية فى توضيح مكمن صعوبتى، وتحديد تحفظاتى. وها هما الورقتان اللتين سأشرف بقراءتك لهما بكل تأكيد.

الورقة الأولى

الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوى

تكرر إلحاحكم على مسألة **تعدد الذوات** فى النفس البشرية (عامة). ومع كل تكرار أستعيد صعوبة بالغة فى الفهم والاستيعاب، وأستعيد أيضاً لمحات خاطفة من مشاعر الموافقة والتسليم بل والترحيب أحياناً. هذا بينما كان تعبير الصديق حافظ عزيز (ومثله هالة نَمر وغيرهما كُثر) أنه عندما يقرأ كتاباتكم عن تعدد الذوات فكأنه يقرأ من يشرح له كيف أن 1+1=2.

وفى محاولة لفهم منشأ الصعوبة التى أواجهها، وكذلك منشأ لمحات التسليم والراحة هذه، خصوصاً عندما لا يتعلق الأمر بمجال المرض النفسى وعلاجه وأعراضه ومضامينها، أجد عدة عوامل متجاورة، أشير لبعضها كالتالى:

1- إن فرط ثقتكم فى مسألة التعدد وفرط ثقتنا فيكم تدعونا للقبول دون فهم كافٍ، ودون تدقيق مفهومى مناسب لمن أراد للمسألة أن تتحول إلى علم مؤسَّس على وضوح المفاهيم وتعريفها. إلا أن إلحاحكم والتكرار يدعوانى لرد الدعوة إليكم لإعادة النظر فى الصيغة كما تطرحونها وتتواصلون بها، فكأنكم أنفسكم تستشعرون أن ما وصل للغالبية غير كاف لترسيخ اتفاق مقبول أو تواصل منتج.

2- أحياناً أفترض فى شخصى وقدراتى وخبراتى قصوراً هو ما يعجزنى عن الفهم، وأفترض أحياناً أخرى أننى أخاف؛ فأستخدم آلية للدفاع النفسى تمنعنى من الاعتراف بطبيعة التعدد كما تطرحونها بصيغة الذوات، مما يجعلنى أصمت غالباً، فى انتظار الفرج أو النمو. بل أحياناً أخرى، عندما تفرض لحظات التسليم نفسها علىَّ، يصل بى الأمر إلى تصور أن تحفظاتى منبعها عزة بالإثم، وهذه من بين أكثر ما أكره فى البشر وفى نفسى بالطبع.

3- أجدنى أقرب للموافقة عندما تُطرح المسألة بصورة ضمنية، من خلال **"ممارسة"** لعبة، أو **"ممارسة"** تواصل علاجى ناجح؛ أو طرحت مفهومياً فى سياق مناقشة مرض نفسى جسيم دون تعميم على غير المريض المحدد، حيث يبدو الأمر سلساً وقريباً. ومَن مالَ للثقة فيكم مالَ للإمساك بهذا السلس القريب حتى ولو دون فهم. إلا أن هذه السلاسة والقرب يستفزان ملكتنا المفهومية، فهما سلاسة وقرب خارج حقل السيطرة المفهومية المعتادة، كما أن غياب الفهم المستقر يجعل هذا السلس القريب يطير بسرعة.

4- أما عندما يتم استخدام الكلام المجرد، المفهومى، المعمم من المرضى على غير المرضى؛ فلا أستطيع إلا أن أقول أنى أصادف الكثير من التأكيدات لفكرة الذوات المتعددة لا يساندها شرح يبرر كونها ذواتاً (إلا فى القليل) ولا تدعمها مشاهدات ذات ثبات علمى متفق عليه. ثبات يربط النتائج بالمقدمات بطريقة تجعل النتائج ("تعدد الذوات"، أو **"صيغة"** تعدد الذوات) **ضرورية**. والحق أن إظهار **الضرورة من أهم محكات الصدق** التى أثق فيها وأعتمد عليها حين أحسم مسألة تصديق مقولة أو نظرية.

هذه بعض من انفعالات عديدة تمر بى وأنا أتابع إصراركم على توصيل الفكرة. والانفعال، بمعناه اللغوى قبل الاصطلاحى، أقل من رد الفعل الذى أتمناه حواراً فاعلاً. هكذا أطرح عليكم مجموعة من الأسئلة أعتقد أنه سيكون فى محاولتكم الإجابة عليها -إن فعلتم- ترسيخ للفكرة، وإجابة لتساؤلات لا أعتقد أننى الوحيد الذى يسألها، وتسهيلاً لتواصلها بما يمكن أن يفيد منها كما أوقن أنكم تأملون:

1- أحياناً أفكر: لماذا صيغة تعدد الذوات، دون صيغ أخرى أسهل وأقرب وربما تؤدى الوظائف نفسها (إذا كانت تؤدى الوظائف نفسها!!)؟؟ هذا تساؤل صادق يبحث عن إجابة عادلة، وليس استنكاراً لصيغتكم كما قد يتبادر. لماذا تصرون على صيغة جاهزة، وربما تكون اختزالية، لا شارحة ولا مفصلة، لفكرة التعدد، هذا بينما أتصور أن تجليات فكرة التعدد متنوعة أكثر بكثير (وربما لانهائية) من سجنها فى صيغة الذوات؟

2- محك آخر من المحكات التى أعتمد عليها بشدة فى قبول ما أقبل والتشكك فيما عداه (غير محك **الضرورة** المذكور آنفاً والذى سأعود إليه) هو محك **الفائدة**. قد لا نفهم ولا نوافق على صدق فكرة بشرحها، بينما يمكن أن نقبلها إذا عرفنا فوائدها أو عرفنا عن فوائدها، تفصيلاً وتعداداً (ودعاية أيضاً): فما فائدة تعدد الذوات (بهذه الصيغة غير الرحبة؟؟ أعتقد أن جهداً إضافياً فى سبيل الشرح والتفصيل وبلورة الفوائد سيضيف إلى أهمية الفكرة وثباتها أو رسوخها، بعيداً عن الاستثناء المتطرف لحالات المرض النفسى الصريح. لا أعتقد أنه يكفى لبيان الفائدة أن تصوغوا رؤيتكم عن الإبداع أو الصحة النفسية أو الوعى فى إشارات مختصرة، هكذا بمفاهيم لا تخلو من إجمال

التفاصيل وغموض التعريف وغياب الاتفاق، بل لا تخلو أيضاً من شبهة حمولة قيمية متحيزة، حتى لو وافقكم عليها مريدوكم الذين أظنني واحداً منهم. لا ولا يكفي أيضاً أن تستشهدوا باستجابات هؤلاء المريدين وغيرهم الكلامية في ألعاب علاجية مصوغة بطريقة موحية وموجِّهة. إن الرحابة التي يوفرها وينشؤها لعب الدراما في ألعاب الدراما لا تحتاج -بالضرورة- إلى فكرة الذوات المتعددة. نتكلم في الجلسات العلاجية بالدراما عن أدوار تُلعب في تفاعل مع كل من "السياق" والكاركتر (الشخصيات، ولكن بالمصطلح الدرامي الأدق والألطف)، ومع ذلك فهي توفر ما يكفي ويفيد من الرحابة ومن التحرر من وطأة الذات المعلنة ومن اللعب بالإمكانات الأخرى. أتوقع ألا يغطي هذا كل ما تريدون تغطيته بكفاءة، ولكن هل فعل مصطلح الذوات ذلك؟

3- وأخيراً: لماذا لا تربطونها -مباشرة ودائماً وفي كل مرة تعرضونها فيها- ببقية عناصر فكركم **التطورى خاصة**، والذى أعتقد أنه يحمل الكثير من الشواهد التي سوف تقربها من الذهن (على الأقل ذهني)؟ أتصور أن الحفاظ على هذا الربط، مهما تكرر، سيؤدى إلى إسهام مفيد تبادلياً لكل من المسارين الفكريين (إن كانا اثنين). سأفهم أسهل عندما تتكلمون عن النمر الشكاك المفترس في داخلي، أو عن الحمار الخدوم حمال القاسية، أو عن السلحفاة البطيئة طويلة العمر أو الثعبان المبتلع الملتصق بالأرض، وبياتهما الشتوى، أو حتى عن الجنين (لا الطفل، هذا الذى أراه دوراً أكثر مما يصلني ذاتاً داخلية أو كياناً مكتملاً)، وأكاد أدرك الضرورة الحجازية/البيولوجية معاً لكل هذه المجازات التطورية الرائعة، والحق -كما أتصور- هو أنها كلها مجازات تستأهل أن تكون كذلك، بينما يصلني مجاز "الذوات" أضعف وغير ضرورى أو مفيد، تواصلياً على الأقل.

يبدو أن تحفظي الحدسي، على فكرة تعدد الذوات لا ينصب على مسألة التعدد، بالأحرى فإن التعدد هو ما يكمن وراء ومضات قبولي وتسليمي بل وراحتي المبهمة والتي أشرت إليها في البداية. إذن يبدو أن تحفظي الحدسي ينصب على مسألة أنها ذوات.

لمصطلح الذات عندى دلالات ضمنية لا أستطيع منها خلاصاً. فالذات **الذات أصلاً كيان مفتعل وهش، وغير مستقر الاستقرار الذى يُدَّعى له**، هذا بالإضافة إلى أن الذات **ورطة** أو مقلب (بالمعنى البلدى للمقلب) أو حتى خازوق لبسه الإنسان. لماذا أضيف كيانات/ورطات عديدة مفتعلة وهشة (الذوات) إلى كيان (الذات الواحدة: الأنا المتفردة) هو أصلاً مفتعل وهش ومقلب (إحنا ناقصين!!؟). وكأنني بدلاً من أن أثبت هشاشته وافتعاله وكونه مقلباً إذ يدعى واحدية والتئاماً مفتعلين، وبدلاً من أراجعه لأظهر أنه يتوهم حدوداً لاوجود لها تفصله عن عالم لا نهائي الاحتمالات، أثبت له واحديات (ذواتاً) أخرى، دون أن أتفادى ما يتضمنه هذا من افتعالات وربما مقالب إضافية؛ فلفظ "ذات" يحيل بالضرورة إلى ملتئم فاصل بين أناه ولاأناه،

يحيل إلى ما له حدوده وادعاءاته الكاذبة التى تسمح له بادعاء كونه ذاتاً.

أعلم جيداً أن كثيرين من تلاميذكم يقبلون طرحكم قبولاً حقيقياً، إلا أن معظمهم ممن يحتكون بشكل أو بآخر بما هو مرض نفسى (جسيم خاصة)، وربما أيضاً ينطلقون منه لفهم النفس عموماً، والحق أن هذا منطلق طالما استفزنى وتحفظت على أحقيته فى أن تقاس عليه أمور الإنسان بعامة. بالطبع لهذا أسباب ليس هذا مكان الخوض فيها، إلا أن له أيضاً مشروعية ينبغى أن توضع فى الاعتبار.

لماذا يقاس الوجود كله على الوجود الفصامى؟ ألأن التفسخ يظهر التشريح الذى لا نراه دونه؟ أعتقد أن فى هذا القياس قفزات مغالَطة يمكن (ويجب) مراجعتها. إن أهم ما يمكننى المحافظة عليه بتحفظى هذا هو لا نهائية احتمالات التكوين البشرى (فى صحته وإبداعه ومرضه)، وليس لصالح وحدة الذات كما يمكن أن يتصور من يسمعنى أكرر إعلان صعوبة فهمى لتعدد الذوات. هذه اللانهائية يمكن أن يشير إليها وينفى ضدها كل تعدد أو حركة أو جدل أو تفكيك أو خلافه مما قد نعرف ولا نعرف، وليس بالضرورة تعدد الذوات.

الذوات المتعددة يحتاج كل منها لاسم، ولحد، ولفاصل يفصل بين ما تعتبره هذه الذات "أنا" بالنسبة لها وما تعتبره "لاأنا"، وكل ذات تحافظ أيضاً على نفسها وعلى هويتها وعلى بقائها، إلى آخر ما ينبغى أن يتوفر من شروط لكى يسمى أى حضور أو وعى ذاتاً. وهذه شروط أراها قاسية على إمكانات التداخل وإعادة التشكيل وحتى الولادة من جديد لكل حضور داخلى متنازع أو متناوب أو متضام أو متتعتع أو متجادل إلى آخر ما لا آخر له من احتمالات أوقن أننا لا نعرف عنها إلا أقل القليل، حتى لو كنا نخبرها ونحن نسعى لواحدية هى دائما أول هذه الاحتمالات وآخرها وقلبها وغايتها معاً. بل إن الفصل الذى يسمح للذات بترسيم حدودها هو نفسه موضع تساؤل جوهرى، ومع ذلك فلهذا حديث آخر.

المسألة أن استعمال دال "الذوات" يقصر الرؤية والصياغة على أقل كثيراً مما يرام الإشارة إليه.

"الكيانات" - مثلاً- أيضاً لفظ غير كاف، ولكنه لا يحرمنا حرية التفكير فى كل المنظومات الممكنة التى يستعملها الإنسان لتنظيم إدراكاته (أو حتى أبعاضه) ليتمكن من التعامل معها. كما أنه (الكيانات) دال لا يحرمنا من تصور إمكانات حركة وهدم وإعادة تشكيل وجدل وتفكيك وخلافه، على الأقل ليس كما يفعل دال "الذوات". [تذكرت الآن فقط كيف أن بعض الكتاب بالإنجليزية يستعملون الدال "Construct" على سبيل المثال] .

الكاركتر Character أيضاً يحمل مزية دلالية لا تحملها الذوات، فهو يحيل لمنطقة اللعب (لعب الدور)، هكذا يمكننى أن أتكلم عن فلان بأن له characters أو كاركترات (بالعربية)

متناقضة أو متناوبة أو متناغمة، وهكذا ونحن نلعب، ونتعمد اللعب. كما يحق لنا أن نتخلى عن لعبة ونبدأ في غيرها دائماً، بل يحق لنا أن نخترع كاركترات لم نرها، أو أن يتغير كاركترنا في الحلم أو في علاقة، أيضاً إلى ما لا آخر له. وربما نرغب في أن نزيد الأمر جدية في شؤون العلاج أو الإبداع أو العمل أو غيرها؛ فليس هناك ما يمنعنا. لا توفر لنا الذات أو الذوات مثل هذا كله، فهي دائماً ما تذكرني بما هو "أنا": أنا التي أتمنى أن أجد طريقة تخفف عني وطأتها.

بل إن **الكلمات** بدورها يمكن أن تكون تمثيلات لكيانات داخلية (ذات حضور خارجي تواصلي). نعم يمكنني أن أسميها كيانات، ويمكنني أن أتصور للكلمات كاركترات أو طعوماً (جمع "طَعْم"). للكلمات روح، وقديما كتبت عنها أننا "*تنفخ فيها ما يتخلق فينا من أرواح / نعجز والعجز فضيلة*". فأين الكلمات بوصفها "كيانات" من "الذوت" بوصفها "أنوات"؟

ثمة ضمنية مهمة للغاية هنا: عندي أن الكلمات محض **احتمالات تتحقق في لحظات** مهمة للمعنى، هي ليست كيانات بالمعنى الدائم المستقر، هي لحظات زمنية تتخذ أشكالاً تتحمل البقاء لفترة في الزمن "بوصفها ذاكرة" وحسب. لماذا لا ينطبق الأمر نفسه على الكيانات التي تسمونها ذواتاً؟ لماذا لا يتم النظر إليها بوصفها محض احتمالات ممكنة من بين احتمالات لانهائية. إن هذا التصوير يعفيني من أن تكون الذوات قائمة وثابتة ومحددة وحاضرة هناك حيث لا أعرف، وهو يعفيني لا لصالح المعرفة، بل لصالح مزيد من الجهل المنفتح ومزيد من رحابة الإمكان.

من هنا، وعلى صعيد الفصام؛ أتصور أن مسار الفصامي – مرة أخرى- لا يصلح كقياس، وخصوصاً في مسألة الذوات. أتصور أن ما يجعل من تعدد الذوات بارزاً لدى الفصامي هو اختلال في الحركية الطبيعية لجدل الكيانات (أياً كان نوعها) يجعلها تظهر في غير موعد ظهورها ولا سياقه، (أي دون أن تتكامل في شكل تواصلي مقبول واقعي، كما يحدث في الحلم مثلاً)؛ فتظهر ناقصة، ناكصة، هوجاء ولا تواصلية وبدون ذاكرة أي لا واقعية؛ فالتواصل في جوهره مؤسس على إدراك الواقع المشترك، وليس على الكلمات التي يمكن أن تكون جدلغة عند الفصامي وتظل كلمات، وإن كانت لاتواصلية، وبلا ذاكرة. بعبارة أخرى: إن الذوات المتعددة لدى الفصامي (أو حتى في الحلم) لا تكافئ ولا تغطي الاحتمالات اللانهائية لطبيعة الكيانات أو المنطومات الداخلية. بمعنى أن بقاء حالات الذات، التي لا يفترض لها أن تبقى ثابتة دون التئام يجعلها تستحق أن تبقى في الذاكرة؛ هو عرض مرضي وليس ظاهرة أصلية كما يوحي القياس على الفصام. هكذا يمكن النظر لذوات الفصامي بوصفها ظاهرة استثنائية تجمعت فيها أجزاء مشتتة دون استمرار السعي للالتئام الأوسع للذات الكلية الواحدة، أو مع الذات الكلية الواحدة.

أما فيما عدا هذا، وبعد هذا، فليست لدي تحفظات.

كما أنى أنفى عن نفسى الآن تهمة العزة بالإثم وأنا أعلن أنه ما زالت لدى صعوبات، حتى ولو لم أنف احتمال أن تكون صعوباتى نتيجة تواضع فى الرؤية، أو فى مرحلة النضج، أو الحرية.

وأخيراً أشكركم على تحملكم.

التعقيب:

أرجو يا محمد أن تعذرنى أنى أخرت الرد، وأن ترجع إلى ما كتبتُ قبل ربع قرن (المقال التالى مباشرة) لترى بنفسك أنه كان عندى نفس تحفظاتك، كما أرجو ألا يجعلك ذلك تتراجع عن مواصلة الحوار، فثم تفصيلات كثيرة تحتاج إيضاحاً وإعادة تناول، كما أن الدعوة عامة.

***

المقال الثانى:
مجلة الإنسان والتطور عدد اكتوبر 1981
الوحدة والتعدد فى الكيان البشرى
يحيى الرخاوى

دراسة الإنسان شديدة الصعوبة، شديدة الخطر، فهى شديدة الصعوبة منهجا، شديدة الخطر جوهرا وعواقبا، وحين أقول "دراسة الإنسان" فأنا إنما أعنى دراسته

(1) كيانا،
(2) وجوهرا،
(3) وتركيبا،
(4) وسلوكا،
(5) وغاية،
(6) وجزءا من كل إكبر،

ذلك أن إشاعة دراسة الإنسان كانت -ومازالت- تخضع لعوامل أخرى غير حقيقتها:

1- فالإنسان **هو الشيء "الممكن دراسته"** اعنى أن الظاهرة الانسانية تختزل الى ما يقع فى قدرة أدوات الدراسة ومدى المنهج المستعمل، فاذا قصر المنهج عن رؤية بعد ما فى الوجود البشرى فلابد أن هذا البعد غير موجود أصلا ضمن الظاهره الانسانية، وهذا موقف متواضع عاجز، ورغم إنه عملى ومنطقى ... الا أن الخماس ضاعف من عملية الإنكار هذه حتى أصبح **الإنسان مجموعة ظواهر قابلة للقياس والفحص** حتى ولو لم يكن كذلك فقط، أو لم يكن كذلك أصلا.

2- ثم تأتى فى الطرف الآخر دراسة الانسان من منطلق محتوياته، **الانسان هو مجموع ما يحوى من مخزون وطاقة** يحددان سلوكه ومعالمه جميعا، وتخضع دراسة هذا الذى يحتويه هذا الوعاء لإستنتاجات منطقية وعينات محتملة من هذا المحتوي، وتفسيرات رمزية تترجم هذا المحتوى إلى تصور ممكن.

ويتساوى هذان الإتجاهان فى أنهما يجعلان الإنسان مجموعة أجزاء، سواء كانت نتاج جزئيات السلوك، أم تراكمات المحتوي، فهل هو كذلك؟

3- وهنا يقفز إلينا مفهوم كلى شاع منذ الخمسينات، يتناول الإنسان باعتباره **"كيانا كليا واعيا وإراديا"** وقد سمى أغلب المتدرجين فى هذا الإتجاه باسم شامل غير واضح المعالم وهو **" الاتجاه الإنساني"**، واستعملوا لغة عامة أقرب الى لغة الشعر متصورين إنهم بذلك قد تخطوا التجزيء والتفتيت، إلا أنهم فى حماسهم نحو الكلية ضد الجزئية قد تخطوا أيضا إحتمال التعدد أصلا، وأصبح **الانسان لديهم وحدة نامية بشكل متصل**، وهم لم يبسطوا الأمر لدرجة التسطيح الذى قد يبدو من ظاهر تقديمي، فالانسان عندهم كيان مركب شديد التعقيد والتكثيف بلا أدنى شك، لكن تركيز هذا الاتجاه على كلية ووحدة الإنسان يتخطى بشكل ما إحتمال تعدد تركيبه ووجوده جميعا.

فالإتجاهات الثلاثة قد سلمت بشكل أو بآخر على اعتبار الانسان"وحدة" بشكل أو بآخر، وهذا أمر بديهي، بل وضروري، لأن المترتب عليه هو أمور عملية ووظيفية لا تحتمل غير ذلك، فأى فرد كائنا ما كان وبغض النظر عن "ما هو"، هو يقوم من نومه ويغسل وجهه ويذهب الى عمله ويجيى الناس ويكسب القرش ... الى آخره، وعامة الناس لا تقبل فى أى شخص كائنا من كان هو، (أو "ما هو") أن يكون غير ذلك، ولا تستطيع أن **تعامله إلا بصفته الواحدية المفردة** واذا ما كان الأمر غير ذلك، فإن الدهشة تبدأ، والأحكام تصدر، فاذا كان "هو" أحيانا **"هو"**، وأحيانا ليس **"هو"** وإنما هو آخر، (وفى الحالين فهو واحد مفرد) قيل أنه متقلب أو غريب الأطوار أو ذو وجهين (لاحظ أنهم لا يقولون "ذا شخصين") وقد يتحلق البعض فيصفونه بالازدواج، فإذا إزدادت الحلقة وصف بالانفصام وهلم جرا، والوصفان الأخيران يختلطان فى أذهان العامة وعلى ألسنتهم بعضهما ببعض، كما أنهما يعنيان التعدد (أو الازدواج) **فى أزمان مختلفة وليس فى نفس الوقت.**

فاذا كان الأمر كذلك عند العامة، فهل يكون هو كذلك عند العلماء؟ حتى هذه المرحلة من التقديم يبدو أنه كذلك أيضا عند العلماء، إلا أن المتأمل للغة المستعملة فى بعض النظريات النفسية سوف يكتشف أن الإشارة ظهرت من قديم تشير إلى إحتمال **التعدد** فى الكيان البشرى **فى آن واحد**، رغم ظاهر الوحدة والتفرد.

(أ) ويمكن أن نبدأ بالإشارة الى حدس يونج الأعمق لما هو كيان داخلى سواء فى إشارته الى **"القناع"** (السلوك الخارجي) فى مقابل **" الظل"** (الكيان الداخلي) أو إشارته إلى **" الانيما"** فى مقابل **" الأنيمس"** (بمعنى وجود الكيان الأنثوى داخل الإنسان الذكر والكيان الذكرى داخل الإنسان الأنثي)، ثم وهو يشير الى النماذج المتوارثة عبر الأجيال، بل عبر الأحياء **"** الأركيتايب" Archetypes، كل ذلك إنما يدل على تركيبات تنظيمية متكاملة تمثل

كيانات لا أجزاء.

(ب) ثم يأتى بعد ذلك بعض الفكر التحليلى الأحدث ليكلمنا عن " الأنا الناكص" و" الأنا المضاد للذة") المضاد لليبيدو)، و "الأنا اللذى لليبيدى" وكيف أن هذه الكيانات التى هى فى الداخل لها شخصيتها وصفتها وطلباتها و **"حضورها"** ومظاهرها الصريحة فى الحلم والجنون، ومظاهرها الخفية الرمزية فى العصاب وبعض السواء، وكل ذلك تحت ما يسمى بمدرسة **" العلاقة بالموضوع"** Relation Object، ثم يأتى بعد ذلك ذكر المواضيع الداخلية Internal Object لا لتشير الى محتويات الوعاء الانسانى كجزئيات متجمعة أو ذكريات قابلة للإسترجاع، وإنما لتشير الى الحياة الداخلية الحاوية للموجودات الكيانية التنظيمية، ورغم تسمية هذه المدرسة لهذه المحتويات **بالمواضيع الداخلية** إلا أن المتعمق فى المعنى المراد سوف يجد إنها إنما تعنى شخوصا بأكملها فى داخلنا، لا مجرد مواضيع، وكيفية تواجد هذه الشخوص فى الداخل لا ينبغى أن تؤخذ بمعنى **" الوعاء والمحتوي" لأن الوعاء هو هو المحتوى كما سنري.**

(جـ) وفى ضربة حدس (وهى فى نفس الوقت **ضربة حظ، ومأزق وعى)** يرى اريك بيرن - صاحب مدرسة التحليل التفاعلاتى - الإنسان أمامه متعددا بشكل واضح ومميز، ويعيد - بتواضع شديد - رسم خريطه الكيان البشرى فى صورة "تثليثية" محددة (الانا الوالدي، والأنا اليافع- الناضج- والأنا الطفلي)، كيانات وتنظيمات (لا مجرد أجزاء ودوافع وطاقه محكومة وقوي) تتبادل وتتعاون وتتنافر وتتصارع وتتعدد وتنمو (فى بعضها مع بعض) إلى كيانات أكبر فأكبر وهكذا، ويعمل "بيرن" نظرية تركيبية متكاملة تبدأ بالتحليل التركيبى structural Analysis وتمتد الى التحليل التفاعلاتى Transactional Analysis الذى يعنى ببساطة: أنه ما دام التركيب البشرى متعدد الشخوص، فان التفاعل بين شخص وآخر ليس تفاعلا بين شخص واحد وآخر واحد، بل انه يجرى على **مستويات** متعددة فى **نفس اللحظة** وتشير هذه المستويات الى علاقات متبادلة ومتداخلة بين هذه الزمرة من الكيانات بعضها مع بعض، يحدث كل يوم وكل لحظة فى الاحوال العادية فى **نفس اللحظة** وإن كان لا يظهر على السطح إلا مستوى ظاهر واحد فقط (للناظر غير المدقق طبعا).

وتنتشر هذه النظرية، ويشاع إستعمالها، ثم يساء إستعمالها لأنها تؤخذ من مدخل التبسيط والإختزال، أكثر مما تؤخذ من مدخل التركيب والمسار النموى المعقد.

ولا تكتفى هذه النظرية بالحديث عن هذا "التثليث" للكيان البشري، بل تتحدث- دون وضوح كاف -عما أسمته "وحدات الأنا" Ego units التى يتركب منها الكيان البشري، والناظر المتفحص الى ما يعنى هذا التعبير يكتشف ان هذه الوحدات ليست الا كيانات (شخوصا) متكاملة متراكمة يتكون منها وبها الوجود البشرى المفرد.

(د) ثم تاتى تطبيقاتى الاكلينيكية الخاصة (منهجيا: يمكن أن تسمى بالفحص الفينومينولوجى) لهذا المنطلق، فأواجه "الزحمة" المتناهية داخل التركيب البشرى فى **الجنون والحلم والشعر** (خاصة، وفنون أخرى لا مجال للتطرق اليها حاليا)، وكل التجارب القريبة والموازية لهذه الخبرات الانسانية المركبة، وتؤكد لى مشاهداتى ومعايشاتى طبيعة هذا التعدد والتكاثف (وسأعود إلى كيفية ظهور التعدد فى عملية النمو فيما بعد)، وأتبين أن التعلم بالبصم (الطبع) learning by imprinting ليس سوى لصق كيانات جاهزة على الجوهر الانسانى المتلقى النامي، لتستوعب وتمثل assimilated فيما بعد، أو تظل قلقة جاهزة للتعتعة **فى الحلم والشعر والجنون وما اليها.** وأكتفى الى هنا بتقديم هذه الإتجاهات التى تعلن هذا المفهوم "الصعب" و"الخطر" لماهية الكيان البشري.

وأعلن فى هذه المجلة نصف المتخصصة عن أهمية هذا المدخل بالنسبة للشخص العادى وعن خطورته معا فأقول:

إن تغير النظرة إلى الإنسان كوحدة إستاتيكية (أو حتى ديناميكية) إلى إعتباره **"مجمع شخوص"** يمثل **موجزا للتاريخ ومحتوى العالم** فى آن واحد، خليق بأن يقلب كل الموازين السائدة حاليا عن مفهوم الإنسان ومفهوم الحضارة ومفهوم النمو الفردى ومفهوم التطور البشرى جميعا، وتغيير هذه المفاهيم هو أمر خطير، لكن الأخطر منه هو ما يستتبع تغيير مثل هذه المفاهيم من طبيعة المسيرة البشرية.

وبدءا من التعامل العادى

(أ) ماذا يكون موقف الشخص العادى أمام نفسه؟ صورته لذاته؟ فخره بها؟ تحديده لها؟ لأنه إذا كان "هو" ليس "هو" بل "هم" أو "نحن" فكيف يتحدد أو يتميز؟

(ب) ماذا يكون الموقف من قرار الشخص لنفسه، وإختياره لفعله؟ من الذى اختار ؟ ومن المسئول ؟ (وقد يمتد هذا البعد إمتدادا خطرا ليشمل المسئولية الجنائية.....، تصور!!)

(ج) كيف نعامل بعضنا بعضا، وكيف نتفق ونتحاب ونحن قد أصبحنا "حفلة" موجودات ولسنا إرادة أفراد؟

ويمكن أن نستطرد فى هذه التساؤلات الى ما لا نهاية لنستشعر الخطر الأكبر الذى أدى بعضه **الى سوء إستعمال** نظرية التحليل التفاعلاتى حتى أصبح المخطىء- كمثال من الحياة العادية - يقول "لعن الله طفلي" (Dam my child) يعنى بذلك أن المسئول عن الخطأ أو التقصير هو ذلك الكيان الطفلى الداخلي، يقول ذلك بدلا من أن يتألم من المسئولية هو ككل ، ويتعلم من الخطأ....وقس على ذلك.

و الآن..

إذا كان القبول بهذا التعدد هو فتح لباب سلبيات لا نعرف الى أين ستؤدى بنا، أفلا يجوز بنا أن ننكره إبتداء؟

وهنا يبدأ الخطر على العلم والمعرفة، حين يصبح الاعتراف بالحقيقة الفعلية أو المحتملة معتمدا على آثارها وليس على حقيقتها الذاتية، فاذا صح أن **الكيان البشرى الفرد هو بالضروة عدة شخوص بعضها فى بعض**، وصح أن هذا المفهوم هو مفهوم خطر **على حدود الذات وعلى تحديد المسئولية** فلابد أن حلقة مفقودة تكمن بين هذا الذى صح، وذاك الذى صح بما أن الكائن البشرى قد أثبت بالتاريخ ثبات خطاه نحو التقدم - حتى الآن-، وهنا يبدا البحث الجاد بكل ما يصحبه من معاناة عن تلك الحلقة المفقودة التى بغيرها لابد وأن نعترف باحتمال إنقراض النوع البشري، ذلك لأن الحقائق التى تبدو تدهورية هى إنذارات الانقراض بلا جدال، ما لم تجد لها تفسيرا إيجابيا من عمق آخر.

فما الحل إذا؟

الحل الأسهل هو أن نسارع فندمغ هذا التعدد بالتناثر والجنون وخاصة "جنون الفصام" تحت عناوين عرضية مثل " **فقد أبعاد الذات، وتردد الكيانات، وتساوى التكافؤ**" وأمثال هذه التعبيرات التى تشير إلى أن التعدد ما هو إلا مرض بالضرورة؟

ولكن ماذا عن الحلم ؟ هذه الشخوص التى تظهر فى الحلم أليست كيانات متعتعة من الوحدة ظاهره التماسك فى اليقظة؟ أليست هى جزء من تكويننا الداخلى حيث المحتوى هو الوعاء ذاته كما ذكرنا؟

وقد يأتى الرد أنها ليست سوى ذكريات مسجلة قد يسمح لها بالإستعادة بشكل خاص فى غيبوبة الوعى أثناء النوم، لكن الدراسات العميقة والمتأنية تورى ان " **الحلم فعل كيانى** " وليس تكرارا ذهنيا مسطحا، وأنه إعادة خلاقة وليس إستعادة متناثرة، وأن وظيفته تنظيمية " تمثيلية" assimilative وليست مجرد وظيفة تفريغية ترويحية، فأين نخفى كل هذه المعطيات هربا من مواجهة حقيقة تعددنا؟

ثم يأتى الشعر ليعرى كيان الشاعر (الانسان) الذى يصب وجوده فى ألفاظ لها كيانها الجديد ووظائفها الجديدة. اذ ترسم الصورة الجديدة فى إطار النغم الجديد، يعلن الشاعر هذا التعدد مباشرة ويحاول بكل وسيلة فنيه أن يؤلف بين تراكيبه وشخوصه، **فتنطلق من تحت عباءته الكيانات قادمة من كهوف التاريخ، وتناقضات الحاضر، متجهة إلى صنع الولاف الأعلى فى توليد الآلهه فى طريقها الى الاله الواحد الأحد**، وليس هذا مجال أمثله أو تفاصيل، إلا أنى أعلن فى هذا الإستطراد أن هذا هو المدخل الأصعب لاستيعاب الشعر واستقبال رسالاته المكثفة، ولكن الذى يهمنا هنا هو دلالة هذا التعدد والتناقض والتكثيف والقدرة على التحول (مثلا) "... التى تجعل من حضور مهيار ذاته نفيا واثباتا، خلقا وتدميرا فى نفس الوقت" وهذا التعدد الذى يشمل الذوات والطبيعة وما بعدها فى حركه ذاتيه نحو إعادة التنظيم وتنظيم اللقاءات فى

الكيان المتخلق الجديد... يجدها كل قارئ يقظ شجاع فى كل شعر حقيقي، (ومثال عابر من نفس المقال- خشية الإستطراد- يقول: **" فينيق مت، فينيق ولتبدأ بك الحرائق، لتبدا الشقائق" أو "مزدوج أنا، مثلث"**... (نفس الشاعر فى نفس المقال... الخ).

هنا يجدر بنا أن نتوقف لنحل هذا التناقض الظاهر:

1- الانسان متعدد فى كيان ظاهرى واحد.

2-التعدد خطر وقد يفتح أبواب السلبية والتناثر.

3- الانسان مستمر، ويتقدم رغم (1)، (2)

ويبدو أن الحل إنما يكمن فى إعاده النظر **فى بعد الزمن، فالإنسان متعدد تركيبا فى بعد زمنى ممتد، وليس فى نفس اللحظة** (قد تصل الى جزء من جزء من الثانية) فى نفس المجال الشعوري.

وبعبارة أخري: إن التعدد هو حقيقة تركيبية فاعلة، والتفرد هو ظاهر وحصيلة محددة بوقت بذاته.

ومن هذا المنطلق نعود الى شئ من التجزيئ الذى رفضناه من حيث المبدأ فى بداية المقال، ولكنا نرجع فنقول أنه ليس تجزيئا، بل تعددا وشتان بين التعبيرين، والمنطلقين.

ويصبح التصوير المرحلى فى هذه المنطقة من النقاش كالتالي:

" أنا ..هو ظاهرى الآن، وكل ما ترتب على ما هو هذا ...هو مني" وفى نفس الوقف :

"أنا - أيضا - هو ما يمكن أن أكونه **بعد لحظة** أو بعد دهر من واقع ما هو " أنا- نحن " فى حركه دائبه متعددة الأبعاد"

وهذا التحديد من خلال بعد الزمن هو الذى يعطى الذات تحديدا مطلقا لكونها كيانا واحدا مفردا فاعلا شاعرا، وفى نفس الوقت فلا تحديد فى بعد الحركة والمجال متسع لكل إحتمال.

وإنما ينشا الخلل وتدخل السلبية حين تصبح " اللحظة" هى **" ذات اللحظة"** و هى ..هى " غيرها" فى نفس الوقت.

وقد يحدث فى الظروف سالفة الذكر **(الجنون والحلم والشعر)** أن يختفى بعد الزمن أو تتضاءل فاعليته أو تتنحى مؤقتا، فيظهر التعدد على السطح فى آن واحد، اما فى الجنون (الفصام خاصة) فتشل الشخوص المتعددة بعضها بعضا وتتبادل احيانا فى تساو عاجز عن ترجيح كفة أى منها فيكون ناتج العقل صفرا حيث لا يصل الى قرار أبدا (أو يصل الى القرار ونقيضه فى عجز ساكن - قارن بعد ذلك حركة النقائض-).

أما فى الحلم فإن إعادة التنظيم تبدو عشوائية فى ظاهرها ولكنها حركة تظهر الكيانات المتعددة التى قلقلت (بعد اختفاء اللحام الشعوري) فى علاقات جديدة تصنع الحلم،

(مع التنبيه أن "ظاهرة" الحلم هى غير الحلم المحكى بعد أن تناولته الذاكرة، الأمر الذى يعرض مادته إلى إعادة التنظيم).

أما فى الشعر، فالتعتعة تتم فى إطار شعورى حين تخف قبضة الوحدة الظاهرة الساكنة عن المحتوى المتعدد، فتتحرك الصور فى تقابل مثير متبادل، وتصاغ فى الشكل الفنى الممكن (ولا يهم ان يخطئ صاحبها الصياغه او يصيب حسب تمكنه من أدواته)، ويصبح التعدد فى مجال الشعور فى هذه الخبره هو الثروة التى تميز بها الشعر عن غيره من لغات التواصل أو التعبير، وهو تعدد قد يأخذ شكل إعادة التنظيم، ولكن الأصالة فيه تبدأ فى مرحلة فعل التوليف بين التناقضات، فتكتسب اللغة دلالات جديدة من واقع الكيان المتكون الجديد، وتصاغ الخبرة الإبداعية كمثال لكيفية صياغة الحياة فى نموها الولافى الصعب.

ننتقل بعد ذلك إلى ضرورة هذا التعدد ومعناه ودوره فى مسيرة النمو البشرى:

فاذا كانت هذه الخبرات التى اوردتها هى عينات صور التعدد فى الكيان البشرى، فما هى الدلاله، وما هو المغزي؟

يبدو أن الانسان اذ يولد يحمل معه تاريخ الحياة والأحياء فى تكاتف منظم وليس فى تلاحم نهائي، وتصبح مسيرته الحياتية هى محاولة تلك الكيانات التى ولد بها، ومن خلال عمليتى **" ملء وبسط"** متصلتين تتحرك هذه الكيانات فى علاقات معينة لا مجال هنا لتفصيلها ولكنها تتراوح بين **التناوب، والتعاون، والسيطرة، والصراع، والإستبعاد، والإزاحة، والتلوث، والمواجهة وأخيرا التوليف** (الولاف)، ويتم كل ذلك من خلال النشاطات الحياتيه المتتابعة بما فى ذلك التناوب بين النوم واليقظة، وبما فى ذلك فعل الحلم وابداع الخلق، والذى يهمنا فى هذا البحث المتقدم هو العلاقة الأخيرة حين يعايش الإنسان تعدده ويعيه وعيا نسبيا فيما يسمى أزمات النمو، دون أن يتناثر أو تعجز الكيانات بعضها بعضا كما فى حالة المرض وفى الفصام خاصة، وهذه المعايشة هى التى يمكن أن يكون توضيحها هو الهدف من تقديم هذا البحث للانسان غير المتخصص، لعله باستيعابها يسمح لنفسه فى أوقات خاصة بهذا التعدد الواعى مرحليا، وبالتالى يحتمل تناقضه ويتيح لنفسه فرصة توليف أعلى من المتناقضات المواجهة بعضها بعضا، وقد يكون فى إعلان طبيعتنا البشرية متعددة الشخوص ما يشجعنا - فى مراحل بذاتها - إلى تقبل التناقض فى الآخرين باعتباره حدثا طبيعيا هاما قد يحمل فى ظروف خاصة (أهمها التقبل والوقت الكافي) إمكانية دفع عجلة النمو فى مسارها الطبيعي. وبغض النظر عن تفاصيل علاقات هذه الكيانات ببعضها داخل الوحدة البشرية، الأمر الذى قد نفرد له بحثا خاصا (أو يجده القاريء فى موضع آخر فان تأثير هذا المفهوم على التواجد البشرى وعلى صورة الذات بل وربما على المسار الحضارى لا يمكن إغفاله سلبا وايجابا، وقد حذرنا فى بداية هذا المقال من بعض السلبيات وجدير بنا ان نذكر هنا ما نراه على الجانب الآخر:

1- إن شعورى بالتعدد داخلى يقلل من غرور "الأنا"، فمن أنا إذا كنت لست الا "هم" (قادمين من أجيال سحيقة وأحياء منقرضة)؟ ولست إلا "نحن" (مبصومين داخلى نتيجة إحتكاكى معهم ومواجهتى لهم وتناقضى فى مقابلهم وعدوانى عليهم ودفاعى عن نفسى من إيذائهم...) ؟ فاذا كان الأمر كذلك، وكنا نتحدث عن الإيجابيات، فلابد أن أكون "أنا" هو محاولة الولاف المستمر لأصنع الوحدة المؤقتة من جماع هذا التراكم الحي، فى طريقى إلى أن أصبح وحدة كيانية فى كل اكبر، وحسب قدرة الفرد منا على إستيعاب هذا الموقف لحظة بلحظة ومرحله بمرحلة، يكون مساره، وتكون آثار هذا المفهوم سلبا وايجابا

2- فاذا كنت أنا لست الا " هم.. ونحن " فى طريقى الى وحدتى البشرية التى هى إحدى كيانات وجود اكبر، فما هو الطريق إلى مزيد من العداوة والتكبر والحكم الفوقى والصراع؟ لقد فهمت أحيانا قول المسيح أنه من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر على أنه من كان منكم " ليس هو هى تلك الزانية" وذلك بالنظر من بعد معين، أو "من كان منكم لا يحويها داخله" وكأنه يذكرنا بما هو نحن تفويتا علينا لمعركة زائفه تنسينا حقيقة رحلتنا الأصعب، والأخلاق المسيحية بهذه الصورة حين تؤكد على أن نحب أعداءنا لا تصبح، من ذلك البعد الأعمق، أخلاقا مثالية نظرية أو ضد الطبيعة البشرية، بل لعلها تذكرنا بتواضع شديد أن نحب أنفسنا إذ نحب أعداءنا، وأن نحب أعداءنا إذ هم داخلنا (أصلا خارجنا ثم داخلنا- خارجنا... الخ) ولا يمكن أن تكون الصوره هى صورة الإستسلام الخائب من موقع الطفولة المسطحة، ولا شك أن هذا الموقف لا يستطيع أن يقفه إلا شخص شديد النضج عميق الوعي، وقليل ما هم، والا فان الحيل النفسية سوف تأخذ مجراها الى أبعد مدى ويصبح الكبت، وتكوين رد الفعل Reaction Formation هو التفسير الاقرب للإضطرار الى إخفاء العداوة واظهار محبة معطلة وسخيفة تجاه العدو، والفرق دقيق ويقع عادة خارج مجال الرؤيه العادية والأحكام الأخلاقية، ولعل مما يساعدنا على تحديده هو التيقن من تشريف العدو داخلى حقيقة وفعلا، فما هو الا أنا بشكل أو بآخر، حتى لو قتلته فى الخارج فمعركتى لا تنتهى فى الداخل بل لعلها تزيد، لأن هذا " البصم" المشار اليه انما يزيد ويسهل انطباعه لحظه القتل بالذات **(بدأت هذه المشاهدة من تتبع بعض مرضاى الفصاميين وتغيرهم إلى إتجاه ما هو والدهم عقب لحظة الوفاة مباشرة وحضورهم إياها، بما كان يمثله الوالد المتوفى من تماسك وعدوان وتضاد وتناقض وبما كانوا يحملونه من رغبة فى التخلص من الوالد المعتدي)**، ولعل فى ذلك ما يفسر أن " الروح " تحوم حول قاتلها (انظرما يأتى بعد)، اذا فالمسألة ليست مسألة تمييع المواقف الإنسانية من خلال تصور أن" كله مثل كله" فينتهى الخير والشر، ولكنها مواجهة بحقيقة (وخدعة) التمييز البشرى بين البطل

والضحية، بين القاتل والمقتول، بين الشرير والفارس...الخ. والصعوبه التى أجدها فى هذا المقام لتحديد الفرق بين **"ضرورة الديالكتيك"** **"ومسخ التسوية"** سوف ألقاها فى كل حين وسأحاول أن أحذر منها دائما أبدا، لأن المسألة ممارسة حياتية وليست ألفاظا وتبريرات وتعريف المفاهيم ومناقشات ذهنية.

3- وما دمت " أنا " أحوى الأبيض والأسود معا، أفلا يساعدنى هذا أن أتحملهما بجوار بعضهما بخارجى إذا تيقنت أن خارجي، هو أصل داخلي، وأن داخلى هو الممثل الطبيعى لما هو بالخارج" هل أستطيع أن **" أتحمل التناقض"** فى الخارج دون تصنيف الناس (أو بتعبير أدق: المسارعة الى تصنيف الناس) إلى فريقين على طرفى قطبى التعارض، ورغم أن هذه النقطة تبدو قريبة من سابقتها، إلا ان الإيضاح هنا يرتبط بموقف جديد: ليس فيه دعوة الى حب العدو بالمعنى الأعمق وإنما إلى تحمل التناقض الظاهر فى الآخرين وفى العالم الخارجى لأنه هو هو "أنا" وبغير هذا التحمل سنشطر العالم خارجنا تعسفا وقهرا إلى شطائر نتعامل معها، فتشطرنا بدورها وتلغى بقايانا التى قد تكون أهم ما يدفعنا الى إستكمال المسيرة، وتحمل التناقض يشمل ضمنا تحمل الغموضTolerance of ambiguity لأن التناقض قد يستبعد منطقا، أو حتى فى مرحلة الإدراك وقبل المنطق والتفكير، وحين يستبعد تواجد **" التناقض معا"** يغمض الموقف لا محالة، فأما أن نرفضه جميعه تأكيدا لعجزنا، وحماية لقشرتنا المسطحة، وإما أن نضع إحتمالات متفرعة ومتنوعة تشمل كل شئ، بما فى ذلك التناقض، والخلف، والتذبذب، والتراجع وغيرها مجتمعين فى كل لا تختل وحدته باجتماعهم وإنما تتأكد دافعيته وحيويته فى المسيرة المتصلة من خلال هذا التجمع ظاهر التضارب.

4- وعلى ذكر المسيرة، فإن هذا المفهوم (تعدد الكيانات فى الوحدة البشرية) هو القوة الدافعة نحو إستمرار النمو بمعناه الديالكتيكى الحقيقي، ومالم تستقر هذه الكيانات فى معادلة هامدة من "التسوية" أو "التلوث" اللذين يقلبان الوجود البشرى الى نوع من الإستاتيكية المجمدة، أو التكرار المغلق، مالم يحدث هذا فإن القوى الدافعة الناتجة من هذا التعدد النشط هى هى الدافع الحقيقى للنمو (ويمكن تفسير ما يسمى بالغرائز والطاقة تفسيرا أعمق مرتبطا بمفهوم الكثرة الحيوية المكونة للوجود البشري)، ثم أن حكاية الوحدة التى نقيضها داخلها، وأن السلب يخرج من جوف الإيجاب (هيجل) هى التعبير الظاهرى لحقيقة تناقض المحتوى المكون للوحدة بشكلها الظاهري، رغم أن هذا الشكل الظاهر هو الذى يميز هذه الوحدة بالذات، وهو الذى يتعامل - فى لحظة بذاتها- مع الناس والواقع وهو المسئول وهو المخير المختار.. الخ، ولكنه أيضا- فى نفس الوقت- ليس إلا ماجويه وما هو دلالة عليه.

وفى عملية النمو الديالكتيكى المستمر الناتج عن هذه الكثرة المتواجدة "معا" فى الكيان البشري، يخرج الداخل

الى حيز الشعور وذلك فى مواقف النمو الحرجة (تسمى أحيانا أزمات النمو Growth crisis) ليصبح أكثر وأكثر فى متناول عملية التوليف المسئولة عن تكوين الوحدة الأعلى، ونفس هذا الأمر انما يحدث بجرعات أخف، وبعيدا عن دائرة الوعى من خلال الحلم بوجه خاص.

5- ومع كل هذا الوعى بحقيقة هذا المفهوم وآثاره لابد أن يعاد النظر فى المرض النفسى وخاصة الذهان، فلا يصبح ظهور الكثرة (الطبيعية) التى تتكون منها الوحدة البشرية هو فى ذاته مرضا يستأهل إسما ولافتة، بل يصبح إعلانا لحقيقة يجب أغلبنا أن يتجاهلها لأسباب مرحلية، وربما آن الأوان أن نعتبر هذا التجاهل خدعة لم يعد لها مبرر كاف، وهذه الحقيقة التى يعلنها المرضى (الذهان النشط خاصة) خليقة بأن تتناول فى إطار إتاحة الفرصة لهذه الكثرة المعراة أن يعاد تنظيمها من خلال احتمال التوليف الأعلى، حتى لايصبح الرعب منها (من الكثرة) دافعا للقضاء على أغلب مكوناتها **فورا والى الأبد بالقهر الكيميائى والتسطيح التزميزى سواء بسواء.**

وأوقف نفسى قسرا حتى لا أستطرد فى سرد عينات تفصيلية فى الأحوال المرضية

وليسمح لى القارئ و أنا اختتم تقديم هذا المفهوم أن أدعو خياله للمشاركة المتأنية فى تفكير غير مسبوق بحكم نهائي، ونحن نحاول أن نجيب عن تساؤلات خطرت فى بالى إنطلاقا من مفهوم التعدد والكثرة الذى قدمته فى هذا البحث:

1- هل يمكن أن تكون الأرواح والأشباح وربما الشياطين وما إليها) ليست سوى كيانات من صلب كياناتنا المتعددة التى تسقط الى خارج عالمنا فنستقبلها (فكرا أو تجسيدا) من جديد؟ وهل يمكن أن تكون الأرواح (بما فى ذلك تحضيرها **وتصويرها**) ليست سوى كيانات مدمجة فى الوجود البشرى الحي؟ (وما الكيان إلا ترتيب فيزيوكيميائى خاص)، أى أن الجسد الحى هو الشاشة الحاملة لمثل هذه التنظيمات المتبقية من أجيال سابقة، تم بصمها من المواجهه والتفاعل خلال حياتنا أو تم نقلها بالوراثة؟ وفى هذه الحالة يكون من يسمى " الوسيط" هو كيان حيوى بشرى مرن قادر على التعتعة وإعادة الإحتواء،...الخ...الخ.؟

ولعل من أهم هذه الآثار التى يفسرها هذا الفرض ما قيل عن تصوير الأرواح (مارلين مونرو بجوار أرثر ميللر بعد وفاتها مثلا) اذ يصبح التفسير بسيطا ما دام التركيب المدمج هو تركيب فيزيوكيميائى قابل للتعتعة. وبالتالى مستعد للتاثير على فيلم حساس، وبالتالى يصبح الجسد الحى صاحب الاتصال والاحتكاك بالشخص الراحل (أو حتى قبل أن يرحل حسب هذا الفرض) هو المجال الحاوى لهذا التنظيم الممثل للشخص المعني.

2- هل يمكن أن نربط بين سعى الإنسان لوجه الله فى عمليه نموه المستمرة، وبين إقترابه من توحيد كياناته المتعددة فى

كيان واحد شيئا فشيئا من خلال عمليه التوليف بين كياناته المتناقضة، فنفهم بعمق أكثر **بعض مفاهيم التوحيد الصوفيه وبعض مفاهيم التوحيد الالهي**، بل وبعض ما أسماه ماسلو "الوجود شبه الالهي" God like existence الذى يصبغ خبرات تحقيق الذات؟

أو هل يمكن مراجعة " التثليث " المسيحى " فى أقنوم واحد" كممثل لمستوى ما من "الكثرة فى الوحدة"؟

ومرة أخرى أوقف نفسى قسرا عن التمادى فى عرض التساؤلات ليكمل القارئ بما وهب من شجاعة التفكير تساؤلاته الخاصة ولا يسارع بالاطمئنان الى إجاباته الخاصة (ولا إلى إجاباتى بداهة).

التعقيب:

أظن يا محمد يمكن أن تلاحظ أن ما جاء فى هذا المقال يظهر كيف كان حذرى الشديد حين كنت فى سنك، حذرى من نفس ما تحفظت عليه ونبهت إليه،

أرجو ألا يكون ذلك سببا فى توقفك عن التساؤل، والإضافة، حتى العراك، ما رأيت إلى ذلك سبيلا.

***

المقال الثالث:

مجلة الإنسان والتطور ، عدد يناير 1982

حول طبيعة المعرفة

(المواجهة بين الفطرة والتعلم)

د. محمد يحيى الرخاوى

يغامر كاتب هذا المقال بالاقتراب من طبيعة المعرفة بتصور نسق مسبق قابل للجدل والتطور، ويسهم فى قضية المعرفة باجتهاد متواضع، وهو يشعر بمخاطرها الى حد الجنون، وبروعتها الى حد النبوة .

اذ كان الانسان يولد وفى داخله قوة هائلة ترغب فى المعرفة، فهذه محاولة للنظر فى كيفية حصول هذه المعرفة من خلال تطور ما سيطلق عليه فى هذا المقال اسم (المنظومة المعرفية) لتدل على ذلك النظام المتكامل الذى تنظم فيه معارف الفرد، وبدون هذا النظام على أية حال كان(سلبيا أو ايجابيا، مختبئا كان الفرد او مواجها)، فان الفرد يعانى ما قد نطلق عليه قلقا أو توترا أو ضياعا أو ضبابا كما يحلو لكل أن يسمى هذه المعاناة التى تنتج عن تنافر أو تخبط تلك المعارف المفردة بعضها ببعض اذ هى لا تنتظم داخل اطار يجعل ما بينها تكاملا لا تنافرا، تفاعلا لا تخبطا.

وهذا المنظور يفترض ولادة الانسان وبه (منظومة فطرية)، تلك التى ينتظم فيها كيانه قبل أن يحصل من الخارج على أية معرفة جديدة، وفى لحظة حصوله على أول معرفة جديدة يبدأ الفرد فى تخطى تلك المنظومة الفطرية، فاى معرفة جديدة، هى

بالضرورة لا تنتظم فيها (طالما هى جديدة)، وتزداد المعارف والمعلومات الواردة من الخارج، عندئذ قد تتدخل المراجع الاجتماعية لتحكم أولا كم المعارف الواردة، ثم لتحجر على حركة هذه المعارف فتتجمد فى ظل منظومات الأفراد المرجعيين الخاصة، فتتكون منظومة مأخوذة من تلك المراجع سنطلق عليها هنا اسم (المنظومة المكتسبة)، وهذه تبقى كما هى بلا تحول أو اضافة أو تطور، وغالبا ما تكون هذه المنظومة علامة انحدار عن المنظومة الفطرية والغاء لامكانات المعرفة المصاحبة لها (أو الكامنة فيها)، وهى انحدار لا تطور لأنها تجمد المنظومة الفطرية وتشلها، مع ما قد يوجد فى هذه المنظومة من استعدادات معرفية أو تطورية، وهذا هو حال معظم الناس للأسف.

وعادة اذا ما تخطى الفرد المنظومة الفطرية باكتسابه اى معرفة جديدة، فانه لا يجد سبيلا للرجوع اليها حتى يبدأ من جديد، حيث أن المعارف الجديدة موجودة بالرغم من كل شئ، وهى لا تدخل فى بناء هذه المنظومة، حيث أنه اذا ما تكونت المنظومة المكتسبة المتجمدة، فانه لا سبيل الى التطور بعد ذلك الا بتفككها لاعادة فتح أبواب الاستقبال، وهذا بالطبع لا يحدث الا مع الندرة، ولكن اذا ما حدث فهنا يمكن الخطر كل الخطر (خطر الجنون مثلا).

والاحتمال البديل عندما يتخطى الفرد تلك المنظومة الفطرية اذ تعجز عن احتواء المعلومات أو المعارف الجديدة الواردة، هو أن تظل المعلومات تتخبط ولا تعرف لها اطارا أو نظاما تنتمى اليه، وهنا تبرز مشكلة الضياع والتوتر أو القلق (أو غيرها من المسميات) التى يحس بها الفرد، فالمعلومات ناقصة وغير مفسرة، أوهى مفردة لا تجد قانونا أو اطارا ينظمها لتنتج كلا أكبر من مجموع الأجزاء، ولست أرى حلا لهذا سوى الاستمرار فى البحث سعيا الى منظومة تنتظم فيها هذه المعارف، فاذا ماوعى الفرد هذا التخبط (أو التنافر) بين تلك المعارف، عاش فيما يسمى بحيرة التساؤل أو جهاد المعرفة، وقد تبلغ هذه الحيرة من الشدة ما يؤدى بصاحبها الى الاضطراب الذى لن يكون مرضيا بالضرورة، اذ هو أخف بكثير من حالة تفكك المنظومة المكتسبة.

وقد يكون نتيجة هذه الحيرة، اذا طالت بلا حل، هو الهروب الى منظومة مكتسبة مبطنة بالمشاركة مع الغالبية، ولكن هذه المنظومة فى الغالب ما تكون أقل استقرار مما لو كانت قد تكونت منذ البداية.

أما الوجه الايجابى المتماسك الذى قد ينتج عن تلك الحيرة فهو ذلك النهم المعرفى الذى قد يغمر الفرد فيفتح أبوابه المعرفية، وهذا النهم وظيفته أن يزيد عدد مفردات المعرفة الجديدة، تلك التى تمثل عناصر بنية المنظومة الجديدة.

ويظل الحال هكذا حتى يكتشف الفرد تلك المنظومة الجديدة التى تختلف مع مجرد الاكتساب ولا تكتفى بمجرد الفطرة، وفى

تصورى أنه يكتشفها موجودة بداخله وقد تم بناؤها فعلا، فهو لا يحاول (متعجلا أتمام البناء قبل استيفاء عناصره) أن يصنعها أو يحيكها مستنبطا قوانينا عقلية منطقية مهما كان صدقها فهو صدق جزئى اذا لا ينتمى انتماء أساسيا للنظام الذى يحوى الكل ويرتب التفاعل بين أجزائه، وقد يكون من نتائج عجزه عن الوصول الى تلك القوانين المنطقية الجزئية أن يضطر الى التزييف بالتأويل والبعد عن الواقع كما قد يتضح فيما بعد، المهم أن هذه المنظومة (التى يكتشف تكوينها) من الممكن تسميتها هنا (المنظومة التطورية).

وتظل هذه المنظومة التطورية مفسرة لمعارف الفرد، ولكن عملية اكتساب المعارف أو المعلومات لا تتوقف، وهنا قد يجد الفرد أن المعلومة الجديدة أو التساؤل الجديد له مكانه المقبول فى المنظومة التطورية الجديدة، سواء أكان هذا بتقبل بناء المنظومة للمعلومة، أو برفضها بمعنى أن المنظومة استطاعت ان تلغى القضية ايجابيا، أو باكتشاف وجود بديل لها بالمنظومة وان لم يكتشفه الفرد الا عندما أثيرت هذه القضيةن أو بغير ذلك من اشكال حل القضايا أو قبول المعلومات حسب نوع هذه القضية أو المعلومة أو التساؤل .

ولكن تبرز هنا قضية غاية فى الأهمية، وهى طريقة قبول هذه المعلومة فى المنظومة، والقضية تتضح عندما نعلم ان الفرد لا يبذل جهدا ذهنيا تفكيريا يحاول به ادخال هذه المعلومة فى المنظومة، اذ لو فعل(وغالبا ما يكون هذا بطرق ملتوية) لكان هذا ـــ بشكل ما ـــ تجميدا للمنظومة الحاضرة (الجاهزة) لا تغرى بالمخاطرة، فهى كيان قائم (قام) وانتهى الأمر، ولكن لو ان المعلومات أو المفردة المعرفية الجديدة كانت قد وجدت مكانها القائم فى هذه المنظومة ، والذى لم يكن ليحتاج الا أن يعى الفرد أنه موجود، لما واجه الفرد مشكلة التجمد أو اضطر للهرب، فالمنظومة الموجودة لا تزوال قادرة فعلا على الاستيعاب، فالخطأ يكمن فى رفض المعارف أو تأويلها، او تحوير المنظومة القائمة وزيادة مفردات المعرفة وتطويرها ثم اعادة انتظام المعلومات فى بناء جديد سيكون فيما بعد المنظومة التطورية الأرقى .

والمعلومات لا تحور فقط لتدخل فى اطار المنظومة، بل ان المعلومة تستخدم كذلك لتأكيد صحة المنظومة وتقوية تجمدها (فلقد استطاعت أن تحتوى المعلومة الجديدة ولو كانت محورة) وهذا يبرر للفرد عملية التحوير(فيجعله يغض النظر عنها وكأنها لم تحدث)، ويظهر هذا الشكل عند معظم أولئك الذين مع أهل العلم مع أهل السياسة والفكر القائم (وليس التفكير)، وان كان بعضهم لم يصل حتى لمرحلة اكتشاف المنظومة التى ثبت عليها، بل تلقاها وثبت عليها، مثله كمثل من تلقى منظومته الأولية من مراجعه الاجتماعية (الأسرية وما حولها) فهو لم يختلف الا فى اتساع النطاق، فبدلا من المراجع الاجتماعية الضيقة النطاق والافق، اتخذ مراجعا أخرى، دينية كانت أو سياسية أو حتى تاريخية أو غيرها.

أذن فالمقصود بأن المعلومة تجد مكانها فى المنظومة، هو أنه اذا كانت المنظومة بناء متكاملا قائما بذاته، فقد لا يرى الفرد كل مكوناته، ولكنه عندما يواجه بوجود هذه اللبنة (المفردة المعرفية الجديدة) يجدها قائمة فى بناء المنظومة، بل انها قد تكمل له بعض جوانب البناء التى كانت خافية، نجد هذا فى مقابل تحوير وتأويل المفردة المعرفية بالبعد عن الواقع لتدخل فى البناء القائم فعلا .

وقد يحدث أيضا أن يستبعد الفرد المفردات الجديدة اذا لم يجد لها مكانا فى المنظومة المعرفية، فهو يلغى المعلومة من أساسها (وهذا غير تحويرها او تأويلها السابق ذكره)، وان لم يلغها فهو يستبعدها (وهذا فرض افضل أو اكثر واقعية) بحجة أن لا علاقة له بها مثلا، وأصحاب هذا الموقف هم من غير المتحمسين من المنتمين لمنظومة ارتضوها واكتفوا بها، كما أن ذلك هو موقف أصحاب المنظومة الأولية المكتسبة دون تحوير .

كما أن هناك البعض ممن لم يغلق منافذ الاستقبال والمعرفة، وأن كان لا يبحث عنها تنازلا عن القضية بأكملها بسهولة ويسر، فان تكونت بعض الارتباطات المعرفية الجزئية فأهلا بها، وأن لم تتكون فلا داعى، وما عرف قد عرف وما لم يعرف فليس يهم أحدا، وكان الله بالأسرار عليما.

لكن ماذا يحدث للمنظومة القائمة لو أن الفرد المستمر المجاهد (وعفوا للصفات التى فقدت معناها ـــ أصحابها ـــ) لم يجد للمعلومة الجديدة مكانا بها، اذا واجه هذه الحقيقة فهو سيعلم حتما أنه قد تخطى مرحلة المنظومة الحالية، ولكن المفردات تظل تتكاثر خارج المنظومة السابقة وقد أتصور أن بقاء المنظومة السابقة رغم تخطى الفرد لها ضرورى ومساعد هام على الاستمرار، فوجودها يجعل هناك اساسا، ولو منهتكا، يستند اليه الفرد، وقد تتكون فى هذه المرحلة منظومات مرحلية مساعدة، وهى أرقى بالضرورة، وهى مرحلية اذ هى جزئية، بمعنى أنها احتوت كل المفردات، (وهل يستطيع الوصول لتلك المنظومة الجامعة الا نبى، ومن المفترض بالطبع أن تكون المفردات هائلة عند مثل هذا الشخص صاحب تلك الصفات ـــ اللهم احفظنا ـــ)، وهذه المنظومة المرحلية لها نفس وظيفة المنظومة السابقة، وهى الاعانة على التماسك فالاستمرار، وان كانت أكثر حداثة وأقل تهتكا، وبالتالى فهى أكثر فعالية، بل ان تكونها فى حد ذاته مشجع ومطمئن كبير على أن العجلة لم تتوقف، وهذا عامل قد يكون له أثره الكبير فى التخفيف من وطأة اليأس.

والآن، هل من الممكن أن نرى من خلال هذه النظرة ما يمكن أن نعممه ليوضح شيئا عن قفزات ومراحل نمو الأشخاص من منظور نفسى؟

ـــ أو هل من الممكن أن ننتبه الى امكان تدخل مفهوم المنظومة العامة (المشتركة) تدخلا جبارا (وقد يكون عاملا رئيسيا) فى قيام الحضارة؟

ـــ أو هل فيها ما يمكن أن يعاد به النظر الى مشكلة التطور البيولوجى؟

التعقيب:

هل لاحظت يا محمد كيف أن أمَلَكَ فى الربط بين هذا المفهوم وبين البيولوجى، والنمو والتطور، لم يكن غائبا عنى وأنا فى سنك؟

دعنا الآن نختم الملف ببعض الملامح من يوميتين تناولتا الموضوع: يومية 26-11"القشرة والفطرة والتعدد والواحدية"، ويومية 9-12 "تعدد الكيانات وحركية الإبداع"

2007-11-26

المقتطفات الأولى: من يومية

"عن القشرة والفطرة والتعدد والواحدية"

.....

• الفطرة ليست كيانا، أو صفة (أو مكانا) ، ونستطيع أن نحددها الآن فى ألفاظ أدق قائلين : **الفطرة هى تفعيل قوانين حركية الوجود،**

• وبالتالى تصبح **القشرة الساكنة الحائمة المنفصلة المستبعَدَةْ لهذا القانون والمانعة للحركة، هى الغطاء الخارجى للذات**

• **إلا أن نفس هذه القشرة إذا كانت مرنة ومسامية ومتغيرة فإنها تصبح جزءاً لا يتجزأ من الفطرة، بل ومكملة لها (فهى أحد أوجه نفس القانون تكمل حركيتة وتدعم نظامه).**

فأين تقع الذوات المتعددة من هذا وذاك؟

حركية الوجود: لا تتم فى فراغ

• هى تجرى بإيقاع تناوبى تكاملى جدلى ينظم ويوجه **منظومات الوجود البشرى المتعددة (فى واحد)**

• ممتدا إلى منظومات الوجود الكونى المتصاعدة.

• وبالتالى يصبح **تعدد الذوات ليس مجرد حضور متبادل، أو متناوب، أو متنافس، أو متصارع، أو حتى متعاون،** وإنما هو **وحدات عمالة الحركية الإبقاعية المتمادية لغايتها بايقاعها الحيوى طول الوقت.**

• إذا ما طغى الكيان الظاهر (فى اليقظة عادة، فهو لايستطيع أن يظل طاغيا أثناء النوم) على كل تعدد مستويات الوجود، كبتاً، أو محواً، أو إزاحة، أو كل ذلك وغيره، فهو هو القشرة بشكل أو بآخر.

• يتم التناوب بين الكيانات فسيولوجيا (فى النوم والحلم) وهو أمر من المستحيل إيقافه، ومع ذلك فنتائجه، لو لم تستوعب الجدل النمائى، ليست عادة إيجابية.

• إن الوعى النسبى بتفعيل قوانين حركية الوجود بقانونها الحيوى والاستعداد لتلقيها، فالاسهام فى حفزها إلى ما تعد به، هو الإبداع فى مختلف تجلياته، بما فى ذلك إبداع الذات على مسار النمو.

• إن انفصال القشرة بعيدا عن حركية قوانين الوجود لدرجة إخفائها، ومحو آثارها (حتى الفسيولوجية) أولا بأول هو الذى يجعل القشرة تبدو نقيض الفطرة وكأنها حلت محلها تماما.

2007-12-9

المقتطف الثانى: من يومية
"تعدد الكيانات وحركية الإبداع"

التعدد هو **حركة كيانات أكثر منه كيانات فى حركة**!! ياه !! لم أقصد، ولكننى سوف **أترك** هذا التعبير كما خرج منى هكذا للنقاش، مادام ثم نقاش،

من هنا يأتى مدخلنا إلى **"حركية الإبداع"** ليس بصفته موهبة نادرة، أو عبقرية متميزة أو ناتج فذ، بل بصفته أرقى أنواع التشكيل المتجدد لمستويات متعددة من الوعى بما تحتويه ويحتويها من **كيانات مرنة تسمح بهذا التشكيل فى ناتج أصيل جديد، إن هذا المدخل هو الذى يمكن أن يهدينا إلى الإحاطة بالمعنى الحركى للتعدد من حيث المبدأ.**

تساؤلات ختامية:

- هل تعقدت المسألة بذلك أم أنها مُثُلَثْ متحدية تستدعى النظر وإعادة النظر؟

- هل أصبحت الأمور ثقيلة على القارئ العادى، أم أن كون أغلبها نشر فى مجلة دورية منذ ربع قرن يبرر تقديمها بما هى مرة أخرى للقارئ العادى؟

- هل مغامرتنا بنشر هذا الملف سوف يؤدى بنا إلى مزيد من التعمق فى التخصص، أم أنها رؤية عامة مطروحة على كل الناس، تستأهل النظر والمشاركة؟

وتساؤلات أخرى كثيرة

- بدأت هذه الرؤية، ثم هذه النظرية لما بدأ أريك بيرن يعتقد فى حدسة الإكلينيكى وقدرته على الوصول إلى مهنة الجندى القادم للكشف (وكان بيرن أيامها يخدم فى الجيش) دون أن يسأله عليها، وثبت لديه أن هذه القدرة أعلى من مجرد الصدفة، وأنها تحتاج إلى لحظة إستعداد خاص من شخص بذاته وأنه يمكن تنميتها، ثم تسلسلت الرؤى وتعاقب التنظير

- والتصوف، إلا أنى لم أرده هنا لأنه خبرة معقدة تجمع هذه الأطراف جميعا، وهى غير قابلة للدراسة بشكل مباشر بحيث لا يفيد الإستشهاد بها هنا.

- أقنعة الشعر المعاصر: مهيار الدمشقى (جابر عصفور) مجلة فصول (يوليو 1981) السنة الأولى المجلد الأول - العدد الرابع.

Rakhawy، Y. (1981) : seleckted Lectures in psychiatry Dar EI Chad publishers Cairo

- يمكن للقارىء أن يرجع إلى دراسة فى علم السيكوباثولوجى للكاتب، صفحات 26، 32، 37، 52، 124، 224، 569، 740 ، كما يمكن الرجوع لمراجع هذا المقال فى موقعه بالموقع.

- طالب فى السنة الثالثة كلية الآداب - قسم علم نفس - جامعة القاهرة.

السبـــــــت 15-12-2007

106– تشكيلات من: الحضارة والمدنية والحاجة إلى مراجعة

نحن نستعمل كلمتى **الثقافة والحضارة** بوفرة وافرة، وإلى درجة أقل كلمتى **المدنية والعمران**، وسوف نقصر كلامنا فى هذه اللمحة عن الحضارة والمدنية، ونحن نقدم فرضا (كان جزءاً من مقال قديم)، يحتاج إلى مراجعة.

نبدأ بالتذكرة بالنقلة من البربرية إلى المدنية حيث يرجح أغلب المؤرخين والمفكرين أن المدينة، وما تمتعت به واكتسبته من أدوات، هى المسئولة عن تكوين المدنية التى هى مرادفة – فى أغلب الأقوال والمراجع – لما هو حضارة، أى أن التحول إلى التمدن، بما يقدم من فرص وخدمات وتنظيمات تقوم بها مؤسسات هو المسئول عن نشأة واستمرار الحضارات.

فإذا صح ذلك تاريخيا ولغويا، وصحيح بعضه، فإننا لا شك نحتاج إلى وقفة مراجعة عصرية دقيقة نقف فيها الآن متسائلين:

هل يصدق نفس الأمر فى أيامنا هذه "هكذا" مباشرة؟، **بمعنى: هل مجرد اكتساب أدوات المدنية هو أمر كاف لإنشاء حضارة؟** من أهم أدوات المدنية الآن: الحصيلة العلمية المتاحة للشخص العادى، والحصيلة التكنولوجية فائقة المعاصرة الجاهزة لاستخداماته، بالإضافة إلى الثروة المعلوماتية فى ذاتها، والجاهزة للتطبيق، هل توفر كل ذلك، يؤدى تلقائيا إلى إرساء القواعد اللازمة لبزوغ الحضارة؟ أم أن الأمر أصبح أكثر تعقيدا وأعقد إشكالية؟

الإجابة عندى تميل إلى فرض احتمالات أخرى بديلة، لعلها مفيدة:

الملاحظ الآن أن توفر أدوات التمدن لفئة من البشر فى أكثر المدن تقدما وأوفرها تقنية ومعاصرة لم يعد كافيا لحسن استعمالها لصالح البشر، يصدق ذلك فى معظم كبريات المدن الغربية التى تضخمت أدواتها وتطاول بنيانها بقدر ما تضاءلت علاقات أهلها فيما بينهم، إذْ تراجع تماسك أسرها. كما تواضعت الإبداعات التلقائية لرجلها العادى، يصدق ذلك فى عوالم التضخم التكنولوجى لذاته، منفصلا عن إثراء وجود البشر.

أفلا يوحى ذلك بضروة التأكيد على التفرقة بين ما هو حضارة وما هو مدنية، بغض النظر عن ارتباطهما التاريخى، وعن أصولهما اللغوية؟

نحن نأمل أن يكون فى هذه التفرقة المقترحة ما يساعدنا على تحديد موقعنا وترشيد توجهنا:

نبدأ بإعادة تعريف المدنية بما يناسب العصر على أنها: **حالة تتوفر فيها وسائل العمران المدنى، من أول أدوات الحياة الراتبة من مؤسسات وخدمات، إلى إتاحة المعلومات المختلفة والتقنيات التواصلية على مستوى العالم المعاصر للشخص العادى.**

أما الحضارة فيجدر أن يرتبط تعريفها بإضافات نوعية تحدد موقف الإنسان المستعْمِل لهذه الأدوات، وفى ذلك نقترح نقلة إلى **ما يسمى حضارة** على الوجه التالى:

إنما تسمى المدنية حضارة إذا ما وعى إنسان عصرها مسئولية امتلاك هذه الأدوات لدرجة تسمح بممارسة استعمالاتها لما يحقق تعمير الأرض - لا خرابها، وتطور البشر- لا تشويههم أو تناثرهم وتمزقهم.

هذا الموقف الأخير يلزمنا أن ننتبه إلى أن نقيس تطور البشر ليس فقط بإنجازات الصفوة فى مراكز البحث وعروض المتاحف وبراءات النشر، ولكن لابد أن يدخل فى التقييم والقياس نوعية تعامل الناس مع بعضهم البعض، وعمق مشاعر الأخوة الإنسانية التى ترسى قواعد العقد الاجتماعى السليم، وكذلك القوانين العرفية التى تحكم الفعل اليومى.

بل إن هذا الوعى (الحضارى) قد يتم ويتنامى بأقل قدر من الأدوات إذا ما توفرت الأعراف والأخلاق والممارسات الإيمانية الإبداعية القادرة على بناء الإنسان بأى قدر متاح من أدوات المدنية.

نستطيع الآن أن نلقى نظرة على ما هو نحن، وعلى ما حولنا ومن حولنا فى محاولة وضع فروض لتشكيلات من التباديل والتوافيق، تقسّم عالمنا المعاصر من خلال درجة توافر هذين البعدين وعلاقتهما ببعضهما البعض.

وفيما يلى بعض ذلك:

1- مدنية فائقة وحضارة مترهلة متراجعة

وهو ما نجده فى دول فائقة التقدم محكمة القوانين صلبة المؤسسات، تفيض بالجديد المحكم المنمّط بشكل عام، يتبدى ذلك فى دور العلم، ومعطيات الصناعات، ومعارض الفنون، ومراكز الأبحاث، ولكن ما أن ننتقل إلى الشارع بعد السابعة أو الثامنة مساء فى كثير من مدنها حتى نجد الأمر مختلفا، فالناس تتلفت، وتخاف أن تحيى بعضها بعضا، وتغُتصب وتُنتهك،

وثمة قوانين تحتية تتحكم فى المشاعر والعلاقات والحياة مثل:

- قانون الرعب والقنص،
- قانون الكر والفر،
- قانون البقاء للأخبث والأسرع،

إلى آخر مواد الدستور السرى للمافيا والإرهاب الأحدث!!

مثال: بعض المدن الكبرى فى الولايات المتحدة الأمريكية.

2- مدنية وافرة مستوردة، وحضارة زائفة ومقلِّدة

وهو ما نجده فى دول حديثة التمدن فائقة الثراء حصلت على كل وسائل الدول المتقدمة السالفة الذكر، وأكثر، لما لها من إمكانيات مادية، فرصفت الشوارع، وأرست وسائل التوصيل والمواصلات، وخططت المدن ووفرت كل وسائل الرفاهية لأغلب أفراد شعوبها، لكنها لا تضيف، ولا تبدع، ولا تطور، ولا يتحاور أبناؤها ندا لند، بل إن آحادها الأقدر فالأقدر - مادة وأدوات - قد قلبوا الليل نهارا، وبالعكس، **وقد أصبحت "الرفاهية" فى هذه المجتمعات هدفا فى ذاتها لذاتها،** وليست وسيلة لإطلاق القدرات واختصار أوقات المعاناة لملئها بالإبداع والموضوعية

مثال: بعض الدول السلبية الثراء مثل أغلب دول الخليج.

3- مدنية متسارعة، وحضارة ممكنة

وهو ما نجده فى دول لا تملك وفرة جاهزة فى وسائل التمدن ابتداء، لكنها تسارع فى خطى عملاقة لامتلاك ما يلزم منها، بكل الوسائل، وكلما ملكت وسيلة جديدة استعملتها فى الفعل اليومى والدفع العام والتنمية بأغلب (أو كل) طاقاتها، وبذلك تقفز فوق قمم التقدم، وبرغم أن وسائل المدنية المتاحة لها هى أقل من الفريق الأول والثانى، إلا أن خطاها وإنتاجها تعد بتأسيس حضارة موازية بشكل ما، لكنها معرضة فى نفس الوقت إلى مضاعفات الفريق الأول مالم تقدم نوعية جديدة للتنمية البشرية والتطور الإنسانى

مثال: النمورالأسيوية الحديثة بما فى ذلك أندونيسيا، وماليزيا.

4- مدنية مغلقة ومتناثرة وحضارة شكلية

وهو ما نجده فى دول تحصل - أو تحاول الحصول- على كم وافر وحديث من وسائل التقدم والمدنية، لكنها توظف ما تحصل عليه فى بؤر متناثرة، تُستعمل من الظاهر **فيما يشبه العلم** دون إضافة فى حدود بروتوكولات الأبحاث المغلقة والهامشية، أى التى لا تصب لا فى الفعل اليومى ولا فى الوعى العام، **وفيما يشبه الإبداع** بأقل قدر من الأصالة، فهى تدور حول نفسها بهدف النشر والمكافأة.

مثال: مصر ودول مشابهة فى العالم العربى والثالث

5- مدنية ضعيفة وحضارة مُمَارسَة هادئة

وهى السائدة فى المجتمعات ذات التقاليد الآمنة والأخلاق الغيرية، عرفا أو تدينا وإيمانا، وهى مجتمعات تملك قدرا متواضعا من وسائل التمدن ورفاهيته، هى مجتمعات ينقصها الكثير من معالم التمدن والحداثة، وكذلك من أدوات الرفاهية ومعلومات العصر، لكنها تحافظ على تقاليد فائقة الرقى من حيث دماثة الخلق، أو إكرام الضيف، أو التعاون التلقائى الخلاق، أو العقد الاجتماعى المؤمَّن للجميع أهلا وضيوفا، أو حيوية العلاقة بالطبيعة، أو فعل الإيمان الكادح المسئول، وتوصف هذه المجتمعات أحيانا بواسطة أهل مجتمعات الوفرة المدنية الظاهرة، توصف بالبدائية والقبلية دون النظر إلى نوع تماسكها وجوهر حضارتها.

مثال: مجتمعات الصيادين، وزارعى اللؤلؤ فى الخليج، وربما مجتمعات سكان الواحات والهنود الحمر وبعض قرى جنوب سيناء، والواحات.

وبعـــد

ما رأيكم فى هذا التقسيم الذى وضعتُ خطوطه العامة منذ أكثر من عشر سنوات؟

ثم عدت الآن لنشره فى اليومية وعدّلت بعض ألفاظه، وطوّرت بعض عناوينه ومحتواه؟

لكننى مازلت أجد أنه يحتاج إلى مراجعة لا تراجع،

ما رأيكم؟

ربما كان إسهامكم فى التعقيب هاديا لتطوير أو تعديل أفضل؟

الأحـــــــــد 16-12-2007

107- المستحيـــــــــــل .. والممـــكـــــــــن!

من (ما) الذى يقرر أن هذا الأمر مستحيل، وأن ذاك هو الممكن؟

الواقع؟ الخبرة السابقة؟ القياس بالغير؟ قراءة التاريخ؟ حسابات المكسب والخسارة؟ العلم الثابت؟ الفتاوى الجاهزة؟

الأجوبة حاضرة محكمة، لكنها ليست كافية.

يقاس المستحيل -عادة- بالسقف الذى لايمكن تخطيه بالحسابات المسبقة،

وبالبعد عن المُجمَعَ عليه من الجميع،

وبالقياس بالسائد الجاثم طول الوقت ...، .... و... و...،

مع أننا – فى واقع الحال اليومى، وعلى مسار التطور الممتد معا – نمارس المستحيل طول الوقت وحين ننجح نتجاوز كلا من: السقف، والحسابات والسائد !! وغير ذلك

قيل وكيف كان ذلك؟

لا أستطيع أن أطرح فى يومية واحدة، كل ما خطر ببالى إلا بصفة عناوين قد انتقى منها واحداً أو اثنين، ثم أعرض لما يتيسر عرضه تلقائيا

أو حسب الطلب فيما بعد.

وبما أنها **عناوين** فأرجوكم لا تحاسبونى عليها الآن

فقد يأتى تحتها غير ما يصلكم – من ألفاظها – لأول وهلة.

لكن الدعوة مطروحه لكل من أراد بنفسه أن يتصور لنفسه ما يوحى به العنوان **على مسئوليته**،

كما أن العناصر تحت العنوان التى أمامها نقط سوداء؛ ليست إلا أمثلة ليست جامعة ولا مانعة. ثم إنها هى عناصر تحت العنوان، بمثابة فهرس لكتاب، فهى ليست بالضرورة مرادفة للعنوان، وإنما تقع ضمن ما سيتناول.

أولاً: المستحيل الواقع

- الشعر
- الثورة
- الإبداع العلمى

ثانياً: المستحيل المراوغ

- التاريخ
- الحلم
- الحب
- الكدح إليه

ثالثاً: الممكن المستحيل

- الموت / الفناء
- الإيمان الكامل
- الحب / مكرر

رابعاً: المستحيل المجهول (الموجود)

- القدرات الخارقة
- عمق اللحظة: "الهنا والآن"
- الثروات المجانية

خامساً: المستحيل الحقيقة

- الله سبحانه وتعالى
- "الآن" الممتد المتجدد
- "العلاقة بينهما"

أكتفى بهذه العناوين وأكرر التوصية التى أوردتها فى المقدمة قبل رصد العناوين والعناصر مباشرة

آخر لحظة

عدلت عن طرح أية تفاصيل لأى من هذه العناصر السالفة الذكر، وفضلت أن أعرض نموذجا حيا متواضعا لجلسة من جلسات العلاج الجمعى يمارسها مصريون ومصريات، متوسطو الحال دون أية خلفية معقلنة، أو حتى ملفظنة، لكنهم بالنسبة لى – وخلال 37 سنة – يمثلون مصدرا هائلا للتعرف على بعض أبعاد ما يأتينى منهم ومنى من "فروض"

الفرض المبدئى هنا الذى وصلنى أريد توصيله من هذا المقطتف المتواضع هو

"إن المستحيل ليس بالضرورة مستحيلاً"

خاطر آخر

خطر ببالى خاطر آخر أورده فورا قبل أن يهرب منى، هذا الخاطر يقول:

إن الحياة الحقيقة هى حركة دائبة بين المستحيل والممكن

وبالعكس: بين الممكن والمستحيل

وهى ليست مجرد حركة فى المحل بل إنها فى صورتها الحيوية، مصممة طول الوقت أن تجعل المستحيل ممكنا،

وفى نفس الوقت أن تحول دون أن يتحول الممكن إلى مستحيل.

قيل وكيف يكون ذلك؟
فأقول إيش عرفنى؟
سوف نرى
ولندخل إلى المقتطف:

لمحات من العلاج الجمعى (قبل المقتطف):
فى العلاج الجمعى – كما ذكرنا- نطرح عادة أمام وعى المشارك أو المعالج (مدرَّباً ومتدرِّباً)، أن ثم احتمالا آخر، وفى معظم الأحيان يكون الرد الجاهز هو رفض أى احتمال آخر، غير ما قيل فى البدء، ثم يتمادى الرفض لدرجة وصف الاقتراح البديل بأنه مستحيل.

مثلا يقول أحدهم: أنا لا أعرف الحقد أبدا،
البديل: هل يجوز أنك تحقد أحيانا،
المقاومة: أبدا؟
طيب: هل تجرب، ولو تمثل، أنك تحقد،
لا: هذا مستحيل،
وهكذا....

المقتطف:
بدأ هذا الجزء من التفاعل مع طبيب زميل وليس مع مريض.

فى نظام التدريب الذى يجرى فى قصر العينى كل أسبوع منذ أكثر من خمسين عاما، يشارك الطبيب المتدرب، مع الطبيب الأكبر "المدَرِّب"، فى إدارة المجموعة العلاجية ويمنح استثناءً – كما ذكرنا فى **يومية 2-10-2007 " يا خبر اسود، دانا لو اتجننت، يمكن ... "** – هو ألا يشارك فى التفاعل (بما فى ذلك الدراما والألعاب) إلا حين يطمئن بعد أسابيع أو شهوراً (أو أبدا) أنه أصبح مستعداً أن يسرى عليه ما يسرى على سائر المرضى، وهو هو الذى يسرى على المعالج الرئيسى، وعندما يطمئن الزميل المتدرب إلى ما يجرى، يعلن أنه تنازل عن حقه فى هذا الاستثناء، وبالتالى فقد صار مثله مثل المرضى ومثل المعالج الرئيسى، وهو الآن – فى الوقت الذى اختاره – قرر أن يعبِّر عن ذلك بأنه قد **"أضاء النور الأخضر"**، الأمر الذى يجعله ليس من حقه بعد ذلك أن يعتذر عن المشاركة (طالما هو يكمل التدريب)

د. مصطفى فى هذه المجموعة كان استثناءً، لأنه، وحتى نهاية السنة لم يضئ النور الأخضر،

هذا لم يحدث طوال 36 سنة إلا نادرا مع متدرب أو اثنين آخرين.

المهم
فى هذه الجلسة من جلسات العلاج الجمعى تطرق التفاعل مع

د. مصطفى إلى **استحالة أن يضئ النور الأخضر فى هذه المرحلة**، مع تلميح بأن هذه **الاستحالة** قد تستمر إلى نهاية العام (وهذا حقه)

الذى طُرِحَ فى هذه الجلسة بدأ من هذه النقطة ، حين اعترض المتدرب د. مصطفى وأعلن استحالة التعجيل بإضاءة النور الأخضر، وتمسك بحقه فى تفعيل هذه الاستحالة، فتخلقت "لعبة" للتعامل مع هذا الموقف على الوجه التالى:

اللعبة:

يقول من عليه الدور، موجها كلامه لشخص بذاته
يا فلان ، **أنا مستحيل إنى** (يقول أى كلام يخطر على باله، ثم يستدرك بعد ذلك قائلا)، **ولكن ...** (ثم يكمل بأكبر قدر من التلقائية بأى كلام أيضا .....)

ثم إن اللعبة تطورت عند بعض المشاركين بطرح "اختيار" أو إضافة توجيه الاستحالة إلى الآخر (المخاطب) بمعنى مستحيل إنك .....الخ.

عينات مما جرى

أولاً: د. مصطفى
بعد مقاومة متوسطة، وتدخل من المربض "محمد طه"، قَبِلَ د. مصطفى أن يلعب مع ثلاثة، منهم الأستاذ المدرِّب قال.

أ- **د. مصطفى:** يا د. يحيى أنا مستحيل أقدر أتخانق معاك **لكن** أنا **أحيانا** بابقى **عايز** اتخانق معاك.

ب – **د. مصطفى:** يا عاصم أنا مستحيل اقدر ابقى زيك **لكن** أحيانا بابقى عايز ابقى زيك

ج – **د. مصطفى:** يا اسماعيل انا مستحيل حاسيبك **لكن** مش عارف حاقدر اعملك ايه

التعليق

(أ) نلاحظ هنا أنه بالرغم من مقاومة د. مصطفى إلا أنه بمجرد أن أدخل لفظ **"أحيانا"**، ولفظ **"عايز"** خفَّتْ حدة المستحيل، وهو يخاطب الأستاذ الدكتور المدرب

(ب) ثم أنه حين خاطب عاصم، وهو مريض هادئ، مبتسم معظم الوقت، متفرج، منتظم برغم أن مرضه جسيم (فصام) وبه هلوسة شمية تظهر فى أوقات معينة لكنها لا تعيقه عن العمل والتكيف. د. مصطفى يعرف كل ذلك عن عاصم وبالتالى رأى أنه لايستطيع أن يكون مثله أصلاً، "أقدر أبقى" زيك، وهذا يحمل معنى أن التقمص العلاجى اقترب من الطبيب بالرغم من مقاومته ذلك،

أما الاستدراك **لكن**، فقد أظهر الإرادة الخفية – مثل أىٍّ منا – فى التفكير فى الحل المرضى من جهة، كما أظهر إرادة رفض المرض فى نفس الوقت.

(ج) فى الاستجابة الثالثة غلب موقف مسئولية التطبيب على د. مصطفى، فالتزامه بدوره الطبى يجعل التخلى عن أى مريض (اسماعيل) فى مرتبة المستحيل، أما الاستدراك بـ **"لكن"** فقد أظهر أن مجرد عدم التخلى لم يحل الاشكال لصعوبة الحالة فعلاً.

ثانياً: محمد طه

أ- **محمد طه:** يا دكتور يحيى انا مستحيل إنى اخف، **لكن** انا عندى إحساس ان انا حاخف،

ب- **محمد طه:** يا دكتور محمد انا مستحيل حأسيبك **لكن** انا حافضل معاك مش حاسيبك

التعليق

(أ) نلاحظ أن محمد طه لعب مع الأطباء دون المرضى،

وفى حين أنه خاطب الاستاذ أولا معلنا يأسه من الشفاء تماما، نجد أنه حين استدرك **(لكن)** ظهر الاحساس الذى يناقض ذلك، كأنها دعوة للاستاذ أن يساعده بفضل هذا الاحساس الإيجابى وبرغم يأسه المبدئى.

(ب) أما فى خطابه للزميل الأصغر، فكان بمثابة طلب الاستمرار فى التعاون للعلاج ، مما سهل بعد ذلك اتخاذ القرار باستمرار العلاج، وكأنه بعد أن تحرك التفاؤل الحذر مع الاستاذ فى النهاية، فضل الصحبة مع الزميل الأصغر، حتى أن الاستدراك بـ **"لكن"** لم يكن استدراكا بل تأكيدا.

ثالثاً: عاصم

عاصم: يا دكتور يحيى انت من المستحيل انك تفهمنى **لكن** لازم تفهمنى

التعليق:

لم يلعب عصام إلا مع الاستاذ، ربما لإدراكه أن حالته صعبة، وهى التى أوضحنا بعض أبعادها حالا، كما أنه لم يقل مستحيل "أنى" بل مستحيل "أنك"، يمكن أن نرى فى هذا الموقف: الحاجة الملحّة بداخل أغلب المرضى النفسيين خصوصا فى خبرة الذهان (الفصام) أن يفهمهم، يسمعهم، يقرأهم أحد، فهم يعيشون فى عالمهم الذى ابتدعوه **سرا بمعرفتهم**، والذى يكون **له لغته النابضة الغامضة** بما لها من قوانين خاصة، فيصبح من البديهى أن يفترض المريض أن أحداً لن يفهمه أصلا ، ولا الاستاذ ، **هذا بالاضافة إلى عدم رغبتهم أن ينكشفوا أمام من لايقدر معنى تجربتهم**، وفى نفس الوقت يكون المريض مثل عاصم هنا حريص كل الحرص على أن يجد من يفهمه (لا من يحكم عليه، أو يصنف أعراضه، أو يعلق لافتة تشخيصه) ومع رؤية صعوبة أن يجد عاصم من يفهمه يأتى الاستدراك هنا بعد **"لكن"** ليظهر الإصرار على حقه أن يجد من يفهمه، وتحديدا أن يجد الفهم من نفس هذا الشخص الذى افترض أنه لن يفهمه.

هنا (كما فى أغلب الباقى) **تهتز قيمة المستحيل بمجرد إضافة "لكن".**

النداء اليائس طلبا للفهم صورْتُه تحديدا فى ديوانى سر اللعبة على الوجه التالى:

يا أسيادى
يا حفاظ السقر الأعظم
يا حَمَلَة سر المنجم
يا كهنة محراب فرعون
يا أفخم من لاك الألفاظ تموء كقطط جوعى فى كهف مظلمْ
يا أذكى من خلق الله وأعلمْ
يا أصحاب الكلمة والرأى
هل أطمع يوما أن يُسمع لى؟
هل يُسمح لى؟
هل يأذنُ حاجبكم أن أتقدم
ليلاطكمو التمس العفو
أنشر صفحتى البيضاء
أدفع عن نفسى
أتكلم
أحكى فى صمت عن شئ لا يحكى
عن إحساس ليس له اسم
إحساس يفقد معناه، إن سكن اللفظ الميت
.....
.....
وصرخت بأعلى صمتى
لم يسمعنى السادة
وارتدّت تلك الألف الممدودة مهزومة
تطعننى فى قلبى
وتدحرجت الهاء العمياء ككرة الصلب..،
داخل أعماقى.

يبدو أن علاقة عصام بالمجموعة وبالمعالج الرئيسى سمحت له أن يكسر اليأس قليلا بهذا الالزام بعد الاستدراك **"لكن لازم تفهمنى"**

رابعاً: محمد لطفى

(أ) يا دكتور مصطفى من المستحيل أنك حتولع النور الأخضر **لكن** من المستحيل انك ماتولعهوش

(ب) يا دكتور يحيى من المستحيل انى انا اكرهك **لكن** مش من المستحيل إنى اسيبك

التعليق:

(أ) تساوت الاستحالة مع عدم الاستحالة فى خطاب محمد لطفى متوجها إلى د.مصطفى بالذات، وكان لذلك دلالته فى هذه الجلسة، ذلك لأن د. مصطفى بدا قبيل بداية اللعبة مقاوماً تماما فكرة إضاءة النور الأخضر فى هذه المرحلة، وهذا هو سبب إنشاء اللعبة، وقد استلمه محمد لطفى بسخرية خفيفة بالاشارة لإحجامه وترددده

(ب) أما حين خاطب محمد لطفى الأستاذ المدرب، وكانت

علاقته به منذ بدء الجروب علاقة نسميها **"الاعتمادية الرضيعية"** وكانت تتزايد باستمرار، حين خاطب محمد الأستاذ انتقل من موقف الناقد الساخر من الزميل الأصغر، إلى إعلان اعتماده الصريح المتمادى على الأستاذ ، لدرجة إعلان استحالة كراهيته، ثم يأتى الاستدراك بـ **"لكن"** ليحدد ثمن هذه الاعتمادية، وأنها سلبية الطفيلية الدائمة، والتى تمادت أيضا حتى نهاية عمر المجموعة الذى طال استثناءً إلى سنتين.

خامساً:

د. وفاء: يا محمد طه أنا من المستحيل ان انا اتغير **لكن** بدأت أشك فى المستحيل ده

التعليق:

هى زميلة متدربة مع د. مصطفى، معالج مساعد مثله، فى نفس الوقت.

ومن علامات التدريب -عموما - هو أن ينجح المتدرب فى أن يسمح بتغير ماَ، فى نفسه شخصيا مع زيادة الخبرة واضطراد النمو، تماما مثلما يتغير المريض.

يستشعر ذلك كل متدرب بلا استثناء،

التغيير - أى تغيير - هو مرفوض ومن البداية، حتى لو أعلن المتدرب غير ذلك من خلال حماسه، وربما من خلال ما شاهده فى السنة السابقة التى أمضاها مشاهدا من خارج المجموعة لما يجرى فى المجموعة السابقة السنة الماضية.

د. وفاء هنا تقولها صريحة إذ تعلن عن حقها فى أن تتمسك "بما هى" دون تغيير لدرجة الاستحالة

وفى نفس الوقت بعد الاستدراك بـ **"لكن"** هى تعترف أن التغيير **يتسحَّب إليها رغما عنها** حتى راحت تشك فى هذه الاستحالة.

سادساً:

نختتم هذه اللقطة بما قاله المعالج الأستاذ المدرب

(أ) **د. يحيى:** من المستحيل ان اللى فى مخى يتحقق **لكن** مستحيل انى أبطل

هذا الموقف يعلن درجة من البصيرة، كما يعرِّى مدى الاصرار على اختيار هذا النوع من العلاج الذى يتضمن مغامرة التغير، والتعرية، والغوص إلى القاع (ممارسةً لا تأويلا)،

هذا الموقف الصلب قد يكون الدافع الأساسى لاستمرار الأستاذ فى هذه الطريقة التى اختارها، والتى تبدو أحيانا أبعد مما يتحمله الواقع،
ومع هذه البصيرة تأتى محاولة هز المستحيل الذى أعلنت اللعبة أنه فى **"مُخ"** الأستاذ أكثر منه فى الواقع، وحين يهتز الموقف هكذا ، يلحقه الاستدراك و**"لكن"** بإعلان مستحيل آخر ينفى أىّ تراجع، إذ هو يعلن استحالة التوقف.

التعقيب النهائى:

نلاحظ عموما أن البداية من إعلان الاستحالة هو أمر جاهز وسهل.

ثم نلاحظ بعد ذلك أن كل مستحيل - تقريبا- هو قابل للمراجعة والاهتزاز

أما بالنسبة للعبة:

فنلاحظ - بصفة عامة- كيف أن هذه اللعبة بكل ما بدا فيها من بساطة أدت عدة وظائف معا:

- وظيفة علاجية (راجع موقف المرضى مع التعليق تلو الآخر)
- وظيفة تدريبية حيث أظهرت موقف كل من المدرّب والمتدربيْن بشكل مفيد لهم ولغيرهم
- وظيفة معرفية ربما تسمح بمراجعة ما ألفناه عن فكرة **"الممكن والمستحيل"**

وبعـد

هل سأتمكن من تنظير ما جاء بالمقدمة، والذى هربت منه بهذا المقتطف؟

- ملحوظة: ليست مزية ولا من صالح أى متدرب أن يبادر بإضاءة الضوء الأخضر (السماح بالمشاركة الكاملة) مبكراً (خلال أول أسابيع مثلا) فقد ثبت أن هذا يكون عادة من باب الحماس والتصفيق للجارى، أكثر منه دليلا على ما وصله من طمأنينه للمشاركة الآمنة .

- Infantile Dependency

الإثنيـــــــن 17-12-2007

108- التطـــــور الحيـــــوى يتحـــــدى المستحيـــــل

ورد هذا الخاطر فى مقال أمس بالحرف الواحد:

إن الحياة الحقيقية هى حركة دائبة بين المستحيل والممكن
وبالعكس: بين الممكن والمستحيل
وهى ليست مجرد حركة فى المحل بل إنها فى صورتها الحيوية،
تسعى طول الوقت أن تجعل المستحيل ممكنا،
وفى نفس الوقت أن تحول دون أن يتحول الممكن إلى مستحيل.
قيل وكيف يكون ذلك؟

وفى هذا نقول اليوم:
أليس طلب المستحيل دون حسابات، هو الجنون نفسه؟

ليس تماما.

الجنون هو نتاج التعجل فى تحقيق المستحيل، ثم تفعيله بعيدا عن أرض الواقع، فى وحدة زمنية أقصر مئات (أو آلاف) المرات التى يمكن أن يتحقق فيها؟ ومن ثَمَّ تحقيق ما يشبهه، وليس هو.

إرادة المستحيل فى ذاتها ليست جنونا، بل لعلها أرقى أنواع الوجود، متى أمكن ترويضها فِعْلاً يوميا، لا مجرد خيال مرسوم.

فى الفترة الأخيرة، وأنا أتعرف على **الموت**، وعلى **الطريق إلى الحق** سبحانه وتعالى، وعلى **محاولات التواصل المتعدد المستويات** (الحب المتكامل)، وعلى **حركية الفطرة**، إزددت تمسكا بأنه يستحيل ضمان تواصل حركة التطور (التى أنتمى إليها وأحاول تنميتها فى تنظيرى العلمى وممارستى المهنية) إلا باحترام: **إمكانية المستحيل.**

هل من الممكن أن يتصور نوع من الأحياء أنه يمكن أن يصبح نوعاً آخرا؟

طبعا لا.
يبدو هذا مستحيلا، بدليل أن الأنواع التى نزعم أننا تطورنا منها مازالت موجودة.!

هذه إجابة مغلوطة

الأنواع المتبقية حالا ليست هى هى الأنواع التى تطورت عبر ملايين السنين لتحقق المستحيل فيظهر ما هو "إنسان" هكذا بإذن الله.

أعرف وأتابع الهجوم الأحدث على نظرية داروين، حتى بلغنى أنهم منعوا تدريسها فى بعض ولايات أمريكا، وأحلوا محلها نظرية "العقل الذكى"، متصورين أنهم بذلك يشيرون إلى الله عز وجل، وهم بهذا التراجع التجهيلى لا يضيفون شيئا حقيقيا إلى معرفة الدين، ولا معرفة الكون، ولا معرفة الله، هذا اختزال بشع ليس فقط للعلم، وإنما لحركية التوجه إلى الحق سبحانه وتعالى،

لا أعرف أى دين حقيقى يتعارض مع تطور الأحياء، (دع جانبا رجال الدين، إن كان للدين رجالا غير كل خلق الله جميعا)،

فرحت مؤخرا (منذ عامين) فرحا شديدا بفيلسوف رائع هو دانييل دينيت Daniale Dennet يعود بنظرية التطور إلى موقعها مع مناقشة ناقدة، وتحديث هادف. كان ذلك من خلال كتابه الذى أرجو أن تتاح الفرصة لمناقشته فى هذه النشرة هنا يوما بعد يوم. هو كتاب "أنواع العقول" Kinds of Minds الذى قام بترجمته د. مصطفى فهمى ترجمة جيدة إلا العنوان الذى ترجم إلى **تطور العقول** بغير وجه حق.

من خلال هذا الكتاب وغيره استعادت نظرية التطور حيويتها وعادت تحتل مكانتها اللائقة بها فأطمأننت،

مجرد أن تصدق الخطوط العريضة لهذه النظرية سوف تعرف مباشرة أن المستحيل (أن يتنازل نوع عن وجوده ليصبح نوعاً آخر) هو هو الذى حدث (أكرر التذكرة بأن قرود اليوم التى رضيت بالممكن ليست هى أجدادنا الذين عبروا إلى المستحيل: نحن!).

ثم حدثت الكارثة الرائعة الواعدة. حين بزغ ما يسمى الوعى، ثم الوعى بالوعى، الورطة البديعة للجنس البشرى دون ما نعرف من أحياء.

وبدلا من أن يحترم هذا الوعى قوانين هذه المسيرة، احتواه العقل الأحدث وراح يصنف الأحداث والتخطيط والأحلام والآمال إلى **"ممكن"** و**"مستحيل"**،

فى أول الأمر، وربما من حيث المبدأ: بدا ذلك إضافة جيدة، المفروض أن تدعم مسيرة التطور.

لم تجر الأمور هكذا تماما، إذْ لم نُحسن استخدام هذا الوعى والوعى بالوعى، لدعم مسيرة اختراق الممكن وتجاوزه واستيعابه لتحقيق المستحيل، راح ما يسمى "العقل" يمارس أغلب نشاطه بديلا عن الواقع المحيط، وعن الأصل الكامن معاً، بشكل أو بآخر، وقد أنجز بذلك إنجازات رائعة، لكن على حساب ضمور

إمكانيات أساسية مازال يمتلكها الكائن البشرى، وهى الإمكانات التى كان أجداده يحققون بها المستحيل.

ننتقل بعد هذه المقدمة التى أحسبها ضرورية إلى إشكالة الإنسان المعاصر فى علاقته بهذه المسألة من منظور التطور.

الفرض وتداعياته

من هذا المنطلق نبدأ فى طرح أهم فروض هذه المداخلة، وبعض ما يترتب عليها.

الإنسان، مهما بلغ غروره وهو يتربع على قمة الهرم الحيوى، ومهما بلغ اعتزازه بعقله، له وعى ظاهر، تتحرك فيه وظائف سلوكية بالغة الحذق، ووعى كلى أقل ظهورا يستوعب كلا من تاريخه، وقوانين توجهه، وهذا الوعى الكلى يتجاوز اللاشعور الجمعى لكارل يونج (وطبعا لا شعور فرويد) وهو يقترب من أنواع العقول "لدانييل دينيت"

انطلاقا من هذا الفرض يترتب ما يلى:

أولا: من خلال هذا الوعى الكلى الممتد، يعى الكائن البشرى تلك الحقيقة التى أوردناها فى المقدمة، دون الحاجة إلى داروين أو دنيت، تلك الحقيقة التى تقول **إن التاريخ الحيوى لا يعترف بالمستحيل.**

ثانيا: نفس هذا الوعى يلتقط ماهية **الفطرة** التى وصفناها قبلاً فى فرض يقول: **إنها حركية وليست كيانا، وأنها توجُّهٌ مضطرد، وليست بداية نتجاوزها**، ثم أضفنا أن هذا التوجه يتجه بهذه الحركية إلى ما "ماهى إليه"، (مما لا تعرف ولا نعرف)، وبالتالى علينا أن ندرك، قوانينها، التى من أهمها ما جاء فى "أولاً".

ثالثا: إن هذا "الوعى" الذى ينفى المستحيل نتيجة لليقين من حركية النمو والتطور، يصطدم بوصاية العقل (الظاهر) من جهة (بكل معطياته المحكمة الضرورية من قوانين وعلوم وتقنينات) كما يصطدم بسكون الواقع الأقرب (لا الواقع الطبيعى) من جهة أخرى.

رابعا: يظل هذا الوعى حاضرا يحتوى **التاريخى** ويشير إلى **"الآتى"** فى نفس الوقت: **هنا والآن.**

فما الحل؟

تنوعيات الحلول:

يتم التعامل مع هذا الوعى الأعمق بطرق متعددة نوجز أهمها كما يلى:

أولا: قد يتم إنكار هذا الوعى الحقيقى **"بإمكانية المستحيل"** بكل الحيل والتبريرات الموضوعية والدفاعية، وبالتالى يتم القبول بنوع من **الرضا الدائم "بالممكن"**

حتى لو سكنت الحركة تماما، حتىلو سُلّمت مفاتيحه لغير أهله (العلم الوصى الأيديولوجى أو الدين الجامد اللفظى، أو التسليم المائع التكيفى، أو الانشقاق الجانبى التفريغى، أو التنظير البديل المعقلن).

ثانيا: قد يتم إطلاق هذا الوعى الأعمق تفعيلا متسارعا ليكسر **"كل"** أو **"أغلب"** الحواجز التى تفرض عليه الخمود أو الإلغاء، بما يشمل كسر الغطاء والقفز فوق الحواجز دون أى حساب للعواقب، وأيضا يشمل ذلك تحقيق المستقبل الذى تعد به حركية هذا الوعى، يشمل تحقيقه (تفعيله) هنا والآن **تحقيقا شائها مرضيًا بأقرب رمز** متاح، **وما معتقدات المهدى المنتظر، أو ضلالات النبوة والألوهية إلا بعض ذلك.**

ثالثا: قد يختفى هذا الوعى فى الاغتراب فى خيال منسوج، لا يتجاوز مستوى الخيال، وقد يظهر فى صورة مرضية، أو يتجلى فى بعض الانتاج الفنى المتواضع، أو حتى فى ما يسمى أحلام اليقظة.

رابعا: قد يحدث السماح (الطبيعى) بأن تستوعب هذا الوعى الحركية الإيقاعية للنشاط الحالم، فلا يظهر من آثار هذا الوعى إلا الحل اليومى التراكمى الذى لا نميزه عادة (اضطراد النمو المستمر) إلا بعد فترة طويلة

خامسا: قد يتم استيعاب هذا التحدى لتحقيق المستحيل فى قفزات (أزمات) النمو بين مرحلة ومرحلة.

سادسا: فى عدد قليل ممن تتاح لهم الفرصة يمكن تحمل مسئولية **الوعى بنفى المستحيل** فى **وعى فائق**، وليس مجرد **وعى كامن**، ثم يتواصل السعى إلى تحقيقة، مع الرضا – فى نفس الوقت – بأى قدر من الممكن الذى يتحقق لفترة، تمهيدا لانطلاق جديد لمعاودة السعى لكسر المستحيل، وهكذا.

هذا هو **الحل الابداعى** وله تجلياته المختلفة فى مجالات الإبداع سواء إبداع الذات، أو الابداع الخالقى **(حركية الوجود وتجليات الإبداع)**، أو الابداع الثورى،

ويمكن أن يكون الناتج الإبداعى بمثابة تخطيط واعد لمستقبل قادم **يهز استحالة المستحيل.**

هذا المسار الأخير (**سادسا**):

يعرف أنه يطلب المستحيل ويعمل موضوعيا لتحقيقه،
لكنه يرضى بالممكن الذى يتحقق منه أولا بأول،
لينطلق منه من جديد استكمالا للمسيرة لتحقيق المستحيل التالى

الذى لا يتحقق منه إلا ممكنا محدودا،

وهكذا تستمر الحركة ويتواصل الإيقاع

استدراك

* يبدو هذا التنظير بعيدا عن التطبيق اليومى لكنى أظن الأمر غير ذلك، ولسوف أورد مثاليين عمليين على الوجه التالى.

مثال من الممارسة المهنية:

فى كثير من الأحيان يبدو شفاء مريض ما مستحيلا (خاصة أولئك الذين يتناثرون وهم يكسرون حواجز المستحيل، ويحطمون سقفه، فتتفسخ ذواتهم ويتمادى تراجعهم وتدهورهم)، حين يبلغنا مدى هذا الخراب الذى انتهى إليه المريض حتى استتب التدهور، وتجمّد فى هذا السكون الخامل، نعلن العجز، ونبالغ فى التمادى فى التسكين بالمهدئات الجسيمة طول الوقت طول العمر، لأن هذا هو الممكن،

البديل المزعج الرائع لهذا الاستسلام للمستحيل هو تبنى **"نفى المستحيل"**، وذلك باحترام اندفاعة المريض إلى تحقيق وعيه بإمكانية كسر المستحيل، مع تبصرته بخيبة أسلوبه، وحين تصل الرسالة (غير لفظية عادة) إلى المريض أنه **فعلا المهدى المنتظر**، (مثل أى واحد فينا) **مجرد أن التطور مستمر**، وأنه يسميه المهدى، فى حين يسميه نيتشه الانسان الأعلى كما يسميه بونج التفرد، ويسعى أغلب المتصوفة إليه بأسماء وصفات رائعة أخرى، حين يبلغه – ممارسة – أن هذه هى طبيعتنا وأنه لم يفعل شيئا إلا أنه أعلنها مبكراً، حالاً، شطحاً: بما تيسر له من ألفاظ وصور، فترجم هذا النزوع الطبيعى إلى أنه "المهدى المنتظر أو النبى أو الله" حينئذ تبدأ مسيرة العلاج بتوجه مختلف وإيقاع مختلف.

مثال (2) عن استحالة التواصل المتكامل:

فى عمق الوعى اليقظ يبدو **مشروع التواصل** المتكامل (يسمى أحيانا الحب)، المتعدد المستويات مع آخر حقيقى، **مستحيلا** ولقد أشرنا إلى مثل ذلك فى مواجهة هذه الإشكالة مثلا فى نشرة **"من يحب من" يومية 8-10-2007** هذه الاستحالة تفرض نفسها إذا حضر التواصل مَطْلباً بدْئيا بكل حجمه هذا ومواصفاته تلك، فتقفز الحلول والبدائل والتأجيلات وربما التشوية بنفس الأساليب التى أشرنا إليها حالا فى حديثنا عن التعامل مع "الوعى بنفى المستحيل":

إما **بالإنكار** والتسليم للاستحالة أو بالتفعيل الشاطح أو بالانشقاق أو باللجوء إلى الخيال أو بالانسحاب أو – نادرا – بالإبداع والاستمرار.

ويتوقف تجاوز هذه الاستحالة إلى الممكن بقدر ما يبذل **الطرفان** من جهد لمواصلة **إبداع وتجديد العلاقة** على أرض الواقع فى تحدٍّ متواصل، يستلهم هذا القانون الحيوى الأساسى القائل بإمكانية المستحيل.

تعقيب

ما أصعب كل هذا التنظير، وأسخفه.

كل ما أود الخروج به من كل هذا هو التوصية بعدم التنازل عن حقنا فى تحقيق المستحيل.

وفى الوقت نفسه عدم التعجل لتحقيقه

مع استمرار الوعى (ربما السرّى) بموضوعية إمكانية المستحيل، طول الوقت

لا أعرف هل هذا ممكن؟

أم أنه لا سبيل أمامنا إلا الاستسهال أو الاستسلام؟

استشهادات قديمة

التحدى القائل بإمكانية، المستحيل باعتبار ذلك طبيعة حيوية، هو جار طول الوقت، بشكل تلقائى ودون قصد عادة، ويبدو - مرة أخرى - أنه لا يحتاج لكل هذا التنظير.

ضبطتُ نفسى أنهى كثيرا من أعمالى بتقرير قبول هذا التحدى: أن **المستحيل هو الممكن** بقدر **ما نقرر ذلك.**

اكتشفت بعض ذلك فى نهاية قصيدة أو نهاية رواية بشكل مباشر أو غير مباشر

وفيما يلى بعض ما خرج منى كأمثلة:

ديوان "سر اللعبة"
(ص 108 - 109)

لا.. .
يا من ترقبُ لفظى العاجز
بعيون الفن المتخلق
أو تفهم روح غنائى
بحساب العلم الأعشى
لا تحسب أنى أكتب شعرا
بخيال العجز الهارب
أو أنى أطفئ ناري
بدموع الدوح الباكى
لا .. لا .. لا.. لا
هذا قدرى
.....
.....
فليحترقْ المعبدْ
ولتذرُ الريحُ رماد الأصنام
ولتُسْأَلُ نفسٌ ما كسبت
وليُعْلَنْ هذا فى كل مكان:
'فشل الحيوان الناطق أن يصبح انسانا'
أو .. .. ..
فلنتطور
إذ يصبح ما ندعوه شعرا
هو عين الأمر الواقع.
خاتمة ديوان "سر اللعبة" سنة1978
الناشر: دار الغد للثقافة والنشر

ديوان "أغوار النفس"

.....
توتا .. توتا ..،
واهى خلصت منى الحدوته.
لو حلوه .. حاتقول غنوه:

{"هوه دا يخلص من الله :
اللى غمّضْ ماتْ غبى،
واللى شاف، خاف واترعب،
مابقاش نبى. }
لو ملتوته،
حاتقول حدوته:
{ كان فيه زمان،
واحد رفض عيشة الهوان،
قال إيه وحاول يبقى "خلقة ربنا"
مع إنه زيه زينا،
يعنى : بشر.
قالو له حاسب ما القدر،
قام راح عاملها، وقال: "فشر"}.
خاتمة "أغوار النفس"، سنة 1978
الناشر: دار الغد للثقافة والنشر

نهاية قصيدة "صالحتنى شيخى على نفسى"

وسمعت ضحكا خافتا. لا،.. ليس سخرية ولكن.....

.... وسمعت صوتاً واثقا فى عمق أعماقى يقول: **'المستحيل هو النبيل الممكن الآن بنا'.**

لمست عباءتكَ الرقيقة جانبا من بعض وعيى، فعلمت أنك كنته'.

وصحوت أندم أنى قد كنت أحلم.

نشرت فى الاهرام
بتاريخ 15-12-2003

نهاية رواية "ملحمة الرحيل والعود"
(الجزء الثالث من ثلاثية: المشى على الصراط)

ـ هه، يا منال.
ـ هه يا جلال.
ـ إذن ماذا؟.
ـ إذن هذا؟.
ـ الله يخيبك! .
ـ الله يخرب بيتك.
ـ نعملها؟.
ـ لا طبعا.
ـ نبقى هكذا؟.
ـ لا .. طبعا.
ـ يعنى؟؟.
ـ يعنى موافقة.
ـ على ماذا؟.
ـ على الممكن المستحيل.!!!.
ـ والله ما هى نافعة!!.
ـ أحسن.

ـ فلماذا نستمر نحاول؟.
ـ هل عندك بديل ؟.

ذهب: بتاريخ 7-2-2004

وبعد

هذا ما كان من إرهاصات باكر،

هل يا ترى ثمّ مجال لتناول بعض العناوين والعناصر التى أوردناها أمس فى مستهل النشرة، خاصة عن **الشعر والغناء**، و"**الهنا والآن**" ممتدا، **والحق سبحانه وتعالى**؟

ربما

- "تطور العقول" Kinds of Minds تأليف: دايـنيل دينيث، ترجمة د. مصطفى فهمى، والناشر: المكتبة الأكاديمية "سلسلة كراسات عروض" القاهرة

الثلاثـــــــاء 18-12-2007

109- عـــــن الديـــــن العالمـــــى

مقدمة:

هذه تعتعات ثلاث، الأولى، والثانية نشرتا فى الدستور والثالثة على وشك النشر الأسبوع القادم، وحين راجعتهم معاً وجدت أن زوار الموقع أولى بهم وقد تواصلوا حول موضوع واحد هكذا:

الجزء الأول: وعىٌ وسلوكٌ ومعتقد

طلب منى صديقى عمر (حفيدى جداً، أعنى صديقى جدا) أن يتحاور معى حول موضوع يعده لتقديمه ضمن واجبات دراسته فى قسم ما فى الجامعة الأمريكية (يقول إنه قسم الاجتماع، لكنه يعد نفسه فى قسم الفلسفة!!) سألته: بماذا ورنى بصفتى من؟ لم يُجِبْ، فهو يحاورنى منذ ولد، بكلام وبغير كلام. وافقت طبعا، فنادرا ما لا أوافق، بالذات بالنسبة للشباب والشابات.

الموضوع حول "تدريس الدين فى المدارس المصرية"، لماذا يا عمر اخترت هذا الموضوع بالذات؟ الله يسامحك!! قال: لست أنا الذى اخترته، أنا كُلِّفتُ به،

أنا أعلم أن موضوع "ربنا" و"الدين" يشغله من قديم، مثلنا كلنا ونحن فى سنه، قبل أن نُمْنَعُ فنكف عن التفكير نهائيا، وكان يكثر من فتحه معى، ويتعجب من تحملى له، وسماحى بأسئلته، وحيرتى .. مع حيرته، حتى وصل الأمر به أنه كان – حين يحتد به النقاش مع زملائه ، يدعوهم لمقابلتى، أو ربما يهددهم بمقابلتى، بدليل أنهم لم يحضروا إلىّ أبداً برغم تكرار الوعد وتكرار القبول من ناحيتى.

نرجع إلى حواره المكلف به من مدرسه أو أستاذه فى الجامعة، سألنى عن "تعريف الدين"!! يا خبر يا عمر !! هكذا خبط لزق، أجبته إنه **"وعى"**، و**"سلوك"**، و**"معتقد"**، معاً، بحيث لايمكن أن ينفصل أى من هذا الثالوث عن بعضه البعض، الوعى فقط قد يكون إيمانا وليس دينا، والسلوك فقط، ربما فى ذلك العبادات، قد يكون تقليدا أو عادة، والمعتقد فقط قد يكون أيديولوجيا، العجيب أنه فهم ما لم أكن أنا شخصيا واثق أنى فاهمه.

سألنى: ما رأيك فيما يدرس بمدارسنا فى حصص الدين، قلت له: إيش عرفنى ماذا يدرسون حتى أحكم؟ ثم من هو الذى يدرِّس حتى أبدى رأيى فيه، ولم أقل له ما وقعت فيه من خطأ ذات يوم منذ أكثر من ربع قرن:

كان ذلك حين استدرجنى قلمى لكتابة مقال صغير، أو ربما ردا على أحمد بهجت فى صندوق الدنيا اقترحت فيه التوصية بتدريس آيات التراحم والمودة والسماح للأطفال، بدلا من البدء بآيات الترهيب والترغيب والتعذيب، مقترحاً أن تؤجل إلى سن لاحقة، وأذكر أننى أشرت إلى أن للقرآن ظاهرا وباطنا ومنقلبا وحدًا ...الخ، وعينك لا ترى إلا النور: فى زيارتى اللاحقة لأستاذى الأول المرحوم المحقق الجليل محمود محمد شاكر، صافحنى بيده القوية الواثقة، حتى كاد يخلع كتفى، كان مكفهرا، وما إن جلست حتى صاح بى، وكان صوته جهورياً يخرج واضحا جليا حتى وهو يهمس، فما بالك حين يصيح. كنت وحدى والحمد لله، حتى لايشهد تقريعى أىٌّ من زواره الأفاضل، صاح بى: ما هذا الذى كتبته يا دكتور؟ (وكان نادرا ما يلقبنى) قلت لنفسى: ربنا يستر، ولم أجب، ولم أستوضح، مد أستاذى يده وتناول المصحف الشريف، ولوح به فى وجهى سائلا بوضوح: "أليس هذا هو كتابك؟" تلفت أبحث عن كتاب آخر غير كتاب الله فلم أجد، فعلمت أنه يعنى القرآن الكريم، قلت على الفور: بلى، وهل فى ذلك شك؟ قال: فكيف وهذا كتابك تكتب ما كتبت؟ ثم عادت أبوته الحانية تطل من عينيه فتحيط بى وتطمئننى، وتجعلنى أكتفى بالصمت، ولا أسأل عن خطأ ما كتبت أصلاً، كان يعلّمنا بالأسئلة والرفض المحب أكثر مما يعلمنا بالنصيحة المباشرة والتصحيح المُلاحِق.

حين رجعت إلى منزلى رحت أعيد قراءة ما كتبت، وأسأل نفسى: أى خطأ أثار أستاذى إلى هذه الدرجة؟ ولم أجد إجابة واضحة.

لم أعرف خطئى المبدئى بوضوح إلا بعد حوالى عشرين عاما، لأتأكد منه منذ أيام وأنا أحاور صديقى "عمر" وأجيبه عن تساؤلات "الإدارة الأمريكية" للأديان، أقصد "الجامعة الأمريكية" أقصد، مدّرسته فى الجامعة الأمريكية.

اضافة:

كان أستاذى المرحوم شاكر تقليديا ملتزما قويا وواضحا أبدا، كان شديد التحفظ ضد تفضيل أية عن آية: فكل كلام ربنا هو كلام ربنا، كما كان شديد الحذر من طرح فكرة مستويات التلقى (ظاهرا وباطنا..الخ) كما كان يعلمنا أن كل آية لا تؤخذ إلا فى سياقها، وكل سياق لايؤخذ إلا فى مجمل التنزيل، وحين شممت من عمر أنهم يريدون، تنقية الدين (وربما القرآن) إلا مما يريدون فهمت اعتراض أستاذى منذ ثلاثين سنة، مع أنه أصبح لى اعتراض على اعتراضه لا مجال لتفصيله هنا الآن.

الجزء الثانى: تمييع خبيث، أم احترام متبادل؟!

قال عمر (حفيدى/صديقى): لم تقل لى حتى الآن: ما رأى

حضرتك كيف يدرّس الدين فى المدارس؟. ووددت لو أنى قلت له: وماذا يفيد أن أبدى لك رأيى فى تدريس أى شئ: الدين أم الجغرافيا أم حساب المثلثات؟ لا أحد يأخذ برأى أحد، وهل هم أخذوا رأى أحد فى الابتدائى "أبو خمس سنوات" ثم "أبو ستة" وبالعكس، أو فى عك الثانوية العامة (رايح – جى)، ماذا يفيد رأى أى أحد فى تدريس أى حاجة، أو فى أى حاجة، نحن ننتظر رأى المشايخ فى الدين لا رأى ربنا، وتوجيهات الرئيس فى السياسة لا توجيهات الناس واحتياجاتهم، ولا حتى الوزراء، قال لى عمر ينبهنى، لم تجبنى يا جدّى، كيف يدرّس الدين؟ انتبهت أن أكثر من نصف الرد لا يخرج ألفاظاً. قلت: ماذا تعنى؟ قال: هل الأفضل أن يفصلوا المسلمين عن المسيحين فى حصص الدين؟ قلت له: لا طبعا، وإلا نحن لن ندرس الدين وإنما سنعلم الأولاد مزيدا من الكذب والنفاق؟ ماذا سيقول مدرس مسلم لتلاميذ مسيحيين عن دينهم؟ وماذا سيقول مدرس مسيحى لتلاميذ المسلمين، ماذا سيدرّسون؟ قال: يدرسون الأسس العامة للدين، المناطق المشتركة فى كل الأديان، قلت له من قال لك أن هذا هو الدين؟ هذه إما فلسفة الأديان، أو مبادئ الأخلاق التى يباركها ربنا أو لا يباركها، على كل فريق أن يعرف أفضل ما فى دينه، ثم يتعلم كيف يتحمل مسئولية اختلافه مع الآخر، وقواعد العيش معه باحترام، أما أن يختزل الدين إلى تلك الشائعات الدمثة الجوفاء مثل: "مادمت لا أضر الناس"، فأنا متدين، مادمت حلو وطيب، فأنا متدين"، إننا بهذا الهرب المستورد، نترك تدريس الدين لمن "لا نعرفه"، وربما لمن "لا يعرفه"، سواء فى البيوت أو دور العبادة، ثم سرحت: بعيدا عن عمر وأنا أتذكر موقفى مع إحدى بناتى – زميلاتى تلميذاتى – مسيحية هى، ونحن الاثنان مهتمان بمريض صعب جدا جدا، وكأننا بما نفعل نحيى ميتا، أسألها: أبعد كل هذا يا فلانة ترضين أن تدخلينى النار؟ فتقول بلا تردد: "مستحيل"، فأقول لها: لا يا شيخه؟. وماذا يقول لك أبونا فى الكنيسة، فتخجل أن ترد، وتبتسم وتفضل أن تعتبرنى أمزح، فأواصل: أليس من الصعب ونحن نعمل هذا العمل المشترك الذى لا يعلم حقيقته إلا الله، ونحن نحيى هذا الذى أضاع نفسه حتى مات أو كاد، هل من المعقول أن نجد أنفسنا أنت وأنا، -هناك- كل واحد فى ناحية ؟ ألن أصعب عليك؟ فتقول: "أنا متأكدة أن حضرتك .."، وتتوقف، يخيل إلىّ أنها منعت نفسها عن الكذب أو الفتوى أو الشفاعة وأظن أنها خجلت أن تسألنى، "وهل حضرتك سوف تتركنى أذهب إلى النار لأنى على غير دينك برغم ما نفعله معا الآن؟..

أفيق على سؤال عمر: أين ذهبتَ ياجدى أجبنى؟ أقول له يا عمر يا صديقى أنا أخشى أن يكون وراء هذا البحث دعوة خفية ليتنازل كل صاحب دين عن دينه، وهو يمارس بعض الأسس العامة المائعة فى العلن، بينما يخطط لقتل وإبادة وتطهير عرقى لكل من يخالف دينه، فى داخل نفسه، أو خارجها سواء أسماها جهادا، أو حربا استباقية، هل تعرف يا عمر من يحكم أمريكا الآن؟ إنهم الأصوليون القتلة خدام الشركات والمال؟ قال عمر سرحتَ ثانية يا جدى، لم تجبنى، قلت: أعتقد أنهم

يروّجون هذه الدعاوى المشتركة ليتنازل كل صاحب دين عن دينه، ثم يمارس الأقوى أسوأ ما فى دينه تحت اسم آخر، يقتل به الناس، ويسمم البيئة، يسخر المال لمزيد من المال، قال عمر كأنه يوقظنى: لم تجبنى: قلت: يذكرنى ما يفعلونه الآن بمثل هذا البحث، وهذه الأسئلة، بالتحكيم بين على ومعاوية رضى الله عنهما بواسطة عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى، قال ما هذا يا جدى؟ ما علاقة هذا بذاك؟ قلت: حاضر حاضر.

الجزء الثالث: هيه..!! وضحكت عليك...!!

قال لى حفيدى/ صديقى عمر (أو كأنه قال): لم تقل لى ياجدى ما دخل هذا التحكيم الذى تحدثت عنه بما أسألك فيه حول تدريس الدين؟ قلت له: أعترف لك ابتداء أن علاقتى بالتاريخ ضعيفة جدًا، أنا لا أكاد أصدق الحاضر إلا بالعافية، فما بالك بالماضى، رأيى الشخصى أن التاريخ عموما هو، على أحسن الفروض: "وجهة نظر"، قال عمر يا خبر يا جدى! فما هذا الذى ندرسه فى حصص التاريخ؟ قلت: لا تشغل بالك، أنت تدرسها لكى تُسَمِّعُها لكى تنجح، أما ما حدث فعلاً، فلابد أنه أمر لا يعرفه أحد بالصورة التى تدرسونها، ولا حتى التى تحتويها كتب التاريخ، قال عمر: ليس هكذا يا جدى، واحدة واحدة!! خلنا فى حكاية التحكيم بين على ومعاوية، قلت: يا أخى بالله عليك، لو أن عندكم فى المدرسة مباراة كرة أو تقسيمه/تدريب واتفق مدربا الفريقين، أمام كل الناس والحكام والجمهور أن يقوموا بتجربة لمعرفة كفاءة الدفاع بطريقة بمتكرة، اتفقوا على لعب مباراة قصيرة بدون حارس مرمى، وكلف الفريق الأحمر "كابتنه" ليمثله، كما كلف الفريق الأخضر كابتنه بنفس الشئ واتفق الجميع علانية، فراح كابتن الفريق الأحمر ونفّذ ما اتفق عليه، وأخلى المرمى إلا من الثلاث خشبات، فأسرع كابتن الفريق الأخضر ورجع فى كلامه وأبقى حارس المرمى، وكأنه يقول "هيه وضحكت عليكم" هل تعتقد أن الحكم أو المدربان أو الجمهور سيتقبلون ذلك؟ وهل ستقام المباراة المعنية أصلا؟ قال عمر فوراً: **طبعا لا**، هل هو لعب عيال، **طبعا لا**، قلت هذا ما يقولون أنه حدث فى التحكيم الذى جرى بين على ومعاوية، هذا ما يقولون أنه حدث، أبو موسى الأشعرى خلع الأمام على، فانبرى عمرو بن العاص وثبت معاوية، فهل تصدق هذا؟ قال: طبعا لا؟ قلت: أنا مثلك، لا أصدقه، قال: والذين كتبوا التاريخ؟ قلت: هم مسئولون أمام الله والناس عما كتبوه، قال: ولكن ما علاقة هذا بالذى نحن فيه الآن بشأن البحث الذى سأقدمه للأستاذة، قلت له: العلاقة واضحة، إن كل هذه التمحكات لتهميش الأديان هى عبث ضد الطبيعة، دعك من حكاية الدين والسياسة والحكم وهذا الكلام الفارغ، هذا لعب أخطر دعنا نرى الأمور أعمق وأهم، هم يقولون اخلعوا دينكم بعيداً عن كل شئ، عن التدريس، وعن الرجوع إليه، وعن التمسك به علانية، وعن معرفة أصوله، وعن التطور من خلاله، وحتى عن الاجتهاد فيه إلا فى حدود ما يرسمونه لنا، سواء هم أو سلطاتنا الدينية، وهم يوهمونا أنهم يفعلون ذلك، حتى نستطيع بذلك أن نتعايش معاً، ثم معهم، كل واحد يمكنه أن يمارس دينه الخصوصى سرا، وعليه

أن يحصل على المعلومات اللازمة بشأنه فى الظلام فى حجرة مغلقة، أما ما نتداوله ونعلنه فهو القبلات وادعاء السماح والاستعباط، هم يسوقون لنا أن يكون الدين بمثابة الهواية الشخصية، تمارس شعائره حسب وقت الفراغ والمزاج الشخصى، أو كاحتفالية اجتماعية، وبعضنا يصدقهم، وإذا بنا نفاجأ أنهم هم أنفسهم يعملون عكس ذلك تماما، ويقسمون العالم إلى محور الشر ومحور الخير، ويحتكرون خير الدنيا، وجنات الآخرة، سرا وعلانية، وهم فى نفس الوقت يتسوقون أصوات الانتخابات من دور العبادة، قل لى يا عمر: من الذى يحكم أمريكا اليوم قال: عمنا دبليو بوش قلت: يا عمر هذا ممثل خائب، لا يصلح كومبارسا، الذى يحكم أمريكا هو اليمين الأصولى المتعصب دينيا ومن ورائه تحالفات المال والغطرسة، إنهم يثبتون بشكل راسخ كل ما يدعوننا لخلعه، قال: تعنى أن دبليو بوش هو عمرو بن العاص الحديث، قلت : يا ليت

انتبه عمر إلى بحثه ونظر فى الورق وسأل متعجلا: جدى: آخر سؤال: هل يمكن أن يحل تدريس الفلسفة محل تدريس الدين؟ وبالتالى ندرسها معاً وفى فصل واحد؟ قلت له: فلسفة ماذا يا عمر؟ هل أوحوا إليك بهذا أيضا. الفلسفة الحقة تعمّق جذور معرفة الله، لكن الدين شئ تالٍ، قال: أعمل ماذا يا جدى؟ أخشى أن أقول لهم أيا مما قلنا، لن يفهموا شيئا، قلت: ايش عرفك، لاتسارع بالحكم قال: يعنى أعمل ماذا؟ قلت: ذاكر، وسَمِع، وجاوب، وانجح، وانَس، ثم تعالى نكمل حديثنا، على أن نتحمل مسئوليتنا ومسئوليتهم طول الوقت.

قال: وهم هل سيتحملون مسئوليتنا.

قلت: كل واحد سيتحمل مسئولية كل الناس

قال: يعنى ماذا، لاتلخبطتنى

.....

والتفتُّ فوجدت أنى فى هذه الفقرة الأخيرة، كما فى معظم الجزء الثالث، كنت أكلم نفسى.

الإربعـــــاء 19-12-2007

110- عيديـــــة لكبارنـــــا من عيـــــال الأمريكـــــان!!

اليوم هو أول أيام عيد الأضحى المبارك

بعد أن بدأت فى إعداد نشرة اليوم استكمالا ليومية أمس عن **"موقع الدين فى حياتنا"**، انتبهت إلى أن هذا اليوم المبارك لايتحمل كل هذه الجدية، مع أن المسألة بدأت مناقشة مع **"عمر"** حفيدى، رحت أبحث عن موضوع آخر، وأنا أقلب فى كتبى عثرت على ما يصلح عيدية لزوار الموقع هى ترجمة الصديق **أحمد زرزور** لشعر أطفال أمريكيين، الديوان باسم **"مرحبا بالندى"** وعنوانه الفرعي.. **"قصائد من الأطفال للأطفال"**، بصراحة شعرت أن الأصلح أن تكون : قصائد من الأطفال للكبار

كنت قد دعوت أحمد ضمن محبى "الإنسان والتطور" للمشاركة فى هذه النشرة الجديدة، وهو شاعر حداثى صعب، وفى نفس الوقت شاعر شديد الرقة يكتب للأطفال كأنه بداخلهم . أظن أن أحمد لايعرف عن هذه النشرة شيئا، أنا متأكد أنه لو عرف لسارع بدعمها

كان أحمد قد أهدانى هذا الديوان الذى كتبه أطفال أمريكيون وترجم نثراً بواسطة أ. نبيل زين الدين ثم أخذ أحمد هذا النثر وصاغه شعرا، كلما قرأت بعض هذا الشعر اعترتنى مشاعر كالتالى :

1- يا خبر!! ها هم أطفال الأمريكين مثل كل الأطفال حول العالم، وربما أجمل، يقولون الشعر برقة وحب لا مثيل لهما.

2- ماذا يفعل النظام الأمريكيى ليقلب أغلب هذه البراعم (وليس كلهم) إلى ما هو "هذا الشعب الأمريكى" الذى ينتخب من لايمثل أطفاله؟

3- كيف ينتخب أغلب هذا الشعب الأمريكى، الذى كان يوماً ما هؤلاء أطفالنا نحن واحدا مثل هذا "الدبليو" بكل ما هو ...

4- ماذا جرى لهذا الذى هو بوش حتى يصير إلى ما صار إليه، وهل كان يوما مثل هؤلاء الأطفال؟

يا صديقى يا أحمد يا زرزور ، لقد تذكرت الآن مقدمة كتابتى لأغانى الأطفال، دعنى أقدم شعر أطفالهم/شعرك/ببعضٍ منها كالتالى:

كل حاجة غامضَةْ داخله فْ بعضها
"والكبار مش قدّها"
شفتها فيهم بسيطهْ:
يعنى واضحة، بايْنَهّ واصْله لْوَحدَهَا
أعمل ايهْ؟
قلت أقولْها للعيالْ وعلى الله تنفعْ
للكبير برضُه ما هى يمْكِن تِسمَّعْ:
.....
نِفْسى أبقى بسيطْ وأوضحْ
نِفْسى إن الكلمة تنجحْ
نفسى احافظ عالأملْ
والكلام الحلو يبقى حلو، لَما يتعَمَلْ
.....
العيال واخدينها جَدْ
مابايِنْشِى الحارهْ سدْ
إحَنا ليه بِنْسدّها بَدْرى عليهُمْ؟!
- أصلنا خايفين نشوفها بِ عِينيهمْ
قومْ نراجعْ نفسنا !
* لأ ياعمْ، راجع انت بالنيابةْ عننّا
انا أصلى مش حاخطىّ مِنْ هنا
- طب نسيبْهُمْ هُمَّا يِمكن يعملوها
* لأه برضه، هيّا سايبه؟! ما احنا عارفين اللّى فيها.
- هّما يعنى لسه راحْ يستَنّوا إذْنَكْ
هّما طايحين بالسلامِه غصب عنّى، آه، وعنّكْ.
العيال لازم يعدّوا
كل واحد على قدّه
كلهّ يِنْخُطّ اللى عِنْدُه
البُنَا يطلع لوحْدُه
* يعنى قصدك: يعنى إيه؟
كل ده يِتْرضُه ليه؟
- قصدى يعنى إنه حتى لو الكبير قفّلْ وطنّشْ
العيال راح يعملوها،
*** ..... لأ ما أُظُنشْ.**
- لأ تُظُن ونُمْ،
بسّ حِسّ وبُمْ

يا بوحميد، تصدّق أنى حين قرأت شعر الأطفال الأمريكان هؤلاء الذى قمتَ جميلا بترجمته، امتلأت غيظا لأننى كتبت ما كتبتُ لأطفالنا نحن، وحين انتهت مقدمتى بهذا المقطع **"لأ تظن ونمْ، بس حس وبمْ"**، رحت **أحسّ وأبمّ**، إذا بها تنطبق على عيال أمريكا، يالغيظى!! حتى أحلامنا لأطفالنا وآمالنا فى صور جميلة لما يمكن أن يكونوه نراها فى أطفالهم هم؟!! الحمد لله ، كل سنة وأنت طيب

ما علينا هات ما عندك يابوحميد، هات ما عندك ، كلهم عيال ربنا

القصيدة الأولى

الخفافيش
أندروز جونز (8سنوات)، فيرجينيا بيتش – فيرجينيا

تنام الخفافيشُ عند النهارْ
وتحلم دوماً بأشهى الثمار
*
وحين يحل الظلامُ، تقومْ
وتصرخُ: يا قومُ هيا، هجومْ ..!
ويسبح فى الصمتِ صوتُ الأزيزْ:
"زززرا
زززا
زززا
زززا
زززْ"
*
ويرنو إليها صديقى القمرْ
ويسألُ مندهشاً : ما الخبرْ ؟
وحول الغصون يدورُ الطنينْ
أزيزٌ
طنينٌ
أزيزٌ
طنينْ
*
وأجنحة من حرير . . ترف
ورأسٌ لأسفل .. راحتْ تلفْ
*
وأذنان تستشعران الطريقْ
فلا تخشَ شيئا،
وسر يا صديقْ ..
*
فمهما الجناحان صحّا النيام
ومَهما الأزيزُ علا:
لا صدامْ!

القصيدة الثانية
من مغامرات حذائى ، ريجان أودونيل (11سنة)
بورتلاند – أوريجون

ذات مساءْ،
حان منامِي ..
فلقدْ نادتْنِىَ أحلامِى
...
وهنا، فورا،
قام حذائى
قفزَ،
وصعِدَ
بلا إبطاءِ
...

ضغط الزرَّ
أضاء النورْ
فنهضتُ،
وأطفأت النورْ
ورجعت ليعاد منامى
فلقد نادتنى أحلامى
*
ذهب حذائى نحو البابْ
ركل البابْ،
انفتح البابْ
هبط السلَّمَ
لم أهتمْ
فحذائى، أعرفه جداً:
مغرور،
وثقيل الدمْ
للشارع، قد نزل حذائى
راح لصندوق نفاياتْ
أوقعه للأرض، حذائى
فانطلقت بعض الحشراتْ
ما أبشع هذى الحشراتْ
تصعدُ،
تصعد سلم بيتى
كى تتجمّعُ فى نافذتى
وبشئ، تتفق علىّ
تتهامسُ،
وتشير إلىّ!
ما هذا، طرقٌ بالباب
أصحو،
وأحدق فى البابْ
بابى، فى موقعه: موصدْ!
وحذائى - بهدوء - يرقدْ!
أرجع ثانية، لمنامى
لم تهرب منى أحلامى
وسأهتف فى كل مساء
بنشيد حلو، لحذائى
"نم بأمان
نم بسلام
لاتستسلم
للأوهام!"

القصيدة الثالثة

ايريك آدامز (10 سنوات) ، فورت سميث - أركانساس

فى مهب الرياح

فى مهب الرياح :
رقصة للشجر
فى مهب الرياح:
رحلة .. للمطر
*

لـزئير الـريـاح
مـلمس كـالحرير
فـوق وجهى الـصغير
فـأنـا :
لا أخـاف ..!
*
يـا زئير الـريـاح
ذ اك حقـل كـبير
وإلـيـه الـغدير
بـالـعطاء الـوفـير
قـادم مـثـلنا
بـاسم :
لايخاف ..!

وبـعد

انـتهى شعر الأطفـال الأمـريـكيـون
وكل سنة وأنـتم طيـبون
أطفـال الـعالم معنـا . .
فـمن أيـن يـأتـى الـيـأس؟!!

الخميـــــــــس 20-12-2007

111- نجيـــب محفـــوظ: قـراءة فى أحـلام فتـــرة النقاهـة

والحلم (17)، الحلم (18)

الحلم (17)

تواصلت أحياء الجمالية والعباسية وأنا أسير وكأننى أسير فى مكان واحد. وخيل إلىّ أن شخصا يتبعنى، فالتفت خلفى ولكن الأمطار هطلت بقوة لم نشهدها منذ سنين ورجعت إلى مسكنى مهرولا. وشرعت أخلع ملابسى ولكن شعوراً غريباً اجتاحنى بأن شخصا غريبا مختف فى المسكن، واستفزنى استهتاره، فصحت به أن يسلم نفسه وفتح باب حجرة الاستقبال، وبرز رجل لم أر مثيلا فى مساحته وقوته وقال بهدوء وسخرية "سلم أنت نفسك".

وملكنى إحساس بالعجز والخوف وأيقنت أن ضربة واحدة من يده كفيلة بسحقى تماما أما هو فأمرنى بتسليمه محفظتى ومعطفى وكان المعطف يهمنى أكثر ولكنى لم أتردد إلا قليلا وسلمته المعطف والمحفظة.. ودفعنى فألقانى أرضا. ولما قمت كان قد اختفى وتساءلت هل أنادى وأستغيث

ولكن ما حدث مهين ومخجل وسيجعلنى نادرة ونكتة فلم أفعل.

وفكرت فى الذهاب إلى القسم ولكن ضابط المباحث كان من أصحابى وستذاع الفضيحة بطريقة أو بأخرى

وقررت الصمت ولكنى لم أسلم من الوساوس.

وخفت أن أقابل اللص فى مكان ما وهو يسير هانئا بمعطفى، ونقودى.

القراءة:

هل يا ترى الدنيا كانت انقلبت إلى عالم الداخل عند نجيب محفوظ، بعد أن أغلقت نوافذ وبوابات الخارج، إلا من صياح وظلال محبيه ومريديه وهى تعلو لتخترق ستائر الحواس السميكة؟ هل أصبح بيته هو داخل ذاته، وناسه – مادة إبداعه- هم تشكيلات عالمه الداخلى أساسا؟ هل هذا هو ما يستدرجنى إلى قراءة معظم أحلامه **داخل الذات** أكثر منها خارجها، فأرى المنزل الرحم، وأرى تعدد الذوات بدلا من واقع الشخوص..؟

يتكرر الرجوع إلى "المنزل" حتى الآن بشكل قد يشير إلى اتجاه حركة غالبة فى كثير من الأحلام ربما نعود لرصدها حين تكتمل الدراسة.

حتى الآن، وبداية من الحلم الثالث نتابع حركية "الرجوع" "الحنين" باستمرار: فى "حلم (3)" رجع الراوى إلى شقته وأخطأ فيها، ثم فى "حلم (5)" رجع إلى مسكنه بعد أن ضاق بسيرك الخارج **وتاقت نفسى للرجوع إلى مسكنى** فإذا بالبلياتشو يستقبله مقهقها، وفى "حلم (7)" كانت غايته البادئة "أريد العودة إلى بيتى على الرغم من أنه لا ينتظرنى أحد"، وفى "حلم (8)" برغم أنه غادرالشقة هربا من امتلائها دهانا وربكة حتى الشعور بالطرد، راح يقول لنفسه وهو يغادرها، ".. وأنا أشعر بأننى لن أرجع إليها مدى عمرى"، هذا الشعور نفسه هو حنين إلى البيت وأسف على تركه.

فى بداية هذا الحلم الحالى نراه يرجع إلى بيته مهرولا احتماء من أمطار شديدة هطلت على أحياء تواصلت حتى تداخل المكان فى بعضه البعض. لم يؤمّنه أبداً – حتى الآن – هذا الرجوع، أو الرغبة فى الرجوع، أو الحسرة على احتمال عدم الرجوع

البيت يلوّح ، ينادى باعتباره ملاذا واعدا،

لكنه فى نفس الوقت يتبين أنه: إما خاليا أو غريبا، أو مفقودا، أو مختنقا بالفوضى.

هنا – فى هذا الحلم – كان البيت "محتلا": **لكن شعورا غريبا اجتاحنى بأن شخصا غريبا مختفٍ فى المسكن.**

البيت هنا – كما فى كثير من الأحلام وقد أوضحنا ذلك- هو الداخل، أعنى النفس من الداخل، أو النوم، أو النزوع للرجوع إلى الرحم – كما ذكرنا- وأى من ذلك إنما يمثل أحد ذراعىْ **"برنامج رحلة الذهاب والعودة"**، أحد قواعد حركية النمو، وله تجليات مختلفة أهمها النوم، دعاء النوم فى الإسلام يقول بأن **النوم "مشروع موت صغير"، وأن الاستيقاظ هو البعث** منه، وهو متروك بين يدى الله، هذه الحركية تجعل النوم قبرا مؤقتا، والقبر هو الرحم أيضا.

العودة إلى الداخل (الذات/البيت/الرحم) تتم باعتبارها ملاذنا ومأوانا ومأمننا الذى يمكننا أن نلملم فيه أنفسنا ونعيد ترتيب ذواتنا لنقوم من جديد، **هذا الداخل الذى نتصوره أنه ينتظرنا فاتحاً ذراعيه ليس خاليا، الحقيقة أننا لسنا إلا واجهة لمن يشغله فعلا دون استئذاننا**

نحن نعرف بعض ساكنيه ولا نعرف أغلبهم،

الرجل الذى كان يحتل المنزل لم يكن غريبا إلا لأن صاحبنا يكتشفه لأول مرة كما يكتشف أنه الأقوى، وأنه الاصل، وأنه قادر ان يستولى على كل شئ، بل وأن به من الجسارة مايسمح له أن يعلن فضيحة ضعف وخيبة هذا الذى ظن أنه صاحب

البيت، وأنه قادر على طرد من سواه، مع أنه هو في النهاية الضحية التي سُرقَتْ، فالأفضل أن يكتم على الخبر، وأن يواصل الحياة بظاهره، لكن حتى ظاهره وهو ما يهمه أكثر (وكان المعطف يهمني أكثر) سُرقَ منه.

مع رفع الغطاء عن الداخل تتحول الأحوال: فيسير بين الناس **كأنه هو، مع أنه ليس تماما كذلك**، ليس كما كان قبل أن يحدث ما حدث.

يبدو أنه حتى الرقيب الذي عليه أن يطبق القانون، (ضابط المباحث) أصبح مصدر تهديد لاحتمال أن يبوح بالسر، فيعرف الناس أن ذلك "الظاهر" لم يكن إلا معطفا **أو قناعا** بلا حول ولا قوة

وآه لو اكتشف الناس أن الآخر شبهه تماما، أنه هو، فماذا يتبقى منه، بل آه لو اكتشف هو أنه ليس هو، لو قابل الآخر يسير هانئا بمعطفه ونقوده! وأنه حتى بعد أن انهزم، ليس متفردا حتى بقناعة!! (معطفه) وأنه لا يملك من أمره شيئا (نقوده).

الحلم (18)

.. وتم مجلسنا على الجانبين في القارب البخاري بدا كل واحد وحده لا علاقة له بالأخرين، وجاء الملاح ودار الموتور. الملاح فتاة جميلة. ارتعش لمرآها قلبي. اطلت من النافذة وأنا واقف تحت الشجرة وكان الوقت بين الصبا ومطلع الشباب، وركزت عيني رأسي في رأسها النبيل وهي تمرق بنا في النهر، وتتناغم خفقات قلبي مع دفقات النسيم وفكرت أن أسير إليها لأرى كيف يكون استقبالها لي.

لكني وجدت نفسي في شارع شعبي لعله الغورية وهو مكتظ بالخلق في مولد الحسين ومحتها تشق طريقها بصعوبة عند إحدى المنعطفات فصممت على اللحاق بها.

وحيا فريق من المنشدين الحسين الشهيد.

وسرعان ما رجعت الى مجلسي في القارب وكان قد توغل في النهر شوطا طويلا.. ونظرت إلى مكان القيادة فرأيت ملاحا عجوزا متجهم الوجه. ونظرت حولي لأسأل عن الجميلة الغائبة ولكني لم أر إلا مقاعد خالية.

وقمت لاسأل العجوز عن الجميلة الغائبة.

القراءة

كما لاحظنا -حتى الآن – كيف تتكسر الحواجز باستمرار في هذه الأحلام، كسرت حتى الآن حواجز الزمن (الماضي والحاضر) "حلم (2)" كسر الحاجز بين الموت والحياة، "حلم (14)" بين الحاضر والغائب، "حلم (13)" بين الخيال والواقع، "حلم (5)" في هذا الحلم ينكسر الحاجز بين الماء واليابسة، بين النهر والحارة، بين "القارب البخاري تقوده الملاحة الجميلة"، وشارع الغورية

لكن قبل ذلك، قبل أن يجد نفسه فى شارع الغورية (غالبا) وهو بعد فى القارب كانت الملاحة (فى نفس الوقت) تطل عليه من النافذة وهو تحت الشجرة، ثم يجدد أننا فى بدايات رحلة الحياة بين الصبا ومطلع الشباب، وليس فى بداية النهار أو بداية دخول الليل مثلا، (خلّ بالك) وهى فى نفس الوقت **تمرق به** فى حين أنه **يسير إليها**، قد يكون سيره فى المركب يعنى أنه يعبر على سطحه إلى مركز القيادة حيث الملاحة، أو يكون سيره فى الشارع استجابة لنداء طلّتها من النافذة، برغم أنها تمرق بهم النهر فى نفس الوقت.

فى الشارع الشعبى فى الغورية تلوح له الملاحة الجميلة أيضا.

فتاته – حتى الآن – تلوح له فيتبعها حلم (2) تنظر إليه فيلحقها الحلم (7) تختفى منه فيبحث عنها حلم (2)، هنا أيضا: فى شارع لعله بالغورية، يلمحها، فيصمم على اللحاق بها.

(تحية الحسين الشهيد ليست بالضرورة إشارة إلى موته عطشا (إليها)، ولكن يمكن أن تكون كذلك).

مع الرجوع إلى إزالة هذه الحواجز نجد الراوى فى القارب من جديد، بعد أن ضاعت منه الملاحة الجميلة، وكأنه لم يترك القارب (الرحم أيضا) إلا ليفقدها، حل محلها ملاح عجوز،

هكذا ضاع العمر دون أن يولد بعد،

هو مازال فى القارب الذى كان الرحم، وهو هو القبر

كان رحما يعِدُ بالولادة حين كانت الأم هى التى تقوده، مع وجود آخرين على الجانبين فى المركب، إلا أنهم كانوا كل واحد منغلق على نفسه ولا علاقة له بالآخرين، – الموقف الشيزيدى – (أنظر حلم 16)

ثم نجد المركب فى النهاية يقودها عجوز وقد عادت خاوية، وقد أصبحت **الرحم القبر**،

وكأن الراوى فشل فى رحلة الحياة حين عجز أن يمارس حركية العلاقة بالآخر، (بالموضوع) على الرغم مما لاح له من وعود.

يظل النداء قائما، والحياة مشروعا، والجميلة واعدة لكنها اختفت لتظل دائما أمنية فى الصدر

وقمت لأسال العجوز عن الجميلة الغائبة.

الجمعـــــــة 21-12-2007

112- حـــــــــوار/بريـــــــــــد الجمعـــــــــة

مقدمة :

آسف، ولن أفعلها ثانية، حتى لو لم يأتنى سوى تعقيب واحد، بصراحة أنا ما أجلت الحوار الأسبوع الماضى إلا لضيق الوقت، فجاء حوار المقالات ثقيلا، مُعَادا بعضُه على حساب ضيوفنا الكرام. آسف مرة أخرى، وهيا إلى ضيف جديد.

أ. حسن سرى (المدينة المنورة):

.....أولا: أشكرك على هذا الموقع.. وعلى المعلومات القيمة الموجودة به وأدعوك للاستمرار. سؤالى أنك ذكرت بكتابك شرح سر اللعبة أن بعض الشخصيات يكون فيها الأب الداخلى أقوى من الطفل الداخلى فيسحقه، وانه لذلك لا يستمتع بالاجازات ويصاب بالشيخوخة المبكرة فما هو علاج هذه الاعراض ارجو منك الرد **عاجلا للأهمية.**

د. يحيى:

أصارحك يا أخى حسن أننى نادرا ما أجد من قرأ كتابى هذا "شرح سر اللعبة" (**دراسة فى علم السيكوباثولوجى**- علما أنه متاح فى هذا الموقع، ولأى أحد أن يدخل إليه ويطبعه له دون مقابل)، هل لأنه يناهز الألف صفحة؟ هل لأنه لم يحدد المخاطَب تخصيصا؟ هل لأن متنه كتب شعرا وهو أبعد ما يكون عن رجز الألفية؟ لا أعرف، المهم أننى بين الحين والحين أجد فى طريقى من التقط منه شيئا، وعادة لا يكون طبيبا، أو نفسيا، فأفرح كما فرحت الآن.

أما عن سؤالك، فأنا لا أعتقد أننى أذكر تحديدا أننى استعملت تعبير الأب" الداخلى" والإبن الداخلى"، فتركيبات الذات ليست داخلية وخارجية، هى تركيبات وتنظيمات هيراركية، لها تجلياتها الداخلية والخارجية حسب الموقف والمجال والتوجّه وغير ذلك، فلنقل "**الذات الوالدية**"، أو"الكيان الوالدى"، أو"المنظومة الوالدية"" أما أن هذا التنظيم (الذى أسميته) الوالد الداخلى، هو قاهر، فهو كذلك أحيانا، وهذا من طبيعة هذا التنظيم، أما أن يستمر القهر طول الوقت، فهذا هو ما لا يجوز، مع أنه بعض واقعنا بصفة عامة، دون أن يصل

الأمر – إلا نادرا- إلى ما يستحق أن نسميه مرضا أوعرضا كما تقول (مثلا شيخوخة مبكرة). ولعل ذلك مرتبط بقسوة السلطة الجاهزة، عندنا عبر التاريخ، وهى تجثم على أى احتمال آخر يخرج عن أوامرها، أنا أقابل يا حسن (وسنّى يسمح لى بأن أخاطب معظم الضيوف المتحاورين باسمهم)، أقابل، شبابا وأطفالا هم كهول أكثر منى(75 سنة) والله العظيم.

أما حكاية الاستمتاع بالأجازات فمن منا يعرف معنى "كلمة أجازة" أصلا، ناهيك عن كلمة الاستمتاع؟ يا رجل صلّ على النبى (وأنت فى بيته فى المدينة)، نحن نعلم أولادنا الكهولة، ونمنع الرقص، والانطلاق، والحركة، حتى الذكر فى الموالد تتوالى الفتاوى الرسمية بنفيه من التصوف ومن الإسلام. نحن نجلس إلى مكاتبنا أو فوق أسرّتنا طول الوقت، طول العام، كسالى ونحن نعمل، كسلى ونحن فى أجازة، لا فرق. أظن أننا نكسل عن التفكير فى الأجازات وغيرها.

ثم مالك يا أخى مستعجل هكذا على الإجابة **"أرجو منك الرد عاجلاً"**، من أين لى أن أرد عاجلا. المسألة تحتاج إلى دورات لعب، وجد، وحرية، ومراجعة، وفرحة، ونظر، **بالتبادل والتداخل طول الوقت**، المفروض أن نتعلم هذا كله منذ الطفولة، من ناس يمارسونه، لا يكتبونه كما أكتب لك الآن. ليس عندى رد قابل للتطبيق حالا، أو بعد حين، هأنذا أرد عاجلا، فما ذا تفعل بذلك، خلّك: معنا، مهما طالت الرحلة، ربنا يخليك

إبدأ بنفسك، ودع جانبا حكاية أعراض وأمراض هذه، ولنستمع لصلاح جاهين الذى مات حزينا مع أنه القائل:

"... وارقص يا قلبى من اليمين للشمال،

ماهوش بعيد تفضل لبكرة سعيد،

دا كل يوم فيه ألف ألف احتمال"

يبدو أن مثل ذلك هو وصفة للطوارئ فقط.

فعلها صلاح، برغم ذلك، ولم ينتظر معنا ولا عشرات الاحتمالات،

فعلها دون أن يستأذننا، الله يسامحك يا صلاح.

يا ليتك يا حسن تتابع معنا الحوار حتى تعرف طبيعته.

ها هو إبننا إسلام المسئول عن هذا الموقع، كان قد أرسل فى حوار سابق يسأل، ولم أجبه إلا بأنى رددت عليه سؤاله، فجاء اليوم يقول:

أ. إسلام أبو بكر: 9-12-2007 تعدد الكيانات وحركية الإبداع

فى حوار بريد الجمعة منذ وقت مضى عجبت وأنت تجاوبنى **"سأترك سؤالك هكذا، فهذا كفيل بالاجابة،** وكان لهذا معنى عمييييق جدا فهمته تماما

د. يحيى:
شكرا أن بلغك ما أردتُ، السؤال الذكى يحمل جوابه عادة.

أ. إسلام أبو بكر:
ولكن ذلك الحيوان النهم للمعرفة بداخلى لم يرضَ، وأخذ يبحث بشكل شهوانى (شهوة المعرفة) عن ما اجتمعنا أنا وهو على معرفته، بدأ ماهو كامن بداخلى ان يُحدث بعض الجلجلة إثر قراءتى لهذه اليومية (عن تعدد الكيانات) لأنها لمست معانى كل يوم أتساءل عن كنهها؟ وهى من أين يأتى الإبداع؟

د. يحيى:
ثم ماذا؟

أ. إسلام أبو بكر:
إننا أمام معضلة حركية الإبداع التى هى بدورها شكل من أشكال التفكير، نمطى وغير نمطى، وإرادى وغير إرادى (زاد وغطى) وهكذا تم تصعيد المسألة صعوبة ... والحل يغلب عليه هنا دائما تحليل نتاج إبداع المبدعين، وليس كيف أبدع، عن ذاتى أعرف لحظات ابداعى فى مهنتى أو حتى الكتابات التى أكتبها أشعارا أو قصصا أو غير ذلك من كلمات وأشكال حتى هذه اللحظات تكون ما بين النوم والصحيان.

وشيء اخر عجيب وغريب يحدث حين يداعبنى النوم وأفقد تركيزى على متابعه شيء ما حينها تنساب من قبضتى مقاليد حكمى لعقلى وأستطيع أن أحس أن كياناتى تتحرك وتبدأ ناشرة أفكارها بشكل عشوائى جدا جدا، فالتزم الوقوف عند حافة رشدى وأتيقن مما أنا فيه فأنا على عتبه سرد إبداع جديد، وأنام ويأتينى نتاج ما حدث فور صحوتى، فى اليوم التالى تهب على عقلى كالبرق ما صنعته كياناتى ليلا كى أتذكره فى الوعى أى هى حركة **اللاوعى إلى الوعى**، ربما تساوى أيضا إذا قلت **"الكيانات" الى "انا"...**

د. يحيى:
كل ما قلته يا إسلام يكاد يكون ضمن فرضى حول الأحلام وأنها – ليست ما نحكيه فقط كأحلام نتذكرها- ولكن بصفة عامة، **(إبداع الشخص العادى يومية 29-9-2007)** وهو موضوع يطول شرحه، يمكن أن تتطلع على تفاصيله حيث أشرت حالا، ثم يكون نقاش بيننا كما تشاء.

أ. إسلام:
قرأت المقتطفات عن حديث المبدعين ولم اقرأ الجزء الخاص بتعقيب سيادتكم على ما ورد من مقتطفاتهم خوفا على ذهنى من أن ينمطها غير استقبالها وحدها.

د. يحيى:
أحسن.

أ. إسلام:
... اقتربت جدا جدا من مقتطف نجيب محفوظ حين قال:

تدب حركة من نوع \"ما "\فينشط الكاتب لتوصيلها إلى القارىء بعد أن تتجسد له فى شكل معين، ما هذه الحركة؟ قد تكون \"أى شيء\"، أو \"لا شيء \"بالذات ...

هى فعلا اى شيء او لا شيء هذه هى الكيانات الداخلية أو الخارجية من قوى الكون
أما المقتطف الثانى الذى قد أستطيع الجزم بأنه هو أقرب تفسير أو رصد محكم لحركية الكيانات أو الإبداع لنزار قبانى فهو حين **قال: \"تأتينى القصيدة - أول ما تأتى- بشكل جمل غير مكتملة، وغير مفسرة، تضرب كالبرق وتختفى كالبرق.**

د. يحيى:
حين يستقبل الشخص العادى الطيب المبدع ما أريد توصيله للناس أفرح جدا، أرجو أن يقرأ محمد ابنى ردّك هذا يا إسلام، لعله يساعدنا فى توضيح الموقف بينى وبينه وبيننا.

والآن هيا معنا يا إسلام إلى د. سناء وهى مقلة هذه المرة.

د. سناء: 2007-12-9 تعدد الكيانات وحركية الإبداع
أنا أؤمن جدا بتعدد الذوات وأستشعر ذواتى المتعددة يوميا أحيانا وهم يتصارعون، وأحيانا وهم يتآلفون ! أفرح بالتعدد جدا لأنه ثراء.. لى.. وأحتفل بطفلى الداخلى حين يطل علىّ فى شقاوة عجيبة !

د. يحيى:
واحدة واحدة يا سناء، الحكاية ليست بهذه السهولة من ناحية، وليس كل من يحضر إلى وعينا على أنه تعدد، هو ما أعنيه بالتعدد، ولكن حلال عليك ما أنت فيه، حتى تقابلين ما هو أصعب، أرجو أيضا أن تقابليه واحدة واحدة، ربنا يستر.

أما عن تعقيبك على نقدى لحلم نجيب محفوظ رقم 15، (وقد ضاع منى نص تعقيبك، فأرجو ألاتخونى ذاكرتى) فإنك رفضت أن يكون أول من **يوقع على وجودك** هى الأم، وأكدت أنه الله، وأنا لا أجد تعارضا بين هذا وذاك، إن الله خلقنا وبالتالى فقد أعطانا حق الوجود مثل سائر الحقوق التى أعطانا إياها ونحن نحرم أنفسنا منها، أو نهملها، أو لا نصدق أنها من حقنا، أو تضمر نتيجة عدم الاستعمال. إن الأم حين تعترف بك، بى، بابنتها، تعترف بأنه أصبحت كيانا منفصلا عنها، (ليس بالكلمات طبعا، ولكن بالحضور والسماح معا) أقول إنه حين يصل هذا الاعتراف للطفل فيتميز **"أناه"** عما هو "ليس هو"، فـ"يكون"، إنما يحدث كل هذا بفضل الله من حيث المبدأ لكنه يتم على أرض الواقع من خلال "آخر" يبدأ بالأم، ولا ينتهى بها. إن الحاجة "للشوفان"، (يمكن الرجوع إليها فى كتاب "**دراسة فى علم السيكوباثولوجى**" The need to be seen) ومن ثم

الاعتراف بنا أن ثم آخر رآنا، ووافق، هو ما يقابل ما يسمونه الجوع إلى الاعتراف Recognition hunger "، الله لا يوجدنا، يخلقنا، وهو يعطينا الفرصة أن نعترف بوجود بعضنا البعض، لنعرف كيف نحمده ونعبده.

أرجو ألا تكون ذاكرتى قد خانتى عما قلته فى تعقيبك

والآن هيا نستمع للمثابر الزميل د. أسامة عرفة

د. أسامة عرفة: 2007-12-9 تعدد الكيانات وحركية الإبداع

كنت أتمنى التواصل مع الأخ العزيز د. محمد يحيى حول ما جاء فى طرحه الأمين فى الورقتين حول تعدد الذوات و تحفظه حول سحب ما يخص الفصامى على السوى أو ما شابه ذلك.. ..

د. يحيى:

أعتقد أن موضوع التعدد هذا سوف يستغرق وقتا طويلا لا أنكر أنى أرحب به، أما عن تحفظ محمد من تطبيق ما هو فصامى (أو مرضى عامة) على الشخص السوى، فأذكرك أنه نفس التحفظ الذى أثير فى مواجهة سيجموند فرويد حين انطلق من المادة الإكلينكية ليتكلم عن "سيكوباثولوجية الحياة اليومية، وتفسيرات زلات اللسان، والأحلام عند الأسوياء أكثر من المرضى..إلخ. برغم اختلافى مع هذا العظيم فى كثير من التفاصيل، وغيرتى منه واحتجاجى على ما ترتب على سوء استعمال نظرياته، إلا أننى فى هذه النقطة أوافقه تماما، مما سوف نفتح النقاش حوله أكثر وأكثر مع محمد والمعارضين. إننى يا أسامة أنتمى – كما تعلم– وأنا امارس مهنتى (وربما حياتى) تحت زعم أنه لا فرق بين مريض وسوىّ فى نهاية النهاية إلا **فى المآل**، وليس فى التركيب، إن طريقنا إلى فهم أنفسنا صعب، والفصامى حين يعلن تعريته الاضطرارية، يعلّمنا ما هو نحن، ولعلك تعرف الكثير عن مقولتى: **إن كل الأمراض النفسية هى إما فصام أو دفاع ضد التفسخ الكامل** (ضد الفصام)، وأضيف إلى ذلك: **إن الحياة العادية** (خصوصا العادية جدا) **هى أيضا دفاع ضد الفصام**، أما **الحياة الزاخرة النامية** (الإبداع) فهى **احتواء للفصام.**

وهذا يحتاج – كما تعلم– إلى تفصيل وتفصيل.

فكيف لا ننتهز الفرصة لنعرف **ما هو نحن، وكيف نحن**، من هؤلاء الرواد العرايا المهزومين للأسف؟

د. أسامة عرفة:

الفكرة ببساطة التى أريد الاشارة اليها أنه إذا عاينا فعل أو أداء أحد الذوات التى تظهر لنا عارية جلية خلال التفكك الفصامى فإن السؤال الذى يطرح نفسه هو كيف تتحرك و تتفاعل هذه الذات نفسها خلال انتظامها ضمن هارمونية التركيب السوى إن صح التعبير ؟؟

د. يحيى:

أولا: الذوات لا تظهر عادة فى الفصام **"عارية جلية"** كما

تقول، وإن كانت تفعل ذلك أحيانا. ولعلك تذكر أن **"إريك بيرن"** وصف الطفل (حالة الذات الطفلية) في الفصامي أنه طفل **مشوش** Confused child، أما كيف تتحرك خلال انتظامها في هارمونية التركيب السوى.. الخ فهذه قضيتنا حتى نموت.

د. أسامة عرفة:
كثيرا ما كانت تشغلني أمور ثلاثة

- **الروائي و هو يبدع شخوصه**
- **والممثل و هو يشخص أدواره**
- **والمعالج النفسي و هو يتمثل مرضاه**

كنت أحيانا أحلها بسِمَةْ ظاهرة "كأنّ" as-if phenamenon.. ، لكن "كأن" دى هاتيجى منين.. لا مفر من تعدد الذوات وحركيتها وتمثلها وقبولها والتصالح بها،

أما في النمو فلا أستطيع تصوره بدون **انتشار نبضة النمو عبر كل الذوات و الانتقال بعلاقاتها لمستوى أعلى من الجدل والتكامل، .. لا أستطيع تخيل نبضة نمو تختص بحركة ذات واحدة منفصلة و باقي الذوات هس .. هس**

مش ها يبقى نمو ولا حاجة ده هايبقى ورم .. "ذات وارمة" كده على جنب!!!

د. يحيى:
.. هذه إضافة واضحة في اتجاه ما أريد توصيله عن هذا الموضوع بشكل أو بآخر، شكرا، أعجبني تعبيرك ".."ذات وارمة"، كده على جنب، الله نوّر،

فما رأيك في حكاية "السر" التي لم أكملها؟

د. أسامة عرفة: المخدرات العصرية و المفاتيح السرية 11-12-2007

حال المؤمن كله خير
إذا ابتلاه ربه صبر
و إذا أنعم عليه شكر
الصبر الإيجابي
الصبر الجميل و ليس الصبر المتململ
هو المفتاح السرى للفرج/ج

د. يحيى:
أنت تفعل بذلك مثل المترجم الذى أثبت ترجمته على الفيلم نفسه، ولكنه لم يتردد أن يضع ما يقابل ما جاء في الفيلم من استشهادات وتعليقات من نصوص "إسلامية"، رفضتُ الفكرة من حيث المبدأ، فهذا تدخل لا يليق، على المترجم أن يكون مترجما لا أكثر، خاصة إذا كانت مهمته أن تكتب الترجمة أسفل الفيلم ذاته، كان عليه أن يكتب رأيه منفصلا، ولا يعفيه من هذا التجاوز أنه وضع تعليقاته واستشهاداته ومقارناته بين نجمتين" لكنه أثبتها على الفيلم نفسه، أنا أعترف له بفضل تنبيهي إلى بعض ما

عندنا فى الإسلام مثلما ذكرت أنت حالا يا أسامة، وربما هذا ما دفعنى للبحث عن ما أسيته جواهر كريمة، وربما أرجع إليها تفصيلا، ماذا عندك أيضا يا أسامة، مثلا عن حكاية الحضارة؟

د. أسامة عرفة: الحضارة والمدنية 15-12-2007

لا يمكن فصل الحضارة عن المضمون الأخلاقى، الحضارة = تنمية القدرات x البناء الأخلاقى يشير القرآن الكريم لهذه القضية إشارة دقيقة كما يبدو فى تناولة لقصص قوم عاد فبرغم قوتهم البالغة كما جاء وصفها ...إنهارت بنيتهم (أخذهم الله) أخذهم الله بذنوبهم كانت قوة وتقدم مدنى هائل .. أكبر قوة فى الأرض فى حينها ولكنها قوة تجبر وبطش فقدت كل مضمون أخلاقى فاستحقت الانهيار أو الزوال وهى فى أوج قوتها...

د. يحيى:

لا أميل إلى موافقتك دون تحفظ، لأن مسألة الأخلاق هذه فيها كلام كثير، ويمكنك الرجوع إلى **("ملف الأخلاق" فى آخر عدد صدر من الإنسان والتطور عدد أبريل – يوليو (69-74) 2000- 2001)**، لابد من تحديد نوع الأخلاق التى نتحدث عنها قبل أن نضيف هذا البعد إلى الحضارة، من حيث المبدأ أوافق على الفكرة، إلا أننى أذكرك أن استعمال كلمات مثل الأخلاق، والخير والشر، أصبحت من الالتباس بحيث ينبغى أن نرفض استسهال إطلاقها على الحضارة أو المدنية أو حتى القيم الدينية والألعاب السياسة، لا تنس يا أسامة لغة السيد بوش، وهو يصنف العالم إلى محاور للخير وأخرى للشر، بل إن كثيرا من جرائم التطهير العرقى، وقمع الإبداع (الذى هو لب أية حضارة) تتم تحت لافتة الدين والأخلاق، إن موجة سوء استعمال الدين على ناحية، أو تهميش الدين على الناحية الأخرى، يمكن أن تؤدى أى منهما إلى نفس النتيجة.

د. أسامة عرفة: الدين العالمى الجديد 18-12-2007

شكرا لهؤلاء الأغبياء محاولتهم نزع الدين، بديهى أن يزيد تشبسنا به واقترابنا منه وإعادة اكتشافه (فى مواجهة ذلك)، .. برغم بعض الخسائر قليلة الوزن تاريخيا .. ما أشبه الليلة بالبارحة .. إنهم أبرهة العصر الحديث أبرهة العصر القديم أتى يهدم الكعبة وانتهى الأمر بظهور الإسلام هل يظن أبارهة العصر الحديث أنهم سيهدمون الدين؟ عجبا لبلاهتهم ما هى إلا إرهاصة للصحوة الآتية.

د. يحيى:

خل بالك يا أسامة أنك تتكلم عن الدين الإسلامى، وأنا عادة أشير إلى دور الدين الإيجابى عامة، وقد بح صوتى فى محاولة التفرقة بين الدين والإيمان والسلطة الدينية، هذه مستويات مختلفة، ثم تذكر أنهم ليسوا أغبياء تماما، قال إيش رماك على المر قال أمر منه، وإيش رماهم على إنكار الدين قال اغتراب من استولوا عليه، ثم إنهم برغم إنكار

دور الدين، أو ادعاء إنكاره، راحوا بذكائهم الخبيث، يستعملونه في السياسة والقتل والإبادة، من الأبواب الخلفية، ينصحوننا أن نضعه جانبا، ويطلقون سمومهم النابعة من سوء استعماله بأسماء مستعارة لتلويث البيئة وقتل من يخالفهم، هذه هي الحكاية، لعلك يا أسامة تتبعت ما سوف أحاوله من تناول رواية العطر لزوسكند، أو على الأقل اطلعت على التعتة التي نشرتها في الدستور بعنوان **"العطر والكفر" 27-6-2007**، لقد تناول زوسكند هذه المسألة من الناحية الأخرى فأضاف ما لم تستطعه أغلب النظريات الفلسفية، وربما الدراسات اللاهوتية، وهذا بعض ما وصل إلى صديقنا د. كريم شوقي

د. كريم شوقي: 8-12-2007 الخطوط العريضة للفرض الأساسي لنقد "العطر"

.... لم أقرأ رواية العطر بعد ولم اشاهد الفيلم رغم الضجة التي اثارتها الرواية في الاوساط الادبية ولكن يبدو أنني ساقرأها في أول فرصة. حركني تساؤلك \"**هل اقترنت هنا كلمة نبوغ بالوغدنة كنقيضين أم كمترادفين\"**, ثم استطرادك بعد ذلك **أن كل نابغة قد يكون مشروع وغد**....انا مثلك تماما لا أحب الربط السببي المباشر وأفضل ان اربط النتيجة بالعديد من العوامل والأسباب ولكن هذه الملاحظة بالذات تحتاج التأمل والتفكير، وقد كنت ومازلت أعتقد شخصيا أن الفنان لكي يكون فنانا ناجحا يجب أن يكون أنانيا.

د. يحيى:

ليس تماما يا كريم، هذا ما يبدو غالبا، لكن علينا أن نعرف الأنانية أولا، فلها تجليات بلا حصر، وهي كما تعلم غير حب النفس !!

د. كريم شوقي:

بيني و بينك يبدوا أن الجمهور من العامة يعشق ويقدس النوابغ الأوغاد، كأنه احتياج فطري لكل جماعة ان يكون أحد اعضاؤها من النوابغ الاوغاد؟

د. يحيى:

حصل ... ولكن ... لكن يبدو أن كثيرا منا نحن هنا اكتفو بالصفة الثانية دون الأولى، فتجلى الوغد فينا وتراجعت في الظل أو الظلام كل نوابغنا داخلنا، أو على هامش حياتنا، فأصيبوا بضمور عدم الاستعمال. وسلامتك وتعيش.

أنا مختار يا كريم في منهج نقد العطر، ويبدو أن المنهج الذي اتبعته في قراءة الأصداء، والأحلام ، لشيخنا محفوظ، قد زحف على أسلوبي النقدي بشكل سلبي، هذا ما وصلني من محمد إبني (الوحيد الذي اعتني بالرد) فهيا نسمعه قبل أن ندخل في رأيه أيضا حول تعدد الذوات

د.محمد يحيى الرخاوي: 8-12-2007 الخطوط العريضة للفرض الأساسي لنقد "العطر"

أرجوك لا تفعل، لا تمارس نقد العطر فقرة فقرة كما تفعل مع الأحلام وكما فعلت مع الأصداء

أروع نقدكم يأتى من فروضكم التى تصل لأعماق ضامة لزوايا العمل وثناياه، وليس ما يأتى تعليقاً على هذه الزوايا والثنايا .التعليقات تُشتّت وتَتَشتّت ولا تنتهى ولا تحيط ولا تغلق أبداً. والحق أن الإحاطة بكل ما يمكن أن يقال مستحيلة، عملياً ومنهجياً.

أخيراً، أرجو أن تسامحنى إن تصورت أن ما وراء اختياركم لهذا المنهج الآن يتعلق بإنهاككم وفرط المسارات المفتوحة، وأن التعليق على فقرة فقرة لا يحل المشكلة.

أرجوك مرة أخرى.

د. يحيى:
قبلتُ رجاءك يا محمد، وأقتنعت به تماما، وهو وعى مسئول، وربنا يقدرنى أكون عند حسن ظنك.

أرجو الآن أن تحضر حوارى وأنا أكمل مع إبن آخر هو د.كريم شوقى، لأن أغلب حوارنا يدور حول مداخلتك فى موضوع تعدد الذوات.

د. كريم شوقى: 2007-12-9 تعدد الكيانات وحركية الإبداع
عن تعدد الذوات أقول أنى قد استمتعت جدا بما كتبه الدكتور محمد يحيى الرخاوى عن صعوبة فهمه لهذه المسالة .... فالرجل والحق يقال يتمتع بأسلوب رشيق و لبق فى الحوار كما انه يبدى مراجعته ونقده ولا أقول اختلافه بأدب جم، وقد ذكرتنى هذه المراجعة بما كان يقوله الإمام الشافعى حين كان يختلف مع استاذه الإمام مالك "الامام مالك استاذنا و لكن الحق احق ان يتبع"

د. يحيى:
لعلك تتبعت حوار المقالات بينى وبينه يوم الجمعة الماضى

د. كريم شوقى
(دعنى) أرد على الدكتور محمد بأن كلام الدكتور يحيى ويالاسف لا يقاس بما هو "مفهوم" وما هو "علمى" (بالمعنى الدارج حاليا فى هذا العصر) و قد بُحّ صوت الرجل و جف حبر قلمه وهو يصرخ بوجود قنوات معرفية اخرى غير العقل وهذه القنوات للأسف قد جفت منابعها عند انسان هذا العصر بسبب الإهمال والتعالى وقلة الاستخدام، وكون هذه القنوات شئ غير ملموس او مثبت علميا مثل العقل البشرى الذى قتلناه فحصا وتمحيصا لا ينفى وجودها، وقد تكلم عن هذه القنوات المعرفية علماء آخرون غير أن لهذا حديث آخر. وأنا هنا لا أدعى فهمى لهذه القنوات الأخرى من المعرفة حق فهما، إلا أنى قد خبرتها وخبرت وجودها يقينا أثناء حضورى جلسات العلاج الجمعى.

د. يحيى:
المفروض أنى أفرح بتأييدك هذا يا كريم، لكن الواقع أنى أرعب منه، **إنك حين تفتح الباب لما هو بعد العقل (او مع**

العقل) لا يدخل منه – عادة – إلا ما هو قبل العقل، وقد نخصص لهذه المسألة مساحة كبيرة فى هذه اليوميات وما تثيره من قضايا، ولولا أنى أعرضها وأعيشها فى العلاج الجمعى أمامك رأى العين كل أسبوع، كل أسبوع، بأسلوب ملتزم محكم، ومنهج منضبط، لما فتحت ملفها أصلاً، ولكن كم واحد عنده مثل هذه الفرصة يا كريم؟

د.كريم شوقى

تعايشت (أثناء مشاهدتى للعلاج الجمعى) مع فكرة تعدد الذوات و الكيانات الداخلية تعايشا حقيقيا شبه ملموس ...فاقتنعت كل خلية فى جسمى بصحة هذه الفرضية وفائدتها لفهمى لنفسى أكثر فأكثر (وهذا رد على استفهام الدكتور محمد عن مدى فائدة الفرض أو ما أسميه انا بثمرة الخلاف)، ثم إنى لست أفهم إنكار الدكتور محمد استخدام السياق الفصامى كقياس لصحة فرضية تعدد الذوات... طب نعمل ايه اذا كانت دى خلقة ربنا؟ وإذا كان دا اللى موجود وأن صاحب الفرضية هو فى الاصل طبيب نفسى وقد بنى هذه الفرضيه على ملاحظاته و تجاربه و نتائجه فطبيعى ان يستلهم الطبيب النفسى فروضه من واقع عمله ولو كان صاحب الفرض يعمل مهندسا للسيارات لكان كلمنا عن تعدد الذوات فى السيارة الى أم دبليو الفئة السابعة ولكُنا ساعتها اعترضنا على اختياره للسيارة الى ام دبليو بالذات وقلنا لماذا لم يختر السيارة البيجو أو السيتروين.

د. يحيى

ليس هكذا تماما يا كريم (مش قوى كده)، لم أقبل قياسك تحديدا، وإن كنت قد قبلت مبدأ الفكرة، لكنى أرجو أن تقرأ ردى على د. أسامة فى هذه النقطة اليوم فى بداية الحوار، ولكن أكمل مع محمد لو سمحت.

د. كريم شوقى

عزيزى الدكتور محمد: حاشا لله ان تكون صعوباتك نتيجة تواضع فى الرؤية، أو فى مرحلة النضج، أو الحرية. كما قلتَ فى مقالك...، فأسلوبك وعلمك يدلان عليك، وإنما ظنى ان صعوباتك وصعوباتى أنا فى هضم الكثير من فروض الاستاذ يرجع فى الأساس الى البرمجة المسبقة لعقولنا عن طريق ما يسمى بالمنهج العلمى التقليدى، وهو ما تجاوزه الأستاذ على ما يبدو منذ مدة.

د. يحيى

لا يا عم كريم أنا لم أتجاوزه، ولا أستطيع أن أتجاوزه، ولا أريد أن أتجاوزه، فقط أنا أريد ألا يحتكرهذا المنهج الرائع المحدود: السبل إلى كل "المعرفة" والمعارف، أنا أريده أن يوضع فى مكانه لا أكثر ولا أقل،

والآن تعال إلى د. محمد آخر، هو ابن عم محمد ابنى ، صديقك فى استراليا، تعالى نستمع إليه وهو يدلى برأيه فى نفس الموضوع.

د. محمد احمد الرخاوى: 9-12-2007 تعدد الكيانات وحركية الإبداع

"... أرى أن فلسفة التعدد والتحدث عنها وتحليلها ليست هى الهدف، أرى أن الحياة هى الحركة واتساع مجالات الحدس، والرؤية، والصبر، والتحمل، والامانة، وتوقع كل الاحتمالات وعدم الإصرار على الأحكام الجاهزة المسبقة، واحترام ضعف الاخر ورفضه فى آن واحد، كل ذلك هو السبيل الى التعامل مع ذواتنا داخلنا وخارجنا"،

أرفض كل هذا التحليل لهذا التعدد.

د.يحيى

لم أعرف ماذا ترفض تحديدا من كل هذا معاً هكذا ؟!!

د. محمد احمد الرخاوى:

من تجربتى المتواضعة اكتشفت أن حجم الرؤية هو ما يرعب معظم الناس وهى فى نفس الوقت صمام **الأمان** للدفع الأبدى للوصول إلى محاور الدوران فى معترك الكدح فى مدارات الرحمن منه وإليه طول الوقت، الحركة هى الدفع طول الوقت لكشف الغموض ليتولد غموض غيره فى رحلة – أبدية -.

د.يحيى:

إذن ماذا ترفض بالله عليك؟

د. محمد أحمد الرخاوى

... وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون، والعبادة هى المعرفة بالكدح والحركة منه وإليه طول الوقت حتى بعد الموت .الولاف بين الذوات هو أقل القليل من ميكانزمات الدفاع فى طريق المطلق المستحيل هل المستحيل هو الشئ الوحيد الممكن؟؟ يعيش أغلب الناس بالنسبية والنسبية هى الشرك!!

د. يحيى:

يا ابن أخى، لماذا كل هذا التعميم طول الوقت، وهل نحن فى قضية حركية وتعدد الذوات، أم فى قضية الممكن والمستحيل؟ (أعترف أن ثم رباط ما)، ثم أيه نسبية تتكلم عنها وتصفها بالشرك، نسبية أينشتاين أم الطبيعة الحديثة أم علم الشواش، أم علم التركيبية، يا ابن أخى واحدة واحدة، ربنا يخليك.

د. محمد أحمد الرخاوى

النسبية هى التراخى فى إطفاء جذوة الوجود، فالعزم هو الدفع إلى المستحيل بلغة أهل النسبية!!! أن تكون ضعيفا يمكن أن يكون ذلك مرحليا، ولكن ألا تقاوم ضعفك هو النسبية، أن تقاوم ضعفك هو المستحيل فالسعى إلى المطلق الى المستحيل هو هو الوصول إليه!!! فالشمس تشرق ليل نهار لا تخبو قد يظن البعض أنها المستحيل ولكننا نراها كل يوم!!! بداية الموت هى بداية النسبية فالرحلة الى الله هى الحياة فى المستحيل هنا والآن فنعرف الله فنعرف أنفسنا

فنقدس الوجود، والوحدة هى من أقسى أثمان المستحيل لأن من يعيش المستحيل لا يستطيع أن يتحمل اختلاطه بأى شرك فالنسبية هى الشرك ومن يخلص الكدح والدفع إلى المستحيل بالعزم واليقين تتفتح له مسالكه!!

د. يحيى:
بصراحة كلامك فى هذه الفقرة به كثير مما أريد الدفاع عنه، لكننى أحذر من موافقتك وأنت تتكلم بهذا الصوت العالى، وهذه الوثقانية الجاهزة. ربما كان ما تقصده بالشرك، وعلاقته بالنسبية هو تمييع المواقف بالحلول الوسطى، ربما، فرحت بتعبيرك:" **ألا تقاوم ضعفك هو النسبية، وأن تقاوم ضعفك هو المستحيل الذى يكون السعى فيه هو الوصول إليه**، هذا طيب،

" شكرا على أية حال، ولعلك قرأت بعد رسالتك هذه يوميتى **(الممكن والمستحيل 16-12)** ، **(التطور الحيوى يتحدى المستحيل 17-12)** لكن أرجو أن تراجع يا محمد كيف أن حماسك غالبا (ولا أريد أن أقول دائما) ينتهى بتعميم ووثقاية هما ما آخذه عليك.

والآن هل عندك رأى آخر فى موضوع آخر؟

د. محمد أحمد الرخاوى: التعتعة 17-12-2007
من أكبر آفات الدنيا النهاردة هو هذا الاستقطاب المصنوع بخبث شديد من طرفى الاستقطاب
الطرف الاول هم أدعياء الأديان من كل دين المحتكرين لجنان السماء لحسابهم الوهمى وهم فى غيبوبتهم يعمهون، وقولهم ليس فعلهم والطرف الثانى الأخبث فى الأغلب وهو من ظن أنه قلب المائدة على كل دين- قال اسم الله--عشان هو حر فهم يترنحون بشقاء العدمية فى ظل النظام -اللانظام - العالمى القبيح، اذن ماذا؟

الدين الحقيقى لكل البشر هو حتم الايمان وحفر الحدود بين الخيط الابيض والخيط الاسود من الفجر فيذهب جفاء كل ما هو زبد، لايبقى الا ما ينفع

د. يحيى:
... أظن أنه ليس لى تعليق إلا ما ذكرته فى آخر الفقرة السابقة. تعالى يا محمد - إن كان لديك وقت- نستمع لزائرة جديدة، كريمة صوتها أهدأ، وهى ترجعنا إلى تحديات عملية فيما آل إليه بعض تخصصنا، لعلنا نتفاءل معها من خلال إصرارها، لنواصل إصرارنا كل على حدة، فلا يحيد أى منا عما رآه الحق مهما كانت الصعوبات. اسمها د. أميمة ، أهلا..

د. أميمة رفعت:
هذه أول مرة أكتب لسيادتكم، و يملؤنى الأمل أن أحصل على رد، حتى ولو كان موجزا، من أستاذ "...." تمنيت منذ زمن بعيد أن أتواصل معه.

د. يحيى:
أهلا دكتورة أميمة، وسامحينى إن تأخرت عليك. وسامحينى أيضا أن أضع الصفات الطيبة التى تلصقينها بشخصى فى نقط بين تنصيص "...." هكذا ، تجنبا للحرج والمبالغة، آسف.

د. أميمة:
أنا د.أميمة رفعت أخصائية أمراض نفسية بمستشفى المعمورة بالإسكندرية. أبلغ من العمر 45 عاما أتممتهم الأسبوع الماضى. أعمل بالمعمورة منذ عام1987، وقد أصابنى الولع والشغف بعلم النفس والأمراض النفسية منذ اليوم الأول لعملى هناك. بدأت أجتهد أثناء دراستى لدبلوم النفسية فى ممارسه العلاج النفسى الجمعى لبعض المرضى الذهانيين. أدواتى فى هذه المحاوله: هى بعض القراءات للكتب القليلة التى كانت متاحه لى فى هذا الوقت، التجربه والخطأ، وأخيرا ما أدعيه من موهبة فطرية تجعل المرضى يقبلون التواصل معى؛ كما تجعلنى أستطيع الغوص فى أعماقهم فأرى خيالاتهم و أشعر بعذاباتهم ثم أخرج من هذه الرحله مدركة أكثر لما يعانونه . كما ترى أدواتى لا هى بالكثيرة ولا بالقوية.

د. يحيى:
لا أخفى عليك فرحتى يا ابنتى بهذه المحاولات الفردية، فمن علّم فروید؟ ومن علمنى؟ لكننى أتحفظ من تعميم هذا السبيل تماما، لابد - على المستوى العام- من مشاهدة مبدئية وإشراف وتدريب ومناقشة، دعينى أعترف لك أن مرضاى ونتائجى كانوا دائما هم المشرفون علىّ، أرجو أن تأخذى ذلك فى الاعتبار، ما وصلنى هو أنك جادة جدا فى المحاولة، نحن نجرى فى قصر العينى علاجا جمعيا مفتوحا لكل المشاهدين والمتدربين وحتى الهواة المستكشفين، كل يوم أربعاء (منذ أكثر من ثلاثين عاما) الساعة 7.30 صباحا حتى العاشرة، ساعة ونصف الجلسة، ثم يجرى النقاش بعدها مفتوحا بين المعالجين والمشاهدين، الحضور - بإذن المرضى - والفرصة متاحة للمشاركة من كل من يريد أن يتعلم ويناقش وينقد ويراجع، أعلم أنك فى الاسكندرية، لكن هناك من يحضر من المنصورة، وأحيانا من المنيا.

أنا لا أنصحك بذلك، لكن يمكنك أن تحضرى ثلاث مرات متتالية (كضرورة وهو الحد الأدنى) كما أننى أنشر لمحات من هذه الجلسات، وبعض الألعاب فى هذه النشرة (التى زاد عددها عن مائة وعشرة حتى الآن).

بل إننى اعتبرت حوار يوم الجمعة هذا، بمثابة تدريب مستمر موازٍ لما يسمى جماعات المواجهة، encounter group بشكل أو بآخر، ولعلك تستنتجين أننى أحول الرسائل إلى حوار بشكل فيه ظلم للضيف، وأنبه على من لا يريد أن نقطع رسائله أو نختصرها أن يخطرنا برفضه هذا الأسلوب، ولك الخيار على أية حال ما دمت، كما فهمت من رسالتك، قادرة على المبادأة والتجريب، ولم يحل زواجك دون مواصلة سعيك للمعرفة والاستزادة ، بل العكس على ما بدا لى.

د. أميمة:
(فعلا) لأننى متزوجه وربة أسرة، فقد اضطررت لترك عملى لمدة ثمان سنوات لرعايه أسرتى كان ذلك عام1995، خلال هذه السنوات الثمانية درست اللغة الفرنسية التى أعشقها كما درست الشعر والأدب الفرنسى، وحصلت على دبلوم تمنحه جامعه السوربون- باريس للطلبة الأجانب الدارسين للأدب الفرنسى. لقد دخلت هذه الدراسة وأنا أنشد المتعة، ولكن ما حصلت عليه كان أكثر من هذا بكثير....فقد زادت شخصيتى نضجا وإتزانا، وتفتحت فى عقلى و ذهنى ووجدانى سراديب لم أكن على علم بوجودها أصلا .

د. يحيى:
يا خبر يا أميمة! إن هذا هو التكوين الحقيقى الذى أطالب به كل من يريد ممارسة الطب النفسى الحقيقى، يمكنك تتبع ما أشرت إليه فى يوميات سابقة كيف أننى أقرأ النص البشرى (نص المريض ونصى أنا شخصيا) **أقرأهما ناقدا**، بدلا من أن أصنف مريضى لاصقا عليه لافتة تشخيصية. إن الخلفية الأدبية التى كونتِ نفَسَك بها، هى ثروة لأى طبيب نفسى بما لا يقاس، هذه الخلفية الإبداعية الناقدة من خارج الطب النفسى هى التى تساعد على الاستمرار.. كما تقولين:

د. أميمة:
.... رجعت عملى فى 2003 لأجد كل شىء وقد تغير من حولى، الوجوه تغيرت...نظام العمل تغير...العلاج الكيميائى تغير (يا إلهى ما كل هذه الأدوية الجديدة، ما علينا يمكننى التكيف؛ ولكن ما صدمنى حقا هى العقول التى تغيرت فدراستى للأدب أصبح معناها "ليس لها فى العلم "...العلاج النفسى أصبح "العلاج بالطريقه السلفيه".. ويتعجبون من المريض الذى يستجيب للعلاج النفسى وكأنهم رأوا دجالا يشفى، ولكنه كذاب ففى النهاية "كذب المنجمون ولو صدقوا.

د. يحيى:
تقصدين: كذب المعالجون ولو شفى مرضاهم

د. أميمة:
على أية حال ليس الوضع بهذا السوء الآن.. مشكلتى الحقيقية هى فى الانتماء، فى الرغبة فى التعلم، فى قراءة أفضل، فى حضور فصول تعليمية، فى تلقى تدريب علمى وعملى؛ فى أن أجد من يصوب أخطائى.....لم أجد ما أريده بالأسكندرية ولم أعرف لمن ألجأ حتى وصلنى عن طريق الخطأ - ويا له من خطأ جميل- يوميات ومداخلات موقعكم ... وكأننى فتحت بريدى الإلكترونى فوجدتنى وقد ربحت **"كذا....."** (رقم كبير جدا) .. جنيه

د. يحيى:
شكرا ورفضا للمبالغة، فإن أصرّرت، فابعثى لى نسبتى!!!!، يا شيخة كما يقول هبيوقراط أبونا فى الكلمة التى تتصدر موقعى: الحياة قصيرة، والطريق طويل، الفرصة هرابة

والخبرة (التجربة) تحتمل الصواب والخطأ، نعم الطريق طويل يا أميمة، والحياة قصيرة، ويبدو أنني حين أدركت ذلك سارعت بكتابة هذه النشرة يوميا، لكن يا ترى هل أستطيع أن أواصل؟

د. أميمة:
د.يحيى؛ لست عضوة فى رابطة الأطباء النفسيين العرب، ولا أستطيع التطفل على موقعكم... ولكننى أعتبر هذه الصدفه إشارة من الكون لأن أجد درب أخيرا....فاسمح لى يا سيدى بهذا التفاؤل المشروع؛ سامحنى لجرأتى فى الكتابه إليك، وكن دليلى ومرشدى، إجعلنى \"أنتمى\" وأنر لى الطريق

د. يحيى:
ما حكاية أتطفل على موقعكم هذه؟ هو مكان متاح لكل طالب معرفة، بل إن زائره هو صاحب الفضل عليه، فمن أين التطفل؟ أما حكاية رابطة الأطباء النفسيين العرب فأنا لا أعرف تفاصيلها إلا من خلال نشاط الابن صاحب الفضل د. جمال ترك فى تونس، وقد تفضل مشكورا بإعداد ما أسماه "منتدى لفكر أعمالى بما فيها هذه اليومية" ولعلك تكونين من أوائل المشاركين فيه، ربما فعلنا معا شيئا ذا بال

وسوف أثبت **(فى نهاية حوار اليوم) نص خطاب الإبن الأستاذ الدكتور جمال ترك، رئيس بوابة الشبكة العربية للعلوم النفسية**، برجاء الاتصال به إن شئت، أو بالشبكة، كما أرجوك أن تبلغى هذا إلى أى ممن يهمه الأمر.

أهلا أميمة، حمدا لله على السلامة. ثم إننى أدعوك للاستماع لشاب يعمل معى بسكرتاريتنا، يريد ان يبدى رأيه فى موضوع "السر"، أهلا يا رفيق

أ. رفيق محمد: <u>المخدرات العصرية و المفاتيح السرية 11-12-2007</u>
لا انكر أنى انبهرت بالفيلم لأول وهلة بعد مشاهدته بل وبدأت أروج له وسط أصدقائى، إلا أننى وبعد أن أحضرت ملف الترجمة وبدأت العمل عليه كما طلبتَ منى شعرت كمن ضبط نفسه متلبسا بالغباء، وأحسست بالذنب الشديد لترويجى لهذا المخدر، لعل قراءة الكلام منفصلا عن الصورة ساهم فى هذه الصحوة. وتساءلت كيف أكون بهذه السذاجة لدرجة أن أنبهر بهذه الخزعبلات، وتنبهت بعد ذلك أن هذه ليست مجرد خزعبلات أو معتقدات ساذجة، إنهم يدسون لنا السم فى العسل يا د.يحيى، إنهم يحاولون إلغاء أى تفكير فى مقاومة أو رفض مايفرض علينا من أحوال سيئة، فأمريكا واسرائيل لن يخرجوا من العراق وفلسطين إذا فكرنا فى مقاومتهم، بل علينا أن نكون لارج ونفكر بإيجابية وأن نذهب إلى أنابوليس للدخول فى مفاوضات لانهائية، ويبقى الحال على ما هو عليه، **وفقراء هذا العالم هم السبب فى حالتهم الكرب لأنهم غاوين نكد وولولة بعكس الأثرياء الأذكياء الذين فكروا بإيجابية فكافأهم قانون الجذب بالملايين!!!!**

يا سلام لو الأمور بهذه البساطة.. مكانش حد غلب.

د. يحيى:
شكرا يا رفيق، لكن لا تذهب هكذا من أقصاها إلى أقصاها، لا بد أن نتدبر سويا لماذا انتشر، وينتشر هذا الفكر، برغم كل هذه السطحية العبثية، بهذه السرعة، ألا يمكن أن يكون فى تركيبنا نحن ما يبرر هذا الانتشار أيضا، جنبا إلى جنب مع لعب الثلاث ورقات كما تقول، ألا يمكن أن نجد فعلا بعض الحقيقة الثمينة و(التى أسميتها الأحجار الكريمة) وسط هذا الكوم من القش اللامع؟ وأرجو أن تتاح لى الفرصة أن أعرض بعض ذلك، لو صح ذلك..

أ.رفيق:
... لعل الحجر الكريم الذى يمكن أن نقول أنه موجود فى كومة القش هذه هو فكرة السعى إلى النجاح وتحقيق الأمنيات بدلا من انتظارها وهى فكرة ليست بجديدة علينا.

د. يحيى:
لا .. لا، ، ليس هو الذى أعنيه،

مسألة السعى إلى النجاح مسألة آخرى، أنا لست ضدها، لكن قيمة ونوع النجاح الذى يروجونه ليست هى الأحجار الكريمة لتى لاحت لى مدفونة ربما عليك، وعلى أن ننتظر، فالمساحة لا تكفى والإبن رامى ينتظر أسبوعين متتالين لأحاوره، تصور يا رفيق أنه برغم فرط طلاقته وتفرده وصدق إبداعه، **تصور بعض الأصدقاء والصديقات أنه (رامى عادل) شخصية وهمية**، وأنى اخترعته لأفوّت على لسانه (قلمه) ما لا أستطيع أن أقوله مباشرة!! هل تصدق يا رامى؟

نبدأ بماذا، وأنا غارق لشوشتى فى كلماتك المتدفقة؟ أهلا رامى اختْر أنت ...

أ.رامى عادل: 8-12-2007 الخطوط العريضة للفرض الأساسى لنقد "العطر"

...بسم الله، وصلتى فكرة الروح/الرائحة, وفكرة الكفر, وفكرة: الإنسان لا يكون بشرا الا بجدل متصل مع بشر مثله -تمام- ليس بمعنى ان يشبهه أو يساويه، وإنما مثله بمعنى ان يمارس نفس تجربة التواصل مثله بنفس صعوباتها وجدلها وتحدياتها ومفاجاتها.....،

أنا لا اريد أن أبدا من العنوان الآن، ولكن من العلاقه بين الكفر والقتل او العكس, لا اعلم. قد يرتبط بعض من ذلك بحقيقة الجدل المتصل بيننا كبشر، الآن علىّ أن أتساءل مستغربا ما هو الكفر أساسا؟ ولماذا - كيف- يرتبط بالحياة ، أنا لا اتجاهل هذا الارتباط والترابط بينهما. ولكن علىّ أن افنده، لأن الكفر قد يكون ضد الشعور المفعم **بالحياة**

الكفر كما عايشتـه قريب من الكسل، التماوت، الجندله، الانقلاب اللا محدود، الشناعة.

د. يحيى:
لا أخفى عليك أننى كنت أريد ان أبدأ بوصفك كيف تصلك كلماتى، لكننى خجلت لأنها وصف لشخصى ولكتابتى بدت لى فيه بعض المبالغة، فقررت أن أحذف هذا الجزء، لكننى أعرفك، وأعرف أنك لا تستطيع أن تبالغ، لا تعرف كيف تبالغ، وأنا أحتار وأنا أحذف من كلامك أية جملة، لكن ماذا أفعل؟ المهم وصلنى من وصفك لكيفية استقبالك للكلمات، ولتكن بالصدفة كلماتى، ما جعلنى أتساءل كيف استطعت أن تصيغ ما قلتَ هكذا؟ ولكن دع هذا جانبا الآن، فقد أتشجع وأنشر وصفك لاستقبالك الكلمات بعد قليل.

أقول لك بصراحة إن هذه المسألة التى أثارتها رواية العطر شديدة الحساسية، **فلا يعرف الكفر إلا من مرّ به بما ينبغي كما يبغى،** بل أكاد أقول **إنه لا يعرف الإيمان إلا من مرّ به،**

الإشكال عندى حين أناقش هذه المسألة- مثلما هو الحال عندما أتحدث عن الله سبحانه وتعالى- هو: **كيف يستقبل الناس الكلمات،** هل حين أقول فى كتاباتى كلمة **"الكفر"،** هل يصلهم أننى أعنى بها **الإلحاد،** أم **النشاز،** أم **الإنكار،** ام **الانفصال،** أم **الشرك،** كل واحد سوف يأخذ الكلمة بحسب مرجعيته اللغوية، والأيديولوجية، والدينية التقليدية، وغير التقليدية، هذا يستدرجنى يا رامى إلى **احترام ما كتبتَ عن كيف تتلقى كلماتى،** سوف أتجاوز الحرج، وأقول لمن اتهمنى أننى اخترعت شخصيتك، **أننى لا أستطيع أن أصف كلماتى أو كلمات غيرى مثلما فعلت حين تقول.**

أ. رامى عادل: <u>الحوار الممتد بن ابن وابيه 14-12</u>
... كلامك يا عم يحيى متراكب او مركب. باحس انه فى بعض الاحيان كلام معقد ومكلكع. **وبيستفز ذكائى** (ده اذا كنت ذكى من اصله). بحاول اتعرف على كلامك بالاقيه كلام كبير ومهم ومحترم. كلام يوزن الدماغ. **وكلامك يضبط رمانة اليوم** (يومي). **كلامك موزون ومحسوس منك اوي.** يا عم يحيى على رأى امى وهى بتضرب المثل. **(انت بتحسس على كلامك).** كلماتك حاجه تتحط عليها الإيد. هى بتحرك مشاعرى وبتدغدغه، وبتحفزنى وبتقوينى **وبتطلعلى عضلات فى تفكيرى وبتنقلنى نقلات مش متوقعه.** كلماتك يا عم يحيى بتطورنى. وانت بكلامك بتجنّدنى لغايه الحق والفضيلة...مش أوى بس تقدر تجندنى بجد وحقيقى. انت يا عم يحيى بتشبكنى بكلامك وباتعقّبه. وانا مش ببالغ. كلماتك مؤثره بالفعل. وعلمية جدا ومستوحاه من القران برضه، ..أنا متاكد إن منهجك فى الكلام هو خبرات متراكمه وهائلة، بل ومخاض صعب ومرهق، كلام كالبلسم... كالترياق. ربنا يهديك للقول الثابت. انا ماشى دلوقتى بعد ما شرحت لك شخصية كلامك المركب والعنقودى والمتسلسل البالغ الدلالة. ربنا يقويك. انت ضعيف بجد بجد. انا رايح اكمل نص اليوميه التانى.

د. يحيى:
بالذمة يا رامى هل أنا أقدر أوصف كلامى أو كلام أى واحد بهذه الطريقة، أنا أخاف أنفخ فيك تفرقع وانت لست ناقصا، لا أعرف ماذا أقول لك بصراحة، لو رددت على كل رسائلك لأخذت مساحة تساوى كل ما كتبنا اليوم قبلك،

ثم كيف عرفت أننى ضعيف إلى هذا الحد؟ هذا صحيح، أشكرك!

ولكن قل لى يا رامى ما رأيك فى حكاية التعدد؟

أ. رامى عادل:
مقال د. محمد الرخاوى عن الوحدة والتعدد قد أسر لى, رغم ما به من وصاية وأنا اؤيده فى أن (تعدد الذوات) – مفهوم مصطلحى ثقيل (وهذا مطلوب ايضا) – ومعقوله برضك أن د. محمد بيديك وبيدينى، بديل إنه هوه جواه نمر شكاك وسلحفاه وثعبان، الراجل بينور. أما حكاية الذوات فأنا متاكد ان هناك حكمه ما فى هذه التسميه.

د. يحيى:
أنا غير متأكد، والبحث جار،

طيب، ما رأيك فى تحفظه على حكاية أن نأخذ تركيب المرضى ونفيس به الأسوياء؟

أ. رامى عادل:
... لقد فاته أن المريض فى توجهه نحو الصحة يخلقها ويتفاعل، مع الوضع فى الاعتبار أن النقص (اللى ماذكرهوش د. محمد صراحة) هو إيجابى إذا شحَذنَا للاستزاده . واشكره على أدبه الجم. ومن حقك يا عم يحيى إنك تستعين به. وسلامو عليكم

د. يحيى:
وعليكم السلام، ولكن قبل أن تمضى دعنى أعترف لك أننى لم استطع أن أربط بين كلامك عن "أمل" جارتكم وبين التعدد وحركية الإبداع، لاحظ أننى أتجنب الحديث عن "مرات خالك"، وعن أشياء أخرى كثيرة، أعمل ماذا يا رامى؟ أنت تأخذ راحتك، وتدبسنى أنا، المهم كلامك عن "أمل" هذه المرة كان جامدا جدا، وسوف أثبته كما هو، حتى يعرف الذين شكوا فى أنى اخترعت شخصيتك، أننى لا أستطيع أن أنسج مثله، ولكن قل لى بجد، هل أنت تعرف يا رامى أنى أخذ كل كلامك مأخذ الجد مهما كان أم لا ؟.

أ. رامى عادل:
... "امل" انا عملتَهَا قرينه. فاجأتها وهى طالعه على السلم .فتحت الباب. اتخضت . فسالتنى عن ماما. وفجأه واجهتنى و خدت وضع فى لحظة. الوضع إنها عنيها اسودت وبقت حادة كالرصاص. والتمعت سنتها كألف شمس من وراء نقابها (خيمتها). وفجأة عادت الأمور لمسارها الطبيعى. هذا بعد ان **فقدت** ثانيتين لا اذكر ما حدث فيهما. ثم سالتنى أمل يا عم يحيى هى مامنا بضظلي؟ هى تقصد هى

ماما بتصلي، انا متهيأ لى إنها من اللحظة دى بالذات (فى وضع المواجهه) اتكاشفنا انا وهى يا عم يحيي. ....، بوصفك يا عم يحيى فلال الحديد اللى لـوّن القلوب الكافره (صورة وهمية). وانت عارف إن جوايا كفر انت بتحبه وبتحس إنى متأله، بس والله انا مش عايز. يمكن من خبراتى مع الجان. وانا عايز أنسى اكتر إنى مجنون. **إنت** اللى هتنسينى يا عم يحيي. انا واثق. شكرا مع السلامة.

ملحوظة أخيرة: انا مش عايز اتعقلن، عايز اهتم ببدني.

د. يحيى:
طيب، ما رأيك يا رامى أنه ليس عندى تعليق، أو دعنى أعترف، عندى تعليق لكننى لن أكتبه غيظا فيمن اتهمنى أننى اخترع شخصيتك لأنك وهمى، أنا لا أنكر أننى أتعلم منك يا رامى، طالما أنت تمارس كل ذلك وأنت على أرض الواقع جدا، ياه ما أصعب ذلك، هل تسمح لى أن نكمل الحديث عن موضوع الوحدة والتعدد يا أخى، ولو بعيدا عن أمل.

أ. رامى عادل: 9-12-2007 تعدد الكيانات وحركية الإبداع
انا مش فاهم اوى هو اللى باكتبه مفيد ولا لأ، ... بس انا واثق فيك يا عم يحيي: انا مش عايز اتكلم عن نفسى بس انت اللى عايزنى اتكلم. ان شاء الله انا هتكلم عن تعددى أنا أو (انا كتير).

أولا انا مريض عقلى (مجنون). وساعات باكون مش نافع بالمرة ,عاجز, ودايخ, ومبهوء, ومش شايف الدكتور نفسه. وباتمنى ارحب بيه/بوجوده ومباقدرش إلا نادرا جدا. تقبّلى للدكتور وصلت له بعد مشادات وخناقات ورفس ومقالب وشقلباظات. يكلمنى عن السحر مثلا اقوله بشتيمه السحر ده فى دماغك(انا كده باسحره), بس انا رافض التسميه (السحر) , انا باسميه فكر.

د. يحيى:
على ذكرك الجان والسحر، ما رأيك فى الموضوع الذى اسمه "السر" وليس السحر، ولا على قصة أندرسن التى اسمها "الظل"

أ. رامى عادل
النهارده قرأت قصة طالب العلم وظله. بس بصراحة هى مش ناقصه ايحاء/ايهام.

د. يحيى:
أنا أيضا رأيي فى هذه القصة (وربما فى غيرها) أنها لا تحتاج فعلا إلى شرح، أو حتى نقد. ولكن قل لى بالله عليك، ألم تتعجب مثلى أن هذه القصة مكتوبة للأطفال ومنذ ما يقرب من مائتى عام؟ هل تعرف يا رامى أننى وأنا كتب عن الممكن والمستحيل كنتَ فى ذهنى، أو على الأقل فى خلفية ذهنى، بشكل أو بآخر هل تصدق؟

أ. رامى عادل: (الممكن والمستحيل 16-12)
بسم الله. الممكن المستحيل: الموت/الفناء المستحيل

الحقيقه الله سبحانه. والان الممتد المتجدد. والعلاقه بينهما. (هذا كلامك)

د. يحيى:
إسمع يا رامى، أنا سوف أغامر بأن أختم حوارنا بهذه القصيدة الفظيعة، التى عليك أن تتحدى بها العلم والشعر وسيرتى الذاتية معا

أ. رامى عادل:
اللى حا قوله دلوقتى/الان اعتبره حلم وراح. اعتبره قصة فى حياتي. اعتبره حياتى نفسها، اعتبره زى ما تعتبره. لكنى ماقدرش اتخلى عن الحلم الا بكونى مقتولا مقتولا. واخيرا هذا الذى اقوله والذى سوف اقوله ان شاء الله ليس بشعر والله العظيم:

يحيى ميت/مسجي/مرمي/بعد ما مات اقصد .... صفحه من الذهب تتموج بروح/ أرواح بحرية (من البحر) شاف يحيى البحر كان جاله فى قوضته، وهو نايم على سريره|، جاله البحر بكل موجه وغضبه، يحيى. يا يحيى انت ماخفتش. ايوه مخفتش فى ساعتها .فى لحظتها ماخفتش. لكن مت مت فى جلدك يا يحيي. والبحر ما خافش، ندهك ،.صرخ فى وشك، إصحى أنا البحر، انا جايلك من أقاصى الأقاصي، عارف ليه يا يحيي، البحر ما نطقش.

جاله فى صورة انسان منسى ومرفوض. يحيى ماخافش. البحر غامض وغاضب من يحيى ويحيى مايعرفش ومايعرفوش. يحيى ماخافش. لكنه مرعوب.

الدنيا مقلوبة والغسيل على الأحبال هيطير والمره بتبص ليحيى بشماطه واستنطاع وبجلقه. البحر جاله فى صورة إنسان أعور وخطير. عينه مسمومة وشعره طويل.

يحيى رد عليه ماترحش مع البحر. البحر غدار.

يحيى غاضب ثاير وحزين مهموم مغموم. يحيى ناويها يروح للبحر يروح البحر.

البحر إنسان هو محارب ويحيى كمان.

البحرإنسان خاض حروب فتاكه وفتك بجيوش. والبحر حزين غاضب جاى من أقاصى الاقاصي

يحيى شافه، لأ مشافوش. البحر الانسان شاف يحيي. ايوه البحر الانسان هو اللى شاف يحيي. وبعدين. يحيى افتكر صورة البحر الانسان. يحيى قال البحر ليس الله.

د. يحيى:
كفى يا رامى، كفى، لن يصدق أحد أننى أحسن الاستماع لك بكل جد دون أن أحاول تفسير أية مقولة وحدها، ولا حتى مع غيرها، مع أن بين كل كلمة وكلمة أجد اسمى، لكننى لم أعتبر أنه اسمى شخصا، لكنه اسمى،

ماذا أفعل؟ كفى يا رامى كفى، واسمح لى أن أشكرك وأوصيك معا، أنا واثق أنك لم ولن تترك عملك أبدا إلا إلى عمل آخر، قل ما شئت من قبل، ومن بعد، لكن لا تترك عملك، ولا تنس أنك كنت معى، وما زلت، وأنا أكتب المستحيل (2).

أ. رامى عادل: المستحيل 2 (التطور الحيوى يتحدى المستحيل 17-12)

المستحيل الاخير انى ابقى نوع تانى.superman.أغير صوتى أغير ملامحى أغير بطاريتى واشحن، أقصد ابقى أقوى بمراحل كتيرة كبيرة. مشيتى تتغير وحركتى وابقى راجل مِعدّى زيك يا عم يحيي. مش زيك بالضبط. بس ابقى وهُم شنيور. **اخرم الحيط. أعدي. اقصد اخف وانت سيد العارفين انى مش باخرف وحاخف. متقوليش ونا ايش عرفن،**

ولا اقولك قول.. قول وأنا اقول. يالله نقول..

لا اله الا الله.

د. يحيى:

أقول ماذا بعد كل هذا يا شيخ

يا ترى هل تتبعك أحد معى، هل صدّقك أحد مثلى،

أظن نعم مهما تصوروا غير ذلك

والآن نختم الحوار يا رامى بأسئلة لضيفة جديدة عمرها 19 سنة، ولا أعرف إن كان اسمها شيبة هادية أم هادية شيبة فهذه من ألاعيب الكمبيوتر أحيانا .

أ. شيبة هادية: (19 سنة) 14-12-2007

-وضّح أهمية النظرية فى البحث العلمى خاصة فى علم النفس؟
- ما هى أهم المحكات التى تصنف على أساسها البحوث العلمية و أنواعها؟
- اشرح أهم خطوات البحث العلمى ؟
- ما هى أهم أنواع المناهج البحثية ؟

د. يحيى:

لا أخفى عليك يا هادية (أو يا شيبة)، أننى قرأت أسئلتك وكأننى فى امتحان نهاية العام السنة الثالثة آداب علم نفس،

وأننى خفت نفس خوف من الامتحانات سابقا،

فهل تقبلى اعتذارى هذا العام (أعنى هذا الأسبوع) ، حتى أجد ردا كافيا

ولو أننى فى الأغلب سوف أكرر الاعتذار تلو الاعتذار، إذا تكرر نفس الخوف، تلو الخوف، حتى لو لم أحصل على الشهادة من اصله.

يكفينى هذا الموقع.

ملحق البريد/الحوار"منتدى الإنسان والتطور"
(لمن يهمه أمر المتابعة والاشتراك مثل د.أميمة)
خطاب الإبن أ.د.جمال ترك
رئيس بوابة شبكة العلوم العربية النفسية
(طبق الأصل)

[Arabpsynet-Mail] Man & Evolution Forum: Discussion Groups of Pr. Rakhawy Thought
Arabpsynet-mail@yahoogoupes.fr
on behalf of Arabpsynet (APN Info@arabbpsynet.com)
Monday, December 17 2007

حضرة الزميل والأستاذ المحترم
يشرفنى إعلامكم أننا بصدد تأسيس "منتدى الإنسان والتطور" لمناقشة ومحاورة فكر وأطروحات "البروفيسور يحيى الرخاوى" فى قراءاته اليومية للنص البشرى فى سوائه واضطرابه من منظور تطورى.

نأمل من الزملاء الراغبين الاشتراك فى المنتدى ومتابعة هذا السجال الفكرى الراقى لأحد أبرز الوجوه العربية والعالمية على مستوى الاختصاص، تكرم التسجيل فى قائمة مراسلات هذه المجموعة بإرسال بريد إلكترونى إلى العنوان التالى:

RakhawyPsyGroup-subscribe@yahoogroupes.fr

ينطلق المنتدى والمراسلات المتعلقة به بداية شهر يناير جانفيى 2008 بإذن الله تعالى وذلك من خلال الارتباط التالى

http://fr.groups.yahoo.com/group/RakhawypsyGroup/

الفضل والشكر للبروفيسور يحيى الرخاوى أن أتاح لنا هذه الفرصة الثمينة من خلال شبكة العلوم النفسية العربية وبالتزامن مع موقعه لمحاورته فى نظرياته وقراءاته التطورية التى أثارت جدلا واسعا بين أهل الاختصاص.

فى انتظار جهوزية المنتدى، ندعوكم لمتابعة الكتابات اليومية للبروفيسور الرخاوى والتى انطلقت ابتداء من 2007/9/1 من موقعه على العنوان التالى

http://rakhawy.org/a site/

إلى ذلك الحين أستودعكم الله ودمتم سندا للعلم والمعرفة

د. جمال ترك
رئيس بوابة شبكة العلوم العربية النفسية

1- وصفت "هيلين دويتش" تلميذة فرويد القريبة جدا منه شخصية أسمتها شخصية "كأن" as if personality وهى غير شخصية الإمّعة أى التابع طول الوقت، "شخصية كأن" تصف شخصا يتقمص من حوله أياً كان، فهو مع المتدين أكثر منه تدينا، ومع المهرج أكثر منه تهريجاً، وهو يلبس هذه الوجوه دون تبعية ودون نفاق، لكنه يلبسها بدون وعى كأنه إناء فارغ يُمْلأ بما حوله سلبياً، لا أكثر، فإذا ما كانت هذه سمة غالبة وليس نمطا متكاملا للشخصية، سيئة "ظاهرة كأن"، وليس شخصية كأن

السبـــــــت 22-12-2007

113- مفاتيـــــم بسيطـــــة واختيـــــار الحيـــــاة

(هل ثـَمَّ مذاق للحياة في ذاتها؟) !!

وجدت نفسى دون قصد أتقدم بنصف وعى نحو منطقة طالما تجنبت الاقتراب منها، خوفا من أن أكذب على نفسى أو أن أخدع الناس.

وجدتنى أكاد أفعل ما أنهى عنه معظم مرضاى، والآن، معظم الناس.

وجدتنى أكاد أوصى ببعض ما اكتشفت، فيبدو أنه نصحية سطحية لا يمكن تطبيقها، فهى غير مسئولة، ولا لزوم لها.

ما الحكاية بالضبط، وكيف استدرجتنى مواضيع هذه اليومية مؤخرا إلى مأزقى هذا؟

المأزق

محاط أنا بثلاثة كتب أحضرتها معى، وهى من الكتب التى اكتشفتها وأنا أراجع مكتبتى لأحدد موقفى من المنتدى المطروح إلكترونيا على كل زوار الشبكة العربية للعلوم النفسية، مما سمى مؤخرا **"فكر وأطروحات يحيى الرخاوى"** (شكرا يا د. جمال ترك) "

ماذا أفعل؟ اكتشف عشرات (أخشى أن أقول مئات) الكتب التى قرأتها، وخططتها، وقلبت فى هوامشها بما تيسر، ثم حاليا كدت أنسى مجرد عناوينها، لكننى ما أن أقلب صفحاتها، وأقرأ تعليقاتى على هوامشها، وأسفل الصفحات وأعلاها، حتى أتذكر ليس فقط ما بها، ولكننى أعاود معايشة حالتى أثناء قراءتها.

هذه الكتب الثلاثة هى

1) أنواع العقول لـــ **دانييل دينيت**
2) سبع تجارب قد تغير العالم لـــ **روبرت شلدرايك**
3) اقتناص السعادة لـــ **برتراند رسل**

هذا بالإضافة إلى فيم تلك البدعة الجديدة **"السر"**

حين نشرت يوميتين عن تلك البدعة المسماة **"السر"** وأشرت إلى ما أسميته **"الجواهر الكريهة وسط كومة قشة" يومية 12 - 12-2007**، سألنى الكثيرون عن تلك الجواهر، ولماذا لم أوضحها

بعد أن أصبتهم بخيبة أمل قاسية، واعتبر آخرون أنهم خدعوا فى هذا السر، وأننى أنرتهم، وعلى الجانب الآخر، وصلتنى احتجاجات أن الهجوم على مثل هذه البدعة ثم الإشارة إلى ما أسميته بعض إيجابيات فيها، هو دعاية خفية لها دون أن أدرى. كل ذلك دفعنى أن أحاول أن أقدم وجهة نظرى فى هذه المسألة وغيرها، فوجدت نفسى مضطرا أن أناقش المنهج أولا حيث أن الإشكال لا يقتصر على تناول هذه البدعة التى راجت عند أصحابها أكثر بكثير من فرصتها عندنا.

من أين نبدأ البحث؟

الفكرة الاساسية عندى هى فى البحث الجاد وراء انتشار ظواهر نعتبرها خرافة، أو مستحيلة، أو سطحية، أو سلبية، البحث ليس لمجرد معرفة أسباب انتشارها فيما يشبه التهوين والاتهام، ولكن البحث الجاد فى معناها ووظيفتها وغايتها مما يبرر مثل هذا الانتشار.

المبدأ عندى هو أن تكون بداية **البحث العلمى، والنظر العلمى، والنقد العلمى، هو من واقع الناس لصالح الناس،** حتى لو كان هذا الواقع سلبيا أو معيبا أو خطأ صرفا، لكنه واقعهم فعلا.

البداية من الواقع السلبى قد يسمح لنا أن نفهم أبعاد سلبيته بما يمكن أن يقلبه إيجابيا.

البداية من الواقع الخطأ قد يهدينا أن نجد فى جوف الخطأ ما يصححه، وهكذا.

لايصح أن نبدأ من أذهاننا نحن، وافتراضاتنا نحن، وكتبنا نحن، ولا حتى من إنجازاتنا التكنولوجية والعصرية الرائعة،

البداية من "واقع الناس"، ليست تسليما له،

ولكنها البداية (أرجو أن تستوعب فى هذا السياق ما تعنيه كلمة "البداية"؟ ! شكرا)

علاج القبول والالتزام (العلاج المعرفى)

فى ثالث إنجاز من إنجازات الموجة الثالثة للعلاج المعرفى الأحدث، ظهر مؤخرا علاج اسمه **"علاج القبول والالتزام"**، Acceptance Commitment Therapy وهو ما يقابل بعض ما نمارسه هنا فى مصر فى مدرسة الطب النفسى التطورى مما أسميناه "علاج **المواجهة- المواكبة- المسئولية" "و.و.و."**

معنى القبول هنا هو التأكيد على أن تكون البداية هى **بقبول ما هو موجود،** وليس **بالسعى المتلاحق للتخلص منه (الأعراض اساسا) باعتبار أن التخلص من العرض هو غاية المراد**

فى هذا العلاج نساعد المريض أن يقبل أعراضه الموجودة لننطلق منها إلى ما يمكن، وليس أن يتجنبها ويصر على التخلص منها إلى ضدها مما يتمناه

(تذكر وجه الشبه مع فكرة **"الجذب"** فى السر لما تريده، وليس التركيز على ما تريد تجنبه؟) **"أحجار كريمة وأشياء أخرى وسط كومة قش" يومية 12 -12-2007**

ارتبط هذا الموقف دون قصد مسبق بمواضيع أساسية تناولتها هذه اليومية منذ ظهورها، وأيضا ببعض أساسيات الممارسة الإكلنيكية من منطلق تطورى معرفى، وكذلك ببعض منطلقات فكرى شخصيا ، فحاولت أن أجمع بعضها وأضيف إليها مجرد عناوين، سوف نرجع إلى تفاصيلها فى حينها:

1- مبدأ الـ "هنا والآن" فى ممارسة العلاج الجمعى بوجه خاص
2- مبدأ الهنا والآن (الوجه الإيجابى فى الحياة العامة)
3- بعض تشكيلات علاقة الممكن بالمستحيل **"يومية 16-12-2007 المستحيل والممكن!"** (مثل: ما أسميناه الثروات المجانية)
4- الإيقاع الحيوى الإنسانى فى علاقته بالإيقاع الحيوى الكونى (فى الطبيعة إلى المطلق- نحو وجه الله)
5- حقوق الإنسان الغامضة الأساسية غير المكتوبة (مثل **حق الدعاء**، و**حق الاستجابة**، **وحق العوزان..** حتى **حق الجنون**، وغيرها)

كل (أو أغلب) هذه المنطلقات لا يمكن دراستها دراسة موضوعية (نفعية معا) إلا إذا:

1- بدأنا برصد نسبى لحضورها فى الوعى العام
2- ثم بقبولها من حيث المبدأ
3- ثم بالبحث فى معناها وتجلياتها
4- ثم فى مدى انتشارها
5- ثم فى مغزى ذلك قبل وصمها وشجبها ومحاربتها
6- ثم فى رصد الطبيعة البشرية التى سمحت لها بما أدى إلى ما نبحثه
7- ثم فى وزن سلبياتها فى مقابل إيجابيتها
8- ثم فى إيجاد بديل أكثر إيجابية، إذا ما رجحت سلبياتها على إيجاباتها، أو رجح ضررها على فائدتها ..إلخ

هذا المنهج يقابل عادة بالرفض بشكل حاسم، وكثيرا ما يقابل بالاتهام

لكننى ممارس لمهنة تجعلنى فى مواجهة الناس بما هم "مرضى وأصحاء"، لا بما أتصوره من الينبغيات، ولا بما أرجو لهم أن يكونونه.

أدى بى تبنى هذا المنطلق للنظر فى أغلب الممارسات الشعبية التلقائية عندنا، وما يقابلها من بدع تظهر فى بلاد أكثر تقدما ، ووجدت بعض الإجابات، وعرضت بعض التوصيات.
ثم إنى أتممت الرابعة والسبعين من عمرى، منها نصف قرن وبضعة شهور وأنا طبيب نفسى

اجتمع كل هذا معا، وربما هو الذى أدى بى أن أعثر على بعض المفاتيح البسيطة التى **هدتنى إلى بعض ما لم أتصور أن له**

كل هذه القيمة، فشعرت أن علىّ أن أفصح عنها (**يمكن هى السر بتاعنا احنا**) !!!

حين فوجئت بهذا العبث أو الدجل المسمى "السر"، لمت فيه- مضطرا- بعض ما خبرتُه، برغم أننى استبعدت أن أصحابه يمكنهم أن يعرفوا أى وجه شبه.

هممت أن أصرح بما وجدت، وأنا أتصور أن الدافع الذى دفع برتراند رسل (مع الفارق طبعا) أن يكتب كتابه عن السعادة هو أنه بعد أن بلغ تلك المرحلة من العمر، رأى أن عليه أن يبلغ تجربته إلى الناس حتى لو انتقده أمثالى واتهموه بالتعرض للأمور بهذه البساطة (ولا أقول السطحية).

تردد

برغم كل ذلك ترددت أن أقدم ما وجدت فعلا،

ليس فقط خشية سوء الظن، والاتهام بمساندة الجهل، وإنما أفحمنى سبب آخر يتعلق بأحوالنا البائسة جدا.

بدا لى أننى لو تقدمت بعرض بعض هذه المفاتيح التى وصلت إليها، والتى تبدو مثل النصائح (التى عادة ما أنهى الأهل عن ممارستها مع مرضاهم لثبوت فشلها، سوف أقع فى مظنة الاستهانة بآلام الناس، وما يعيشونه من حرمان وقهر وظلم وإذلال، إذ كيف أتكلم عن فرحة محتملة، ورضا قريب، وامتلاء ممكن، ونوم طيب، وإبداع فى المتناول والناس لا تجد رغيف عيش (حاف) لأطفالهم الذين لا يستطيعون حتى النوم من فرط قرص الجوع إلا إذا أعانهم البكاء على ذلك؟

حتى لو استعبطت وقلت إن هذه الفئة لا تقع فى دائرة من أحاول أن أوصل لهم كلمتى، فهذه مقولة خادعة لا تمثل الحقيقة، لأن الكلمات التى تحمل رسالة ما، تصل من خلال أى من كان إلى أصحابها، سواء قرأوها أم لم يقرأوها.

مسئولية الكلمة، تلزم أى صاحب كلمة، أن ينتبه إلى مسارها ونتائجها على الجميع وليس فقط على من يقرأها.

إذن ماذا؟

إذا أنا عثرت على مفتاح بسيط **"مجانا"** يمكن أن يجعل لحياتى معنى، فجربته، فغيّرها، فاختبرتُ التغيير، فوجدته إيجابيا، فحاولت أن أنقل ذلك لمن أحبهم، ولمن لا أحبهم، ماذا ستكون النتائج؟ تصورت بعض المواقف التى سأقابل بها على الوجه الذى جعلنى أصنف المتلقين باعتبار أنهم:

1- لن يصدقونى
2- أو سوف سيسخرون منى
3- أو سوف يشفقون علي
4- أو سوف يتهمونى أننى فى برجى العاجى، فرح بمنتداى الذى زرعنى فيه عم جمال ترك، لا أشعر بآلام الناس، ولا أقدر مشاكلهم الحقيقية.

5- أو سوف يصنفونى أننى لا أفهم مغزى الجارى، لا حقيقة المؤامرات، ولا الصراع المحلى والعالمى، ولا مؤامرات الشركات إياها، وأننى لا أقدر مدى ما آلت إليه مسائل تلوث البيئة، والتطهير العرقى، ومافيا الحكام وحواريهم ومسيريهم، والدماء السائلة بسبب الحروب المجنونة والعصبية الغبية..إلخ

إحنا فْ "زفت..."، ولا فْ شم ورد"

تحضرنى، احتراما لأغلب هذه الأحكام التى أهمها نسيان آلام الناس أقوال وأمثال شعبية هى من أكثر ما يحول بينى وبين أن أتكلم عن ما وصلنى من خبرتى فيما أسميته **"المفاتيح البسيطة"** التى قد تؤدى إلى نتائج رائعة تبدو مستحيلة.

من هذه الأقوال التساؤل الشعبى الرائع: **إحنا ف إيه ولاّ ف إيه؟** والاحتجاج الشعبى الدال **"خلّ الهم لاصحابه"**، ثم المثل الأكثر انطباقا والذى اضطررت أن أغير كلمة فيه وهو يقول متسائلا: **"إحنا فى "زفت..."، ولا ف شم ورد"** (المثل الأصلى يستعمل كلمة أقبح لها رائحة).

يصلنى كل ذلك فأعدل، وأتراجع، وأسكت خيانة:

ثم أجد أننى بذلك أكاد أخون الناس وأتمتع من ورائهم ببعض المتع باستعمال هذه المفاتيح سرا لنفسى دونهم، بل إننى أتصور أنهم أولى وأقدر على استعمالها، وأنهم لو صدقونى لفعلوها أجمل وأكثر جدوى، ربما يستطيع الاستفادة منها بشكل أفضل من هو أصغر وأقل حرمانا سابقا.

الذى جعلنى أنتبه لهذا الموقف الصعب هو أننى تصورت أن هذا الذى عثرت عليه قبل أن أسمع عن حكاية "السر" هذه هو ما وراء انتشار هذه الظاهرة الجديدة ، حتى لو لم يدرك ذلك أصحاب اللعبة، دع جانبا الحديث عن آلاف أو ملايين الدولارات، أو ذلك الذى أصبح فجأة معشوق النساء لانه استعمل قانون الجذب "توموتيكى". انتبهت لوجه الشبه بين مفاتيحى وبين ما وراء انتشار السر مما لا يعرفه غالبا مندوبو مبيعاته.

حين وصلت إلى هذه المرحلة من التداعى، قفزت إلى ذهنى كلمة "السعادة" التى استعملها برتراند رسل، وهى ما جعلتنى أتحفظ على كتابه (تحديدا تحفظت على "عنوان كتابه وليس على كتابه)، فوجدت أن الذى عثرت عليه هو شىء آخر غير السعادة، شىء أقرب إلى "طعم الحياة".

ياه !! هل للحياة طعم ؟ مذاق؟
وهل يمكن أن نستشعره بإحساس حقيقى
وما علاقة الحياة بما هو سعادة؟
وأين يقع الألم من ذلك؟
والحب؟
وغير ذلك.
اختيار الحياة، والوعى بذلك

السؤال الذى لا يطرحه أحد على نفسه (غالبا) هو هو السؤال الذى يُطرح على أى حى من الأحياء: **أن يعيش أو لا يعيش.**

الفرق بيننا وبين من قبلنا من أحياء (وسنرجع إلى ذلك عند مناقشة كتاب أنواع العقول (دانييل دينيت)، **هو أننا يمكنا الوعى بهذا السؤال أحيانا**

هل هو هو نفس السؤال الذى شاع من خلال حدس شكسبير على لسان "هاملت"؟

(لا أظن، وسوف نناقش الفرق بين توجد، وأن تتفرد، وأن تعى الحياة فى ذاتها)

الاختيارات الضمنية (بإرادة ظاهرة أو خفية) التى تطرح على الكائن البشرى تباعا قد تتسلسل على الوجه التالى:

- **أن تختار أن تحيا،**

هذه قضية بقائية تتم تلقائيا بقوانين التلاؤم والبقاء وتاريخ الحياة والأحياء قبل مرحلة مواجهة السؤال (ولا أقول طرحُهُ على سائر الأحياء، لأن هذا السؤال لا يُطرح إلا على وعى وعقل).

- **أن تختار أن تحيا بشرا**

هذه قضية أخرى لاحقة إذا كنت نجحت أن تختار أن تحيا

- **أن تختار أن تحيا بشرا "لتصير (إلى ما لا تعرف)**

هذا الاختيار كامن فى وعى الكائن البشرى، وهو نابع من الوعى الباطنى بتاريخ التطور الذى مازال يحمله ويمثله، لذلك فهو محاط بأكبر قدر من الغموض)

إشكالة الوعى البشرى:

على الرغم من أن الكائن البشرى قد تميز باكتساب الوعى، ثم الوعى بالوعى، إلا أن استعمالات ومستويات هذا الوعى ليست دائما جاهزة، ولا متساوية عند مختلف البشر، ونحن لا نعلم متى تكون مفيدة، ومتى تكون عكس ذلك، **ومن بعض ذلك:**

- **أنه يعى بعض هذه التساؤلات السابقة ، ولا يعى البعض الآخر (أن تحيا- أن تكون بشرا- أن تصير)**
- **أنه يُحل بعض التساؤلات الأولية محل التى تليها، فهو قد يحل اختيار الحياة بشرا، مع أنه لم يختر أن يحيا أصلا**

وهو لا يكون بشرا لأنه ينطق، أو يبتسم، أو يفكر، **ولكن لأنه يستطيع أن يعيش فى جدل مع وعى بشرى آخر يحاول نفس المحاولة،**

(وهذا هو ما يسمى الحب أحيانا)

▪ **أن تحل أسئلة لاحقة محل هذه الأسئلة الأولية ، مثل أن يحل سؤال "لماذا نحيا" محل سؤال "هل أحيا أم لا "**

▪ **أن تحل أسئلة فردية ذاتية محل أسئلة نوعية (تتعلق بالنوع)** مثل الحكاية الشائعة جدا عن إشكالة **"تحقيق الذات"** فردا مستقلا متميزا، فهذه الإشكالة حين تتصدر أولويات التساؤل بديلا عن، او أهم من التحقق من أننا نعيش أصلا تصبح معطلة بشكل ما، والأرجح أن هذا هو ما دعانى للتمييز بين مسألة **"أكون أو لا أكون"، وبين "اختيار الحياة".**

سعادة الحيوان وقانون الجذب

حين نكتشف أن التحدى الأول هو "أن أحيا أو لا أحيا" (وليس أن أكون أو لا أكون) ، ونحن – للأسف وللفخر معا – نتمتع بهذه المصيبة الرائعة التى اسمها الوعى، يصبح علينا أن نتعرف على **المقومات الأساسية التى تثبت لى أن هذا الاستمرار الذى أنا فيه هو "الحياة،**

هذه المراجعة غير مطروحة على سائر الأحياء،

وربما هذا هو ما دعى برتراند رسل على غلاف كتابه يتغزل فى سعادة الحيوان، وأيضا جعله يستهشد بشعر وايتمان فى مقدمة كتابه "اقتناص السعادة".

الفرض:

الفرض الذى جاءنى لأفسر به جزئيا قانون الجذب law of attractionالذى وراء "بدعة السر" هو أن **هذا القانون:**

· **يمكن أن ينمى هذه العلاقة الأساسية بين الإنسان والحياة** (كونه حيا)

· **وهو يمكن أن يوثق التناغم بين إيقاع الأحياء (الإنسان هنا بوجه خاص) وإيقاع الكون (الإيقاع الحيوى)**

(وربما هذا ما ترجمتْهُ معظم الأديان بكفاءة رائعة وأدى إلى كل الإيجابيات التى حافظت على استمرارها، قبل أن تتشوه الأديان).

توقف وتذكرة:

سوف أتوقف فى هذه المرحلة ، لأنى أشعر أنه لا بد من استيعاب هذه المقدمة قبل أية تطبيقات، لكن علينا أن نقدم مزيدا من نقد أساسيات هذه البدعة، حتى نطمئن ونحن نبحث فيما وراءها، ومن ذلك (حتى لو كان فيه بعض التكرار):

▪ **ليست المسألة مسألة تفكير يتحكم فى الكون،**

وإنما هى وعى يتصل به، وعى بشرى يتناغم مع وعى الكون إلى المطلق (إلى وجه الله بلا نهاية) عابرا محيط الغيب بلاحدود أو غاية معروفة مسبقا، دون إلزام بالوعى بالوعى، ولكن مع إمكانية ذلك)

▪ **ليست المسألة فى تحديد مطلب بذاته للحصول على مكسب بذاته** (أربعمائة ألف دولار أو مليون)

وإنما هى فى إمكانية تحقيق ما تريد، بدون هذا المبلغ بالذات إذا تم التناغم مع الكون

بهذا الوعى الإيجابى المشارك (الملزم من الفرد إلى الكون فوجه الله – حق الدعاء فى الإسلام، لو أقسم على الله لأبره)

فى مقابل الوعى الكونى الإيجابى (أو السلبى) الملزم من الكون إلى الإنسان (القدر).

▪ **ليست المسألة فى تركيز على المطلب بنعومة سلبية، أو حتى بجذب مشتاق، وتفكير مركز**

وإنما هى تذكرة ضمنية بإهمال استعمال قنوات التواصل مع الكون حتى انغلقت

(المفروض أن هذا هو ما تحققه العبادات، والإبداعات، والحركة الإيجابية مع الناس إليه، والحب تحت مظلته "فى" و "على" و"إليه")

▪ **ليست المسألة فى إمكانية الحصول على مكسب آجل يأتى من خلال التركيز**

وإنما هى إشارة ضمنية – قد لا يعرفها المروجون للبدعة- إلى أن **ما تريده قد يكون تحت قدميك الآن**، لكنك تصر أن تواصل البحث عنه بعيدا بعيدا (فى الزمان والمكان) أبعد من أى احتمال واقعى، وأنت تدوسه بقدميك ، ولا تحصل على شىء بتطلعك للمابعد.

▪ **ليست المسألة فى أحادية التوجه من الكون إليك، أو من الله سبحانه إليك**

وإنما هى فى العلاقة **ذهابا وإيابا** باستمرا

(رضى الله عنهم فرضوا عنه،

أنا عند حسن ظن عبدى بى

لو أقسم على الله لأبره، ..إلخ)

وحتى نلتقى غدا أعدكم أن أحاول عرض مزيد من تداعيات هذا الفرض وما أثاره

خاصة حول

تعميق معنى اختيار الحياة،

وهل ثم تعارض بين اختيار الحياة واختيارالحب، (موقف غرينوى فى عطر سوزكند)

وما مدى إلزام هيراركية الاختيار؟

وهل ثم اختيار للموت؟

وما علاقة ذلك باختيار الحياة؟

وهل لكل ذلك دور فى التطبيب النفسى؟
وغير ذلك مما لا أدرى.
ربنا يقدرنا،
ويصبركم
آمين.
(سيحدث،
بل حدث!
هأنذا أمارس يقين الحق فى الدعاء!!!!!)

نؤجل البحث فى الانتحار الجماعى لبعض الأحياء، وأيضا فى معنى انقراض 99،9% من الأحياء، هل هم اختاروا الانتحار أو الانقراض؟

الأحـــــــــد 23-12-2007

114- حزمـــــــة من مفاتيـــــم السـر "الآخـــــــر"

اعتذار:

.... حين راجعت يومية أمس وجدتها مجرد مقدمة طويلة، مليئة بالاستطرادات والوعود، دون أن تحدد أى شىء واقعى بسيط يمكن أن يُترجم إلى سلوك واعد قابل للممارسة أو على الأقل للاختبار، مع أن عنوانها كان: **المفاتيح البسيطة واختيار الحياة** .

§ ذكرت ما اصطحبته من كتب معى فى إجازة عيد الأضحى بنية تناول تكملة ما بدأت فى الأسابيع الأخيرة (دون أن أشير إلى محتواها وعلاقتها بما أريد كتابته)

§ ثم أشرت إلى التوصية بالحرص على توجّه المنهج العلمى: **من واقع الناس إلى نفع الناس**، وليس من واقع الكتب إلى مصلحة رأس المال

§ ثم عرجت إلى **عناصر** ما سوف أقدمه

§ ثم نبهت إلى علاقة كل هذا **بنقد البدعة الجديدة باسم "السر"**، دون أن أشير بدرجة كافية ولا إلى مفتاح واحد من المفاتيح التى عثرت عليها شخصيا، بالرغم من أن أيا منها قد أتاح لى ما هو أثمن من المكاسب التى يعد بها "السر"، مع اعترافى أن نظرى فى خلفية هذه البدعة المسماة بالسر هو الذى ذكرنى بكنوزى تلك، ولابد من الاعتراف بفضل ما وصلنى من هذه البدعة برغم كل سذاجتها وسطحيتها، **وبرغم أن ما وصلنى من إيجابيات، قد لا يكون أصلا فى بؤرة اهتمام أصحاب البدعة**

هذا ما كان أمس مما يستدعى اعتذارى، وهأنذا أحاول تصحيح بعض ذلك.

لستُ أقل كرما

فى مقدمة كتاب وفيلم **"السر"** أكد المؤلف أن عظماء العالم قد حققوا ما حققوا لأنهم عرفوا السر، وأنهم لم يقولوه لأحد (إخص عليهم!!!)، وأنه (صاحب سر السر) حين حصل عليه، وبحث عن الذين حصلوا عليه، وجدهم بلا حصر، فقرر بكل كرم، أن يمنحنه لنا بالمجان.

قلت لنفسى هل أنا أقل كرما منه؟ لقد عثرت على مفاتيح كثيرة، **لا من عظماء العالم، ولكن من مرضاى، وآلامى، ووحدتى، ومحاولاتى التى لا تتوقف**، مفاتيح تساعدنى أحيانا – إذا أنا أحسنت التعامل معها ففتحتُ– **تساعدنى أن أعيش بشرا**، وهذا مكسب عندى أثمن من كل ما عرضه علينا صاحب "السر"، **هى تساعدنى كثيرا، وتتخلى عنى أحيانا**، فترددت، لكننى عدت أقول: أنا لست مقياسا، ولن أكون أقل كرما منه، وسوف أقدم ما تيسر لدى الآن من "أسماء بعض هذه المفاتيح" دون تفصيل، حتى إذا وصلنى قدر كاف من الطلبات من مجموعات من زوار الموقع، فقد ألتزم أن أقدمها (المفاتيح) واحدا واحدا وبحذر شديد، خشية سوء الاستعمال.

ولكن تعالوا أولا نعيد الاستماع إلى كرم!!! صاحب "السر" فى بضعة سطور لنتذكر،

قال حفظه الله، وغفر له، وجزاه حسب نيته:

..... لم أكد أصدق عدد الذين كانوا يعلمون ذلك، كانوا أعظم شخصيات التاريخ، لماذا لا يعلَمُ ذلك أحدٌ؟ **كل ما أردته هو مشاطرة هذا السر مع العالم،**

بدأت أبحث عن أشخاص أحياء اليوم، ممن يعلم ذلك السر ، واحداً تلو الآخر، بدأوا يظهرون، وهذا السر يعطيك كل ما تريد:

السعادة والصحة والغنى، يمكنك الحصول أو فعل أو أن تصير أي شيء تريده:

يمكننا أن نحصل على أي شيء نختاره لا يهمني مهما كان كبيرا

ماذا تريد حقا؟

لقد رأيت معجزات كثيرة تحصل في حياة الناس،

معجزات مالية معجزات الشفاء الجسدي، الشفاء النفساني ...إلخ

الله به علىّ بمفاتيحى المتواضعة، وقررت ألا أقل عنه كرما.

المشترك بين مفاتيحى، وما أذيع من أسرار "السر"

أن ممارسة ما أوصى به صاحب السر، تشترك مع توصياتى العامة لاستعمال مفاتيحى فى ضرورة ما يلى:

1. أن تثق فى **الأداة والطريقة** جدا، حتى لو لم تفتح هذه المرة فهى ستفتح فى مرة قادمة
2. أن تعرف أنك – وليس غيرك – (بشرا آخر أو كوْنا أو قدرا)، أنك صاحب الحق فى المبادأة باستعمالها دون استجداء أو إذن أحد.
3. ألا تتعجل نتائجها فهى ستأتى مهما تأخرت.
4. أن تثق فى الحق سبحانه وتعالى (هو يسميه الكوْن، هو حر) وأنه وعدك بالاستجابة، فمن حقك الدعاء واثقا من

الاستجابة، بل من حقك أن تقسم عليه حتى لو كنت أشعث أغبر (لو اقسم على الله لأبره)

5. أن تعرف أن علاقتك بالحق سبحانه (الكون كما يسميه) هي علاقة **"ذهاب وجيئة، ورضى متبادل، وعشم لا ينقطع** (أنا عند حسن ظن عبدى بى، رضى الله عنهم فرضوا عنه).

وبعـــد

ربما تكون هذه النقط المشتركة هى ما تصورت أنها "من بين الجواهر الكريمة الملقاة بالصدفة داخل كومة القش، إنها:

حفز المبادأة، و رفض الاستجداء، و يقين الاستجابة، و احتمالات التناغم مع الكون.

نقط الخلاف، وميزات مفاتيحنا

أما نقط الخلاف فهى بلا حصر، وقد ذكرت بعضها فى يومية أمس وأكرر وأضيف ما يلى، كما أشير إلى بعض ما تتميز به هذه المفاتيح الجديدة:

1) هذه المفاتيح التى عثرت عليها وأقدمها لكم اليوم **لا تفتح خزائن نقود، ولا تعطى قروضا ميسرة، ولا تعد بعربة BMW** ولا بالحسناء التى هى، وإنما **هى تعد بأن تحقق لك (تـريك) ما هو أنت ونسيتَ أن تكونه**

2) **هذه المفاتيح** لا تستعمل بالتركيز والتفكير باعتبار أن افكارك هى التى تسير الكون، (كما يقول صاحبِ السر) لكنها **تقوم بتحريك تاريخ الحياة بداخلك لتـنَشـط كل** (أو أغلب) **ملكاتك التى حافظتْ على بقاء أجدادك، ولكنها ضمرت عندك**

3) إن السبيل الصحيح إلى الإفادة منها هو **استعمال كل أدواتك المعرفية وليس فقط التفكير والتمنى جدا**

4) **الثروة الحقيقية** التى تحصل عليها من حسن استعمال هذه المفاتيح **ليست موجودة فى المستقبل**، وإنما هى إعادة **اكتشاف ما هو تحت قدميك الآن، ما هو أنت فعلا.**

5) **إنها تعطي الفرصة لإحياء ما** ضَمُرَ منك من **قدرات الحياة وإمكاناتها** بعد أن حسبت أنك استغنيت عنه **بما لم يحقق لك ما أنت تستأهله بشرا.**

6) ثم هى تعلمك **المعنى الإيجابى لما هو "هنا والآن" إنسانا يحيا كما خلقه الله!**

تحذير

إن هذه الهدية (حزمة المفاتيح)، التى أعلن عنها اضطرارا الآن، لضرورة مواجهة هذا العبث التجارى والتخديرى (السر)، **لا تلغى مسئوليتك عن المشاركة الفعلية الواقعية فى محاربة الظلم (فى كل مكان)، وطرد المستعمر، وإرساء العدل، واحترام من ليس عنده أدنى فرصة لاستعمال أى منها، لظروف انت تعرفها.**

أنت لا تكون إنسانا حين تعرف الطريق للوعى بشرف وفرحة وإمكانيات كونك بشرا، لتتغزل فى قدرتك أنك تحقق إنسانتيك، وإنما أنت تحققها لتكمل **"حقل الحياة"** البشرية الذى أنت لست إلا وحدة من وحداته

هذه المفاتيح تنبهك وأنت تستعملها لتعميق كونك بشرا، تنبهك فى نفس الوقت أن معركتك مستمرة مع قسوة ظروف الحياة، فهى **ليست بديلا عن أن تحيا وأنت فى وسط هذه المعركة، وقبلها وبعدها.**

أحيانا وأنا أشاهد كل هذه الدماء والأشلاء فى وسائل الإعلام أكاد أخجل أننى ما زلت حيا، أكاد أنكر على نفسى حق الحياة (التى أدعو الآن لاستعمال معظم هذه المفاتيح للحفاظ على هذا الحق والوعى به وتنميته)، ثم أفيق لأسأل: **هل هذا الإنكار سيفيد هؤلاء الضحايا العزّل، أو هل هو سيحيى الموتى، أو سيمنع نطرار الظلم، أم أن مواصلة الحياة إيجابيا هى الذى قد تصنع شيئا، فأواصل السعى والتأكيد على إنسانيتى منطلقا بأقصى ما عندى إليهم دون أن أنسى.**

كلمة المرور Password

حتى تحسن استعمال هذه المفاتيح لا بد أن تمتلك **"كلمات للمرور"** إليها، وليس كلمة واحدة، وهى:

أولا:

أن تصدق **أنها مفاتيح متاحة لأى كائن بشرى** دون مقابل، **بمجرد أنه بشر.**

ثانيا:

إن أى مفتاح منها هو: **مضمون النتيجة، (أكثر من سر السر) برغم أنه يبدو مثاليا**، كما أنه فى نفس الوقت يبدو **مستحيلا أيضا.** وهذا يجعلك أكثر ثقة بقيمته،: **أنت تبدأ باعتباره مستحيلا ثم تكتشف أنه ممكن فعلا، وانت وشطارتك،** هذا كل ما فى الأمر

ثالثا:

إنها مفاتيح حقيقية لكننا لا نستعملها فى وقتها، ولا فى موضعها لأننا أهملنا استعمالها. وهى أحيانا – لذلك- "تعصلج" **وعليك أن تواصل المحاولة، واثقا مهما داعبتك!**

رابعا:

إن روعة عطائها تكمن فى أنها **صالحة للاستعمال طول الوقت، لكنها تحتاج إلى ثقة من يستعملها.**

ملاحظة:

لقد تجنبت – ما أمكن ذلك- استعمال لغة دينية مباشرة (مع أن دينى يسمح بذلك فى كثير من توصياته وعطايه، تجنبت

هذه اللغة الدينية خشية أن ترجم هذه إلى ما لم أقصد، علما بأن كل الأديان التى لم تشوه قد اهتدت لمثلها وأعظم منها، لكن هذا لا يمنع أى قارئ أن يقوم بمهمة الترجمة كما شاء إلى منظومته الدينية، فيمكنك أنت تقوم بهذه المهمة إن شئت، تقوم بها شخصيا وليس باستفتاء أحد، على مسئوليتك.

اعتراف:

أقر وأعترف أننى لست المثل أو القدوة الذى يمكن أن يجزم بنجاحه فى استعمال أغلب هذه المفاتيح، مع أننى حاولتها جميعا، ونفعت معى جميعها ولو مرة واحدة، كما أنها كانت تنفعنى كثيرا جدا، فى أوقات لا أعتقد فيها أننى حذقت التعامل معها، بل إنها كانت أحيانا تفتح وحدها بمجرد أن تلوح داخلى نية استعمالها، وكأنها تعمل بالتحكم عن بعد remote control ، كما أننى كثيرا ما نسيت كلمة (كلمات المرور) إليها، ومع ذلك كانت تفتح.

أمل:

ليس معنى أننى وقد عثرت على هذه المفاتيح (مثلما عثر عليها غيرى غالبا) ، ليس معنى أننى قد أعجز أحيانا (أو غالبا) عن أن أستعملها، أن تتنازل أنت عن حقك فيها، أو تعتبرها مسائل نظرية لا نفع منها

عليك أن تجرب بنفسك المرة تلو الأخرى، فأنا واثق من فاعليتها تماما (إشعنى بتوع "السر")

أقول لك أنه بالرغم من فشلى هذا أحيانا، **فأنا واثق منك مجد**

بل إن نجاحك هو الذى يمكن أن يحفزنى ألا أتوقف أبدا عن حقى فى امتلاكها، واستمرار محاولة استعمالها، ثقة بالحق سبحانه وتعالى.

حزمة من مفاتيح "السر" الآخر (ليست كلها)

1- أن "**تأخذ خبرا أنك تحيا هذه اللحظة**" (أى والله، هل عندك شك؟) **ألف مبروك.**

2- أن **تختارها** (الحياة/اللحظة) ، **مادام الأمر كذلك.**

3- أن تنتمى إليها بحقها **من خلال ما يحدث فيها وما تملأها به، لا من خلال ما سمعت عنها**، أو ما **تنتظره منها.**

4- أن تنتمى إلى **دوائر الناس حولك، لتمتد فى الطبيعة تحيطك**، (**حقول الحياة** معا: هل نحن أقل من النمل الأبيض؟)

5- أن تثق بترابط **حقول الحياة هذه معا متوجهة إلى ما يربطها محوريا**، (إلى وجه الحق سبحانه، بلا تحديد، ولا حدود ولا نهاية) أنت تملك الوعى، وهذا أفضل، وأصعب.

6- أن تؤجل الفناء (**الموت العدمى**- لا الموت الولادة) حتى يحدث (ما رأيك؟)

7- أن ترى (تسمع- تدرك ..إلخ) مجدَّدا باستمرار كل ما يصل إليك **من الحواس، وعبرها.** (**حق الدهشة**)

8- أن تعرف أكثر لتفرح وتتسع، وليس فقط لتكرر ما عرفت متباهيا.

9- أن **تواصل المعرفة لتتزايد الفرحة ويتناغم الامتلاء .**

10 - أن "تعرف" أكثر وأنت ""تؤدى" "تعمل"، وليس فقط وأنت تحصّل (تسمع، تقرأ)

11- أن **تُحِب** (بكسر الحاء) **دون استئذان من تحب** (ودون أن تخبره أحيانا)

12- أن **تفهم اختلافك مع من هو ليس مثلك، وتحافظ على المسافة المتغيرة** أبدا، **دون** أن **تدعى التسامح**

13- أن تحسن استقبال حب من حولك لك (**"هو انت طايل"!!؟**)

14- أن تتحمل **الاستمرار** معه برغم **مشقة العلاقة**

15- أن **تصالح جسدك** (تتعرف عليه **بالحركة** و **بالرقص** و **بالعبادة**، و **بالجنس**)

16- أن تمتلك مؤقتا ، ما لا تملك (يعنى تقرر أن ما تحب وفى متناولك مؤقتا **هو ملكك الآن** دون أن يكتب باسمك فى الشهر العقارى !: انتظر التفاصيل)

17- أن **تتمتع بما تفعل قبل ظهور نتيجته** (وبعد ظهورها، حتى لو لم تكن هى)

18- أن **تفرح لفرحة من لا تعرف**

19- أن **تتحمل مسئولية من لا تعرف** (دون منّ أو شكوى أو تضحية)

20- أن **تصاحب أحلامك** (**دون** لزوم **أن تحكيها** أو **تتذكرها** أو **تفسرها**)

21- أن تحترم الألم، وتستوعبه، ليخف ويدفع، إلى المطلق، إلى وجه الحق تعالى

22- أن **تحاور الطبيعة** بكل حواسك (وغير حواسك) **"ببطء ما أمكن"**

23- أن **تفعل** أحيانا، وكثيرا، **ما لا تفهم، لأنك تثق فيه،** أو لأنك **خبرت نتيجته.**

24- ألا **تنتظر مقابل ما تعطى،** (لأنك استلمته بفرحة العطاء).

25- أن **تتألم إذا آلمت غيرك** أكثر مما **لحقه هو من ألم بسببك.**

26- أن تتعلم من الخطأ، لا بتراجعك عنه، فقد حدث والذى كان قد كان، وإنما **بأن تتغير إلى ما يتجاوزه،** فيستحيل تكراره.

27- أن **تثق بالعدل سبحانه،** حتى لو لم يتحقق عدل البشر، ورحمته عدل آخر.

28- أن تعرف **كيف تنتقل وأنت فى مكانك**، وكيف **تسكن إلى نفسك وأنت تتنقّل**

29- أن **تمتلئ بما يملأ، وبما لا يملأ**

30- أن تحصل على **أدوات القوة، لا لتزداد قوة**، لكن **لتزداد حرية**، (ليس على حساب غيرك)

31- ألا **تعلق وجودك على وجود غيرك، ولا تربط وجود غيرك بوجودك**، فتظلا معا باختيار ما، أو **تفترقان، فلا تفترقان.**

32- أن **تواصل الحياة** (بما سبق وغيره) **طالما أنت ما زلت حيا**

33- أن **ترحب بالموت** لكن **لا تطلبه**

34- أن يكون موتك بداية، فتكون حياتك بلا نهاية.

35- أن تمتد فى غيرك حيا وميتا

36- أن تصدق أن كل ما سبق هو فعلا **شديد البساطة، وممكن، ومتاح مجانيا**

37- أن تكتشف أن **كل ما سبق هو مستحيل ولكن ... لا يوجد مستحيل**

38- أن تعرف أن الحياة هى الحركة بين 36 & 37 **لتحقق الممكن من المستحيل**

39- أن **تدعو لى**، وأنت على يقين من الاستجابة

40- أن تقبل دعوتى **أن يكون فى تصديقك ونجاحك فى الحصول على ما وعدتك به عونا لى أن أصدق نفسى.**

وبعد

إنك حين تستعمل هذه المفاتيح بيقين الواثق، دون أن تنسيك همومك وهموم الناس، ولا صعوباتك وصعوبات الحياة، **سوف تفرح أنك وجدت إنسانا-هو أنت-** له هذا الوعى الذى أوصلك إلى كل هذه المكاسب فعلا،

بمجرد أنك انتبهت إلى ما هو أنت وما عندك الآن، دون انتظار، أو تأجي

الإثنيـــــــن 24-12-2007

115- تهميـــــش "الجســـــد" علـــــى الناحيتيـــــن

فى يومية أمس، ومن بين الأربعين مفتاحا التى قدمتهم لفتح الأبواب إلى **السر الآخر** تصورت أن أحد من انبهر ببدعة **السر الأول (بتاع المليون دولار) وقانون الجذب،** سوف ينتظر منى أن أقدم تعريفا لكل مفتاح على الأقل، ومعه دليل الاستعمال، طبعا لن أفعل، ولا أنا أستطيع، ولا أنتم ترضون، إن كل ما يمكن تقديمه، ما دام السر الخاص بنا هو أن نعرف كيف "نعيش بشرا"، هو محاولة أن نحسن التعرف على ماهية البشر، وكيف ننمى ما هو "بشر فينا" كما خلقنا الله.

ومن هنا يلزم توضيح ماهية هذا **السر الآخر ونحن نعد من يحسن استعمال المفاتيح إليه أنه سيجد به ضالته.**

المفروض أن هذه المفاتيح تفتح الأبواب إلى حقيقة إمكانية أى إنسان أن يكون كذلك **(إنسانا كما خلقه الله)**

يعنى ماذا؟

يعنى:

"أنت تستطيع أن تعيش بشرا،
أن تقرر أن تحيا إنسانا بعمق هذه اللحظة المتكررة
(هنا والآن- لا يوجد غيرها).
بشرا جميلا رائعا كما خلقك الله.
برغم كل ما يجرى فيك وحولك،
وبرغم كل ما تتصوره عنك وعنهم،
دون أن تتخلى عن مسئوليتك، أو تنسى الناس، أو مصيبتك،
ودون أن تلغى ألمك
أو تتنكر لفرحتك
هيا الآن"

لكن لا يتوقع أحد- مثلما يجرى فى ما يسمى التنمية البشرية، أو مثل تعليمات قانون الجذب فى بدعة السر الأول- لا يتوقع أحد أننا سوف نقدم تعليمات محددة تجعلك تمتلك هذا الكنز الثمين بمجرد أن تؤديها

كل ما أستطيع أن أقدمه شخصيا هو أن أجمع من أوراقى وخبرتى ما أنار لى طريقى حتى عثرت على بعض هذه المفاتيح، حتى دون أن أبحث عنها بقصد مسبق.

إذا كنت لن أقدم تعليمات، فماذا سوف أقدم؟

سوف أحاول أن أشير إلى ما أتصور أنه ينقصنا معرفته عن طبيعتنا البشرية بالنسبة لك، مجرد إشارة إلى أى مفتاح ما أمكن ذلك، حتى يجد كل واحد الطريق إلى مفتاحه الخاص فى هذه المسألة أو تلك، لا أكثر ولا أقل.

وهنا يجدر بى أن أشير إلى آخر الفقرة التى قدمت بها يومية أمس، وهى كيف أنى اكتشفت أن بعض هذه المفاتيح قد تعمل تلقائيا بنداءات التحكم عن بعد، حتى من داخلنا.

حديثنا اليوم عن **المفتاح رقم 15** الذى يقول:

"أن **تصالح جسدك** (تتعرف عليه **بالحركة**، و **بالرقص**، و **بالعبادة**، و **بالجنس**)

فما هو السبيل أن يتصالح الواحد منا على جسده؟

ولكن هل نحن نعيش فى مجتمع يعترف بما هو "جسد" أصلا بالطول أو بالعرض، فى التربية أو فى البحث العلمى أو فى ممارسة الدين أو فى الإبداع؟

ابتداء ننصح بالرجوع إلى اليومية بتاريخ **2007-11-6** " **عن الفطرة والجسد** "

المعرفة والجسد

ومن أوائل ما يمكن أن نتعرف به على أجسادنا هو أن نتعرف على دوره فى كل من حركية المعرفة، والحوار فى الجنس

فى المعرفة علينا أن نتذكر أن الجسد ليس قفازا يلبسه العقل

كما أنه بالنسبة للجنس فإن الجسد ليس أداة لخفض التوتر أو توفير اللذة

وسوف نقصر حديثنا على النقطة الأولى فى هذه اليومية. (ويمكن الاطلاع على النقطة الثانية من حيث المبدأ فى الموقع **"الوظيفة الجنسية من التكاثر إلى التواصل"**

تهميش الجسد من الفريقين على طرق النزاع

إن نظرة متأنية لمنهج وأدوات التفكير عند كل من الذهنيين (يسمون أحيانا المثقفون أو العلميون المؤسسون أو العلماء) والإسلاميين التقليديين (أو السلفيين الرسميين أو غير الرسميين من المتدينين عامة) قد يكتشف وجه الشبه أكثر من أوجه الاختلاف

كلا الفريقين أعطى الفكر والتفكير الذهنى أولوية مطلقة، وكلاهما أهمل أدوات التفكير الأخرى إهمالا بالغا، **وبالذات أهمل الجسد باعتبارة أداة معرفة بالغة الأهمية، وأيضا أداة كشف وإبداع.**

أنا أعترف باحتمال وقع المفاجأة عند الجميع بعد أن غُيِّبَ الجسد واستبعد عند أغلب ناسنا، وليس فقط عند هذين الفريقين، بل إنه يخيل إلى أحيانا أن حضور الجسد فى مجال المعرفة -مثلما هو فى سائر مجالات الحياة- أصبح من المحظورات عند أغلبنا.

أكاد أرصد أن الخلاف بين الفريقين ليس:

- فى النظر إلى نوعية الوجود الإنسانى ولا فى طبيعة الانتماء للحياة،
- ولا هو فى فرص إطلاق قدرات الإبداع المحدودة والمختنقة عندنا جميعا
- كما أنه ليس فى فرص تحريك مسار التطور أو فتح باب الاجتهاد،

ذلك أن الفريق الأول سرعان ما يجد نفسه حبيس إحدى المنظومات الأيديولوجية المحكمة (وأشهرها 'أيديولوجية' ما يسمى العلم)

أما الفريق الثانى فهو قابع فى هناء فوقى داخل نصوص تفسرها نصوص من داخل النصوص دون حركية الزمن ولا مواكبة الوعى، وهو يعتمد فى تفسيره على ترجمة معجمية للألفاظ التى ترده، ناسيا أن المعاجم ليست إلا تسجيل مرحلة تاريخية لتطور لغة ما، فى حين أن الدين والإيمان هو كيان متجدد يتطور بتطورالإنسان فى علاقته مع الكون إلى ربه.

يترتب على هذا وذاك أن كليهما يضطر أن يحكم على من يخالف منهجه بالنفى والشجب الذهني، حتى لو تشابها فى الطريقة والنتيجة:

الإسلامى يقول عن خصمه: علمانى = مرتد،

والذهنى العلمى يقول عن خصمه 'لا علمى = جاهل

ومع تشابه الموقف الأساسى للإثنين، وهو أنه **موقف ذهنى اختزالى على حساب كلية الوجود وشمول الوعى،** نكتشف أنهما بالرغم من اختلافهما الظاهرى يصلان إلى نفس الغاية، وهى **الاكتفاء بقشرة الوعى دون سائر الوجود**

واحد تحت لافتة التمسك **بمنهج (علمى)** بذاته

والآخر تحت لافتة التمسك **بتفسير (لفظى)** بذاته.

واحد يرفع **راية يسميها العلم المحكم المنضبط** (دون الوعى الكلى والمعرفة الشاملة)

والآخر يرفع **راية ألفاظ الدين** يسميها التفسير وأحيانا الفقه (دون إيمان بإطلاق الفطرة وتجديد الإلهام)

واحد **يكتفى بعضلة عقله وقد دربها بأجدية الميكنة والتقنية والاستهلاك والرفاهية وديكورات الحياة الذهنية والنفسية** (دون الجسدية) وهو يكتفى بذلك عن بقية وجوده، وبالذات عن جسده وشامل وعيه وفطرته

والآخر **يكتفي بعضلة عقله وقد دربها بأجدية التفسير والتحديد والتقييد والمنع والقمع والحكم الفوقي، دربها (عضلة عقله) حتى ألغى بها- أيضا- سائر وجوده** (بما يشمل جسده وشامل وعيه وفطرته)

فأين يقع الجسد من كل هذا؟

وكيف ننصح الشخص العادى أن يستعمل المفتاح 15 والامر كذلك؟

أظن أن الوقت قد حان أكثر من أى زمن مضى أن **ننظر فى سائر وجودنا، وأن نستعمل كلية فطرتنا وألا نفرح -على الجانبين- بنمو عضلة العقل الظاهر على حساب كلية الوجود وحقيقة الإيمان**

نحن الآن -على مستوى العالم أجمع- نتحول،

وهذا التحول ليس اختيارا:

الأدوات جاهزة، واللغة متحفزة، والمعلومات وافرة ومتدفقة، رغم أن أغلب الناس مازالوا بعيدين عن أغلب هذا، ناسين:

- أن المنهج يتغير (منهج العلم سعيا إلى المعرفة الأعمق ومنهج التدين تعميقا للإيمان الأصدق)
- وأن القيم تتغير أيضا: القيم المثالية والقيم الدينية والقيم التى تسمى الواقعية
- وأن الواقع أيضا وأساسا كيان يتغير (لم يعد الواقع خارجنا فقط، نحن جزء منه)
- وأن الحياة تتحرك.

إذا كان لنا أن نواكب المستقبل القادم فلا ينبغى أن نصر على معرفة مسبقة وتفصيلة أننا "إلى أين؟

الإلزم أن نعرف آليات التغيير (كيف نتغير)

سوف نجد أنفسنا **فى الأحسن** إذا كان منهجنا **أحسن** (وليس بالضرورة الأحسن على الإطلاق)

القيم الجديدة والمناهج الجديدة لكى تكون جديدة، فهى مجهولة الآن، على الأقل من حيث التفاصيل.

لا مفر من المغامرة، ثم انتظار النتائج، مع الحرص المناسب.

فما هى آليات هذا التغيير الحتمى التى تغيب عنا، وفى نفس الوقت يبدو أنها تهددنا ؟

الفطرة واستلام تاريخنا الحيوى

لا مفر من أن نحسن استلام عهدة تاريخنا الحيوى من حيث

1. أن بدايتنا الحيوية هى جسدية بالضرورة، ونحن -

الأحياء- كنا "نعرف" المحيط حولنا، ونواصل مسيرة بقائنا، فتطورنا، بأجسادنا قبل أن تكون لنا عقول أصلا (بالمعنى الأحدث)

2. **أننا مازلنا نحوى هذه البدايات وما تلاها** فى تركيبنا البشرى الحالى (هنا والآن)

3. أن **الفطرة** كما أوضحناها سابقا هى مرتبطة بكل استعدادتنا الطبيعية الحاضرة فينا حتى الآن مستوعبة التاريخ الطولى جميعه، وأنها ليست قاصرة على مراحلنا الأولية، حتى أننى كدت أرفض تصنيفها كيانا، مفضلا استيعابها حركية حيث قلت باللفظ الواحد، **"انظر 6-11-2007 عن الفطرة والجسد"**

"الفطرة ليست شيئاً محدد أو مفهوما ساكناً" ثم قلت فى محكات التحديد "الفطرة هى حركة فى اتجاهها!"

فما علاقة الفطرة بالجسد

فى البدء كان الجسد، الفطرة هى جسد من جسد، هى **جسد ولد من جسد، يولد الإنسان على الفطرة، فالوجود البشرى يبدأ وهو يتمحور حول جسد باعتباره الوعى الأساسى الذى يفرز على قمته وعى أحدث يسمى العقل، لكن هذا الأخير لا يكون بكامل كفاءته إلا وهو متصل باصله متمحور حوله.**

الحاجة إلى منهج جديد

إذا كنا نتكلم عن إضافة يمكن أن نضيفها إلى المسيرة البشرية، لنتحقق بشرا (المفتاح رقم 15) فيجدر بنا أن نبدأ من أساسيات يحتاجها الإنسان المعاصر، لا أن نستدرج إلى نفس طريقة التفكير بعضلة العقل المنفصلة عن الجسد وعن الوعى وعن الوجود الكلى

إذا أردنا أن يحتل الجسد موقعه فى مركز الفطرة فلا بد لنا من أن ندرك أن علينا أن ننشئ منهجا تربويا جديدا، ننشئه إنشاء نستطيع من خلاله **أن نرسى للجسد دورا محوريا فى التعبير والحوار والمعرفة والعلاقة بالآخر والتوجه إلى الله،** وبهذا المنهج ومن خلاله **يصبح الجسد حقلا معرفيا قادرا على إحياء الفطرة والإضافة إلى الوجود، ناهيك عن دور الجسد فى المشاركة الدورية الإيقاعية الحيوية فى منظومة الحياة الكونية،**

وإنى لآمل أن نهتدى كيف نجعل هذه الممارسة التربوية العملية قادرة على أن تعبر الفجوة بين الروح فالجسد، إذ تتجاوز هذه الثنائية الحادة، بينهما.

أمثلة محددة

الآن جاء وقت تقديم أمثلة محددة فى اتجاه ما أردت إيضاحه:

أعترف بداية أنه لا يخفى علىّ ما أنا بصدده وأنا أخاطب بلغة العقل التى أحاول أن أحجمها فى حجمها المحدود، أخاطب بها عقولا تبرمجت على ما هو ليس فطرة بحال، لأحاول أن أصل إلى لغة أخرى بمنهج آخر، نعم، **صعب أن أقدم هذا المفهوم**

لقارئ يعيش فى مجتمع لم يعد يستعمل جسده إلا للغذاء والإخراج والتناسل واللذة المغتربة، وأحيانا للعرض والزينة وقتل الآخرين على حلبات الملاكمة أو فى حوار سياسى بين مسدسات السلطة وعربات الإرهاب المفخخة

ولكن لا مفر من المحاولة .

لتكن البداية بعرض ثلاثة أمثلة تحدد موقع الجسد من المعرفة والمنظومات الفكرية وحركة النمو والتناغم الكلي:

المثال الأول من الحصيلة العلمية المتاحة،

والثانى من الممارسة العملية الجارية،

والثالث استلهاما، وليس تفسيرا، من التراث

أولا: من منظور علمى

منذ لامارك والفكر التطورى يتأرجح بين إقرار وراثة بعض العادات المكتسبة واستحالة ذلك إلا من خلال طفرات تكاد تكون عشوائية يحكم استمرارها قوانين لاحقة، ودون الدخول فى تفاصيل فقد ظلت المشكلة فى تفسير كيف يمكن للعادات المكتسبة التى قد تغير التركيب النيورونى فى الدماغ (أساسا من خلال المطاوعة النيرونية) Neural Plasticity التى تعنى إحداث تغير دائم فى تركيب الخلايا العصبية الدماغية نتيجة لمؤثرات بيئية (وظاهرة البصم) Imprinting التى تحدد كيف أن سلوك النوع يظهر دون تعلم، مما يستتبع أنه انتقل بالوراثة بعد أن اكتُسب للبقاء).. كيف يمكن لهذا التغيير فى خلايا المخ أن ينتقل إلى الخلية التناسلية المسئولة عن الانتقال إلى الأجيال التالية؟

هنا لابد من الإعتراف بأن البرمجة التى تمت بطبع السلوك بيولوجيا على خلايا المخ أساسا: هى قادرة على الانتقال من خلايا المخ إلى الخلايا التناسلية، أو هى قد طبعت فى نفس الوقت على سائر الخلايا، إذ ما الذى يمنع أن يكون 'الطبع' قد تم فى كل خلايا الجسد عامة؟ بما فيها الخلايا التناسلية؟ وقد عاد التقدم فى علوم الوراثة والهندسة الوراثية يسمح بقبول هذا المنظور الذى لم أشك فى صحته يوما من واقع الممارسة.

فالجسد - إذن- هو تركيب يمثل ويتمثل المعنى مثل الدماغ بشكل أو بآخر، وبقدر ما يتغير الترتيب النووى للجسد تأثرا بالتغير الذى حدث فى خلايا المخ، يمكن أن يتغير التركيب الخلوى الدماغى نتيجة لتغيرات جذرية دالة فى خلايا الجسد، وهذا ما لاحظناه فى المثال العملى التالى.

ثانيا: من مدخل عملى إكلينيكى

عندنا - نحن الأطباء النفسيين- مرض وأمراض يكون فيها الفكر متصلبا تصلبا يجمد معه الوجود كله وذلك فى شكل ما يسمى **الضلال الثابت أو الوسواس القهرى**، وهذا بعض التصلب المرضي.

ولا يمكن تغيير مثل هذه المنظومات الفكرية الثابتة عند المريض بالإقناع، ولا بالمهدئات العظيمة التى لا تفعل إلا أن تخفيها تحت قشرة من الهمود الساكن.

وفى محاولة **علاج تنشيطى فى مستشفى للمجتمع العلاجى** لاحظنا أنه بتحريك الجسد – بالعدو، والذكر الإيقاعى أثناء العدو، والهرولة، والاقتحام الصدْمى، والعرق، ورفض الرتابة، والبلبطة فى البحر (وليس العوم التنافسى) – لا حظنا أنه بتحريك الجسد بكل هذه الوسائل، نستطيع أن نتعتع المنظومة الفكرية الضلالية، فتكون أسهل فى التناول والتمثل فى كلية الوجود المتناغمة إذ تذوب فى حركة بسط جديدة، فرجحنا أن ما فشلنا فيه من خلال الحوار الفكرى قد نجحنا فيه من خلال التحريك والقلقلة الجسدية،

وثمة مدخل آخر إلى تحريك وخلخلة الفكر المتجمد من خلال تحريك الوعى وذلك باستعمال علاج يسمى **علاج الحرمان من النوم**، حيث يعمل الحرمان من النوم من خلال تعتعة نمطية الإيقاع الحيوى المغلق الدوائر، فإذا بالجسد يستجيب بدرجة كافية تسمح له باستعادة فاعلية الإيقاع الحيوى الليلنهارى circadian rhythm بحركيته المفتوحة، ومن خلال هذه التعتعة الجسدية الدماغية معا، تنفك المنظومة الفكرية الثابتة.

وقد أتاحت لنا هذه التجربة العملية أن نشاهد الجسد وهو يشارك فى احتواء تصلب الفكر، ثم وهو يقلقل فيتعتع الفكر، ثم وهو يعاد تنظيمه بطريقة أكثر مرونة (أقل تصلبا) فى كل من الجسد وخلايا الدماغ على حد سواء

ثالثا: من قراءة فى التراث

أنظر يومية 16 نوفمبر 2007، **والحديث النبوى الشريف عن صهيب** الذى نسى مع أنه خلط الإيمان بلحمه ودمه

الخلاصة

خلاصة القول:

(1) إن ثم تشابها شديدا بين المعتقدين الدينيين وبين المنهجيين المعقلنين فى علاقتهم بالجسد وإصرارهم على تهميشه (حتى دون قصد)

(2) إن كلا الفريقين قد أهمل كثيرا من الوسائل المعرفية الشاملة لحساب تقوية قشرة (عضلة) العقل المسجونة فى المنهج الكمى المغترب. وهو ما يعيق ويهدد تكامل الإنسان هذه الأيام خاصة

(3) إن إعادة توظيف الجسد كوسيلة معرفية بادئ ذى بدء، وكذلك إعادة النظر للوعى من خلال الجسد وليس من خلال قشرة العقل سوف يدفعنا للبحث عن تربية أكثر توافقا مع الفطرة النقية، كما قد يفتح لنا أفاقا فى مناهج البحث و المعرفة لا يمكن تصور حدودها حالا.

(5) إن ما يمكن أن أسميه **"إحياء الجسد"** يمكن أن يحرك مسيرة الإبداع فى اتجاهات قادرة على استيعاب أدوات المعرفة الجديدة .

(6) إن كل المعلومات الوافرة والمتزايدة والمرتبطة بما يسمى الثورة المعلوماتية- إذا لم تتمحور حول الوجود الكلى الفطرى للإنسان حيث يحتل الجسد مركزه- سوف تصبح تهديدا للوجود البشرى بالإنقراض، وليست إضافة له للتقدم.

وبعد

هل يمكن أن نعطى أحدا المفتاح 15 الذى يقول

مفتاح : (15) "أن **تصالح جسدك** (تتعرف عليه **بالحركة**، و **بالرقص**، و **بالعبادة**، و **بالجنس**)

كيف بالله علينا يصالح هذا المتلقى الذى قد يصدقنا جسده وقد لحق بأجسادنا كل هذا التهميش من الذين يربوننا، ويوجهوننا، ويعلمونا كلا من ديننا، وعلومنا؟

أليس هذا بمثابة كتابة وصفة دواء باللغة الصينية لمن ترى فى كولومبيا ليصرفها من بنجلاديش؟

اليس الأسهل أن نتبع قانون الجذب ونركز ولو على عشرين ألف جنيه عالبركة؟

- يحتاج الأمر إلى إيضاح أكثر، لكن المساحة والغرض المحدود لا يسمحان، فنكتفى بإضافة تذكرة أن الوعى هو حالة بيولوجية معرفية معا، وهو إحاطة بالجسد والعقل فى احتواء واحد، وأن تجمد الفكر أو تجمد الجسد أو كليهما يقابلهما انغلاق دورات (لليلينهارية- النوم يقظية - الحلم نومية) إلخ وحين تصبح دورات معلقة أولها فى آخرها تماما تتجمد الحركة رغم ظاهر الدوران، فى حين أنه فى الحالات العادية (وأكثرها كثيراً فى الحالة المرنة والمبدعة) تقوم هذه الدورات الحيوية بدفع النمو والإبداع، والمراد هنا التركيز على أن جمود الجسد يقابل جمود الفكر يقابل انغلاق دورات الوعى.

الثلاثـــــــاء 25-12-2007

116- أنـــواع العقـــول وتعـــدد مستويـــات الوعـــى

مقدمة لقراءة فى كتاب:

أنواع العقول
الطريق إلى فهم الوعى
دانييل دينيت

تمهيد

لا أعرف ما الذى دعى المترجم،- الصديق د. مصطفى فهمى إبراهيم- وهو من أبرع من ترجم العلوم إلى العربية، أن يغير العنوان من **أنواع العقول** إلى **تطور العقول**، الفرق عندى ليس هينا، وقد سألته فى الندوة التى قمت فيها بمناقشة الكتاب، والتى عُقدت فى مارس 2004 "جمعية الطب النفسى التطورى والعمل الجماعى"، دار المقطم للصحة النفسية، سألته عن سبب تغيير العنوان، فقال لى إن هذا المعنى (التطور) هو الذى وصله من الكتاب، وأنه أقرب إلى تقبل القارئ العربي!

ولم أوافق.

العنوان باللغة الإنجليزية شديد البساطة والوضوح، ولا لبس فيه **Kinds of minds** فما هو المبرر أن أجعله تطور العقول؟

قد يتبين مغزى احتجاجى من الأسئلة التى سوف أطرحها على القارئ قبل مناقشة الكتاب، وأثناء المناقشة.

من هذه الأسئلة :

- هل خطر على بالك من قبل – عزيزى القارئ- أن يكون هناك للعقول **أنواع**؟
- وهل لو كان للعقول **أنواع** فكيف تتخيل أن تكون ؟
- وما مفهومك عن العقل (وليس بالضرورة تعريفك له) ؟
- وهل لهذا المفهوم علاقة بما هو **"وعى"** ؟
- وهل **تتطور** العقول؟

العنوان الفرعى لنفس الكتاب هو **" نحو فهم الوعى"**

حاول أن تجد بنفسك أسئلة تتعلق بما يحضرك حين تسمع كلمة "وعى" شكرا.

دعنى أعرفك بالمؤلف الآن

ولكن دعنى أسألك أيضا – عزيزى القارئ- قبل أن أعرفك عليه : ما رأيك ؟

من ترى أنه الأرجح بتأليف كتاب يحمل هذا الاسم " **أنواع العقول**"، هل يكون :

- طبيبا نفسيا،
- أم عالم نفس،
- أم معالجا نفسيا،
- أم أستاذا فى الأنثربولوجى
- أم أستاذا فى الفلسفة
- أم أستاذا أو طبيبا فى المخ والأعصاب؟
- أم فيلسوفا
- أم أستاذا فى التشريح أو الفسيولوجيا أو الأنثربولوجيا
- .....

المؤلف هو أستاذ فى الفلسفة

لعل هذا يذكرنا بكارل ياسبرز- صاحب كتاب السيكوباثولوجيا العامة **General Psychopathology** أعرق كتاب فى الموضوع منذ 1923 – الذى بدأ طبيبا نفسيا، ثم انتهى أستاذا فى الفلسفة

دانييل دينيت – مؤلف الكتاب – هو أستاذ للفلسفة حاليا قسم فلسفة العلوم فى لندن (ولم يكن أبدا طبيبا نفسيا أو له علاقة عملية إكلينيكية بالمخ والأعصاب).

وقد كان محاضرا ثم أستاذا مساعدا فى الفلسفة جامعة كاليفورنيا

وقد استقبلتُ ـ شخصيا – هذا الكتاب باعتبار كاتبه فيلسوفا صرفا

وحمدت الله أنه شخصيا أقر بذلك (أنظربعد)

لماذا كل هذا التمهيد وهذه التساؤلات البادئة؟

بصراحة لأننى أخاف أن تستقبل – عزيزى القارئ- الموضوع بغير ما هو؟

نحن : عامة الناس، وكثير من المختصين، نتصور أن هناك موضوعات شديدة التخصص لا يصح أن يكتب فيها (يفتى فيها) إلا أهل الاختصاص، ومن بينها – على ما أعتقد- ما يمس من قريب أو بعيد "موضوع **العقول**"

أقر بصراحة أننى تبينت أن كثيرا من مرضاى يعرفون عن هذا الموضوع "العقول" (بالجمع وليس المفرد) **أكثر بكثير مما يعرفه المختصون.**

إن هذا الجمع **"العقول"** يقربنا من الموضوع المثار فى هذه اليومية منذ بدأت تقريبا عن **"تعدد الذوات"**، (وما يوازيها من **"تعدد المنظومات"** وأخيرا بحسب لغة العلم المعرفى العصبى **"تعدد حالات العقل" mental states** وهى الكلمة المرادفة تقريبا لما يسمى فى التحليل التفاعلاتى **حالات الذات Ego states**

الكتاب لا يتصل بهذه القضية مباشرة إلا من منظورى شخصيا كما سيأتى فى العرض والمناقشة

"أنا فيلسوف ولست عالما"

من أهم ما وصلنى من الكاتب حتى طمأننى أنه قالها بصريح العبارة **"أنا فيلسوف، ولست عالما"**، هذا كلامه بالحرف الواحد، أهمية هذه الجملة عندى جعلتنى أقرأه على أنه فيلسوف وليس أستاذ فلسفة، وقد فرحت **أنه ليس عالما** (بالمعنى الذى نفاه غالبا)، وإلا كان اختنق بمنهج أعتقد أنه كان سيحول بينه وبين أن يثرينا بكل ما أثرانا به هكذا:

فى آخر سطور الكتاب عاد المؤلف يقول:

"..ولما كان هذا الكتاب لفيلسوف، فإنه ينتهى ، لا بالإجابات ، وإنما ينتهى بنُسخ معدلة من الأسئلة نفسها، وهى على نوع أفضل".

المؤلف هنا يطمئننى أيضا على أن ما كنت أقوم به فى أبحاثى، وإشرافى على الأبحاث كان صوابا، لكنه يصيغه صياغة أرقى، بأن يجعل نفس الأسئلة معلقة بلا إجابة، ولكن **"مصاغة بنسخ معدلة على نحو أفضل"**

<u>لا توجد أجوبة حاسمة إلا كدليل على الجهل الحاسم</u>

حتى الأسئلة الدينية حين نضع لها أجوبة يقينية مغلقة، نجنى بها على سعى الوعى الفردى، بل والجمعى، إلى ما بعدها، إلى وجه الله.

يضيف المؤلف أيضا فى نهاية كتابه نتيجة أخرى إلى ما خرج به من خلال الجهد قائلا **"...أو على الأقل ، فإنه يمكننا ونحن فى استكشافنا المتطور لأنواع العقول، أن نرى بعض المسارات فنتبعها، وبعض الشراك فنتجنبها"**

هذا فى ذاته جيد أيضا، حتى لو ظلت الأسئلة معلقة بلا إجابة.

الاستعمال الشعبى لكلمة "عقل"، والتمحك الدينى بها:

إذا نحن نظرنا إلى كلمة **عقل** وكيف نستعملها على المستوى الشعبى، وعلى المستوى الدينى الرسمى التسطيحى، لوجدنا أنفسنا فى حاجة إلى أن تعلم من **دينيت** بعض ما علمنا

فى الحديث العادى فيما بيننا نسمع هذه العبارة "**... هو ربنا عرفوه بإيه؟** فتأتى الإجابة : "**بالعقل؟**" ويقفل النقاش على هذه البديهية.

أعتقد أن الحس الشعبى لا يقصد العقل الذى يعنيه العالم النحرير الذى يجلس على مكتبه يحسب الأمور بالمنطق، وإنما يقول الحس الشعبى هذه الإجابة عادة تكملة لحوار سابق "**هوا حد شاف ربنا؟ قال لك لأه،..... قال أمال ربنا عرفوه بإيه؟ قالّك بالعقل**"، الحس الشعبى لا يقصد العقل المنطق السببى الخطى، لكنه فى الأغلب يقصد البديهة اليقظة، والوعى المتلقى.

إننا لا نعرف ربنا بالعقل كما شاع عن ذلك عند العلماء والمناطقة.

فى شبابى، وفى فترة الشك الباكر (حول الخامسة عشر)، حاول أحد أصدقائى الأكبر سنا أن يقنعنى بوجود الله سبحانه وتعالى من بعض مقولات **علم الكلام**، وأخذ يثبت لى البداية وكيف يمكن أن تكون، وأنها إما بالدور أو بالتسلسل (على ما أذكر) **..حتى كاد شكى ينقلب إلى نفى يقينى**، لولا أن شيخا أميا طيبا كان يعمل خفيرا لخطيرة مواشينا، حين طرحت عليه أسئلتى نفسها بعد أن ختم صلاة العشاء، راح يثبت لى أن الله سبحانه موجود واحدٌ أحد، بان قال لى: "**يا إبنى دا هو نفسه** (يقصد ربنا) بيقول "**قل هو الله أحد**"، **عايز حاجة أكتر من كده؟**

ساعتها هدأت سريرتى، وعرفت فعلا أننى لا أريد حاجة أكتر من "كده"، وشعرت كم يمكن أن يجنى علم مثل علم الكلام على حقيقة الوعى البسيط بحقيقة وجود الله سبحانه،

حين عددت **الممكن المستحيل والمستحيل الممكن، فى يومية16-12-2007 link** ألمحت إلى هذه المسألة: كنت أقصد أن عقلنا الحديث أعجز من أن يثبت وجود الله إلا تعسفا وتلفيقا. ليس معنى هذا أن عقلنا البدائى هو الأقدر على إثباته، لكن الذى يستوعب وجود الله سبحانه بالمعنى الحقيقى الحاضر فى الداخل والخارج، **هى كل "أنواع" عقولنا مجتمعة معا، فى لحظة، فلحظات، لها أثر باق، قابلة للتجلى بيقين منير، بلا حاجة إلى إثبات عقلى بالمعنى الشائع.**

يجرنا هذا الغموض حول كلمة "عقل" و "عقول" إلى مقولة أخرى يفرح بها كثير من المسلمين فرحا سطحيا سريعا، وكأنهم حسموا موقع ديننا من هذه المسألة حين يعلنون فى كل مجال ودون تردد "**إن الإسلام هو دين العقل**"، وكثير منهم يضيف – علنا أو سرا- **إن الإسلام بالذات هو دين العقل**، وهات يا استشهاد بالآيات التى وردت فيها كلمة العقل، ويعقلون، ويتفكرون، يرددونها بعيدا عن سياقها أحيانا، ومستندين إلى تفسيرها المكتوب المحدود أحيانا أخرى، وكأنهم بذلك قد اطمأنوا إلى أن ديننا هو الدين الحق لأنه دين العقل(!!!)

لو علم هؤلاء الطيبون – على أحسن الفروض- أن المسألة لم تعد بهذه البساطة، وأن ما يسمى عقلا – على الأقل من منطلق ما يستعملون من أبجدية – قد تراجع إلى مكانة شديدة التواضع، إذن لتراجعوا كثيرا عن هذا الحماس، الذى أعتقد

أنه هو هو الذى يدفع فريقا آخر إلى ممارسة وترويج تلك البدعة الخطرة التى يسمونها **"التفسير العلمى للقرآن"**، وكأن المقدس الأول هو ما يسمى العلم (من وجهة نظرهم) وبالتالى فكل ما يقره ما يمكن أن يسمى **"العقل العلمى"** هو مقدس أيضا (دون التصريح بذلك أو الوعى به) ، ومن ثم إذا اتفق فهمهم أو تفسيرهم للقرآن الكريم مع هذا المقدس (العقل العلمى- مع أنه لا يوجد شىء بهذا الاسم) فهذا **يثبت** (لهم لا شعوريا) **أن القرآن له نفس القدسية** - استغفر الله العظيم- ثم قد يضيفون فرحين بأن (للقرآن الكريم) حق السبق. (نؤجل الدخول فى مناقشة ذلك أكثر من ذلك)

إذا كان الله سبحانه وتعالى لا يمكن إثبات وجوده **بهذه الجزئية** من وسائلنا المعرفية التى **أسيناها العقل**، طالما نحن نتحدث عن "عقل واحد"، فبم يُثبت ؟

لا أريد أن أسارع بالرأى، لأنه منذ هدانى رد غفيرنا العجوز إلى الإجابة، وأنا **لا أحتاج أن أخوض فى هذه المسألة بالألفاظ**، لكن مع خبرتى مؤخرا فى قراءاتى للمتصوفة، **وتاريخ التصوف الذى قدمنا منه بعض المقتطفات، link** ثم مخاطرتى بقراءة موازية مع إبن قس طبيب نفسى (هو د. إيهاب الخراط) مجتهدين فى استلهام بعض **مواقف مولانا "النفرى" link** عرفت من خلال هذا وذاك كيف أعيد صياغة مثل هذه الأسئلة بشكل يقترب مما أشار إليه **دينيت** وهو يختتم كتابه، حيث يظل السؤال سؤالا أرقى، فيصبح قادرا على دفع أقوى، وكدح أعلى، مما يمكن أن يمكننا ونحن نواصل الكدح والسعى: لا إلى الإثبات السطحى، ولكنه يمكن أن يمكننا من (كما قال دينيت) : **"..... أن نرى بعض المسارات فنتبعها، وبعض الشراك فنتجنبها".**

إذن ماذا؟

إذا كان هذا الكتاب لا يتحدث عن العقل بالمعنى الذى يستعمله الحس الشعبى العام،

ثم هو لا يتحدث عن العقل بالمعنى الذى يستعمله المفسرون المعجميون السائرون ثبوتا فى المحل

ثم هو لا يستعمله لفظ **"العقل"** بالمعنى الذى يستعمله أطباء المخ والأعصاب،

ولا أطباء علم نفس السلوك وما شابه،

ولا أطباء الطب النفسى الكيميائى الأحدث

فبأى معنى يستعمل دينيت كلمة ، "عقل"، ثم يجمعها إلى "عقول" ثم يصنفها إلى "أنواع" فيسمى كتابه أنواع العقول kinds of minds بلا لبس ولا تردد؟

ما ليس هو !

لقد بدأت فى ندوة مناقشة هذا الكتاب بنفى ما قد يتبادر إلى الذهن من مجرد ذكر كلمة "عقل" (وقد أضفت الآن

بنديـن اثـنين) على الـوجه الـتالى:

العقل –هنا على الأقل – **ليس هو**

1. ليس **هو** ما يرد فى تعريف كلمة "عقل" فى المعاجم
2. **ليس هو** القطب الآخر الذى يقع على أقصى الطرف النقيض لما يسمى عاطفة (العقل) < === > (العاطفة)
3. **ليس هو** ما يستعمل فى ما يصح وما لا يصح (بالمنطق الأرسطى مثلا)
4. **ليس هو** ما نطمئن إليه بعد حل تمرين هندسة بتطبيق نظريات هندسية محكمة، ونحن نتنهد قائلين **"وهو المطلوب إثباته"**
5. **ليس هو** ما نستعمله جاهزا ونحن نتحدث عن نتائج تجربة علمية ثبتت صحتها **المرة تلو المرة**
6. **ليس هو** ما يقابل ما يقوم به حاسوب مهما بلغت دقته

ثم تخرجت من هذا النفى القاطع، فأضفت هذه الجملة بعد كل هذا النفى هكذا

"يمكنك أنت – إن شئت – أن تضيف كلمة **"فقط"** بعد كل **ما ليس هو**، فتصبح الجمل المنفية – بعد التعديل – على الوجه التالى :

1. **ليس هو** "فقط" ما يرد فى تعريف كلمة "عقل" فى المعاجم
2. **ليس هو** "فقط" القطب الآخر الذى يقع على أقصى الطرف النقيض لما يسمى عاطفة : (العقل) < === > (العاطفة)
3. **ليس هو** "فقط" ما يستعمل فى ما يصح وما لا يصح (بالمنطق الأرسطى مثلا)
4. **ليس هو** "فقط" ما نطمئن إليه بعد حل تمرين هندسة بتطبيق نظريات هندسية محكمة، ونحن نتنهد قائلين "وهو المطلوب إثباته"
5. **ليس هو** "فقط" ما نستعمله جاهزا ونحن نتحدث عن نتائج تجربة علمية ثبتت صحتها المرة تلو المرة
6. **ليس هو** "فقط" ما يقابل ما يقوم به حاسوب مهما بلغت دقته

العقل والوعى

العقول التى تكلم عنها الكتاب، **ترجع إلى ما قبل الإنسان بردح طويل**، قبل ظهور ما يسمى "المخ أصلا"، ومن هنا – ربما– حدث الترادف بين ما هو "وعى" (من وجهة نظرالكاتب) وما هو "عقل". إن من أهم الأسباب التى جعلتنى أحب هذا الكتاب وكاتبه هو **دفاعه الموضوعى عن نظرية النشوء والارتقاء وأصل الأنواع لداروين** (**ووالاس**)، جنبا إلى جنب مع شجاعته وهو يقتحم تلك المنطقة التى لا يكون **الإنسان إنسانا إلا بها، ألا وهى منطقة الوعى**

معظم أعمال المؤلف التى شدتنى إليه هى إنجازاته فيما

يتعلق بالتطور (الداروينى خاصة) ومستقبل تطور الإنسان المعرفى والبيولوجى، وأيضا إسهاماته فى فحص مسألة علاقة الوعى بالعقل، وكل ذلك هو **ما لا أتصور أن طبيبا نفسيا يمكن أن يمارس مهنته بما ينبغى كما ينبغى** ، دون أن يلم بها.

كسرُ وحدتى، جنبا إلى جنب مع تعرية جهلى، جاءا من أن هذه الموضوعات هى من أهم ما شغل حياتى طوال نصف قرن على الأقل

ما الحكاية بالضبط؟

كيف **همّش الأطباء النفسيون هذا الموضوع المحورى "الوعى"** هكذا ؟

كيف **رفعه السلوكيون من كل كتب علم النفس السلوكى** بلا تردد (هو، وموضوع الإرادة غالبا) ؟

ماذا يتبقى فى الإنسان لنتعرف عليه إذا **لم نعرف ماذا نعنى بالوعى، وكيف الإرادة**؟

فى هذا الكتاب، تحدث **دينيت** ببساطة وجرأة عن منظومة، ومنظومات، فى التركيب الحيوى، هى اقرب ما تكون إلى الوعى كما نعرفه عند الإنسان، لكنه لم يشر تحديدا إلى ما نسميه حاليا **"الوعى بالوعى"**،

وقد رادف دينيت – تقريبا – بين ما هو وعى، وما هو عقل، وأشار إلى احتمال أن يكون إنكارنا لوجود الوعى (العقل) عند أسلافنا من الأحياء هو أقرب إلى العمل اللاأخلاقى.

- فكيف كان ذلك؟
- وماذا ترتب على ذلك؟
- وما علاقة "أنواع العقول" التى قدمها بحالات العقل **states of mind** التى قال بها مؤخرا علم المعرفة العصبى **cognitive neuroscience** وبحالات الذات **Ego states**؟

وثمة أسئلة أخرى قد لا تحتاج إلى مناقشة قبل الدخول فى جوهر موضوع الكتاب، مثل :

1. هل هو كتاب فى التطور (تطور العقول كما رأى المترجم، أو تطور الوعى)؟
2. هل هو كتاب فى الفلسفة يطرح أسئلة أكثر مما يعرض إجابات؟ يقدم فروضا مثيرة للجدل ثم يعلق الأمر – أمانة – دون أن يحسمها؟
3. هل هو كتاب يبحث فى ماهية العلاقة بين الوعى والعقل ؟
4. هل هو كتاب فى المنهج يقدم منهجا مساعدا نحن أحوج ما نكون إليه؟
5. هل لِمَا عرضه من آراء، وفروض، ونتائج، ورؤى، أهمية عملية تطبيقية سواء فى الممارسة الإكلينيكية ؟ أو فى الحياة العادية

نـأمل أن نـناقش هذه الاحتمالات دون الوعد بحسم الإجابة كما علمنا

كل ما نرجوه – كما أرجو أن تكون هذه المقدمة قد نبهتنا إليه– هو أن نتحمل **مسئولية السؤال**، مهما تأخرت إجابته دون إلغائه ابتداء، بالاستغناء عنه، أو بإجابة ليست بلغته؟

هذا ما سوف نحاوله فى حلقات قادمة لم نعد قادرين على أن نحددها بشكل حاسم (مثل غيرها من الوعود)

لكن أرجو أن يكون قارئنا (زائرنا) قد اعتاد مثل ذلك.

وأن يثق – معى – فى مصداقية مثلنا الشعبى الجميل الذى يقول :

"طولة العمر تبلغ الأمل"

-Kinds of Minds Towards Understanding of Consciousness
Daniel C. Dennet 1996 الكتاب المترجم صادر عن "المكتبة الأكاديمية" القاهرة 2003

– على فكرة ، أنا أحببته جدا، ولم أقرأ له غير هذا الكتاب، وإن كنت قد زرت موقعه ووجدته شديد الثراء، ولم أجد فرصة كافية لتغطيته

– وعندى تفرقة واضحة بين أستاذ الفلسفة والفيلسوف

– لا أريد أن أشير إلى ما جاء فى بريد/حوار الجمعة حول هذه القضية، وما عرضناه فى لعبة "أنا واحد ولا كتير" من متطوعين أسوياء، وسوف نعرض محتويات مجمعة نوعيا لهذا الموضوع وغيره لحصيلة الشهور الأربعة منذ بدأت اليومية فى نهاية هذا الشهر

-scientists I am a philosopher not a

– كنت دائما أعتقد وأنا أقوم بأبحاثى أو أشرف على زملائى الأصغر، أن البحث الجيد إذ يبدأ بفرض محدد يصبح جديرا بالتقدير والثناء إذا انتهى بفروض أكثر وعدا، وأوسع رحابة، كنت أفضل ذلك دائما عن مجرد إثبات الفرض أو نفيه،

– من أهم أعمال الكاتب فى هذين المجالين ما يلى :

العمل الأول "معاودة المواجهة لمشكلة الوعى"

هل استطعنا أن ننجح فى شرح ماهية "الوعى" أم ليس بعد؟

"Facing Backward on the problem of consciousness"

Are we explaining consciousness yet?

Cognition 79 (2001) 221-237

العمل الثانى:

أين أنا من صحوة داروين

In Darwin's Wake, Where ṃ I ?

APA Proceedings The American Philosophical Association.

العمل الثالث (كتابه الأسبق) : عن الوعى أيضا وفلسفة القصدية

Selected PUBLICATIONS:

Content and Consciousness, 1994

Philosophy of Intentionality

أما أحدث محاضراته (حول نشر هذا الكتاب) فهى محاضرة فى اليونسكو عن

اكتشاف من يمكن أن نكونه !

"Discovering Who We Can Be" presented at UNESCO Milan, Italy, November 17, 2001

- المؤلف رئيس تحرير مشارك فى دورية "علم الأعصاب المعرفى" Cognitive Neuroscience

الإربعـــــــاء 26-12-2007

117- قـــراءة النـــص: بيـــن التفسيـــر والاستلهـــام

حين بدأت كتابة **يومية 23-12-2007 (حزمة من مفاتيح السر "الآخر")**، لم أكن أنوى أن أكتب إلا عن ثلاثة أفكار مفيدة، عثرت عليها انتزاعا من وسط هذه الموجات المتلاحقة من الأحلام والأوهام التى غمرتنا مؤخرا مع سريان البدعة المسماة **"السر"**، هذه الأفكار – مرة أخرى بلغة أخرى – هى:

أولا: التنبيه إلى أننا يمكن **أن يكون عندنا فعلا ما نريده الأن، وربما نحن غير منتبهين إليه**، وأن الوعى بذلك هو البداية إلى ما يمكن أن يترتب على هذا الإقرار الإيجابى من مزيد.

ثانياً: أن وجودنا **ليس سلبيا فى مواجهة الكون والقدر**، وأن لنا دور فى تحريك أى منهما، وبرغم أننا لا نعرف تماما قوانين الكون والقدر إلا أن ثم تواصلاً ممكنا مفيدا بيننا وبينهما قد يصل إلى درجة الوثوق من الاستجابة، (سواء كان ذلك من منطلق دين صافٍ لم يتشوه، يؤكد العلاقة المباشرة بين العبد وربه، أو من منطلق إبداعى أحدث، كلٌ بحسب منظومته).

ثالثا: أن الوعى بإيجابيات الذات، وإيجابيات الحياة عموما، بما يتجاوز التفاؤل الكسول الناعم، يحتاج ممارسة معنى **"الحمد" الإيجابى** الذى ينمى ما هو موجود، ومن ثَم الاستزادة مما هو أكثر فائدة لاستمرار الحياة زاخرة بمزيد من النبض والثراء والأخذ والعطاء.

فى البداية: بدت لى هذه المفاتيح الثلاثة التى اسميتها **"الأحجار الكريمة"** كافية، إلا أننى وجدت أن المسألة هكذا قد تكون من العمومية بحيث لا تستطيع أن تقف فى مواجهة الألعاب النارية والوعود اللامعة التى يلوّح بها أصحاب البدعة الأولى (السر بتاع الدولارات والقصور). فانطلقتُ منى تلك المفاتيح الأربعين **يومية 23-12-2007 (حزمة من مفاتيح السر "الآخر")**، ، قال ماذا؟ لتكون الأمور أوضح وأسهل تطبيقا.

ثم إنى فوجئت وأنا أكتب يومية أمس أن المفتاح رقم (15) عن **"التصالح مع الجسد"** أخذ كل تلك المساحة، فعدت إلى المفاتيح الأربعين أقرأها على بعض المقربين، فإذا ببعض المتابعين لفكرى يذكّرونى بالكتاب الذى انطلق منى منذ 34

عاما باسم "**حكمة المجانين**" وهو يحتوى ألف حكمة وحكمة (1001) غير الحكمة المسماة "**قبل العدّ**"، وقال لى أحدهم: لقد سبق أن فعلتها من قبل ونهينك عن تفسيرها وشرحها، مع أنها أعمق وأكثر إفادة، ولا تقارن بالأربعين مفتاحا اياهم.

يا خبر!! ما العمل؟

الاتجاه التسويقى السائد سواء فى بدعة السر تبعهم، أو فى تدريبات التنمية البشرية، هو تسويق سريع سريع لبرمجة ممكنة: **1، 2، 3، هُبْ** للحصول على مكاسب ظاهرة محددة. حتى ندوتنا العلمية القادمة، ندوة يناير 2008 "جمعية الطب النفسى التطورى والعمل الجماعى". (دار المقطم للصحة النفسية) ويقدمها **د. هانى الحناوى** هى عن "**العلاج العصبى والتغذية العصبية المرتجعة**".

هذه البرامج الجاهزة والمفيدة قد تقوم بدور إيجابى بلا شك، لكنها – فى رأيى – تشارك فى نوع من الاختزال والتسطيح لما هو معرفة ووجدان وتفكير وإبداع، (وأحيانا الإيمان)

ما العمل؟

تذكرت ايضاً- فى هذا السياق- موقفى ومحاولاتى فى قراءة وتفسير واستلهام عمل شديد التركيز بالغ الأصالة، حين قمت بمحاولة قراءة بعض مواقف مولانا النفّرى وقد تمّ ذلك على مستويين، صدرا فى نفس كتابى "**مواقف النفّرى بين الاستلهام والتفسير**"

جعلت الجزء الاول بمثابة "هوامش لما اسميته **علم بالنفس**" وليس علم نفس.

أما الجزء الثانى فكان جهداً مشتركا مع ابن قس طبيب نفسى هو د. ايهاب الخراط، وكان استلهاما طليقا كالتالى:

- نورد النص، "**موقف النفّرى**"
- ثم بعده قراءة الابن د. ايهاب الخراط
- ثم قراءتى للنص، وعلى قراءته للنصّ

(شئ اشبه "بقول"على" قول" على "قول")

تعلمت من هذه التجربة، ومقارنة المستويين ببعضهما البعض، تعلمت الفرق الواضح بين **التفسير والاستلهام.**

ويظل التحدى قائما:
هذه النصوص: كيف نقرأها لنغوص فيها بما هى لما هى، بديلا عن أن نفسرها باجتهادات قد تفسد نبضها؟

هل نكتفى بأن نستقبلها ونرى آثارها فينا، دون تفسير؟

أم نقامر بما أسميته أحيانا "**استلهاما**" وأحيانا "**إبداعاً على إبداع**".

وجدت فى مقدمة كتابى عن النفّرى محاولة لتحديد مستويات لقراءة أى نص (بما فى ذلك النص البشرى) ففضلت أن أوردها

هنا أملا فى نقاش، قبل أن أتخذ موقفا نهائيا بشأن المفاتيح الأربعين اياها **يومية 23-12-2007 (حزمة من مفاتيح السر "الآخر")** أو الطلقات الألف واثنيتين **"حكمة المجانين"** وفيما يلى المقتطف:

أولا: منهج قراءة "النص"بين التفسير والاستلهام

كيف نقرأ نصّا ما؟

وقبل ذلك: ما هو النصّ؟ ومن هو قارئ النصّ؟

النص هو كل منظومة تتماثل فى أفق الوعى، فتستثير **الفهم، أو الحوار، أو الإضافة، أو التكملة، أو الجدل، أو التفرع الخلاّق، أو التكامل**، أو كل ذلك مجتمعا.

وقارئ النص هو من تفتّح وعيه للمُدرَك المتاح ليعيد تشكيله بما أمكن، وهذا موقف لا يشترط القراءة والكتابة، بقدر ما يشترط الدراية واليقظة.

- الإنسان هو نفسه **"نص"** يحتاج فى قراءته إلى ما يحتاجه أى نص.

- كل "آخر"(كل إنسان آخر) بالنسبة لى: هو نص **"آخر"**، مختلف عن أى نص "آخر."

- المريض النفسى هو نص أكثر تعريا، وأكثر تحديا، وهو "نص" يحتاج إلى قراءة، أكثر منه اضطراب يحتاج إلي**"لافتة"** (تشخيص)....

مستويات محتملة لقراءة النص:

إن أى نص (بما فى ذلك "الآخر– الإنسان"، حتى الطريق إلى النص الإلهي مفتوح النهاية) يمكن أن يتناوله الوعى بوسائل كثيرة، على مستويات متعددة، نورد بعضها فيما يلي:

1) **التسليم لظاهرالنص من فرط حضوره الجاهز والكامل.**
فى هذه الحالة يكون النص بمثابة مؤسسة سلطوية. يترتب على ذلك تسليم تختلط فيه الطاعة بالخوف بالتشكّل لما يلوح منه دون مواجهته.

2) **ترجمته كله أو بعضه إلى لغة المعاجم الجامدة** (حتى التحنيط أحيانا)
مع احتمال الاستعانة بالتاريخ المشكوك فى مصداقيته عادة.

3) **ترجمته إلى لغة منظومة أخرى لا ينتمى إليها أصلا.**
مثل المحاولات الأحدث والأكثر تسطيحا التى تجرى تحت اسم: التفسير العلمى (أو الرقمى!!) للقرآن الكريم.

4) **إنكاره أو إهماله جزئيا أو كليا**
(عجزا عن فهمه، وربما هربا من تلقّى رسالته ، أو قبول تحدّيه).

5) **إدراكه على مستويات متعددة ، تُعلَن كلها، أو يُحبس بعضُها** خوفا من سوء تأويل العامة دون الصفوة. (اتجاه كثير من المتصوفة)

6) **استعماله بظاهر شكله كرمز عيانى، له مفعوله الأسطورى الخاص،**
مثل التبرّك به بغض النظر عما يقوله مضمونه.

نتوقف هنا لنقول:

- إن ذلك وغيره قد يتم على مستوى الشعور أو اللاشعور

وأن ثمة احتمالات تقول:

- إن بعض ما وصَلَنا من النصوص الخالدة (والمقدسة) قد وصلنا من خلال تفسيرات وتأويلات وقراءات تناولت الأصول حسب المتاح فى مرحلة تاريخية بذاتها، وهذه التفسيرات عادة ما تستعمل لغة معيّنة فى أرضية معرفية محكومة بالمُتاح لها فى لحظة تاريخية بذاتها، تحكمها ظروفها جمودا، وسلطة، ووصاية، ورقابة، وغيرها.

- قد ينجو النص من وصاية هذه التفسيرات فتظل أصوله النقية متاحة معطاء جنبا إلى جنب مع اجتهادات تفسيره المختلفة.

- وقد يختفى النص - إذا غمرته التفسيرات- فى ثنايا تفسيره،

- أو قد يحل التفسير محله، فتحرمنا التفاسير منه فى ذاته، لذاته، وبالتالى تحرمنا من استعادة الحوار معه لاستلهامه

نصوص خالدة متجددة معاً:

على أن ثمة نصوصا، ليست مقدسة بالضرورة، تثبت جدارتها وفائدتها للبشر والحياة دون أن يستطيع الوعى البشرى فى مرحلة (أو مراحل) من تطوره أن يلمّ بمستوياتها المتعددة فى آنها، فهى تبدو غامضة أحيانا، ومتناقضة أحيانا، وبعيدة أحيانا، لكنها تبقى واعدة، متجددة، وكأنها تنتظر، أو تتحدى.

لعل السبب الذى يفسر هذا العطاء المتجدد هو قدرة هذه النصوص على مخاطبة أكثر من مستوى من الوعى دون أن نعرف أى مستوى هو الذى يحتاجها، فى وقت بذاته.

وتتجدد الإيحاءات مع تغيّر مستوى الوعى المتلقي.

وقد تصل أصالة نص ما إلى ما يبدو وكأنه خلود دائم العطاء. ويعتبر خلود مثل هذه النصوص دعوة ضمنية للعودة إليها، وإعادة قراءتها، واستلهامها، بما يستجد للإنسان من أدوات ولغات باستمرار، وبما يتحرك فيه ومعه من مستوياتٍ للوعى متجددة ومتضفرة ومتفرعة.

تتميز هذه النصوص عادة بأن عطاءها ليس له زمان محدد. فنحن نكتشف فيها كيف أنها قد تتناول المشاكل الحاضرة، بل وأحيانا المستقبلية وكأنها تعيش بيننا الآن، ثم غداً، مع أن

عمرها قد يصل إلى مئات، أو آلاف، السنين. وهذا لا يعنى قدرة تنبؤية خارقة، أو معجزة خاصة، وإنما هو يشير إلى عمق ما وصل إليه مثل هذا النص من طبقات الوعى الأساسية التى تشكل الكيان البشرى، فتتجلى متجددة، مع تغيّر الزمان واللغة.

إن خلود النص لا يرتبط بقدراته التنبؤية بقدر ما يرتبط بعمق غوصه إلى جوهر الوجود الذى لا يتغيّر، وإن تجددت تشكيلاته وتنوّعت لغاتـه.

من منظور نفعى بحت، لا بد أن لمثل هذه النصوص فائدة للمتلقين عبر التاريخ، وإلا فكيف بقيت هكذا حتى الآن على الرغم من كل شيء؟

نقاء وعناد الوعى البشرى الناقد:

وسط الفيضانات الهائلة من الوصاية والإحاطة والملاحقة بقشور المعلومات، يظل نقاء الوعى البشرى قادرا على معاودة استلهام مثل هذه النصوص الخالدة، دينية كانت أم غير ذلك.

ويُحسب للوعى البشرى الجماعى، على الرغم من كل ما لحقه، أنه ظل يحافظ على النصوص المقدسة، وعلى أداء الشعائر الدينية، ضد كل محاولات الشرح والاختزال والإنكار، بل ضد كل محاولات العلمنة، والعقلنة، والمَنْطَقَة.

إن محاولات العودة المتكررة إلى نصوص بذاتها تؤكد أمرين:

الأول: هو أن القراءات الأولى، مهما بلغ اجتهادها، ليست كافية.

الثانى: هو أن ثمة حاجة إلى إعادة النظر فى المنهج باستمرار.

لسنا هنا فى مجال الحديث عن بعض ما لحق بالنصوص المقدسة من تشويه وامتهان حين عوملت بمناهج حديثة لا تصلح لها حتى لو سُمّيت **"علمية"**، أو "عقلية"، أو عقلانية، أو ما شئت من مسميات.

منهج الاستلهام الذى نطرحه هنا لا يقترب من جزئيات النص ليحشرها فى قوالب (لغوية أو علمية) جاهزة مسبقا، قوالب لم تُعدّ لمفردات مثل هذه النصوص أصلا، ولا بمقدورها أن تستوعب مضمونها.

يقوم الاستلهام بتجاوز التفسير، وذلك بالتعامل مع النص القادر الواعد المفيد كوحْى متجدد، باعتبار أن رسالة النص الخالد بمستوياتها المختلفة قادرة على تحريك ما يقابلها فى المتلقى، فى أحواله المختلفة، وأزمانه المختلفة. **(انتهى المقتطف)**

وبعـد

أحسب أن هذا التوضيح للفرق بين التفسير والاستلهام قد

يكون لازما حين تبدأ هذه اليومية فى تحديث قراءتى لبعض مواقف مولانا النفرى.

أجدنى الأن مطالباً بأن أجيب على أسئلة محددة متعلقة بهذا الشأن، راجيا القارئ (**الزائر**) أن يعيننى فى ذلك:

- هل هذا الاستلهام هو المنهج النقدى الذى اقرأ به أحلام فترة النقاهة: محفوظ؟
- هل يمكن أن أرجع **"لمفاتيح السر الأربعين"** أفسرها بما يقربها من الإفادة العامة؟
- هل افعل مثل ذلك مع الألف حكمة وحكمة (زائد واحد) التى أطلقتها فى حكمة المجانين؟
- هل أعود للقراءة الثانية (الاستلهام) التى صدرت منى على بعض نصوص النفرى أزيدها إيضاحا لتزيد فائدة؟

بصراحة لست أدرى

وفى نفس الوقت لابد أن أعترف ان هذه اليومية التى سوف تتم الأربعة أشهر بعد أيام، هى التى جعلت هذه الأسئلة تقفز من جديد.

فما بالك عندما نفتح المنتدى فى الشبكة العربية بفضل الابن د. جمال ترك؟

الخميـــــــس 27-12-2007

118- نجيـــب محفـــوظ: قـراءة فى أحـــلام فتـــرة النقاهـة

والحلم (19)، الحلم (20)

الحلم (19)

انبهرت بالشقة الجديدة بعد تسلمها، ففحصت كل موضع بنظراتى، امتلأت جوانحى بالسعادة وقلت لنفسى من الآن يحق لى أن اشغل وظيفة وعلى أن أسعى إليها دون تأخير.

وذهبت الى السوق، المكان واسع المساحة، مسور بسور من البناء المتين، واظهرت اوراق ملكية الشقة فسمحوا لى بالدخول.

المكان مكتظ بالخلق، فحت وجوها احببتها كثيرا ولكنهن جميعا كن متأبطات اذرع رجالهن، وذهبت الى النافذة المقصودة وقدمت أوراقى وفى مقدمتها أوراق ملكية الشقة الجديدة، وفحصها الرجل وسجلها وقال لى: "لا توجد الآن وظائف خالية، وسوف نتصل بك، فى الوقت المناسب".

شعرت بخيبة أمل وشعرت بأننى سأنتظر طويلا ورجعت مخترقا الجموع ومتأملا بعجلة الوجوه الجميلة التى احببتها فى الماضى، ولبثت فى الشقة وحدى، وفى الطريق سمعت رجلا يقول بصوت جهير "لا معنى لأن يملك شخص شقة دون ان يشغل وظيفة.. الأولى أن يتركها لغيره فيمن يحظون بفرص أكثر لشغل وظيفة".. وكأنه يعنينى بقوله، وما دامت الفكرة وجدت فقد تتحول إلى واقع.

وساورنى الشك والهم، وانتظرت ما يخبئه الغد بعين قلقة مؤرقة.

****

القراءة

"المكان" - "الهُوية" - "الحركة" - "الذات"،

هذه الرباعية المفتوحة هى من أهم ما يشكل لوحات هذه الأحلام/الإبداع حتى الآن.

الشقة هنا 1[1] بدت بمثابة بداية الاعتراف بأنه **قد**

أُفسِحَ له مكان فى هذه الدنيا، بأنه قد "تواجد"، بأنه قد **تم الاعتراف له بوجوده**، ومن ثَمَّ فليبدأ الرحلة إلى العالم الخارجى.

لا يمكن أن يظل هذا الوجود **"السعيد"** حبيس الشقة مهما كانت جميلة، عليه أن ينطلق من هذه البداية الطيبة المرحَّبَةْ إلى العالم! إلى الناس، مازال الاعتراف صادقا مرحبا حتى خارج الشقة (السوق المكان **واسع المساحة**) فالحركة فيه ممكنة وطليقة، وفى نفس الوقت آليات الدفاعات جاهزة وقادرة (السوق مسوّر بسور متين) 2[2]

سُمِح له بالدخول ليبدأ رحلة "العلاقة بالآخر"، "بالآخرين" التى بدأت بقدر آخر من السماح كاد يكمل ما بلغه من شقته الجميلة.

فى جملة واحدة، مع الانتباه إلى الضمير المتصل فى: **"لكنّهن"**، و**"أنهن"**، يمكن أن ننتبه إلى أن الوجوه التى أحبها كثيرا كانت لأخريات مشغولات بغيره، لم تنتبه إحداهن إليه أصلاً، **فكل واحدة متأبطة ذراع رجلها.**

لا يكفى أن **"توجد"**، ولا أن **يُسمح لك بالدخول**، حتى **"تكون": "تفعل": تُنجِز**، تقوم **بدور ما** فى الحياة (وظيفة) يؤكد وجودك.

ثمة إشارة هنا تشير إلى كيف أنه لو وجدت **"أخرى"** تتأبط ذراعك فإنه يمكن أن يُعترف بك من جديد، الأخرى تبدأ من الأم فى الخارج، لتتكرر باستمرار، إلى ما يؤكد الوجود مجددا، ومن ثَمَّ تستطيع أنت أن تستمر، وأنت تقوم بـ **"دورك"** الواعد (الوظيفة).

هنا نرجع إلى السؤال الأشهر:

هل نحن **"نفعل" "فنوجد"**؟

أم أننا **نوجد فنأخذ الفرصة أن نفعل فيتحقق وجودنا**، ففرصة أخرى، وهكذا؟

واجهنا الحلم هنا بأن الاعتراف بهذا الوجود البدْئى مهما كان مرحَّبا به، يمكن أن يصبح بلا قيمة إذا لم يؤدِّ إلى فعلٍ بنّاء، (وظيفة) مع رفيقةٍ مصاحبة.

إذَن من يتصور منّا أن مجرد الاعتراف بوجوده (الشقة الجميلة، والسماح له بالدخول إلى السوق)، هو مبرر كاف **لأن يكون له "دوره"**، هو مخدوع، ومن ثَمَّ هو مهدد بالطرد من الوجود، ما ظل وحيدا، **عاجزا عن التواصل أو محروما منه**، ولا يبقى له إلا التأمل فى ذكريات وجوه جميلة أحبّها فى الماضى، فقط، فيرتد إلى وحدته (ولبثُثْ فى الشقة وحدى).

إن الذى يؤكد **الوجود** هو **التواصل**، ومِنْ ثَمَّ **"الفعل"**.

يتحرك **"وجود"** الواحد منّا بعد الإقرار المبدئى حين يجد من تتأبط ذراعه، ثم يعثر على وظيفة. (دور)

وحتى لو لم يُعترف ابتداء بوجوده (الشقة)، فإن ممارسة الفعل (متأبطا ذراع من يحب إلى الوظيفة: دوره الفاعل في الحياة) هو السبيل أن يوجد وهو يخلّق هويته بتجدّد متصل.

وبعد

فإذا كان الحلم قد نبه مباشرة إلا أنه **لا معنى "للإقرار بالوجود دون فرصة الفعل في حضور آخر، أو عبْر حضور آخر،** فإنه قد أكد أيضا أن **من لا يجد له دور، فعليه أن ينسحب أو يقبل أن يُسحب منه الاعتراف بوجوده** (أنظر نهاية حلم 18) **يومية 20-12-2007 (حلم 17، حلم 18)**

****

الحلم (20)

خرجنا باحثين عن مكان طيب نمضي فيه بعض الوقت. ونظرنا إلى الهلال ثم تبادلنا النظر. ورأيت على ضوء المصباح رجلا عملاقا لم تر العين مثله ارسل عمودا لا مثيل لطوله نحو الهلال حتى بلغ طرفه. وراح بحركة ماهرة يفرد طيات نوره حتى استوى بدرا وسمعنا اصوات تهليل فهللنا معها وقلت انه لم يحدث مثل هذا من قبل فصدقت على قولي، وانساب النور على الكون رفعني على سطح الماء فهتفت "ليلة قمرية" فقلت "القارب يدعونا" وركبنا ونحن في غاية السرور، وغنى الملاح "رايداك والنبي رايداك"، واسكرنا الفرح فاقترحت ان نسبح حول القارب وخلعنا ملابسنا ووثبنا الى الماء وسبحنا ونحن في غاية الامتنان ولكن القمر تراجع فجاة الى الهلال واختفى الهلال.. انزعجنا انزعاجا لم نعرف مثله من قبل، ولكني شعرت بانه يجب مراجعة الموقف بما يتطلبه من جدية فقلت ونحن غارقان في الظلام "لنسبح نحو القارب" فقالت "وإذا ضللنا الطريق"؟ فقلت: "نستطيع ان نسبح حتى الشاطئ فقالت: "سنكون عارين على الشاطئ" فقلت: فليؤجل التفكير في ذلك.

(الخط تحت بعض العبارات ليس في الأصل)

****

القراءة

الحركة هنا تمتد إلى حوار فاعل بين الانسان والكون، يتكرر الاقرار بالدهشة والتنبيه للغرابة منذ "البداية" إلى النهاية: العملاق **"لم تر العين مثله"**، وفرد طيات النور لتشكيل الكون **"لم يحدث قبل هذا من قبل"** وحتى الانزعاج من تقلب الأحوال لم **يعرف مثله من قبل** (انزعجنا انزعاجاً لم نعرف مثله من قبل)...

هذا حلم به تقرير مباشر لحجم الدهشة لأحداث الخارج والداخل معاً، وهو يستأهل ذلك.

المكان يتداخل بعضه في بعضه، ليس فقط بين النهر والشارع (مثل حلم 18) ولكن من عمق ما إلى/على "سطح الماء" إلى السماء،

الذى يرفع هنا هو النور الذى انساب من معجزة فرد طيات عمود النور لينقلب الهلال بدرا بفعل الانسان فى الكون.

هكذا بدت لى أن ثمة تذكرة لكى يستعيد الإنسان دوره فى الحوار مع الكون (انظر يومية الثلاثاء 26-12-2007 قراءة النص: بين التفسير والاستلهام) وصلنى أن ثمة محاولة لإظهار كيف يمكن أن يتصالح الإنسان مع الكون فاعلاً، ثم تتأكد المسألة من خلال أنها ليست إرادة تعْملق، بل رغبة طيبة، فى جوٍّ ظائط "رايداك والنبى رايداك"

فَرَحةٌ نشطة، وسباحةٌ واثقة،

لكن الدورة دوارة، فهذه القدرة ليست ثابتة ولا مطلقة، وهى قدرة مؤقته إما بطبيعتها وإما بقانون الايقاع الحيوى (دورات النور والظلام) ونبض النوم واليقظة،

الظلام هنا ليس نقيض النور، وإنما هو يبدو الوجه الآخر له مكملا للدورة، ذلك أن الثقة فى النجُاة وتغيير الاتجاه مازالت واردة وواعدة

(الظلام ربما يكون هو إطار الحلم الذى يحدث أثناؤه النشاط الدورى فى الايقاع الحيوى).

فى الحلم نتعرى، لكن مع الاحتفاظ بالقدرة على إعادة التنظيم.

التهديد المرعب أن يمتد هذا التعرى إلى اليقظة (فهو الجنون).

لكنه احتمال بعيد.

حتى لو حدث، فإن له تناول مناسب،

"فليُؤجل التفكير فى ذلك".

[1] - فى الدراسة الطولية، أمل أن تتاح الفرصة لمراجعة حضور "الشقة" المتنوع فى عدد متواتر من الأحلام، ودلالات الحركة منها وإليها وحولها.

[2] - يحسب الناس أن الدفاعات النفسية mental mechanisms (الكبت والاسقاط والتبرير ... الخ) هى آليات لا يستعملها إلا العصابين، مع أنها أساس متين لحماية الذات من إغارات الداخل والخارج، شريطة أن تكون مرنة وقابلة لإعادة التشكيل والتراجع تدريجيا - عادة مع كل نوبة نمو - لصالح آليات النضج والتكامل.

الجمعـــــــة 28 -12-2007

119- حـــــــــوار بريـــــــــد الجمعـــــــــة

مقدمة:

بعد ثلاثة أيام: أول يناير 2008 (وكل عام ونحن، والعالم بخير، ما أمكن ذلك، وأكثر) سوف تفتتح "الشبكة العربية للعلوم النفسية" **http://www.arabpsynet.com/** ما هو **منتدى "الإنسان والتطور"**، لمناقشة فكر "العبد لله" كاتب هذه السطور، بفضل الإبن د. جمال ترك، انطلاقا من هذه النشرة اليومية التى سوف تبلغ من العمر حينذاك أربعة أشهر بالتمام، 122 يوما بـ122 نشرة لم تنقطع يوماً، وإن كانت قد تشعبت دون أن تكمِلَ أى موضوع تقريباً!.

وهل شئ يكتمل؟

لا أريد أن أعيد كيف بدأت هذه النشرة، ولا تاريخ مجلة الإنسان والتطور(1980-2001)، ولا أصل فكرة **جمعية الطب النفسى التطورى والعمل الجماعى التى أنشئت سنة 1979** والتى يكاد يقتصر نشاطها منذ ذلك الحين وحتى الآن، على إصدار مجلة "الإنسان والتطور"، وعقد الندوة الثقافية الشهرية منذ قبل إنشاء الجمعية سنة 1973 ثم الندوة العلمية الشهرية منذ سنة 1980، (تقريبا) ثم صدور هذه النشرة من أول سبتمبر، وأخيرا وليس آخرا فضل هذه الشبكة العربية للعلوم النفسية والإبن جمال ترك على هذه الخطوة الأخيرة.

هذه هى خلفية هذا المنتدى الذى يظهر فى وقت كدت أزعم - كاذبا - أننى أسلّم الأرقام.

أنا لا أعرف تحديدا ماذا يعنى منتدى Forum ولست متأكداً إن كان سوف يحل محل حوار بريد يوم الجمعة أم لا.

الذى أعرفه هو أننى أصبحت ملزما - مع بدئه- بتقديم فكر الطب النفسى التطورى الذى ظهر هنا متواضعا - ومازال كذلك- قبل أن يظهر ما يوازيه فى أماكن أخرى فى العالم، وكل ما استطعت أن أحصل عليه حاليا هو كتاب متواضع عن علم النفسى التطورى والطب النفسى التطورى.

الفكر التطورى يثير حساسية خاصة فى الفهم التقليدى للتطور وعلاقته بالفكر الدينى الرسمى، وأنا أتصور أن جمعيتنا هذه (الطب النفسى التطورى والعمل الجماعى) وهذه المجلة (الانسان والتطور) وهذه النشرة اليومية أخيرا، مع انتمائها للتطور كمبدأ أساسى لها خلفية ثقافية أساسية هى **ثقافتنا العربية** (وأكاد أقول: **الشرقية عامة** وليست البدعة الشرقأوسطية) وهى أيضا معجونة بجوهر عطر **اللغة العربية** تحديدا.

إنه بالرغم من أن التطور يوحدنا نحن البشر ليس فقط شعوبا وأديانا من حيث الجذور، إذ يرجعنا إلى أصل واحد، إلا **أننا لم نستثمر منظوماته وعطائه فى السعى لأن نتوحد مستقبلا أجناسا وأديانا كبشر إلى مصير واحد**، مع أن هذا وارد بشكل أو بآخر مما لا مجال لتفصيله الآن، وإن كنت أستشعره فى عمق ما يحاوله هذا الفكر، فكر "الانسان والتطور" دون إمكانية تحديد أية تفاصيل حالاً.

إن هدف تجمع البشر وتضافر جهودهم ليكونوا ما خلقوا به، حتى يحققوا ما خلقوا له – مما لا نعرف له تفصيلا – لا يعنى إغفال الفروق الثقافية أو الإثنية أو العرقية أو الفردية، **بل إنه قد يعنى تعميق هذه الفروق لصالح التضفر الضام إلى غائية موحدة ليست محددة المعالم – الآن- بالضرورة.**

مفهوم التطور إذ يبدأ من توحيد الأصل إنما يتأكد ويتقدم نحو توحيد المصير.

لا يتم ذلك إلا بأن يبدأ كل منا من أصالة وعمق موقعه وثقافته، ثم سماحه وحركته، الضامة إليه: إلينا.

وبعد

لا أستطيع أن أجزم الآن ولا حتى أن أتصور إلى أين، ولا إلى متى ستتواصل هذه الجهود، ولكن ما حذّرت منه الإبن د. جمال ترك، ونفسى، هو أن تبدأ المسألة وتنتهى عند جهد فرد مثله هناك، أو مثلى هنا، نتيجة عجزنا عن العمل الجماعى المؤسَّسِى الممتد.

إلحقونا يرحمكم الله، ويغفر لنا ولكم، وينفع بنا وبكم

وكل عام وانتم بخير

والآن، هيا إلى بريد/حوار الجمعة الذى آمل "ألا يحل محله، حوار المنتدى" قريبا.

أو لِيَحَل،

إيش عرفنى ما الأفضل؟

نبدأ – ربما كالعادة – بالإبن يقظ التلقى، بديع الإضافة د. أسامة عرفة:

أهلا أسامة، أنت أول من أبلغنى خبر هذا المنتدى قبل أن أفتح بريدى لأجد الخبر من الإبن جمال،

فما رأيك يا أسامة فى هذه المقدمة، ولكن دعنا نسمع منك أولا ما أرسلت قبل هذه المقدمة.

د. أسامة عرفة: الحلم (17)، (18) يومية (19-12-2007)

فى منهج تناولكم لأحلام فترة النقاهة يبدو أن مَنْحَى **قراءة الداخل يأخذ المساحة الأكبر**، لكنى استشعرت أمرا ما .. وهو إيقاع التكرار مما جعلنى أتساءل هل هذه التكرارية إن صح حدسى هى جزء من إيقاع عملية الابداع؟ أى أنها أشبه ما تكون بطور البسط قبل القبض؟-folding) (unfoldingأم أنها فى هذه المرحلة كانت نوعاً من التوقف و الحركة فى المحل، قد يأتى أو لا يأتى ما يليها؟؟

د. يحيى:

لا أظن ابتداء أن أى توقف أو حركة فى المحل هو مطروح بأى صورة وبأية درجة.

ثم إنى لست متأكدا يا أسامة إن كنت تعنى إيقاع الأحلام ذاتها، أو فى قراءتها (نقدها)؟ **عموما:** سواء كان هذا أم ذاك فأنا أرى أن عندك حقا، من حيث المبدأ بالنسبة للإيقاع، وليس للتكرار أو الحركة فى المحل، بجد يا أسامة عندك حق، ولو قرأت حِلْمَىْ أمس، (19، 20) وقد كتبتهما قبل وصول رسالتك، لتأكد لك أن ملاحظتك فى محلها فعلا، فقط أذكّرك أنها ليست أحلاما، لكنها إبداع صرْف، إبداع يستمد مادته من بعض محتويات الأحلام التى يحلمها المبدع محفوظ، أو يتصور أنه يحلمها.

أما أنها تمثل طور البسط – أحد ذراعىْ الإيقاع – فهذا وارد فى كل من الحلم والنقد، ويظهر ذلك جليا فى حلم (20) مثلا، وقد نشر أمس.

أذكّرك يا أسامة أن الذراع الآخر لطور البسط حتى تكتمل النبضة: هو طور الملء أو الاستيعاب وهى ترجمة لكلمة Filling phase إذا قارنا دورات القلب وامتلاء البطين بالدم، أما طور البسط، فهو ما يقابل طور دفع الدم Systole ejection phase، **ولهذا فأنا أختلف معك فهى ليست "بسط وقبض" وإنما هى "امتلاء فبسْط"**، ثم أذكّرك أنه فى الحلم والإبداع يتقدم طور البسط وينجح بقدر ما يكون الإمتلاء قد نجح، وإلا، فماذا يمكن أن يبسط؟ ليتخلق تشكيل بديع جديد؟

د. أسامة عرفة: عن يومية 26-12-2007 (قراءة النص: بين التفسر والاستلهام)

... تعلمنا منك أن مسودات العمل الابداعى أحيانا تكون أهم من العمل نفسه، فلماذا لا تكون قراءاتك للنفرى ليست إعادة قراءة تحل محل الأولى، بل قراءة أخرى او ثانية أو ثالثة وأن تحمل كل قراءة تاريخها.

إن تعدد هذه القراءات سوف يثرى من يقترب للبحث العلمى أو النقدى لفكر أو تفكير أو ابداع الدكتور يحيى الرخاوي. لِمَ لا ؟؟..

إن القيمة الحقيقية للنص ليست فى فهمه أو شرحه أو تفسيره وبدرجة أقل استلهامه، إنما فى التفاعل الحى معه: حركةً وفعلاً ونبضاً حياتياً، وربما لا يكون هذا بعيدا عن المعرفة بالجسد أيضا (أقصد دور الجسد فى الموقف المعرفى).

د. يحيى:
يا عم أسامة، وهل أنا ناقص؟ أنا – نفسى – حين أقرأ ما كتبتَه استلهاما من مواقف النفرى، أتعجب كيف كتبته، ولِمَنْ. ومع ذلك أعِدُكَ أن أضع اقتراحاتك فى الاعتبار، أوافقك – بجد- من حيث المبدأ، أنت تجدد لى ضرورة التزامى بتحمل مسئولية الكلمة باستمرار فى مراحل نموى المختلفة، حاضِرٌ.

د. أسامة عرفة
بمناسبة التغذية الراجعة وتحسين الاستجابة للدواء مازلتُ مستقبلاً ومستلهماً لقولكم **أن ما تفعله مع المريض قبل الدواء هو الذى يفتح الطريق لعمل الدواء ...**

د. يحيى:
يا ليت يا أسامة ياليت، بل إنه أيضا هو الذى يعد المريض للاستفادة القصوى من جلسات تنظيم الإيقاع التى يسمونها خطأ العلاج الكهربائى أو الصدمة الكهربائية، ياليت يا أسامة يصدقنا أغلب الزملاء، المسألة ليست إيحاءاً مسطحا، إنه حوار البيولوجى مع البيولوجى فعلاً،

لقد نسينا كيف كان يتعايش أجدادنا دون أطباء من الأسود والأيائل والحيتان والنوارس والدرافيل، لا يوجد الدكتور ليث، ولا الدكتورة شيتا!!

بالمناسبة هل قرأت يومية "أنواع العقول"؟

د. أسامة عرفة: <u>عن يومية 25-12-2007 (أنواع العقول وتعدد مستويات الوعى)</u>
(نعم) وبمناسبة حكاية ربنا عرفوه بالعقل أنا شايف إن ربنا عرفوه بالقلب .. أحيانا أشعر أن بداخل كل منا **عقل كبير يحوى كل المعرفة** على عمق ما بداخلنا، وعقل آخر متلقى للمعرفة المحيطة، وعقل ثالث نشط فى الحركة بين العقلين يصنع ويعيد تشكيل مساحات المعرفة الفاعلة بقدر معطيات ونتاج هذه الحركة، وكأننا نعيد صياغة أو إبداع معرفتنا الكلية فى فعل حى معاش شديد الثراء والتنوع.

د. يحيى:
ربما أوافقك من حيث التوجه العام، لكن: لا تعبير عرفوه "بالعقل" صحيح، ولا عرفوه بالقلب صحيح، أو دعنى أقول إن كلاً من لفظىْ "العقل" و"القلب" يقع فى وعى أى متلق حسب منظومته، وليس حسب ما تعنى أنت، أو أعنى أنا، فما العمل؟.

ثم إنى فرحت بمقولتك "... إن بداخل كل منا عقل كبير.. إلى

أن قلت: هذه الحركة وكأننا نعيد صياغة أو إبداع معرفتنا الكلية فى فعل حى معاش شديد الثراء والتنوع".

ربما تكون هذه الحركة التى أشرتَ إليها هى الكدْح الذى أكرر الاستشهاد به، وليت هذا العقل الأكبر الحركىّ يستوعب ويحاور العقل الكونى الكبير المفتوح النهاية، إذنْ لأمكنْ ما لا يمكن... وعداً وكدحاً أيضا...

شكرا يا أسامه. والآن تعالى معى نرحب بهذا الزائر (19 سنة) يبدو أنه أخفى اسمه الحقيقى وسمى نفسه **"المطالع بن الكتاب"**

المطالع بن الكتاب: (2007-12-22)

السلام عليكم الاستاذ الكريم

... بدأت للتو قراءة كتاب **"حركية الوجود.. وتجليات الابداع"** جذبتنى محاولة الربط بين الجنون، والحلم، والإبداع، وهى من أفضل ما قرأت لتوضيح العلاقة بينهم. إلا أنى أعبر لك عن استيائى الشديد من أسلوب كتابتك - وأسلوب كتابة المؤلفين العرب بشكل عام- بسبب تخصصه الشديد من غير هوامش لتفسير الكلمات الموحشة.انا طالب طب اسنان ولم افهم من كلامك إلا الفحوى العام.فما بالك بغير المتعلم؟

..... (من أهم اقتراحاتى أن تقوم بـــ) استئناس الكلمات الموحشة بتفسيرها على الهامش بنية أن يكون الكتاب أليفا مألوفا ليس، لـــ 5 الاف باحث فى علم النفس بل ليكون مألوفا لكل راغب معرفة. وهناك سلسلة علمية فى المانيا باسم "العلوم للأغبياء" و تشرح الامور بشكل مبسط....

د. يحيى:

عزيزى المطالع

أهلا بك أولا، ثم هل تسمح لى أن أبدى رأيى فى اختيارك هذا الاسم المستعار، أو الحركى؟!

لقد فرحت بك شابا (19 سنة)، لأننى أعانى من حفيدى وأصدقائه فى نفس السن، كما أعانى أيضا من شباب أكبر سنا ربما حتى الخامسة والعشرين حين لا يصاحبون القراءة أصلا، فما بالك بالإطلاع وهو غير القراءة، ثم خذ عندك استيعاب ما نقرأ ثم المسئولية عنه!! ما علينا، فعلا يغمرنى الغيظ حين أواجَهُ بأن الواحد منهم "مش فاهم" حتى يلقى الكتاب أو المقال جانبا بعد صفحة أو اثنتين، وأنا لا أخفى عليك أننى قد أقول لأى منهم - فى نفسى على الأقل- "إن شاالله ما فهمت"، ثم أرجع لأقرأ ما لم يفهمه، فأبادر بالاعتذار له - بينى وبين نفسى أيضا- لكننى لا أتراجع،

أما حكاية بقية اسمك "ابن الكتاب"، فإن كنتُ أفوّت لك

اسم المطالع فأنا لن أفوت لك حكاية "ابن الكتاب هذه"، أنت إبن الواقع، وإبن نفسك، وإبن زمانك، وإبن حركتك، ومع ذلك كُنْ إبن الكتاب، شريطة أن يكون هو الكتاب الذى أعطاه ربنا ليحيى بقوة "يا يحيى خذ الكتاب بقوة"، وهو ليس كتابا مكتوبا على أية حال.

شكراً بنّى،

كتابى الذى أشرتَ إليه **"حركية الوجود.. وتجليات الابداع"** هو متاح فى الموقع لمن يصبر عليه، وواضح أننى كتبته لكل من يبذل جهداً يقابل الجهد الذى كتبته به، أى أننى كتبته لأى قارئ جادّ وليس للمتخصص فى العلوم النفسية، ثم إن محتواه الأول - قبل التحديث - نشر فى مجلة للنقد الأدبى، وهى مجلة "فصول"، فى الثمانينات، والأرجح عندى أن أحداً من النفسيين لم يقرأه حتى الآن (على قدر علمى).

وعلى الرغم من نقدك اللاذع، وحدة الاعتراض والرفض، فقد فرحت جدا أن بعض ما أردتُه قد وصلك بشأن محاولة ربط الحلم بالجنون بالابداع، أما تفضّلك بمحاولة التبسيط والتشكيل بمهاراتك الخاصة للموضوع: فهذا فضل كبير منك، ولكن نسمع اقتراحك تحديداً أولاً

المطالع بن الكتاب

.... أنا شبه متأكد انى سوف أعرض كتابك بشكل أقرب للقارئ العادى خلال الاشهر القادمة بسبب أهميته واهتمامى بقضية الإبداع والعولمة وأنماط التفكير، ولربما حولت أجزاءا من كتابك إلى "فلاش".

د. يحيى:

...أكرر شكرى، ولكن أرجوك ألا تفعل ذلك إلا بالاتفاق معى، ليس بسبب حق النشر أو هذا الكلام، وإنما خوفا عليك - وعلىّ- من مغامرة صعبة، قد تُوصّل ما لم أقصد إليه بهذا "الفلاش الذى لا أعرف تفاصيل ما هو"، أرجوك على الأقل أن تعرضه علىّ قبل نشره فى موقعك، فإما أن أوافق أو قد يكون الأنسب أن تعتبره نقداً، أنت مسئول عنه دون مشاركتى إلا كصاحب النص الأصلى، مثل أى متن لأى شخص حق نقده، لا عرضه بما يرى

النقد نقد، والأصل أصل

هكذا أستطيع الاحتفاظ بحقى، الحفاظ على رأيي ورؤيتى.

أما إشارتك إلى مطالبتى بمزيد من الهوامش فلك حق

لكن مسألة أن أستعمل لغة أبسط فهذا تقع فى منطقة **تيسير العلوم** أو تبسيط العلوم، هى منطقة ليست من بين اهتماماتى حاليا، مع أنها **واجب مفيد.**

عزيزى المطالع، أشكرك من جديد وأرحب بضيف، اسمه خالد، كتب لى بضعة أسطر بالانجليزية الهجين فترجمتها هكذا

خالد صلاح حسين: (2007-12-22) (ترجمة موجز الرسالة بالإنجليزية الهجين)

... لا أعلم إن كان فى مقدورى أنا أخاطبك "شخصيا" أم لا، على أية حال أرجو اعتبارى ابنا لك.

د. يحيى:

.... أشكرك يا خالد، وأرجو أن تبذل جهدا للكتابة بالعربية، خصوصا وأنا لا أحب هذه اللغة الإنجليزية الهجين التى شاعت مؤخرا، ولا حتى اللغة الإنجليزية الصرْف، ثم إنه يشرفنى أن أكون عند حسن ظنك مع أنى والد صعب (غتيت). فأنا لا أرد مباشرة على الأسئلة عادة، بل إن بعض زوار الموقع التقطوا ذلك وطلبوا منى أن أسألهم وليس العكس، مثل الإبنة "سندس".

سندس محمد على: (2007-12-22)

.... دلوقت احب تسألنى أسألة واستفيد منها علما انى فاهمه كتير من الامور فى دماغى وصعب أحيانا انفذها، بس قطعت شوط كبير فى إنى أعمل واقدر واحترم ذاتى وكون انى مخلوقه فى الحياه ...عايزه اعرف انا ماشيه صح ولاّ إيه اللى ناقص؟

د. يحيى:

... لا أحد – يا سندس- يُرى أحداً إن كان "سيره صح ولاّ إيه اللى ناقص".

طيب بذمتك: أنا – شخصيا – ماشى صح ولاّ آيه اللى ناقص؟.

يا شيخة حرام عليكى، المهم تكون ماشية.

أنا أفتقر يا سندس رأياً من أصدقاء قدامى، يقولون لى إن "كنت ماشى صح ولاّ إيه اللى ناقص"، لا .. لا.. إنتظرى، هذا هو أحدهم جاء يعقب، وهو شاعر هادئ وقاصّ رقيق كما كنت أعرفه، وهو مازال كذلك، هو القاص الشاعر نعيم صبرى.

نعيم صبرى: (حزمة من مفاتيح السر "الآخر") يومية (23-12-2007) (مفاتيح الدكتور يحيى)

أولا مبروك على هذا المجهود الكبير، ولكنى لاحظت أن المقالة طويلة جدا والمفاتيح كثيرة خالص وأنا شخصيا تهت ولم أستطع أن أمسك بكل هذه المفاتيح.

وإذا جاز لى الإيجاز فأنا أستعمل مفتاحا واحدا وهو "أنى أحاول كل يوم أن أتصالح مع نفسى"، يعنى تقدر تقول أنى أجريت تحويرا بسيطا على مقولة ستنا أم كلثوم (صالحت بيك أيامى) إلى أنى أصالح بى أيامى، وأزداد حبى كثيرا لسيدنا النفرى.

د. يحيى:

أهلا نعيم! "كيف حالك"؟ ماهذا العنوان الذى ابتدعْتَه؟

مفاتيح يحيى الرخاوى ماذا؟!، أنا ليس لى مفاتيح، إنها مفاتيح خطرت لى أفتح بها أبوابا إلى **"السر الآخر"** كما أسميته، وهو سر **"الهنا والآن"** سر **"أنت أصل الكون ولك عنده حق".**

أما طول المقال فأنا لا التزم بحجم معين،

وأخيرا فرحت بمفتاحك البسيط المهم الذى تُصالح به أيامك، بعد أن تتصالح مع نفسك، وقد وصلنى أن ثم فرقا بين أن تصالح تتصالح مع نفسك وبين أن تصالح أيامك بك!! هذا كله طيب، لكن والنبى تقول لى كيف؟.

أما مولانا النفرى فأنا أحبه وأحب من يحبه، ولا أعرف إن كان لديك كتابى عنه .. أم لا .. ولقد أشرت إليه فى يومية سابقة **(مواقف النفرى بين التفسر والاستلهام)**، عموما هو فى الموقع يمكنك أن تتطلع عليه أو تنسخه لك،

أتمنى ان تواصل متابعتك لما أحاوله، وأن تشترك فى الملتقى (أنظر المقدمة وملحق بريد الجمعة الماضى)، لأنى لا أريد أن يكون كل المشاركين نفسيين.. (يعنى).

ثم أرجو الآن أن تكمل معنا الحوار، هذا هو الابن "إسلام أبو بكر" المسئول عن الموقع

إسلام أبو بكر: (25-12-2007)

أثناء تجوالى على شبكه الانترنت بحثا عن معلومات أو أجوبة لاسئلة تقع على عقلى كالنيزك الفضائى، دخلت الموسوعة الحرة على الانترنت ووجدت معلومات عن مرض الفصام، فقرأت وقرأت الى أن وجدت ارتباطات بمواقع تختبر عن طريقها نفسك أن كنت قلقا أو تشعر بالوحدة إلى آخر هذه الأشياء وبعد إتمامى للإختبارات وقراءتى للنتائج، وجدت نفسى انتقد هذه النتائج وأحسبها ليست علمية، وقلت لنفسى ماذا لو ارسلت لك هذه الصفحة على الانترنت كى تعرف ماذا يدور هناك، سوف اكون شاكرا جدا ان عرفت وجهة نظر حضرتك أو رأيك فى هذا الموقع و الاختبارات النفسية التى يحتويها وهذا هو الرابط

http://www.najahteam.com/test/testyour.php

د. يحيى:

لقد كلفت صديقك يا إسلام، وزميلنا فى المسئولية عن الموقع، الإبن "أحمد السيد" بالبحث عن هذا الموقع وإيجاز ما يراه وهذا هو رأيه وتعليقه:

أحمد السيد:

الموقع المشار إليه هو موقع باسم "فريق النجاح" ويتضمن مجموعات من الاختبارات والاستبيانات مثل

هل حياتك الزوجية مستقرة؟

هل تعانى من التوتر أو الإجهاد النفسي؟

هل تعانى من الوسواس القهرى ؟ ..... وهكذا

ويشرف عليه أ.د. عبد الله السبيعى

ولكن الموقع فى مجمله بسيط وهو يعتمد بشكل أساسى على الأسئلة والرسائل بين القراء ومشرفين على الموقع، كما أنه يتميز بالمقتطفات من المجلات الطبية وصفحات الانترنت، وهو ليس بقوة بعض المواقع الأخرى الجادة كموقعنا مثلا.

د. يحيى:

شكرا يا بوحميد، وإليك مع إسلام أكرر شكرى على عنايتكم بموقعنا المتواضع هذا، وإن كنت أعرف أو أرجح أن زوار المواقع يفضلون "قزقزة الفشار" عن البحث عن "شريحة مشوية من بيت الكلاوى"، أنا لا أمدح موقعنا فهو صعب ويحتاج لمزيد من الجهد والتنظيم، وبه أخطاء بلا حصر، تحتاج الإسراع بالتصحيح خاصة بعد حكاية الملتقى **(أنظر المقدمة)** التى سوف أعتمد على الله وعليكما فى متابعتها... ربنا يسهل،

إنتظر يا إسلام، ها هو ابن قديم، يبدو أنه دخل إلى الموقع مؤخرا فصادفته النشرة، ثم يبدو أنه بحث فى الأرشيف فعلق على يوميات قديمة فعلاً وقد فرحت بذلك، لأنى كنت قد نسيت ما كتبت خلال أربعة أشهر، إذ يبدو أن تدفق وتلاحق الكتابة هكذا يقلل فرص التذكر قليلا أو كثيرا، ها هو الضيف الجديد د. محمد عزت:

د. محمد عزت: (نستعمل الواقع، لا نستسلم له، ونظل نرفضه حتى نغيّره) يومية 3-9-2007!!)

صباح الخير يا استاذى أنا محمد عزت .أرجو ان تكون لا تزال تذكرنى.النقاط المركزة الاخيرة (فى هذه اليومية "نستعمل الواقع لا نستسلم له.." نستعمل)، مُحرضة صادقة، ولكن يبدو ان الكثير من الشجاعة تنقصنا والكثير الكثير من العمى يتملكنا.

د. يحيى:

أهلا يا محمد ولكنك تعرف أن لدىّ أكثر من ابن بنفس الاسم (محمد عزت) وأنا لا أعرف لماذا يسمى عزت ابنه باسم محمد؟ ومازال ابنى محمد يلومنى سرا وعلانية لأنه لا يعّرف إلا باسمى: محمد يحيى الرخاوى، فلو قالوا محمد الرخاوى، لاختلط اسمه باسم عشرات بهذا الاسم، أنا فقط أداعبك، أرحب بك، خصوصا أنك تعلّق على يومية قديمة جدا فهل مررت بأخرى.

د. محمد عزت: عن يومية 10-9-2007

نعم: يومية الشرق الأوسط: تلفيق خطر

جزاك الله عنا خيرا

د. يحيى:

أيضا يا محمد هذه يومية قديمة، يا شيخ، ذكّرتنى ببداية الحماس لهذه الورطة التى تزداد كل يوم حضورا ومسئولية، يا ترى يا محمد متى تستطيع أن تغطى الـ119 يومية التى ظهرت حتى الآن، وتقول لنا رأيك؟ هل عندك تعليق آخر؟

د. محمد عزت: عن يومية 20-9-2007

(نعم لى تعليق على قراءتك للأحلام) ... رغم اعتقادى أن **"أحلام فترة النقاهة"** هى إبداع وليست مجرد سرد أحلام إلا أن الشك ساورنى بعد أن شاهدت العديد من النقاد وهم يؤكدون انها مجرد سرد للاحلام. ولذلك اشكرك على توضيح هذه الحقيقة الهامة.

د. يحيى:

يا د. محمد أرجو أن ترجع إلى نقدى فى مجلة وجهات نظر عدد يناير 2003 **(أعظم ما نقدمه لشيخنا الجليل.. العمل الجاد قراءة فى "آحلام" نجيب محفوظ)**، **ومجلة إبداع "العدد الأول"** يناير – مارس 2002 **(أحلام نجيب محفوظ تعد من قبيل المنامات.. أم هى أحلام يقظة)**، للتأكيد على هذه النقطة ومعرفة رأيي فيها بالتفصيل، وهو ما خصّته أنت الآن، والآن تعالى معنا إلى رامى، فهو حكاية مستقلة عموما، يحتاج بريده إلى يوم يخصص له بأكمله، ولكن دعنى أستأذنك يا رامى فهذا هو محمد ابن اخى فى استراليا يصيح بنا بنفس الطريقة.

د. محمد أحمد الرخاوى

.....

(1) ..... هذا هو السر الوحيد الذى يعرفه كل البشر حتى الذين عموا وصموا خلقنا من كل الجمال كل الكمال كل المطلق"\ انى جاعل فى الأرض خليفة "\أن تكون الخليفة هو أن تعيش فى هذا المطلق وأنت على الأرض ولكن كيف؟؟؟ أن تربط نفسك وعيك عقلك قلبك حضورك بهذا الذى خلقت من أجله، فالخروج من هذا الذى لم تخير فيه هو الخروج ، من المسار من الهدف هو غطاؤك، هو عدمك هو اللاشئ فأن توقن بغير الله هو الغباء لأن غير الله لا يملك أى شئ لا يقدر، لا يستطيع" .

.....

.....

(2)..... على حافة الوجود يتتعتع الوجود إلى المدى الذى لا يعرفه أصلاً !!!! يتغطرس من يظنون أنفسهم "\ المتحررون "\بكل المعارف وكأنها هى نهايتها وكأنها هى \"المعارف "\يقولون أنهم قادرون وأنهم يملكون وأنهم وأنهم وتزداد أغطيتهم فيدورون فى ساقية الفراغ والشقاء واللاشئ

د. يحيى:

يا محمد يا ابنى، بصراحة، أنا خجلان منك لما أغفله من

خطاباتك، لكننى أبحث فى كل ما ترسل عن جديد، عن مشاركة لسائر المتحاورين، عن حقيقة أخرى بجوار ما تقول، فأعجز.

عذرا يا محمد، ودعنى، وانت معنا، نستمع إلى رامى، لعلك، – مثلى – تتعلم من شطحه الرائع – أفضل من خَطَابَتِنَا الرنانة.

رامى عادل: عن يومية 19-12-2007 (عبدية لكبارنا من عبال الأمريكان!!)

... هيهْ. كل سنه وانت طيب يا عم يحيى. انا بقيت اكسر وحدة ناس كتير. بالنسبه لتقلب مزاجى بنشاط طازج. فيه دكتور (نفسى طبعا) طلع فى التليفزيون. وقال الحشيش صحى بنسب معينه فى فترات محددة. أنا عارف يا عم يحيى هى مش سايبه طبعا.

د. يحيى:

أهلا يا رامى تذكر أننا اتفقنا – ضمنا – ألا أنشر من رسائلك إلا أقل القليل مما يصلح للنشر، وأنا حذفت ما قبل كلامك فى الفقرة السابقة مع أنك لا تعملها كما تقول إلا كل 4 شهور مثلا، ثم إنى قررت ألا أحاول التمييز فيما ترسل إلىّ بين ما هو واقع خارجى، وما هو واقع داخلى (هذا التعبير أفضل عندى من تعبير "بين ما هو واقع، وما هو خيال").

ما رأيك يا رامى فى قراءتى لأحلام محفوظ، لقد أصبحتْ تمثل عندى تحدياً متجدداً وصعوبة متزايدة،

أخاف أن أتمادى، وأخجل أن أتوقف،

ولا أحد من الأصدقاء النقاد أو حتى المقربين إليه وإلىّ، (د. زكى سالم أو الضيف الجديد فى هذا الحوار نعيم صبرى، مثلا)، يرسل تعليقه تفصيلا مع أننى فى أشد الحاجة إليه، ما رأيك أنت؟

رامى عادل: عن يومية 20-12-2007 قراءة أحلام فترة النقاهة (حلم 17-18)

.. والنبى هيه مش ناقصه غموض وتخريف. انت واخدنا على فين؟ قراءتك معظم الأحلام (تقلبها) داخل الذوات اكثر منها خارجها. فالمنزل هو الرحم. وأنت تصر على رصد تعدد الذوات بدل واقع الشخوص: انت رجعت بينا تانى لتعدد الذوات ليه؟ مش عايز تبطل أنانيه يا بروفيسور. انت بتفرضها فرض وجهة النظر دى. **مع انى معاك فيها**، بس واقع الشخوص أوقع وطعمه أحلى وأنضج، وهو أوفر ويعّيشنا فى واقع وحياة وجدل اكثر رخاء. ومع ذلك سكتك جديده. خلينى وراك يا بروفيسور. انا مشتاق أعرف المزيد (هو ده باراسيكولوجى او هى السكه اللى انت بتتشقلب وبتتدحلب وبتسحبنا ووراك/وياك ليها). شوف نفسك وأنت بتقول

"تاقت نفسى للرجوع لمسكنى وكذلك الحنين للرجوع هو حنين للبيت، وأسف على تركه".

وهذا حدث فى اكثر من حلم. البيت/الوطن مثلا.

(هذا كلامك)

هل كان يقصد محفوظ ذلك؟

لا اظن ولا أحبذ.

هل البيت هو المرأة؟ هو الرحم؟ وما الذى يدعم ذلك؟

وهيّا الحكاية ناقصه شفرات؟

لماذا لا يكون البيت هو البيت. ويكون محفوظ عاش كل ده وعاصره واختتم بختمه وتطبع به فَتَمّ أسر محفوظ بالحياه/الواقع/

د. يحيى:

ليس عندى مانع ضد ما تقول، لكننى أكتب ما يصلنى أنا، بما أتصور أنه يرتفع بهذا الحدس الإبداعى المكثف الذى كتب فى ظروف خاصة جدا، وبطريقة فريدة، يرتفع به إلى ما يليق به.

رامى:

انا مش هستسلم وبقولها على الملأ . انا مش هستسلم.

انا حجازف واصارع باذن الله.

د. يحيى:

بصراحة لو أنك استسلمت، أنا سوف أتوقف، انت حر، ها أنذا أهددك.

رامى عادل: <u>عن يومية 21-12-2007 حوار/ بريد الجمعة</u>

شكرا. ربنا يستر. اوعى تيسبنى. اوعى تسيب إيدى من إيدك. أصل انا خايف تنسانى وتسيبنى بسبب السجال بتاع **د. ترك.** انا مش هسيب ايدك. معك إلى الامل.

د. يحيى:

أنا أيضا خائف من حكاية المنتدى هذه، أنت أسميتها السّجال، قد يكون الأمر كذلك، ليكن، لكن قولك **"معك إلى الأمل"** ظريف منك، نحن عادة نقول، معا بالأمل إلى الهدف، لكننى فرحت أكثر بتعبيرك **معك إلى الأمل،**

يبدو أننا يا رامى لكى نحافظ على الأمل، علينا أن نخْلق الأمل باستمرار، **علينا أن نكون معا، وإلا يسقط من كل واحد أمله على حده، يهرب منه، يراوغه، أو يضمُرْ إذا هو انتظر أكثر من عمره الافتراضى.**

والأن هات بقية تعليقك عن قراءة للأحلام، التى لا يعلق عليها غيرك أنت والدكتور أسامة عرفة – تقريبا – ربنا يخليكما.

رامى عادل: <u>عن يومية 21-12-2007 حوار/ بريد الجمعة</u>

... موضوع الحلم الأولانى بتاع عمنا نجيب محفوظ . وتحديدا اخر الحلم لما الحرامى سرق المعطف، واللى انت/ حضرتك سيته او نسبته للقناع، وانه سرق قناع صاحبنا وانتحل شخصيته تقريبا،.

احمد عامل النضافه الجديد فى المطعم الذى أعمل فيه اصبح "انا"، والله كما رايته وكمان سمعته

ده اللى أنا متأكد منه وهو بيرد على الأوامر بتاعة الشيفات بصوت/ صوتى الواهن الطفلى زياده عن اللزوم. واللى بيغرى فى رأيى بالضرب بالشلوت.

د. يحيى:
يا رجل، حسبتك ستعلق على الحلم لكنك لَبسْتَهُ، وألبَستَه زميلك الذى سرق شخصيتك، فأراك داخلك، ربما!

أوافقك أن الصوت الواهن يغرى بالضرب بالشلوت،

هل يا ترى صوتنا واهن أمام حكومتنا السنية ولهذا هى تقوم بالواجب حسب كلامك؟

رامى عادل:
... مش عارف اقولك إيه، بس نبراسك المنير ده حجه لنا إن شاء الله. وهى خير خاتمة لليالى قاسية شائكة ومع ذلك متلونه.

النهارده أنت نقلتنا للتفاؤل **وشرف التجربة** والمؤاخاة.

د. يحيى:
بصراحة، لم أستطع أن أحدد أية يوميه هى التى نقلتك، نقلتنا، هكذا، وهل تفرق؟

يا ليت يا شيخ، يا ليت، ثم دعنى أتوقف فرحا عند حكاية **"شرف التجربة"** هذه.

رامى عادل: عن يومية 22-12-2007 (مفاتيح بسيطة واختيار الحياة)
ازاى تستحمل انك تشوف حد عايز نصيحه وماتنطقهاش وتدوخه؟ كده برضه يا عم يحيى؟
أنا مش متخيل انك تكون بهذه العقليه الاحترافيه والعيان يقعد يجيلك 10 سنين وحل مشكلته فى نصيحتين تلاته.
أنا مش باخدع نفسي. ده اللى وصلنى من كلامك.
وبصراحه انت مش هين مش بسيط لدرجة إنك ماتعرفش تخبط العيان نصيحه ترجعله بيها عقله

د. يحيى:
بذمتك يا رامى، بعد مشوارك هذا الذى لا أعرف تفاصيله، والذى يبدو لى شديد الثراء، كان ينفع أن أخبطك نصيحة أرجّع لك بها عقلك، طيب لو رجع عقلك أو رجع عقلى بنصيحة واحدة أو ألف، كيف سنكمل حوارنا هذا بهذا الصدق وبكل هذه المخاطرة.

رامى عادل:
انت يا عم يحيى بتشتغل مع المخابرات؟ وهل بتعمل غسيل مخ للأصوليين واللى معتنقين فكر متطرف (مش ضرورى دينى). أنا افتكرت أنا لازم **"اجذب"** ما اريده. انت هتساعدنى؟ هتقعد معايا؟ هشوفك؟ أنا عايز احاورك. عايز التقى بيك. عايز اتعرف عليك.. ممكن. ممكن طبعا اخد من وقتك نص ساعة فى العيادة أو المستشفي. وممكن نسهر سوا. واكيد انت بتحب النيل.

د. يحيى:
إيش عرفك؟ أنا فعلاً أحب النيل، واشتريت مركب للتجديف من مدة قصيرة، وأحب البحر والجبل والناس. غصباً عن أى معترض، هذه ثروة بلا حدود،

أما حكاية إدينى من وقتك نص ساعة، فيبدو أنك أكثر تواضعاً من شهرزاد (على ما أذكر) وهى تقول "إدينى من وقتك ساعة" ساعة مين يا رامى، نعمل فيها ماذا؟ نخسر بعض؟ خلّينا هكذا على الورق علانية يجوز ننفع غيرنا. معنا.

رامى عادل: (2007-12-23)
....(بصراحة المقالتين) خرّجونى من "مود" لمود تانى، وبصراحه هما خفاف خالص مش عايزين استفسار، لدرجة أنى حسيت أنى بقوم بيهم وبعملهم خاصة نقطة **الجذب لما نريده بدل التركيز على تجنب ما لانريده**، وفكرتنى بكلام "عمر حفيد حضرتك" عن ازاى نكون ايجابيين. وأنا علاقتى مش إيجابية فى الأساس؟

ادعيلى يا عم يحيي. ادعيلى. أهتم بجسدى المتحاور، وبجوارك فنثبت وعشان نمشى على الأرض، وسط الناس، ويا الناس، بالناس. وياك ياعم يحيى باشوف حاجات ومحتاجات، باشوفك وانت بترقص

د. يحيى:
وأنا أيضا أراك أكثر مما تتصور، وأطلب منك الدعاء، وأفرح حين يصلك – أكثر من غيرك – حديثى عن الفطرة والجسد.

رامى عادل:
وانت/حضرتك بتكلمنى عن الفطره والجسد، وازاى أنا احرجتك وتعبتك ثم اثلجتك بعدها بصمتى. أظن الآن أن واجبى أن اتابعك بشغف وصمت، فمهما بلغ بنا الحوار فلن يبلغ المدى المرتقب ، ولن نتوجه الى الله، الى الله، الا بمنطق اخر بعيدا عن كل المفاهيم التقليديه وغير ذلك.

د. يحيى:
ماشى، لكنك لم تشر بعد إلى يوميات أخرى كثيرة، عن العقل، والشك، وأنواع العقول.. أرجح أن فى خبرتك العملية الصادقه ما يفيدنا جميعا.

رامى عادل: (25-12-2007)

... انا من اشد المتيمين بمحفل العقل والشك وقصور كل منهما، درست الشك فى وجود الله وتذوقته جدا كأحد اهم الفلسفات، ولسوف اخوض مباشرة فى خبرتى الذاتيه ضد الشك: بدايه كان الشك فى الناس/ البنى ادمين. وهم بيعملوا كده ليه؟ بيتفلسفوا ليه؟ بيفتوا ليه؟ بيلسّنوا على بعض ليه؟ مش عاجبهم الحال ليه؟ وازاى مستحملين روحهم؟ وهل كل الناس زى بعض؟ اسئله عاديه وانا مصّر انها اسئله عاديه على الرغم انى لم اسال احدا عن رايه فيها.

د. يحيى:

هى فعلا أسئلة عادية، فى رأيي أن غير العادى هو ألا نسألها

رامى عادل

(سأكلمك الآن عن هبة).. وهل تعتبر مصر بلدها ام لا؟ ولماذا هى محاطه بكل هؤلاء الرجال فى العمل؟ هل لطلاقتها ام لأنوثتها؟ ولماذا قرأت فى عيناها لفظ الجلاله؟ وما هذه الدماء؟ مالها الدماء قد شغلت عيناها وكانها كل الوجود؟ هل هى قاتله (هبه)؟ هل تبغى قتلي؟ هل تحبني؟ هل هى من نسفت قضيب ابليس بنظره من عينيها فخصته؟ واخيرا هل هى البحر بشعرها المجدول؟ هل "هبه" هى الطريق/القدر/الحياه/الامل؟ من هى هبه؟ الأسطورة ام الدموع؟ هبه الحنين، هبه حديقتى ومغناها، هبه مرساى الذى ابتغيه ولا احققه، هبه الماضى الذى رجوته ولم انله. هبه هى نيلى ومجراي، هبه قد ارْدَتني، ولازلت اتمسح بوشاحها، مازال بريق عيناها يجليني. لك الله يا عم يحيى، لك الله من قبل ومن بعد فهبه قد اردتني. لك الله من قبل ومن بعد

د. يحيى:

وأنت أيضا يا رامى لك الله من قبل ومن بعد.

يا رب يقتنع من اتهمونى باختراعك، وأنك شخصية وهميّه، لا لا يا رامى بذمتك هل أنا أستطيع (أو حتى أجرؤ) أن أقول هذا الكلام؟ شكرا لك.

رامى عادل

..... طب إبقى عرفنى على أصدقائك وصديقاتك **بتوع الوهمية دول.** على فكرة دول بيزاولوك. دى عيال متشيطنة وعايزين يتعرفوا مش أكتر. وطبعا حضرتك بتقول لاااا رامى مش سلعه، وأنك مش هتستغلنى وتعملنى صورة وفرجة، وأنى لا زم أوصل بمجهودي. أنا اتفلت. اتدبس يا عم البروفيسور. أنا مبسوط منك. وخليك فى الشغل.

د. يحيى:

ليس هكذا تماماً. أنا أظن أنهم ظنوا – من فرط صدقك- حسبوا أنى أستعملك لأوّصل علماً أعمق، وتجربة أصدق على لسانك، أما أنهم عايزين يتعَرّفوا، فأبدا، لأنهم رفضوا حتى

أن يرسلوا هذا الاعتراض باسمهم، ورفضوا نشر هذه الملاحظة باسمهم، يا شيخ حرام عليك.

رامى عادل:

إليك إجابتى على أسئلتك فى نهاية يومية "قراءة النص: بين التفسير والاستلهام"

السؤال الأول: هل هذا الاستلهام هو المنهج النقدى الذى اقرأ به أحلام فترة النقاهة: محفوظ؟

.. أنتَ تُفرغ الحلم من امواجه وتجعله خاويا، بل وتفرغه من محتواه الواقعى الفعلى كحلم له كيان ووجود حاضر متمثل. وكانك تخرج بى عند نقدك لاحلام محفوظ من واقع الحلم (العالم) وتدخل بى فى متاهة النفس. وينبغى على ان اقرا حلم محفوظ منفصلا. لا ادري. ولكن به من الاستلهام ما لا استطيع انكاره.. ولكنك تطغى على الحلم بوجودك. ولا اريد ان اصرح انك تلغى وجود محفوظ الذى اعرفه.

السؤال الثانى: هل يمكن أن أرجع "لمفاتيح السر" الأربعين أفسرها بما يقربها من الإفادة العامة؟

اتخيل ان تفسيرك للمفاتيح ال40 اذا ما دمجته وغمسته داخل تجاربك الواقع ناشيه (من واقع الناس). كل ما تعلمته وصادفته وبهرك، من اول بياع الفول الى الفنان احمد زكي. ما تسمعه فى الشارع وليس اللى فى التلفزيون. اقترب واعجن لغتك بلغة رجل الشارع العادى بجفافها وعيوبها وكذلك بيئتها وغجريتها.

السؤال الثالث: هل افعل مثل ذلك مع الألف حكمة وحكمة (زائد واحد) التى أطلقتها فى حكمة المجانين؟

ان قربك من واقع الناس، ما يدور من احاديث داخل المنزل وفى المترو. ما تتناقله من اخبار والحواديت والكلام الهايف المكرر، هو طريقك إلى ما تقول ...

اما آن الاوان ان تهدى شويه وتبطل طيبه وتفكير.

هو انت ينفع تبقى روائي؟ وليه ماتتفرغش للاطفال؟ وليه ماتحكيش حكايات؟ مش انت جدو اللى بيحب يحكى الحكايات؟ ولا بطلت حكايات؟! ارجوك انسجم اكثر من ذلك، فما احوجنى لك..لطبيبى النفسي. اللى بيعقّل المجانين (حضرتك).

السؤال الرابع: هل أعود للقراءة الثانية (الاستلهام) التى صدرت منى على بعض نصوص النفرى أزيدها إيضاحا لتزيد فائدة؟

بالضبط لتزيد فائده لازم تزيدها ايضاحا وقربا لواقع مصرى كادح..

د. يحيى:

بصراحة يا رامي، لن أعلق على إجاباتك، وإن كانت إجابتك على السؤال الأول هزّتنى حتى فكرت أن أتوقف عن نقد الأحلام،

كفانا هذا اليوم يا رامى، الناس تعبت

رامى عادل:
لا.. عندك ملحوظه أخيرة: انا ماشى كويس فى الشغل والشيف العمومى قاللى هات فيش وتشبيه عشان هو بيسعى فى ترقيتى. فوجدت ان عليه قضيه محكوم فيها باسمى. ربنا يستر. انا لسه معرف من الموظف نوع القضيه وايه اللى لازم اعمله.

د. يحيى:
ربنا يستر

رامى عادل:
واخيرا انا معجب جدا بأداءك الكتابى زى ما حضرتك عارف، بس انا بخاف عليك من الشطح. وعايز شعبيتك تبقى جارفه بصحيح. جمد قلبك. ربنا معاك.

د. يحيى:
ماذا سوف أعمل بشعبيتى الجارفة؟!! يكفينى اعجابك "بأدائى الكتابى"

ذات مرة وأنا أداعب شيخى محفوظ أمدح له حلما موجزا جدا، قلت له: عليك أن تستمر، هذه كتابة كاتب واعِدْ..." فقال لى وهو يضحك ضحكتة الواسعة المجلجلة "لا يا شيخ"!! واتسعتْ الضحكة هذه المرّة أكثر من كل مرة

رحمه الله،

ونلقاه على خير.

- **Evolutionary Psychology** – Dylan Evans and Oscar Zarate – published 2000 "Totem Books U.S"

- **Evolutionary Psychiatry**- Anthony Stevens and John Price – published 1996 "Taylor & Francis Group".

السبـــــــــت 29 -12-2007

120- الوســواس القهــرى فى رحـــاب مولانـــا النفــرى (1)

مقتطف وموقف على موقف
هل ثمة حاجة إلى مزيد

ذكرت مرارا أن من أكبر ما منحتنى إياه هذه النشرة اليومية، أنها أتاحت لى التعرف على كثير مما قرأتُه ونسيته، أو تصورت أننى نسيته، ذكرت سابقا أننى كم عثرت على كتاب عزيز هنا أو هناك، فأكتشف أننى ملأت هوامشه وبين سطوره بتعليقاتى فى معاركى معه ونقدى له، ثم أننى نسيت كل ذلك، إلى أن عاودت تصفحه ثم قراءة بعضه، فيحضرنى كل ما كان، الأغرب من ذلك هو ما يحدث لى حين أراجع ما كتبتُ، فأجد أننى نسيته أيضا، نسيت أننى كتبته ونسيت ما كتبته، وأكتشف أموراً عديدة فى نفسى، وعن نفسى، وعن هذه المجالات كلها التى طرقتُ أبوابها مضطرا أو مختارا.

من خلال توارد هذه المفاجآت تبينت لى أمور كثيرة من أهمها أمران:

الأمر الأول: أننى اكتشف أن كثيرا من الرؤى والآراء والفروض التى افرح بالوصول إليها هذه الأيام (أى فى البضع سنين الأخيرة) سبق أن سجلتها كتابة، وأن كثيراً منها منشور فعلا، وبنصه بالحرف الواحد، وخاصة عن المسائل الشائكة مثل **الموت، والخلود، والله، والمصير، والعلاقات البشرية.**

الأمر الثانى: هو أننى أجد نفسى على يقين من رؤيتى الآن – برغم أنها هى هى – تملأ وعيى بوضوح كاف، الأمر الذى أشك أنه كان كذلك حتى لو كانت المسألة أو المسائل قد كُتِبَتْ بنفس الألفاظ حرفيا.

ما هذا؟

هل يوجد بداخلى من يعرف هذه الأمور من ورائى؟ من ذا الذى يسرق منى القلم ويثبت ما بداخلى على الورق أو الحاسوب، ثم يسرُبُه إلى النشر هكذا، ثم هأنذا أضطر أن أعيد اكتشافه لظروف لم أحسبها، من خلال ورطة لم أستعدّ لها. (طبعا لم يحدث أى من ذلك، لكن هذا هو بعض ناتج دهشتى الآن)

والآن؟!

ما العمل وقد أصبح لى موقع خاص، ثم منتدى – بفضل الابن د. جمال ترك – يقال أنه لمناقشة فكر العبد لله؟

أليس الأولى بهذا العبد لله أن يناقش (أو يراجع) هو فكره مثله مثل أى رائد من رواد هذا المنتدى؟

اقترح الابن د. أسامة عرفة فى حوار الجمعة أمس أن أعيد قراءة (نقد) ما سبق أن تناولته ثم عاد يحركنى من جديد، وهو يقصد تلك النصوص التى كتبت عنها أو قرأتها ناقدا، وأن أفعل ذلك المرة تلو المرة دون تردد أو حرج، وقد رجح د. أسامة أن هذا قد يتيح فرصة لأن أعرف – ويُعرف – تطورى وتطور فكرى، دون أن يلغى اللاحقُ السابقَ، حتى لو تَنَاَقَضَا!!

وقد أقررت اقتراحه لكننى لم أعد بتنفيذه.

ثلاثة أعمال تتحدانى لأقبل بعض هذا الاقتراح بشكل أو بآخر، وقد أشرت إلى اثنتين منها فى **عن يومية 26-12-2007 (قراءة النص: بين التفسير والاستلهام) الأول: حكمة المجانين (طلقات من عيادة نفسية) والثانى (مواقف النفرى بين التفسير والاستلهام)**، أما **الثالث** فهو: افتتاحيات مجلة الإنسان والتطور خلال عقدين، وكنت قد جمعتها فى كتاب كنت أنوى نشره بعنوان **"حكاية كلمة"**.

حين راجعت بعض مقدماتى أو كتاباتى وجدت أننى نفذت أحيانا هذا الاقتراح فعلاً من قبل، مثلا: فى كتابى **"قراءات فى نجيب محفوظ"** كتبت أنقد قراءتى الباكرة لرواية **"الشحاذ"**، وكيف أنى عدلت عن هذا المنهج تماما إلى حدّ الرفض، وأيضا حين قدمنا روايته **"السراب"** فى إحدى ندوات الجمعية، وقارنت ما سبق أن قدمتُه نقدا على هذا العمل بما أثبته قبل ذلك فى أطروحتى عن **"العلوم النفسية والنقد الأدبى"** اكتشفت فى الندوة لزوم مثل هذه المراجعة الجسور لنقدى السابق.

ثم إنى أتذكر الآن ما تعلمته فى دراستى عن **"عقدة أوديب"** وهو أنه إذا كان للنص مستويات ولقراءته – نقده – مستويات موازية أو متجاوزه، فهذا أمر يدل على قوة إيحاء النص بقدر ما يدل على حركية وتطور النقد، سواء من قارئ/ناقدٍ واحد أو أكثر.

حين تتبعت أسطورة أوديب وأنا أعيد النظر فى استعمال سيجموند فرويد لها فى تفسير الاضطرابات النفسية والنمو النفسى، عجبت لتطور تاريخ تناول هذه الأسطورة الخالدة سواء بالكتابة أو بالاستعمال فى التنظير أو على المسرح.

لو كان لدى الفرويد العظيم الفرصة التقنية – كما هى لدينا الآن – للتسجيل والتفريغ والمراجعة، إذن لتضاعف عطاؤه مئات المرات.

حتى الأعمال التى سجلت وفورا يحتاج الأمر معها إلى تدقيق وتحقق،

أعانى الأمرّين الآن حين أعثر على فقرة فى أحلام فترة النقاهة لنجيب محفوظ، وأنا احاول أن احترم كل حرف، كل نقطة، وكل فصلة، ولكننى أحيانا اصدم بما لا أتصور أنه قاله هكذا فى هذا السياق، ارجع إلى خطه المصوّر فى مجلة "نصف الدنيا"، وكثيرا ما أجد فرقا، وفروقا،

فى أحيان قليلة جدا رجعتُ إليه شخصيا، وصحح لى نادرا بعض ما نشر خطأ، ناهيك عن الصعوبة التى كانت تحيط بظروف كتابته، مع أن هذه الأخطاء الشكلية بالصدفة هى أمر وارد لأى كاتب حتى بدون إعاقة اصلاً.

أنا لم أبلغ بعد الأحلام الأخيرة التى أملاها، بعد أن حالت إعاقة جديدة بينه وبين الكتابة تماما (كما أننى لا أعرف إن كنت سأبلغها أم لا).

فإننا إذا انتقلنا إلى النقل الشفاهى فحدّث ولا حرج.

والآن إلى النفرى:

بالنسبة لمواقف النفرى موضوع اليوم، أنا أتناولها وسوف أتناولها بنفس الالتزام وأكثر، مع أننى أعرف أنها جمعت شفاهة، ومع ذلك فإننى أعرف كيف أن حرف الجر قد يغير المعنى الذى أراده مولانا إلى أى اتجاه حتى النقيض، لست واثقا على وجه اليقين كيف سجلت هذه المواقف والمخاطبات شفاهة، وكيف انتقلت من فم إلى الأذن، عدة مرات، ولا مدى إحكام ذلك،

أحاول أن أضع ذلك فى الاعتبار بكل أمانة، فأجد نفسى فى موقف لا أحسد عليه.

ثم تأتى مرحلة التفسير والتأويل والنقد والاستلهام، وقد تناولنا الأبعاد العامة لكل ذلك فى يومية سابقة 25-12-2007 **(أنواع العقول وتعدد مستويات الوعى)** عن مستويات النص **(قراءة النص: بين التفسر والاستلهام)**

اقتراح منهج:

نكتفى بهذا القدر من التقديم وننتقل إلى المنهج الذى نقترحه للتعامل مع بعض ذلك هنا الآن:

1) سوف نعتبر النص الذى وَصَلَنا مكتوبا **هو نص قائم بذاته** حتى لو كان قد تغير قليلا أو كثيرا من خلال النقل الشفاهى أو أى عامل آخر.

2) سوف أقصر قراءتى واقتطافى على ما انتقيناه من مواقف فى كتابنا عن النفرى

3) سوف نورد النص الأصلى للنفرى باعتباره المقتطف الأول ثم نورد نصّ المؤلف المشارك د. إيهاب الخراط ثم نصّ كاتب هذه السطور.

4) سوف أغامر بعد ذلك بخطوة أخرى هى أسخف الخطوات وألزمها معاً، ذلك لأنها أقرب إلى التأويل والتفسير منها إلى الاستلهام والإبداع، من هنا يأتى سخفها - وأكاد أشبهها - بما يحدث لو أنك تتصدى لشرح قصيدة جميلة بكلام مرسل لا لزوم له،

إذا كان الأمر كذلك، فلماذا أفعل ما أراه سخيفا؟

يلح علىّ شعور بالمسئولية تجاه من لا يستطيع قراءة النص أو الموقف الأول بما هُوَ، لما هَوَ، أو يقاوم ما حاوله الموقف على الموقف، ليس فقط هو لا يستطيع، بل إنه قد يرفض ذلك، وهو عادة ما يتوقف محتجا، أو خائفا، أو متسائلا، أو مدافعا ضد ما وصله، أشعر بمسئولية تجاه هذا المتلقى وأنه حُرِمَ كنزا ثمينا هو من حقه مهما تكاسل أو تراجع.

ثم أرجع أتساءل بعد ذلك:

– هل يا ترى يزيده هذا التفسير قربا من النص؟

– هل ياترى يشجعه التفسير على الصبر على النهل من بقية النصوص (بدون تفسير)؟

– أليس من الممكن أن يقوم التفسير بإضافة معرفية إلى النص، أو أن يغرى بتضفر معرفى مع نصوص أخرى علمية أو أدبية أو من أى مصدر آخر؟

– أليس فى ترك التفسير تماما نوع من الاستعلاء والموقف الفوقى؟

أكتب ذلك وانا مازلت اقرب ميلا إلى ترك التفسير وهو الأمر الذى حاولته تقريبا فى الجزء الأول من نفس العمل (ص 15 –52) والذى اعترض عليه محمد إبنى وآخرون وقبلت اعتراضهم، ويجدر أن أعترف أنهم لو لم يعترضوا لاعترضتُ أنا على هذا المنحى، وربما هذا هو ما دعانى للمشاركة فى الجزء الثانى مع د. إيهاب بمنهج آخر.

ومع ذلك هأنذا أرجع إلى محاولة الوقوع فى نفس المراد تجنبه؟

لماذا؟

خذ مثلا الموقف الذى سوف نقدمه اليوم دون تعليق على التعليق وهو ما يمكن أن نتعلمه من موقف النفرى من **الوسواس**، ثم تابعنا غدًا ونحن نحاول فى مرحلة التفسير، ثم – ولامؤاخذة – احتمالات التطبيق(!!).

تمهيد

من بين الاضطرابات النفسية جميعها لا أشهر من هذا الاضطراب المسمى **الوسواس القهرى**،

صحيح أن استعمال كلمتَىْ "القلق" و"الاكتئاب" قد أخذتا حجما أكبر فأكبر فى العقود الأخيرة، لكن يظل الوسواس القهرى هو الاضطراب المحدد الذى له حضوره فى "تاريخ المرض النفسى" ومدارسه النفسية المختلفة من أول التحليل النفسى حتى المدرسة السلوكية مرورا بما يسمى النموذج الطبى المختزل (الكيميائى الميكنى).

وللوسوسة حضورها المتميز أيضا فى مجال الدين والتدين بما لا أجد مجالا لتفصيله الآن.

وفى دراسات متلاحقة ثبت أن محتوى الوساوس الفكرية (والطقوس والصور) فى مصر (والبلاد العربية) أغلبها هو محتوى دينى متنوع

- فكيف تناولها النفرى؟

- وكيف أعلن أنها تقربنا إلى الله لا تبعدنا عنه؟

- وكيف أوصى إزاءها بالاقتحام والاستزادة، لا الهرب والإنكار والمقاومة؟

- وكيف قرأها فاستلهمها شاب قس طبيب نفسى؟ (د. إيهاب)

- وكيف قرأها فاستلهمها، هى هى، شيخ مغامر يعيد النظر ما دام حيا؟ (د. يحيى)

- وهل ثم شئ يضاف بعد أن نورد المقتطفات الثلاث؟ (النص والقراءتان)

- وهل ما سيضاف سيكون مفيدا أم مشوّها أو مسطحًا أو موضّحاً؟

أمام هذه الأسئلة، شعرت أنه لا مفر من أن نغامر بالتفسير والشرح والتأويل (غدًا) لنوصل بعض الرسالة إلى من لم يبلغهم أصلاً إسهام هذا النص التراثى الرائع فى تناول قضايانا اليومية فى مسألة بهذا الانتشار، وهذه الإشكالية القائمة فى الصحة والمرض؟

اقتراح وتجربة

اليوم سوف اكتفى بتقديم النص مستقلا وملحقا به الاستلهامين دون تعقيب.

وفى اليوم التالى (غداً) مباشرة سوف أحاول تقديم التفسير والشرح بعد إعادة كتابة النص أيضا

بهذا يمكن أن يستغنى عن التفسير من اكتفى بالنص الأول (كما فعل البعض أو يريد أن يفعل مع قراءتى لأحلام فترة النقاهة أنظر حوار/بريد أمس)

اما من استعصى عليه النص، وأراد المزيد ولو على حساب الجمال والشعر والتفرد، فليقامر بقراءة التفسير والشرح والنقد (غداً)، وأمره إلى الله،

وأنا اعده أنه سينساه، إذْ لن يتبقى من هذا وذاك إلا ما يسمح له وعيه أن يتبقى.

وهذا هو غاية المراد

المقتطف
وقال لى كل شئ يصدرك إلى
يصدرك ومعك بقية منك أو من غيرك
إلا الوسوسة فإنها تصدرك إلى وحدك.
وقال لى الوسوسة ردّى إياك إلى بالقهر.
وقال لى أنظر إلى الوسوسة عمّ تخرجك
فلن تصلح إلا على مفارقته
وبم تُعلقك، فلن تصلح إلا على التعلّق به
موقف وراء المواقف (ص64)
أيتها الخطيئة المباركة:

حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي،
وانزع منى حتى تعلقى بحكاية الوسوسة وتصديرها لى لك .
ولا أتعلق إلا بك لا بالكتاب ولا بالوسوسة ولا بالضعف ولا بالقوة.
إيهاب
السماح السماح، كل هذا السماح !! أإلى هذا المدى السماح؟
حين تختلى بى الوسوسة لا يكون لها همّ إلا إبعادك عنى، بإبعادى عنك.
هى تشغلنى بك بزعم إنكارك، أقترب بها منك،
وما كنت أعلم ذلك، قبل ذلك.
وحين تستدرجنى الوسوسة إلى سوء الظن، إلى الحرف، إلى الخبر، أصارع كل ذلك خوفا من أن تغلبنى، ناسيا أنها لا تغلبنى إلا إذا غَلَبَتْكَ.
أنت لا تُغلب أصلا، ولا تُغلب أبدا، فِممَّ الخوف؟
وهكذا تنقلب الآية عليها. تتسارع خطواتى إليك.
لم أستطب عمرى كلمة "القهر"إلا هذا القهر.
تأتى الوسوسة فلا أملك أن أغفو بعيداً عنك، ولو هنيهة.
تأتى فتذكرنى بك حتى بالإنكار.
كنت أقاوم خائفا من غلبتها، والآن، أنت تدعونى للاقتحام.
كنت أخشى عليك حرفاً فى نفسى، ناسياً أنك قائم بذاتك، فيها، وبها، إليك
لا تضرك الوسوسة ولا تخفيك الحروف.
هى تختبر من أحَلَّ الحرف محلّك.
تخرجنى الوسوسة عن الحرف الذى يخفيك عنى، فتُدْخِلُنى أكثر إليك.
تخرجنى عن وهم صوَّرتُه لك، فأفارقه لأجدك أنت أنت دونه!!.
تعلقنى بإنكارك، فتدعونى أنت ألا أخاف أن أنكرك.
أجدنى فى رحابك لا تُنكر.
الوسوسة قد تنكرالحرف لا تنكرك.
فإذا سلّمنا لها كما أمرتنا، وجدناك دونه.
يحيى

وبعـــد

بعد أن أثبت هذه المقتطفات هنا هكذا شعرت بمعنى وفائدة ما يمكن أن اسميه القراءة البطيئة ، يبدو أن مثل هذه النصوص هى من الكثافة والقدرة على تحريك أغوار الوعى بحيث لا ينبغى أن تقرأ فى كتاب على بعضها، فإن جمعت غلى بعضها البعض لأسباب عملية مثل النشر والتسجيل، فإن هذا ليس دعوة لأن تقرأ على بعضها.

فرق بين أن تقرأ نصا واقفا بذاته لذاته، فتعود إليه، وتبتعد عنه ثم تعود، وبين أن تقرأ صفحة، أو صفحات، تحوى ما تحوى من فقرات.

تُرى ماذا تتلوها فقرات فماذا سوف يفعل التفسير بهذا النص الذى هو فى غنى عنه.

ربنا يستر

نرى غدًا.

- يحيى الرخاوى "قراءات فى نجيب محفوظ" 1992 الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الوسواس القهرى من منظور عربى اسلامى، وائل أبو هندى، عالم المعرفة عدد 293، يونيو 2003،

وسنورد له نقدا مفصلا فى القريب العاجل.

- فرحت بجمال الغيطانى ذات مرة حين علمت منه، أن ما وثّق علاقته بالتراث هو أنه كان إذا أحب نصًا راح ينقله بخط يده كتابة، وهذا أقرب إلى ما أعنيه هنا بالقراءة البطيئة.

الأحـــــــــد 30-12-2007

121- أهـــــلا بالوســـواس القهـــــرى، لتَجَـــاوُزْهْ (2)

اضطراب الوسواس القهرى، فى ثقافتنا العربية تغلب فيه المحتويات الدينية، وأصعب أنواعه هو ما يتوجه إلى ذات الله سبحانه وتعالى، بداية بالشك والتشكيك، أو بالرفض والإنكار، أو السب والتشويه، أو بكل ذلك وأحيانا يتطور بالصور الوسواسية الخيالية (ليست هلوسة ولا مجرد فكر) إلى ما هو أقبح وأصعب، الوسواس حين يثير الشكوك، لايمثل موقف الشك الايجابى أو المراجعة الناقدة، ولا هو سعى إلى يقين آخر، بل هو لابد وأن يكون مرفوضا من صاحبه مُقْحماً عليه، هذا على مستوى البصيرة التى لا تفيد إلا فى إرهاقها ضده.

وقد ينجح فى إبعاد الفكرة الوسواسية لفترة قصيرة، فيتراكم التوتر ويزيد ويضغط حتى تعاود الوساوس قهرها من جديد، وهكذا.

الذى يزيد الأمر صعوبة، ويزيد الاضطراب عنتا، هو أن مثل هذا الوسواس يحتدّ أكثر فأكثر أثناء تأدية العبادات، مثلا أثناء الصلاة أو قراءة القرآن أو الكتاب المقدس، وسوف نقصر حديثنا اليوم على هذا الوسواس المتعلق بالذات الإلهية دون الوساوس الأخرى ذات المحتوى الدينى أيضا، والتى قد تتعلق بالطهارة (والنظافة المتعلقة بها) أو الشك فى عدد الركعات، أو عدد التسبيحات أو الشك فى سلامة العقيدة... إلخ

المقتطف الذى أوردناه هنا من مواقف النفرى يشير إلى هذا النوع الأول الذى يقتحم الفكر يسب ويلعن ويشَوه ويقبح ويسخر من الذات الإلهية مباشرة.

لهذا الوسواس علاج ناجح نسبيا بالعقاقير المناسبة، وله أيضا علاج سلوكىّ مختلف أنواعه، وهو علاج ناجح نسبيا أيضا، وقد يحتاج المريض إلى العلاجين معا، وعادة ما يدعم أحدهما الآخر، بل أن هناك قياسات للتمثيل الغذائى لأجزاء معينة فى المخ تقارن بين هذه النوعين من العلاجات، وتؤيدهما، مع أنها قد تكون سببا فى تسريب فكرة شبه علمية تختزل الوسواس إلى خلل كيميائى، أوخطأ سلوكى، بما يبعدها عن الإحاطة بدوره، ولغته وغائيته، كما فعل النفرى.

اجتهاد مبدئى

فى خبرتى المهنية، دون تحديد أرقام إحصائية، أقابل هذا النوع من الوسواس فى سن باكرة حتى متنصف العمر (لكنه يمكن أن يحدث فى أى عمر) وأيضا لاحظت أنه أكثر تواترا عند المرأة عنه عند الرجل، المهم، اعتدت أن أنفرد بالشاب (أو الفتاة) - غالبا بعيدا عن الوالدين - وأسأله؟: **ماذا لو سَبَتَ منادى السيارات وأنت داخل العمارة، ولو غضباً عنك** ("ريشة"، وهو اسم الشهرة)؟ ماذا سيكون رد فعله عليك؟، فيجيب الشاب مباشرة أو بعد استدراج: **"سوف يرد لى السباب بسباب أقذع، وقد تقوم مشاجرة والأرجح أنه لن يقبل اعتذارى"** ... إلخ، فأسأله من جديد: **"وماذا لو قذفت فى وجهى الآن - وأنا طبيبك النفسى - نفس سيل السباب الذى كان مع "المنادى"، ماذا تتوقع أن يكون رد فعلى؟** وبعد استدارج أيضا، أو بدونه يقول: **أنت طبيب، ووالد، ستفهم وتسامحنى أو تفهمنى أو تأخذ بيدى أو تعالجنى،**

فأستغفر الله وأكمل موضحا له الموقف، شارحاً له أنه إذا كان بمنطقه البسيط السليم هذا قد توصل إلى الفرق بين رد فعلى، وتفاعل منادى السيارات، أليس الأجدر به أن يقدم العشم، ويثق فى سماح ورحمة وعفو من هو أعلى من كل قياس بملايين المرات إلى ما لا نهاية...،

وقد يتدرج النقاش والتجريب إلى عينات مباشرة من وسوسته متعلقة بهذا النقاش، مع استحضار رحمة الله فى **"هنا والآن"** بكل ثقة وعشم، وبالتالى معايشة عفوه وعدله، فى ذات اللحظة.

هذا الموقف البسيط قد يصل إلى الشاب بهدوء ويثير دهشته فى البداية، لكنه سرعان ما يقبله بدرجة ما وهو موقف لا يستوعبه الأهل عادة (خاصة الأكبر سنا)،

يتبع هذه البداية عادة إعطاء تعليمات سلوكية ومعرفية تتوجه نحو تجنب عدم مقاومة الوسواس، بل أحيانا ننصح باستدعائه إذا غاب (سواء فى الخيال أو فى الفكر)

وقد يسمى هذا العلاج السلوكى: العلاج بالغَمْر، وهو عكس التجنب والإزاحة.

هذه المواجهة الإكلينيكية الموجزة قد تكون بداية طيبة تسمح للشاب بعد ذلك أن يتجرأ ويقترب من وساوسه بل يكاد يَقْبلها، بل ويخفف من مقاومتها (لأنها عادة ما تزيدها اشتعالا) وهو مطمئن وهو يمارس أنواعا مختلفة من العلاج السلوكى المتواكب مع السماح الدينى الأعمق المنطلق من المنطق السليم، مستعينا ببعض العقاقير أو مستغينا عنها الآن أو بعد حين.

ينجح أى من هذه الأساليب بدرجات مختلفة لا تستبعد موقف الطبيب المعالج من دينه شخصياً، أو الدين عامة، وهى تصل وتختلف فاعليتها بقدر وعى الطبيب الإيمانى ونوع تدينه (وليس نوع دينه)

إن هذه الرسائل العلاجية إنما تصل إلى المريض من المعالج ليس فقط من خلال الألفاظ والأوامر والتدريبات، وإنما من خلال الموقف والتواصل بأكثر من قناة بين الطبيب المعالج والمريض.

• حين يكون دين الطبيب والمريض معتقد لفظى رمزى ترهيبى ترغيبى فحسب، لايستطيع المعالج أن يوصّل هذه التعليمات إلا مهزوزة، مترددة، بل إن الأمر قد يصل إلى المريض متعارضاً حين تصل الرسائل مزدوجة الوثاق Bouble - bind أى أن محتوى الكلام بالألفاظ يكون عكس ما تحمله رسالة أخرى غير لفظية، تصل للمريض من المعالج فى نفس الوقت.

• وحين يقتصر دور الطبيب على حذقه الحرفى، وهو يحتفظ بموقفه العقائدى الخاص الذى يستعبد هذه المسائل الدينية أصلا من الممارسة العلاجية، وهو يتصور أن موقفه هذا لا يؤثر على المريض، لأنه موقف حيادى ليس مع، ولا ضد، أى معتقد خاص، فإن جرعة التعليمات التى تصل للمريض من قبل هذه التوجهات السلوكية، تصل فاترة مفرغة من زخمها عادة (لا مجال للتفصيل هنا لشرح استحالة ادعاء الموقف المحايد سواء فى العلاج أو فى السياسة أو فى الحب، لأن النفس البشرية أقوى من كل ألعاب سطحية).

• أما حين يكون الطبيب المعالج أمينا مع نفسه واثقا من طريق سعيه لإيمانه، متفتحا لحركية تطوره بأقل قدر من المسلمات المسبقة، ويكون فى نفس الوقت مستعداً أن يحاول استيعاب مراحل ولغات غيره على مستوياتها المختلفة، فالأمر يختلف، لأننا بذلك نقترب من توصية النفرى.

فى رحاب النفرى:

حين ندخل إلى رحاب مولانا النفرى، نستلهم منه ونحن مسلحين بمثل هذا الموقف الأخير، فإنه يمكننا أن نستلهم ما يعيننا على تصحيح موقفنا أو تطويره أو التمسك به بمسئولية يحاسبنا الله عليها، سواء كنا فى ذلك أطباء معالجين أم أسوياء نحافظ على سلامتنا، أم مرضى محتاجين.

المقتطف الأول :

وقال لى كل شئ يصدرك إلىّ، يصدرك ومعك بقية منك أو من غيرك
إلا الوسوسة فإنها تصدرك إلىّ وحدك.
وقال لى الوسوسة ردّى إياك إلى بالقهر.
وقال لى أنظر إلى الوسوسة عمّ تخرجك
فلن تصلح إلا على مفارقته
وبم تُعلقك، فلن تصلح إلا على التعلّق به

موقف وراء المواقف (ص64)
القراءة:
ننصح القارئ ابتداء أن يقرأ بهدوء هذا المتقطف عدة مرات، وربما يفيد أكثر لو أنه نسخه بيده على ورقة، ويا حبذا لو تمهل قليلا عند كل لفظ أو تعبير غير مألوف، مثل **"يصدرك إلىّ"** أو **"بقية منك"** ..إلخ، وليصله منه ما يصل.

المقتطف الثانى موقف على موقف:
موقف: (د. إيهاب الخراط)
أيتها الخطيئة المباركة:
حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي،
وانزع منى حتى تعلقى بحكاية الوسوسة وتصديرها لى لك .
ولا أتعلق إلا بك لا بالكتاب ولا بالوسوسة ولا بالضعف ولا بالقوة.

القراءة:

ونحن نقرأ هذا الموقف من منطلق الترحيب بالخطيئة المباركة نشعر مع صاحبه بفتح باب التطهر بوعى مسئول، ثم نلاحظ كيف يستلهم القوة من الضعف، ربما طريقاً إلى القرب إليه،

ومن خلال هذا الضعف البشرى الذى يفترض فيه احتمال الخطيئة (المباركة)، تنطلق القوة.

أما ماتلى ذلك فقد بدا لى أن ايهاب قد تنازل عن حقه فى الوسوسة حتى لو كانت هى التى تصدّرها إليه.

هل حقا هو تنازل عنها أو خاف منها، أو احترم أننا لسنا قدرها؟

لم أستطع أن أجزم.

المقتطف الثالث:

موقف على موقف على موقف
موقف: (يحيى الرخاوى)
السماح السماح، كل هذا السماح !! أإلى هذا المدى السماح؟
حين تختلى بى الوسوسة لا يكون لها همّ إلا إبعادك عنى، بإبعادى عنك.
هى تشغلنى بك بزعم إنكارك، أقترب بها منك،
وما كنت أعلم ذلك، قبل ذلك.
وحين تستدرجنى الوسوسة إلى سوء الظن، إلى الحرف، إلى الخبر، أصارع كل ذلك خوفا من أن تغلبنى، ناسيا أنها لا تغلبنى إلا إذا غَلَبَتْكَ.
أنت لا تُغلب أصلا، ولا تُغلب أبدا، فِممَّ الخوف؟
وهكذا تنقلب الآية عليها. تتسارع خطواتى إليك.
لم أستطب عمرى كلمة "القهر"إلا هذا القهر.
تأتى الوسوسة فلا أملك أن أغفو بعيداً عنك، ولو هنيهة.
تأتى فتذكرنى بك حتى بالإنكار.
كنت أقاوم خائفا من غلبتها، والآن، أنت تدعونى للاقتحام.
كنت أخشى عليك حرفاً فى نفسى، ناسياً أنك قائم بذاتك، فيها، وبها، إليك
لا تضرك الوسوسة ولا تخفيك الحروف.
هى تختبر من أَحَلَّ الحرف محلّك.
تخرجنى الوسوسة عن الحرف الذى يخفيك عنى، فتُدْخِلُنى أكثر إليك.

تخرجنى عن وهم صوَّرتُه لك، فأفارقه لأجدك أنت أنت دونه!!.
تعلقنى بإنكارك، فتدعونى أنت ألا أخاف أن أنكرك.
أجدنى فى رحابك لا تُنكر.
الوسوسة قد تنكرالحرف لا تنكرك.
فإذا سلّمنا لها كما أمرتنا، وجدناك دون حاجة إلى حرف أو رسم.
القراءة:

تصدَّرّ السماح ما وصل إلى "العبد لله"، وكأنه مفتاح النص.

لكن لم يكن الأمر فقط كذلك.

السماح وحده لا يفى بالغرض.

تصورت أن هذا الفصل، الذى تقوم به الوسوسة، بين الفكر والوجود، تقوم به بما يشبه فصل الألوان فى الطباعة. تصورت أنها بذلك تُنَقِّى كلية الوجود من شوائبه المعقلنة، فيصبح جاهزا للتوجه إلى أصله بدونها، وربما جعلها (الوسوسة) ساترا **إليه**.

فى الوقت الذى يحاول الفكر الوسواسى أن يسحب صاحبه بعيدا عن أصله ومنتهاه معا ، يتحرر الوجود الأصل إلى غايته، فنقترب من حدّة ذِكْره.

الوسوسة **حرف**، قد يتجمع فى **جملة**،

وهى **تتصدر الفكر** حتى توهمنا **أننا هو** (أننا الفكر)

ما وراء الوسوسة هو مسألة إحلال الحرف محل الحق،

ثُم هى تأتى بحروف أخرى لتهاجم الحرف بحروف الضدّ.

هى تعجز بداهة عن ذلك رغم ظاهر نجاحها، إلا أنها أيضا تستدرجنا إليها بلغتها، فنقاومها فكراً بفكر، نقاوم الحرف بالحرف، حروف الوسوسة فى مقابل حروف المناقشة والإثبات والمقاومة.

الخوف من الوسوسة يعطيها قوة ظاهرية هى لا تملكها أصلاً،

الحرف (الوسوسة) قد يغلب الحرف (المقاومة والإقناع).

لكنه ليس له قدرة على المساس بالأصل،

بل هو ينقيه من كل الحروف المعطّلة (يصدره إليه وحده).

الوسوسة تبدو قهراً مقتحما، لكنه مرصود بفشله،

القهر الإيجابى الآخر يحدث بتوصية مولانا فى عكس الاتجاه، حين تردّنا الوسوسة إليه.

حين تغمرنى الوسوسة ولا أستطيع منها فكاكا، تزيح عنى فكراً كان يحول بينى وبينه،

من هنا يأتى قبولى بها هى استجابتى لها بخروجى عما تخرجنى منه، فهو صلاح لى، لأنها تخرجنى من الحرف إلى الأصل،

ما أشرف هذا القهر وأطيبه.

"الوجود" هو الأصل قبل وبعد أن يتشكل فى حرف أو رسم

هذا الوجود الأصل لا تضره الوسوسة

إنها أعجز من أن تدعونا لمفارقة الجوهر،

وكل ما عدا ذلك من الأفضل أن نفارقه ولو إلى حين،

كلما ازددت كفرا بالحرف "مفارقة له، ازددت إيمانا بالأصل" اقترابا منه،

الوسوسة تعلقنا وتغرينا بالإنكار وتشككنا فى المعتقد، فإذا استجبنا لما تعلقنا به لم يحقق إلا ظاهر نجاحه الذى هو هو السبيل إلى القرب الحقيقى، من خلال تنقية الجوهر بالوسوسة وضدها.

الوسوسة حين تعلقنا بالإنكار إنما تعرى فشلها،

وحين نجد أنفسنا نكاد ننساق ظاهراً وراء هذا الإنكار الخائب، إذا بنا تلقائيا فى رحاب الأصل

بلا مثيل ولا تمثيل

ولا حرف ولا رسم

ولا نهاية

ليس كمثله شئ.

بعض التطبيق:

بصفة عامة:

ينبهنا هذا النص، بكل القراءات، إلى أن انفصال التفكير(المعقلن) عن كلية الوجود، ليحتكر أدوات المعرفة، قد ينتهى إلى أن يسد الطريق إليها،

هذا الاحتكار إنْ كان قد أضر ببعض العلوم فهو قد أضر أكثر بحقيقة الأديان، (الإيمان)

نحن فى نهجنا التطورى يستحيل أن نستغنى عن دور التفكير بداهة، لتسيير أمور حياتنا اليومية،

أما فى علاقتنا بالكون إليه فإن دور التفكير المفاهيمى بالذات يتراجع ولا يختفى

أما أن يتعملق ويجثم، وتجرى مواجهته بمثله فى الاتجاه المعاكس، فهى الوسوسة.

أحسب أن علينا أن تضبط الجرعة فى الممارسة التربوية والتدريب النمائى بين مستويات وقنوات التواصل والمعرفة باستمرار، ربما كما يحاول المايسترو أن ينظم العازفين توقيتا وتتابعا وتآلفا طول الوقت ليظل اللحن لحنا متكاملا،

وإلا فهو النشاز مهما كانت الآلة الطاغية هى أغلى ثمنا وأقدر أداء وأعلى حسا.

النشاز (الفكر المتعملق) يسحب بالوسوسة وضدها بعيدا عن اللحن الأساسى، لذلك فهى تصدرنا إليها وليس معنا بقية منا، ومن ثَمَّ السعى طلقاء إلى وجهه تعالى.

فى الممارسة الإكلينيكية:

لو أن الطبيب (المعالج) اطمأن لموقف النفرى هكذا، فلابد أن تحل به طمأنينه بالغة الشجاعة، تسمح له بإحاطة مريضه بما اطمأن إليه هو من أن مثل هذه الوسوسة ليست إلا نغمة ناشزة، لا تفسد اللحن الأساسى إلا مؤقتا وهامشيا، وهى قد تكون السبيل إلى إعادة صياغته أرقى وأقدر على الاقتراب منه

إن موقف الترهيب، والتأكيد على أولوية الاستعاذة ، وإلحاح الاستغفار، قد يكون كل ذلك مفيدا فى مواجهة جرعة الوساوس الطافية العابرة.

لكن على الذين يبالغون فى التركيز على هذا المستوى من العلاج أن يفرقوا بين مستويات الوسوسة ودرجات حدتها، فإن صلحت هذه الأساليب فبها ونعمت، أما إذا كان الاضطراب الوسواسى القاهر مهاجما مزمنا شرسا، فإن استلهام هذا الموقف النفَرى قد يكون هو المطلوب، خاصة وهو يتفق جزئيا مع ما أشرنا إليه فى البداية مع بعض أنواع العلاج السلوكى

استيعاب هذا الموقف الواثق من عمق الإيمان كطبيعة بشرية جوهرية غائية مضطردة، لا تهزها الكلمات، ولا يستدرجها الحرف، وتنقيها الوسوسة، يقلب الموازين حين يجعل **"الضد الحائل**، هو هو السبيل إلى **الوصل الكامل.**

– ناقشنا فيما سبق مقولة ديكارت "أنا أفكر إذن أنا موجود" فى مقابل حكمة الرخاوى "أنا أفكر إذن أنا غير موجود، لا تفكر ولكن استعمل التفكير". (كتاب حكمة المجانين: الفقرة (4) رقم (75) ، (يومية 12-12-2007 "أحجار كريمة وأشياء أخرى وسط كومة قش").

الإثنيـــــــن 31-12-2007

122- حصـــاد الشهـــور الأربعـــة (122 يوميا، ونشـرة)

حاسِبْ	مِن	الأيـامْ	وفَتّح له
حاسِبْ	لَتَلعَبْ	بيكْ	وبينَا وْبها
اللعبة،	صعبهْ،	بس	برضُه تْساو
تِكْسبْ	ماتِكسَبْ،	لُمْ	تِسيبْ حَبْلها

(استدراك)

حاسِبْ	مِن	الأيـامْ	ومِنْ لِعْبها
إلعَبْها	حتَى	لَو انْتَ	مِشْ قدَها
إوعكْ	تقول	ما هو	بكره زى امْبارح
ماتِتْ	سنَهْ،	واجايه	مِشْ زيّه

ياه !!!
122 يوما بـــ 122 نشرة "!
- هذا ما حدث ويحدث
إلى متى ؟
- إيش عرّفنى!!
*** لا شئ يدوم**
*** ولا شئ يفنى**
- إذن ماذا؟
نتحمل مسئوليتنا
ونمضى نجدد اللحظة
لحظة بلحظة
نلاعب القدر
ونصبر عليه
جميعا
فنتجدد به
برغم كل شئ
(وغدا الملتقى: انظر الملحق)

* * *

هذا هو حصاد الشهور الأربعة (122 يوميا، ونشرة):
توجد كلها فى الأرشيف مباشرة، (مع الربط المناسب).
وكل عام وأنتم بخير،
يا ترى من يعيش!!

تصنيف تقريبى لما صدر فى شهور أربعة (الأرشيف)
أولاً: معارف، وعلوم نفسية، وطب نفسى

[الفصام – الإدمان...إلخ] (أنظر أيضا: الألعاب، والنقد)

م	التاريخ	عنوان المقالة
(1	13-09-2007	المُجَمِّدْ
(2	26-09-2007	تعرية زيف واغتراب التواصل بين البشر: (بالإبداع أو المرض)
(3	29-09-2007	إبداع الشخص العادى، وإبداع المرأة !!
(4	30-09-2007	الصوفية والفطرة والتركيب البشرى (1)
(5	01-10-2007	الصوفية والفطرة والتركيب البشرى (2) مستويات الوعى وأساطير المتصوفة
(6	06-10-2007	الطفل: "مشروع" يحمل كل النقائض!! فلا تختزلوه!!
(7	07-10-2007	الخوف من الحب (1) نلعب حبا" أم "نحب"؟
(8	08-10-2007	الخوف من الحب (2) "مَنْ" يحب "مَنْ"...؟
(9	21-10-2007	س & ج عن الإدمان
(10	23-10-2007	حالات وأحوال: "أدمغة" المدمن ومستويات الوعى (1)
(11	24-10-2007	أدمغة المدمن ومستويات الوعى (2) طارق "فى حركة خياله" مع اختبار اسقاطى
(12	30-10-2007	حالات وأحوال: (طب نفسى) .... عن الفصام: الجزء الأول عرض حالة فصام: (عصام)
(13	04-11-2007	حالات وأحوال: (عن الفصام..) الجزء الثانى: بعض أحوال: حالة عصام ...الفطرة، والقشرة والانشقاق
(14	05-11-2007	حالات وأحوال: (عن الفصام..) الجزء الثالث: بعض أحوال: حالة عصام ان لم ننجح مع عصام، فلننجح مع أنفسنا!
(15	06-11-2007	عن الفطرة والجسد وتَصْنِيم الألفاظ
(16	11-11-2007	.. عن "المصداقية" وتشكيلاتها
(17	12-11-2007	..عن "المصداقية" بالاتفاق
(18	14-11-2007	عن ماهية الوجدان وتطوره! (1)

(19	17-11-2007	عن ماهية الوجدان وتطوره (2) كيف لا نحس الظاهرة في لفظها؟
(20	18-11-2007	عن ماهية الوجدان وتطوره (3) مقدمة (3/3): عن الوجدان، والحزن
(21	20-11-2007	المخ البشري بين التفكيك، والغسيل، وإعادة التشكيل (الإبداع)
(22	25-11-2007	حالات وأحوال:... عن الفصام (2) (من أرشيف ما لم ينشر: جنون صمى تَنَـاثَرَ، فتجمَّد، فتجَمع)
(23	26-11-2007	حالات وأحوال:... عن الفصام (3): عن القشرة والفطرة والتعدد والواحدية!
(24	02-12-2007	حالات وأحوال: عن الفصام (4): تشخيص الفصام دون تحديد ماهيته!!
(25	03-12-2007	حالات وأحوال : رائحة للذات، والحياة، والجسد، والأشياء
(26	04-12-2007	حالات وأحوال : العين الداخلية (والأنف الداخلية كذلك)
(27	05-12-2007	حالات وأحوال : الأنفُ تدرك مثل العين أحياناً!!
(28	09-12-2007	تعدد الكيانات وحركية الإبداع
(29	10-12-2007	الطفل والتعدد والنمو والإبداع
(30	16-12-2007	المستحيل .. والممكن!
(31	17-12-2007	التطور الحيوى يتحدى المستحيل
(32	24-12-2007	تهميش "الجسد" على الناحيتين
(33	25-12-2007	أنواع العقول وتعدد مستويات الوعى
(34	29 – 12 – 2007	مقتطف وموقف : الوسواس القهرى في رحاب مولانا النفرى (1)
(35	30 – 12 – 2007	مقتطف وموقف : أهلا بالوسواس القهرى، لتَجَاوُزْهُ (2) توصية النفرى للترحيب بالوسواس

ثانياً: الألعاب (النفسية)

م	التاريخ	عنوان المقالة
(36	14-09-2007	"لعبة الخوف" (1) مثال: يا فلان (ة) أنا من حقى أخاف حتى لو.... (يكمل أى كلام)
(37	15-09-2007	"لعبة الخوف" (2) مثال: .. يا فلان (ة) أنا خايف أخاف لحسن.....(أكْمِلْ أىّ كلام)

(38	-10-02 2007	لعبة الجنون يا خبر اسود، دانا لو اتجننت، يمكن .....(أكمل)
(39	-10-03 2007	الحلقة الأولى من لعبة التحكم فى النفس مثال: يا خبر .. دانا لو سبت نفسى، يمكن ..
(40	-10-10 2007	الحلقة الثانية من لعبة التحكّمْ، والخوف من فقدهْ مثال: لوعارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى، وساعتها...
(41	-10-14 2007	الحلقة الثالثة من لعبة التحكّمْ، والخوف من فقدهْ مثال: "سيبان بسيبان ..، أنا ممكن إنى ..... (أكمل)"
(42	-10- 20 2007	الجزء الرابع من لعبة التحكم، والخوف من فقده لعبتان: 5،6 عن: التحكّمْ، والخوف من فقدهْ مثال(1): "حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها .. لحسن..." مثال (2): "سيب أنت الأول، وأنا ساعتها ...."
(43	-10- 22 2007	الحلقة الخامسة: من لعبة التحكم، والخوف من فقده لعبتان: 7، 8 عن: التحكّمْ، والخوف من فقدهْ مثال (1): أنا مش ممكن أسيب نفسى إلا لما أعرف إن..... مثال (2): اللى مانعنى أسيب نفسى ..... هو .....
(44	-10-27 2007	الحلقة الأخيرة من لعبة التحكم، والخوف من فقده لعبتان: 9 ، 10 عن: التحكّمْ، والخوف من فقده مثال (1): لا ياعم دا أنا لامم نفسى بالعافية بس دا ما يمنعش انى ..... مثال (2): لازم أعرف أنا فين وأنت مين قبل ما أسيب ماهو برضه.....
(45	-11-28 2007	الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى (1) "أنا واحد ولاّ كتير" مثال: هو أنا واحد ولا كتير، دانا بيتهيألى إنى.....
(46	-12-01 2007	الوحدة والتعدد فى التركيب البشرى(2) "القرين والجان داخلنا" مثال : طب لو أنا أكتر من واحد؟ يبقى مين فينا المسئول أنا شايف.....

ثالثاً: نجيب محفوظ

م	التاريخ	عنوان المقالة
(47)	17-09-2007	الدعوة عامة، والبداية مع نجيب محفوظ ....!!
(48)	20-09-2007	نجيب محفوظ (نقد) : قراءة فى "أحلام فترة النقاهة" (1)
(49)	27-09-2007	فى شرف صحبة نجيب محفوظ (الحلقة الأولى) مقدمة
(50)	04-10-2007	فى شرف صحبة "نجيب محفوظ" (الحلقة الثانية) شيخنا يعود إلى بيته، وتعود إليه – إلينا- ضحكته
(51)	11-10-2007	فى شرف صحبة نجيب محفوظ (الحلقة الثالثة) .... تحت سفح الهرم
(52)	18 -10-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (2)
(53)	25-10-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (3)
(54)	01-11-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (4)
(55)	08-11-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (5) ، (6)
(56)	15-11-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (7) ، (8)
(57)	22-11-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (9) ، (10)
(58)	29-11-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (11) ، (12)
(59)	06-12-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (13) ، (14)
(60)	13-12-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (15) ، (16)
(61)	20-12-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (17) ، (18)
(62)	27-12-2007	نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة الحلم (19) ، (20)

رابعاً : النقد

م	التاريخ	عنوان المقالة
(63)	09-09-2007	زكى نجيب محمود و"الشرق الفنان"(1)
(64)	10-09-2007	الشرق الأوسط : تلفيق خطر (2) الشرق الفنان: زكى نجيب محمود
(65)	16-09-2007	حركية "الأسطورة الذاتية" نحو المطلق (فى سيميائى كويلهو مع إشارة إلى "ابن فطومة": نجيب محفوظ)

(66	-10-09 2007	"طاغور" يرد "عليها" قبل أكثر من نصف قرن الطفل "الخاص"
(67	-10-28 2007	السرة الذاتية والإبداع هرمان هسّه وتجليات التعدد إلى التكامل (إليه..) (1)
(68	-10-29 2007	السرة الذاتية والإبداع: هرمان هسّه تجليات التعدد إلى التكامل (إليه..) (2)
(69	-11-03 2007	مقتطف وموقف من كتاب: سلطان الأسطورة جوزيف كامبل
(70	-11-07 2007	مقتطفات بلا موقف: .... عن الموت والوجود
(71	-11-10 2007	.. انتصار السعادة: برتراند رسل(!)
(72	-11-13 2007	استطرادات طريفة وسخيفة !! حول كتاب جيّد عن "السعادة"، برغم كل شئ!
(75	12-12-2007	"أحجار كريمة وأشياء أخرى وسط كومة قش" The secret
(76	23-12-2007	حزمة من مفاتيح السر "الآخر"
(77	-11-19 2007	مقتطف وموقف ... عن الشعر والنثر
(78	-11-21 2007	... الموت والشعر

خامساً: القيم والشباب، وبعض وصف بعض مصر

م	التاريخ	عنوان المقالة
(79	23-09-2007	"بعض" وصف "بعض" مصر!!! 2007 (1) ماذا يجرى فى بر مصر ؟ إلى أين؟
(80	24-09-2007	"بعض" وصف "بعض" مصر!!! 2007 (2) مصر :هل هى جزء من العالم الحديث والذى "يتحدث"؟
(81	25-09-2007	"بعض" وصف "بعض" مصر!!! 2007 (3) مصر: أين هى الآن؟ ماذا هى؟ إلى متى ؟
(82	15-10-2007	بعض وصف بعض مصر من ملف القيم والأخلاق فى مصر الآن
(83	16-10-2007	من ملف القيم والأخلاق فى مصر: بحث علمى شعبى !! (2)
(84	17 -10-2007	لغة الطبقة "البيئة"، والقيم اللاأخلاقية فى الأمثال الشعبية
(85	24-11-2007	.... عن الحب "للشباب" (وغيرهم غالبا!)

سادساً: قضايا، وآراء، وكتابة، وفروض

م	التاريخ	عنوان المقالة
(86	01-09-2007	عودٌ على بدء، ثم نرى
(87	02-09-2007	... أعلَى جبال الخوفِ لا تُـنْجى الجبانَ من الغرقْ (شعر)
(88	03-09-2007	.. نستعمل الواقع، لا نستسلم له، ونظل نرفضه حتى نغيّره،!!
(89	04-09-2007	يا خبر !!! لعله خيراً!
(90	05-09-2007	اختبار ذاتى (استبار) لأستاذ بكلية الطب
(91	06-09-2007	الورطة .. (أكْمِلْ .. أم أتوقّف؟)
(92	07-09-2007	بدال ما تثور تفِنّ (شعر)
(93	08-09-2007	.. دستور يا الدستور (تانى مرة)
(94	11-09-2007	11 /9 الشهير بـ 11/9 "المجرمون أوْلى بالمواجهة"
(95	12 - 09 - 2007	لماذا أكتب؟ لمن؟ وماذا بعد؟
(96	18-09-2007	مع الناس.. فى رحابه تعالى خواطر قديمة ..
(97	19-09-2007	رسالة عمرها 31 عاما- بعد لقاء عابر
(98	13-10-2007	العيد .. والناس.. والحب.. وربنا !
(99	31-10-2007	فى مثل "ذلك" اليوم: "وعد بلفور"
(100	27-11-2007	مقتطف وموقف: سيمفونية المعرفة الكونية بآلات عزف متكاملة (تسابيح)
(101	18-12-2007	عن الدين العالمى الجديد
(102	15-12-2007	تشكيلات من الحضارة والمدنية والحاجة إلى مراجعة
103	19-12-2007	عيدية لكبارنا من عيال الأمريكان!!
104	22-12-2007	مفاتيح بسيطة واختيار الحياة (هل ثم مذاق للحياة فى ذاتها؟)!!
(105	26-12-2007	قراءة النص: بين التفسير والاستلهام
(106	31-12-2007	حصاد شهور أربعة

سابعاً: حوار بريد الجمعة

م	التاريخ	عنوان المقالة
(107	21-09-2007	حوار/ بريد الجمعة بداية مع شابة (21 سنة) طالبة بكلية الهندسة آملة مرحّبة، ... ولكن
(108	22-09-2007	بريد/حوار الجمعة (يوم السبت) بقية تحية، وبداية مشاركة د. أسامة عرفة، ود. محمد أحمد من استراليا، وتحيات أخرى.. وغير ذلك
(109	28-9- 2007	حوار/ بريد الجمعة ..نحة عن الإبداع، والأسطورة الذاتية، ونقد أحلام محفوظ، وصراخ ضد الغرب والشرق معا، باستثناء ما هو "أنا" !!! جدا... وغير ذلك
(110	05-10-2007	حوار/ بريد الجمعة التصوف والفطرة البشرية، و"سر اللعبة" "ألعاب نفسية"، و"التواصل البشرى" وتحديث الدين، ثم إبداع المرأة والشخص العادى... وغير ذلك
(111	12-10-2007	حوار بريد الجمعة عن التواصل والطفولة والبراءة... وغير ذلك
(112	19 -10-2007	حوار بريد الجمعة د. رفيق حاتم ضيف كريم (وحده)، واعتذار للأصدقاء الأخرين الطيبين
(113	26-10-2007	حوار/ بريد الجمعة عن العواطف، والحالة الإيمانية، والعيد، والطفولة، وفضيلة الدهشة، ومنظومة القيم..وغير ذلك
(114	02-11-2007	حوار/ بريد الجمعة الابن يوسف عزب يصل أخيراً، وكأنه يفتح ملفات مجلة الإنسان والتطور !! ولكن..
(115	09-11-2007	حوار/ بريد الجمعة الفرض العلمى، والعمل الجماعى، والموت، وحتمية حركية التفتح للآخر.. والفطرة، وتصنيم الألفاظ... وغير ذلك
(116	16-11-2007	حوار/ بريد الجمعة عن السعادة، وبرتراند راسل ، وبداية تدفق وطلاقة رامى عادل (إلى أين).. وغير ذلك
(117	23-11-2007	حوار/ بريد الجمعة بداية التواصل مع زوار الشبكة العربية للعلوم النفسية، وظهور فضل الابن جمال ترك المسئول عن الشبكة ... وغير ذلك

(118	30-11-2007	حـوار/ بريد الجمعة عن برنامج الدخول والخروج، ومشاعر المرأة، والحب والشباب وتعقيب على عرض حالة .. وغير ذلك
(119	07-12-2007	حـوار/ بريد الجمعة عن تعدد الذوات، وحركية الإبداع و"أنا واحد ولا كتير" وتواصل تدفق رامي،.. وغير ذلك
(120	14-12-2007	حوار بريد الجمعة: حـوار بلا ترتيب على مدى ربع قرن!! بين ابن وأبيه! ثلاث مقالات حوارية بين د. يحيى الرخاوى وابنه د. محمد يحيى الرخاوى عن الوحدة والتعدد والتركيب البشرى
(121	21-12-2007	حـوار/ بريد الجمعة عن الوحدة والتعدد، والنبوغ والوغدنة والنقد، وبدعة "السر" ونقدها .. وغير ذلك
(122	28-12-2007	حـوار/ بريد الجمعة عن تفضل الشبكة العربية بإفتتاح منتدى الإنسان والتطور، وأحلام محفوظ وتفسير النص أو استلهامه وأحلام محفوظ ثم تدفق رامي عادل أيضا

الملحق : (دعوة للمشاركة فى المنتدى)

(من خطاب أ. د. جمال ترك رئيس بوابة الشبكة العربية)

نأمل من الزملاء الراغبين الاشتراك فى منتدى الإنسان والتطور (مناقشة فكر أ.د. يحيى الرخاوى) ومتابعة هذا السجال الفكرى الراقى لأحد أبرز الوجوه العربية والعالمية على مستوى الاختصاص، تكرم التسجيل فى قائمة مراسلات هذه المجموعة بإرسال بريد إلكترونى إلى العنوان التالى :

RakhawyPsyGroup-subscribe@yahoogroupes.fr

ينطلق المنتدى والمراسلات المتعلقة به بداية شهر يناير جانفيى 2008 بإذن الله تعالى وذلك من خلال الارتباط التالى

http://fr.groups.yahoo.com/group/RakhawypsyGroup/

ديسمبـــــــــــر 2007 : العـدد 4

إصـــدارات شبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـف 2007

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليها و مشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- ترحالات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر -) ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعرى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007